

الأنوار النعمانية

لمؤلفه

العالم العامل والكامل الباذل صدر الحكماء ورئيس العلماء

السيد نعمة الله الجزائري

طاب ثراه وجعل الجنة مثواه

المتوفى ١١١٢هـ

الجزء الأول

دار الكوفة

دار القارئ

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٤١٣٢٥٦ / ٠٣ بيروت ـ لبنان بريد إلكتروني: DAR_ALKARI@hotmail.com

دار الكوفة طباعة - نشر - توزيع - بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد نعمة الله الجزائري

اسمه ونسبه :

هو السيد نعمة الله الحسيني الموسوي الجزائري ابن السيد عبد الله بن السيد محمد ابن السيد حسين بن السيد أحمد بن السيد محمود بن السيد غياث الدين بن السيد مجد ‹ صفحة ٦ › الدين بن السيد نور الدين بن السيد سعد الدين بن السيد عيسى بن السيد موسى بن السيد عبد الله بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام . هكذا أورد المترجم نسبه الشريف في كتابه الأنوار النعمانية [١].

آراء العلماء فيه

قال شيخه الجليل العلامة المجلسي في اجازته له : السيد الأيد ، الحبيب اللبيب ، الأديب الأريب ، الفاضل الكامل ، المحقق المدقق ، جامع فنون العلم وأصناف السعادات ، حائز قصبات السبق في مضامير الكمالات ، الأخ الوفي ، والصاحب الرضي ، السيد نعمة الله الحسيني الجزائري ، رزقه الله الوصول إلى أعلى مدارج المتقين ، واقتفاء آبائه الطاهرين ، فاستجازني تأسيا بسلفنا الصالحين ، ولينظم بذلك في سلك رواة أخبار أئمة الدين سلام الله عليهم أجمعين ، وكان ذلك بعد أن بلغ الغاية القصوى في الدراية ، ورقى العلوم ومناكبها ، ورمى بأرواقه عن مراكبها ، وعقدت لإفادته المجالس ، وغصت بمواعظه المحافل والمدارس ، وصنف في أكثر العلوم الدينية والمعارف اليقينية مصنفات رائقة ، يسطع منها أنوار الفضل والعرفان .

وقال شيخه المحدث الحر العاملي [٢]

فاضل ، عالم ، محقق ، علامة ، جليل القدر ، مدرس من المعاصرين .

وقال المولى الميرزا عبد الله الأفندي [٣]

فقيه ، محدث ، أديب ، متكلم ، معاصر ، ظريف ، مدرس ، والآن هو شيخ الاسلام من قبل السلطان بتستر .

وقال الفقيه المحدث الشيخ يوسف البحراني [٤]

---

(١) (١ : ٣٨٠) . في الإجازة الكبيرة ،ص ٧٧ لحفيده العلامة السيد عبد الله الجزائري وكذا في مستدرك الوسائل للنوري ٣: ٤٠٤.

(٢) أمل الآمل ٢ : ٣٢٦

(٣) رياض العلماء ٥ : ٢٥٣ .

(٤) لؤلؤة البحرين ص ١١١ .

كان هذا السيد فاضلا ، محدثا ، مدققا ، واسع الدائرة في الاطلاع على أخبار الامامية وتتبع الآثار المعصومية الخ .

وقال حفيده العلامة السيد عبد الله الجزائري [٥]

المتبحر الجليل النبيل ، المشهور ذكره في الآفاق ، المشهود بفضله على الاطلاق ، وكان من مبدأ نشوئه إلى آخر عمره مولعا بطلب العلم ونشره وترويجه ، كدودا لا يفتر عنه ولا يميل ، وكان في أسفاره يستصحب ما يقدر عليه من الكتب ، فإذا نزلت القافلة وضعها واشتغل بها إلى وقت الرحيل ، وربما كان يأخذ الكتاب بيده يطالع فيه وهو راكب في المسير . ثم قال : انتقل إلى تستر وأقام بها ووقع من نفوس أهلها أعظم موقع ، ونشر فيها العلوم الشرعية ، وقنن محاسن الشرع - وكانت مهجورة فيها منذ زمن الشيخ عبد اللطيف الجامعي - وحث الناس على بناء المساجد وأداء الجماعات والجمعات ، وتصدى للأمور الحسبية على أكمل نظام ، وجميع ما يوجد إلى الآن من الرسوم والآداب الشرعية في هذه البلدة فإنما هي من بقايا آثاره ، وجميع من نشأ بعده من العلماء والمشتغلين وأئمة المساجد والوعاظ والمتهذبين فهم من تلامذته وأتباعه ولو بالواسطة .

وقال المحقق الشيخ أسد الله التستري [٦]

السيد السند ، والركن المعتمد ، الفقيه الوجيه ، المحدث النبيه ، المحقق النحرير ، المدقق العزيز النظير ، واسع العلم والفضل ، جليل القدر والمحل ، سلالة الأئمة الأبرار ، والد الأماجد الأعاظم الأكارم الأخيار والأكابر المنتشرين نسلا بعد نسل في الأقطار والأمصار ، العلامة الفهامة ، التقى الرضي السري.

وقال العلامة الخوانساري [٧]

السيد السند المعتمد الجليل الأواه نعمة الله . . . . كان من أعاظم علمائنا المتأخرين ، وأفاخم فضلائنا المتبحرين ، واحد عصره في العربية والأدب والفقه والحديث ، وأخذ حظه من المعارف الربانية بحثه الأكيد وكده الحثيث ، لم يعهد مثله في كثرة القراءة على أساتيد الفنون ، ولا في كسبه الفضائل من أطراف الحزون بأصناف الشجون . كان مع مشرب الاخبارية كثير الاعتناء والاعتداد بأرباب الاجتهاد ، وناصر مذهبهم في مقام المقابلة منهم بأصحاب العناد وأعوان الفساد ، صاحب قلب سليم ، ووجه وسيم ، وطبع مستقيم ، ومؤلفات مليحة ، ومستطرفات في السير والآداب والنصيحة ، ونوادر غريبة في الغاية ، وجواهر من أساطير أهل الرواية . إلى غير ذلك

---

(٥) الإجازة الكبيرة ص ٧٠.

(٦) مقابس الأنوار ص ١٧ .

(٧) روضات الجنات ٨ : ١٥٠

من اطراء أصحاب المعاجم وأرباب التراجم ، ولقد وصفوه وأثنوا عليه جميل الثناء ، واكتفينا بهذا النزر القليل من الاطراء عليه ، وفيه كفاية لمن له قلب سليم .

مشائخه ومن روى عنهم :

تتلمذ المترجم على كثير من فحول أهل زمانه وروى عنهم ، وهم :

١ - الميرزا إبراهيم ابن الملا صدرا ، المتوفى سنة ١٠٧٠ هـ ق .

٢ - الأمير إسماعيل بن الأمير محمد باقر الخواتون آبادي ، المتوفى سنة ١١١٦ هـ ق .

٣ - الشيخ جعفر بن كمال الدين البحراني ، المتوفى سنة ١٠٩١ هـ ق .

٤ - الشيخ حسين بن سبتي .

٥ - المحقق الشيخ آقا حسين الخوانساري ، المتوفى سنة ١٠٩٨ هـ ق .

٦ - شاه أبو الولي بن شاه تقي الدين الشيرازي .

٧ - الشيخ صالح بن عبد الكريم الكركزاني البحراني ، المتوفى سنة ١٠٩٨ هـ ق .

٨ - الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي ، المتوفى سنة ١٠٧٥ هـ ق .

٩ - السيد شرف الدين علي بن حجة الله الطباطبائي الشولستاني الغروي ، المتوفى سنة ١٠٦٣ هـ ق .

١٠ - الشيخ علي حفيد الشهيد الثاني ، المتوفى سنة ١١٠٤ هـ ق .

١١ - الشيخ عماد الدين اليزدي .

١٢ - العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي ، المتوفى سنة ١١١٠ هـ ق .

١٣ - المولى محمد باقر السبزواري ، المتوفى سنة ١٠٩٠ هـ ق .

١٤ - الشيخ محمد بن سلمان الجزائري .

١٥ - الميرزا رفيعا محمد بن حيدر الطباطبائي ، المتوفى سنة ١٠٧٩ هـ ق .

١٦ - ملا محسن الفيض الكاشاني ، المتوفى سنة ١٠٩١ هـ ق .

١٧ - السيد محمد الميرزا الجزائري بن شرف الدين علي الموسوي .

١٨ - السيد هاشم بن الحسين الأحسائي .

١٩ - الشيخ يوسف بن الشيخ محمد البنا الجزائري ، المتوفى سنة ١٠٧٠ هـ ق .

تلامذته ومن روى عنه

تتلمذ عليه جماعة من العلماء ، وكان المترجم مدرسا رسميا في أصفهان وتستر ، وتخرج من مدرسته جماعة من فحول الاعلام ، كما أنه قدس سره أجاز جماعة منهم ، وهم :

١ - المولى أبو الحسن الشريف الفتوني النباطي العاملي ، المتوفى سنة ١١٣٨ هـ ق .

٢ - الحاج أبو الحسن بن الحاج زمان الشوشتري ، المتوفى سنة ١١٤٣ هـ ق .
٣ - المير أبو القاسم بن المير محمد الحسيني المرعشي الشوشتري .
٤ - الملا أحمد بن الملا كاظم الكبابي الشوشتري ، المتوفى سنة ١١٤٦ هـ ق .
٥ - الشيخ بهاء الدين محمد الجزائري .
٦ - الشيخ حسين البحراني .
٧ - الشيخ حسين بن محي الدين بن عبد اللطيف الجامعي العاملي .
٨ - الشيخ شمس الدين بن صقر البصري الجزائري .
٩ - الحاج عبد الحسين بن الحاج كلب علي الكركري ، المتوفى سنة ١١٤١ هـ ق .
١٠ - الملا عبد الغفار الصراف الشوشتري ، المتوفى سنة ١١٤٧ هـ ق .
١١ - الخواجة علي بن الخواجة إسماعيل الصراف الشوشتري ، المتوفى سنة ١١٢٨ هـ ق .
١٢ - الشيخ علي بن الشيخ حسين بن الشيخ محي الدين الجامعي العاملي .
١٣ - الحاج عناية الله أخ الحاج أبي الحسن المذكور ، المتوفى سنة ١١٤٧ هـ ق .
١٤ - القاضي عناية الله بن القاضي محمد معصوم بن القاضي عبد الرضا .
١٥ - الشيخ عوض البصري الحويزي .
١٦ - الملا عيدي محمد القاري بن الملا صالح بن درويش شمس ، المتوفى سنة ١١٣٨ هـ ق .
١٧ - الشيخ فتح الله بن علوان الكعبي الدورقي القباني ، المتوفى سنة ١١٣٠ هـ ق .
١٨ - فتح علي آقا بن آقا محمد بن أسد الله قزلباش ، المتوفى سنة ١١٣٥ هـ ق .
١٩ - الملا فرج الله بن الملا محمد حسين السيد محمد شاهي ، المتوفى سنة ١١٢٨ هـ ق .
٢٠ - القاضي مجد الدين بن القاضي شفيع الدين الدزفولي .
٢١ - الملا محمد باقر بن الملا محمد رضا شانه تراش الشوشتري .
٢٢ - الملا محمد باقر بن محمد حسين السيد محمد شاهي الشوشتري ، المتوفى سنة ١١٣٥ هـ ق .
٢٣ - القاضي محمد تقي بن القاضي عناية الله الشوشتري .
٢٤ - الشيخ محمد الجزائري ، المتوفى سنة ١١٣١ هـ ق .
٢٥ - الملا محمد زمان بن الملا محمد رضا الصحاف الشوشتري .
٢٦ - السيد محمد شاه بن مير محمد حسين المرعشي الشوشتري ، المتوفى سنة ١١٢٥ هـ ق .
٢٧ - الشيخ محمد الضبيري النعيمي البلادي البحراني ، المتوفى سنة ١١٣٠ هـ ق .
٢٨ - الملا محمد طاهر بن الملا كمال الدين الشوشتري ، المتوفى سنة ١١٢٧ هـ ق .
٢٩ - الشيخ محمد علم الهدى ابن الفيض الكاشاني .

٣٠ - مير محمد هادي بن مير السيد محمد المرعشي الشوشتري ، المتوفى سنة ١١٣٧ ﻫ ق .
٣١ - الشيخ محمد بن علي بن الحسين النجار الشوشتري ، المتوفى سنة ١١٤١ ﻫ ق .
٣٢ - الحاج محمود بن مير علي الميمندي .
٣٣ - السيد نجم الدين بن السيد محمد بن السيد عبد الرضا الجزائري .
٣٤ - مولانا نظر علي الزجاجي الشوشتري ، المتوفى سنة ١١٤٦ ﻫ ق .
٣٥ - القاضي نعمة الله بن محمد معصوم الشوشتري ، المتوفى سنة ١١١٢ ﻫ ق .
٣٦ - السيد نور الدين ابن السيد نعمة الله الجزائري .
٣٧ - الشيخ يعقوب البختياري الحويزي ، المتوفى سنة ١١٤٧ ﻫ ق .

مؤلفاته القيمة :

كتب السيد الجزائري مؤلفات ورسائل كثيرة، قد تجاوزت جهود الفرد الواحد ، على الرغم كما عرفناه من سيرة حياته ، من عدم استقراره وتفرغه للعلم ، وتوارد الهموم والغموم والغربة عليه ، ولكن تلك التأليفات الرائقة فضل وتوفيق من الله تعالى لعباده الصالحين ، وهي :

١ - الإجازات ، كتبها لتلاميذه ومعاصريه .
٢ - الأنوار النعمانية في بيان معرفة النشأة الانسانية .
٣ - أنيس الفريد أو أنيس الوحيد في شرح التوحيد ، وهو عين كتابه نور البراهين .
٤ - الأيام النحسة والسعيدة .
٥ - تحفة الاسرار في الجمع بين الاخبار .
٦ - الجواهر الغوالي في شرح عوالي اللآلي .
٧ - حاشية الاستبصار .
٨ - حاشية أمل الآمل .
٩ - حاشية توحيد الصدوق قدس سره .
١٠ - حاشية زبدة البيان .
١١ - حاشية شرح ابن أبي الحديد على نهج البلاغة .
١٢ - حاشية شرح الجامي .
١٣ - حاشية شرح اللباب .
١٤ - حاشية الصحيفة الكاملة .
١٥ - حاشية المغني اللبيب عن كتب الأعاريب .
١٦ - حاشية نقد الرجال .

١٧ - حواشي الكتب الأربعة وغيرها .

١٨ - الحواشي الضافية والموازين الوافية ، حواش على نهج البلاغة .

١٩ - حل مشكلات العلوم .

٢٠ - رياض الأبرار في مناقب الأئمة الأطهار [٨]

٢١ - زهر الربيع [٩].

٢٢ - شرح الصحيفة الكاملة .

٢٣ - شرح عقائد الصدوق .

٢٤ - شرح عينية ابن سينا .

٢٥ - شرح الفوائد الضيائية .

٢٦ - شرح ملحقات الصحيفة .

٢٧ - شرح منهاج الصواب .

٢٨ - شرح نهج الصواب إلى علم الاعراب في النحو .

٢٩ - طريق السالك في توضيح المسالك في النحو .

٣٠ - عقود المرجان في تفسير القرآن .

٣١ - الغاية القصوى في النحو .

٣٢ - غاية المرام في شرح تهذيب الأحكام .

٣٣ - الفوائد في النحو .

٣٤ - الفوائد النعمانية في الحديث .

٣٥ - الفوائد النعمية في النحو .

٣٦ - قاطع اللجاج في شرح الاحتجاج للطبرسي .

٣٧ - كشف الاسرار في شرح الاستبصار .

٣٨ - لوامع الأنوار في شرح عيون الأخبار .

٣٩ - مسكن الشجون في وجوب الفرار من الطاعون .

٤٠ - مشكلات المسائل في النحو .

٤١ - مفتاح اللبيب في شرح التهذيب في النحو .

---

(٨) طبع في دار التاريخ العربي في بيروت ناق الجزء الاول

(٩) طبع على الحجر وفي المطبعة الحيدرية وفي لبنان مرات عديدة كثر النقاش حول فصه الاخير واعتبر البعض ان الفصل مدخولاً على النسخة الاصلية

٤٢ - مقامات النجاة في شرح الأسماء الحسنى .

٤٣ - مقصود الأنام في شرح تهذيب الأحكام .

٤٤ - مناهج المطالب في النحو .

٤٥ - منبع الحياة في اعتبار قول المجتهدين من الأموات .

٤٦ - منتهى المطلب في النحو .

٤٧ - منهاج الصواب إلى علم الاعراب في النحو .

٤٨ - منهاج المبتدي في النحو .

٤٩ - نزهة الاخوان وتحفة الخلان .

٥٠ - نوادر الاخبار .

٥١ - نهج الصواب في علم الاعراب .

٥٢ - نهج اليقين في النحو .

٥٣ - نور الأنوار في شرح كلام خير الأخيار .

٥٤ - نور البراهين في بيان أخبار السادة الطاهرين [١٠]

٥٥ - النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين [١١]

٥٦ - هديه المؤمنين في الفقه .

هذا ما عثر عليها أرباب التراجم والمعاجم من تأليفاته وتصنيفاته الثمينة .

ولادته ووفاته :

ولد السيد سنة (١٠٥٠) هـ ق في قرية الصباغية من أرض الجزائر قرب البصرة ، ولا زالت القرية تعرف بهذا الاسم إلى اليوم .

وتوفي قدس سره ليلة (٢٣) شوال سنة (١١١٢) هـ ق ، وذلك بعد سنتين من وفاة أستاذه العلامة المجلسي قدس سره ، وكان عمره الشريف (٦٢) سنة ، ودفن في جايدرفيلي وتسمى اليوم پل دختر ، ومرقده معروف يزار هناك ويتبرك . وكان مزاره الشريف مع كثرة المراجعين وقضاء الحوائج عنده متروكا ومخروبا ، إلى أن وفق الله تعالى العلامة السيد طيب الجزائري دامت توفيقاته بتجديد البناء ، فشمر الباع لهذا المقصد الكثير العناء مع بعد مقره عنه ، فبني على الجدار القديم الحجري الدائر مداره بناية غالية وقبة عالية ، وأخرجت القبة الأولى المخروبة من جوفها [١٢]

---

(١٠)طبع في ايران بتحقيق مهدي الرجائي

(١١) اشهر كتبه ذيوعا واكثرها انتشاراً وطباعة

(١٢) نور البراهين ج١ ص٣٤ بتحقيق مهدي الرجائي

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده بنعمته على نعمائه ونصلي على عبده المقرب لديه محمداً وآله.

(وبعد) فأن المذنب الفقير، صاحب الخطاء والتقصير،قليل البضاعة، وكثير الإضاعة، نعمة الله الحسيني، عفى الله عن ذنوبه وستر منه فاضحات عيوبه.

لما فرغ من كتابيه غاية المرام في شرح تهذيب الأحكام، وكشف الأسرار في شرح الإستبصار، تاقت نفسه إلى تأليف كتاب غريب على نمط عجيب لم يكتب في زبر الأولين ولم تسمح به قريحة أحد من المتأخرين، يكون للأمي وإعظاً وومونساً، وللعالم مطرحاً ومجلساً، ينتفع منه كل أحد على قدر رتبته، ويستضيء به كل من اراد رفع ظلمته، يشتمل على تفصيل أحوال الإنسان قبل خلقته، ويبين شأنه الى يوم ولوج حفرته ويعقبه بذكر أحواله إلى يوم دخول ناره أو جنته، بل يفَصل فيه أحوال الدنيا وأهلها قبل وجودها وبعد وجودها، وبعد ما يكتب عليها الفناء، ومستمداً من الله سبحانه التوفيق لرفع الإحتياج إلى المخلوقين لحصول أسباب الغناء.وسميته كتاب الأنوار النعمانية في بيان معرفة النشأة الإنسانية راجياً منه سبحانه أن يجيرنا من أحوال البرزخ والحساب، وأن يجعله مقبولاً عند أصفيائه أولي الألباب وقد إلتزمنا أن لا نذكر فيه إلا ما أخذناه عن ارباب العصمة الطاهرين، أو ما صحّ عندنا من كتب الناقلين، فأن كتب التواريخ أكثرها قد نقله الجمهور من تواريخ اليهود، ولهذا كان اكثر ما فيها الأكاذيب الفاسدة، والحكايات الباردة وقد رتبنّاه على أبواب ثلاثة.

(الباب الاول) يشتمل على أنوار

نورٌ في معرفة الباري سبحانه

إعلم أن المحققين قد أكثروا الدلائل على إثبات الواجب، وعلى كيفية صفاته الثبوتية والسلبية، وقد كثرت المناقشة بينهم حتى قال بعضهم إنه لم يقم دليل على إثبات الصانع ووحدته خال عن إلاعتراض لإبتناء أكثرها على إبطال الدوّر والتسلسل وفي إبطالهما كلام كثير وإذا كان الحال على هذا المنوال فكيف يعلّق إثبات الواجب ووحدته وما يتبعهما على مثل هذا. مع أن الدلائل على مثل هذا لا تكاد تحصى. وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد[١٣].وفي الدعاء يا

---

(١٣)هذا البيت لابي المتاهية الشاعر المشهور وهو ابوا اسحاق اسماعيل بن القاسم بن مؤيد بن كيان العنزي بالولاء العيني الولود(١٣٠)هـ والمتوفى(٢١٠) وفي تاريخ وفاته اقواله اخر.بي

خفياً من فرط الظهور. وقد نقل لي أن الفاضل الدواني لما أراد كتابة رسالة في إثبات الواجب قالت له أمه ما تكتب فقال لها رسالة في إثبات الواجب فقالت له، أفي الله شك خالق السموات والأرض فترك تأليف ما أراد ومن تأمل دليل الأعرابي حيث سئل عن الدليل على وجود الصانع فقال البعرة تدل على البعير وآثار الأقدام على المسير أفسماءٌ ذات أبراج وأرض ذات فجاج[١٤] لا تدل على وجود اللطيف الخبير يجده أدلّ على المطلوب[١٥] من البراهين التي ذكرها إبن سينا في كتابيه (الشفا والإشارات) والطوسي قدس الله روحه في (قواعده وتجريده) فإنك قد عرفت إبتنائها على ما لا يتم والعقول سيالة ولذا ترى كل لاحق يغلط سابقه وينقض دلائله وقد استفاض في الاخبار ان كل مولود يولد على الفطرة إلاَ أن أبويه يهودانه وينصرانه وهذا المعنى شايع لا ينكر.فإن قلت إذا كان معرفته تعالى على هذا النحو من الظهور فما بال العقلاء إختلفوا في إثباته، وكيفية صفاته، وبعضهم نفاه رأساً وقال ما يهلكنا إلا الدهر وبعضهم أثبت له شركاء كالمسيح، وعزير، وقالت طائفة الملائكة بنات الله، وبعضهم قالوا بجسميته، حتى أن طائفة من طوائف المسلمين كالحنابلة ذهبوا إلى أنه جسم كالأجسام وأنه في صورة شاب حسن الصورة ينزل كل ليلة جمعة راكباً على حمار فيدبر أمر الأرض إلى الجمعة الأخرى حتى أنهم ربما وضعوا لحماره شعيراً فوق سطوحهم، وبعضهم صنعوا له شريكاً من التمر وهم بنو حنظلة، وكانوا يعبدونه، قال صاحب الكشاف ما انتفع كافر من ربه مثل انتفاع بني حنظلة، فانهم كانوا يصنعون صنماً من التمر والحلوا فيكثرون السجود له، فإذا جاعوا أكلوه، وكان ذلك العام عام قحط ومجاع وبعضهم أثبت إلهين وهما النور والظلمة، وقال إن النور يفعل الخير والظلمة يفعل الشر، إلى غير ذلك من المذاهب الفاسدة والاراء الكاسدة.قلت الجواب عن هذا من وجوه ألاول: وأن ما وقع به الإختلاف ليس هو محل الظهور فإنك قد تحققت أن مكان الظهور، وهو كونه موجوداً صانعاً، وهذا لم يشك به عاقل وما ورد من فرق الكفّار من الانكار له تعالى، فهو من مجرد اللسان، كما حكاه سبحانه بقوله ﴿وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم﴾، وقول أهل عبادة الأصنام ﴿ ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى ﴾.الثاني: أن الإختلاف قد جاء من تقليد الأسلاف كما حكاه عنهم من قولهم ﴿ إنا وجدنا آباءنا على امة وإنا على اثارهم مقتدون ﴾ واما أسلافهم فقد أخذتهم الحميّة الجاهلية، عن متابعة الانبياء لأنهم بزعمهم انهم، أهل ملّة يقتدى بهم الناس فكيف يحسن منهم الترك لرتبة الإمامة والتنزل إلى درجة المأموميّة، ولهذا ما كان يقتدى بالأنبياء سوى الفقراء

---

(١٤)الفجاج الطريق الواسع الواضح بين جبلين.

(١٥)هذا الدليل الاني ادل على المطلوب بالنسبة الى افهام اكثر الناس من العوام والخواص واما البراهين العقلية التي ذكروها في الكتب والاسفار العقلية فهي ادل على المطلوب عند اهل النظر والتحقيق والفكر العميق.

والمساكين وقد عيَروا به الأنبياء حيث قالوا، واتبعك الأرذلون ﴿ وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا ﴾ بادى الرأي ولا يستبعد هذا من الكفار، فان مثله قد وقع في فرق الإسلام ومن محققيهم حتى أن السيد المدقق السيد شريف في شرحه على المواقف لما ذكر مطاعن الثلاثة، وذكر فضائل امير ألمؤمنين عليه السلام ومدائحه، قال لكنا وجدنا السلف قالوا بأن الأفضل أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي وحسن ظننا بهم يقضي بأنهم لو لم يعرفوا ذلك لما أطبقوا عليه فوجب علينا إتباعهم في ذلك القول، وتفويض ما هو الحق فيه إلى الله ومثل هذا قد وقع من علماء الإسلام كثيراً، حتى في أصل المذهب، والحمد لله الذي منَ علينا بإيمان الاباء والأجداد، فإنه وعمرك من أفضل النعم، وأوفر القسم..الثالث- أن الإختلاف قد جاء ايضاً من زيادة الجاه والأعتبار، ووفور المال في ما بين اهل تلك المذاهب الفاسدة، فاهم كثيراً ما يعظمون علمائهم، ويحملون إليهم انواع الهدايا، والعوام تبع لأهل العلم في كل ملة وقبيلة، وقد حكى تعالى عنهم بقوله عز من قائل ﴿إتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾، وفي الرواية ما صلوا ولا صاموا، ولكن حلّلوا لهم حراماً وحرموا لهم حلالاً فقبلوه منهم فمن هذه الجهة قال أرباباً من دون الله، ومثل هذا في فرق الإسلام كثير.

الرابع- أن العقول كلها سافرت طالبة لمعرفته، وقاصدة للوصول إلى قرب حضرته وفي الدعاء يا مطلوب كل طالب، وقد كانت مسافة السفر بعيدة جداً، لأنه وإن كان أقرب من حبل الوريد، لكنه على فاستعلى فكان بالمنظر الأعلى، وفي الدعاء يا بعيداً في دنوه، ومع بعد هذه المسافة قد كانت مشتملة على اخطار وآفات وقد كان سالكها يحتاج إلى جماعة من الرفقاء وإلى مطية تحمله وإلى نور شمس يستضيء بها في سيره ودليل حاذق قد تكرر سلوكه لذلك الطريق، يعرف موارد مهالكه من أماكن النجاة.فالدليل الحاذق لهذه المسافة، هم الأنبياء وأوصياؤهم المعصومون المحدثون من جانب الغيب ولذا جرت العادة الإلهية بعدم ارسال رسول الا بعد استكمال كمالاته وبلوغه الأربعين، فإنها أقصى غايات الكمال، وفي هذه المدة قد كان الباري سبحانه يعلمه ويؤدبه ويعرفه أماكن النجاة وسلوك الطريق إليه، فبعد إكمال المدة أرسله الى الخلائق هادياً لأنه سبحانه قد هداه سابقاً. وكرر تردده في طريق قربه ومعرفته، ومن ثم ذهب المحققون إلى أن أشدّ صدمة على الأنبياء من امتهم هو معاشرتهم معهم، فأن النفوس القدسية إذا تنزلت إلى مخالطة الحيوانات، وتعليمها المراتب الكمال كان عليها في نهاية الإشكال، ومن هذا ما أرسل نبي ذو كتاب، إلا بعد رعي الأنعام في البراري والقفار، ليتعودوا على معاشرة الحيوانات، حتى يسهل الخطب عليه بعد الإرسال، روى أن موسى عليه السلام كان يرعى أغنام شعيب عليه السلام فانهزم من قطيعه تيس فصعد الجبل فبقى موسى تابعاً له، عامة يومه في رؤوس الجبال، فلما لزمه قبَله

على وجهه، ومسح التراب من فوقه، وقال معتذراً عنده: أيها الحيوان أتعبتك هذا اليوم من جهة الطلب ولا كان المقصود منك القيمة، ولكن الخوف عليك من الذئاب، ثم حمله على عاتقه حتى وصله إلى الحيوانات، فلما كمل له هذا الخلق اوحى اليه أن يا موسى قد صرت قابلاً للرسالة فامض إلى فرعون وقل له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى، ومثل هذا قد وقع من نبينا ﷺ في موارد كثيرة نذكرها في موضعها إنشاء الله.والحاصل أن الأدلة لهذا الطريق هم الأنبياء عليهم السلام وأما النور الذي به يقطع تلك المسافة فهو نور العلم فإن العقل إنما يسير بنور العلم، ومن هنا ترى من فقد هذا النور واقفاً لا يهتدي إلى سلوك ما أمامه من الطريق، تابع لكل ناعق ينعق به، ويقول هذا هو الطريق، وهذا شأن أكثر العوام من كل الملل، والأديان وأما مطيّة هذ المسافة فهي التحمل والصبر حتى لا يسأم من كثرة السفر وأما أخطارها فهم الشياطين فإن على رأس كل منزل جماعات كثيرة، منهم يرغبون ذلك المسافر في النزول معهم، لقرب المسافة عندهم ولمكان الإستراحة لديهم، ولا يعرف ذلك الرجل أن غرضهم أخذ ما معه من ثياب الإيمان، والأموال التي هي قيمة دين الاسلام.وفي الحديث عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ الإسلام عريان فلباسه الحياء وزينته الوقار ومروته العمل الصالح، وعماده الورع ولكل شيء أساس وأساس الإسلام حبّنا أهل البيت. وعند سلوك هذه المسافة حصل الإختلاف في الوصول إلى المقصود فبعض بقي متابعاً لدليل الطريق الحاذق فوصل إلى أن قال، لو كشف الغطاء لما ازددت يقيناً وبعض تابع دليلاً لا معرفة له بتلك المسافة ولا رآها قبل تلك المرة فضلّ به عن الطريق، فكلما أمعن في السير لم يزدد من المقصود إلاّ بعداً، وهؤلاء المحكىّ عنهم بقوله عزّ من قائل ﴿ ومنهم أمة يهدون الى النار ﴾ وبقوله تعالى ﴿ إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا لما رأوا العذاب ﴾ وبعض اقتفى الاثر وهم المؤمنون الامثل فالامثل على تفاوت درجات الاقتفاء وبعض ضل فأخذته شاطين القفار، وربما منّ الله عليه بالنجاة بعد هذا فلما رجعت جماعة المسافرين، كانت على أنحاء شتى فمنهم الواصل حتى رأى بالعيان ومنهم القريب إلى الحمى ومنهم المسلوب ثياب ايمانه، وكذا في درجات المعرفة، فإنّ بعضهم يقول رأيت وبعضهم يقول سمعت والسماع يختلف اختلافاً كثيراً، ومن هذا قال بعض بالولد وآخرون بالصاحبة وجماعة بالجسمية، الى غير ذلك مما عرفت، وإن اردت ضرب مثال حسي، فانظر الى قاصدي مكة شرّفها الله تعالى، فإن كل الحاج مقصدهم واحد، ويرجع جماعة حاجين وآخرون غير حاجين، وثالث قد حجوا حجاً فاسداً وجماعة ما أدركوا الا الاضطراريين، أو احد الاختياريين، وأناس عدلوا من نوع الحج الى نوع آخر، وليس هذا الاختلاف الا لنظير ما عرفت، وبعد المراجعة قيل سافرت فيك العقول فما ربحت الا اذى السفر.الخامس- انه سبحانه قد احتجب عن الحواس، وفي الحديث ان الله احتجب عن

العقول كما احتجب عن الابصار، وان الملأ الاعلى يطلبونه كما تطلبونه انتم وما اثبت له من الصفات انما هو على قدر اوهامنا، وما تصل اليه افهامنا، فأنا نعتقد اتصافه سبحانه بأشرف طرفي النقيض بالنظر الى عقولنا القاصرة، وهو تعالى ارفع واجل، وفي كلام الصادق عليه السلام، اشارة الى هذا المعنى، حيث قال كل ما ميزتموه بأوهامكم في ادق معانيه، مخلوق مصنوع مثلكم، مردود اليكم، ولعل النمل الصغار، تتوهم ان لله تعالى زبانيتين، فإن ذلك كمالها، وتتوهم ان عدمها نقصان لمن لا يتصف بهما وهكذا حال العقلاء فيما يصفون الله تعالى به.قال الفاضل الدواني هذا كلام، دقيق، رشيق، أنيق، صدر من مصدر التحقيق ومورد التدقيق والسير في ذلك ان التكليف إنما يتوقف على معرفة الله تعالى بحسب الوسع والطاقة وإنما كلفوا ان يعرفوه بالصفات التي الفوها وشاهدوها فيهم، مع سلب النقائص الناشئة، عن انتسابها اليهم، ولما كان الانسان واجباً بغيره، عالماً، قادراً، مريداً، حياً، متكلماً، سميعاً، بصيراً بأن يعتقد تلك الصفات في حقه تعالى مع سلب النقائص الناشئة عن انتسابها الى الايمان، بأن يعتقد انه تعالى واجب لذاته، لا بغيره عالم بجميع المعلومات، قادر على جميع الممكنات وهكذا في سائر الصفات ولم يكلف باعتقاد صفة، له تعالى لا يوجد فيه مثالها ومناسبها بوجه، ولو كلّف به لما امكن تعقله في الحقيقة، وهذا احد معاني قوله عليه السلام من عرف نفسه فقد عرف ربه انتهى. وحينئذ فمن وصفه بالولد، فبزعمه انه كمال له تعالى عنه، وكذا من وصفه بالجسمية الى آخر ما عرفت، فهذا ايضاً هو السبب في الاختلاف.وقد اخطأ جماعة من الصوفية في اعتقادهم الوصول الى كنه حقيقته، وانه لا يحتاج الواصل منهم الى العبادات لانها وسائل، قال العلامة الحلي قدس الله ضريحه في كتاب كشف الحق ونهج الصدق، اني شاهدت جماعة من الصوفية في حضرة مولانا الحسين عليه السلام وقد صلّوا المغرب سوى شخص واحد منهم كان جالساً ولم يصلِّ، ثم صلوا بعد ساعة لعشاء سوى ذلك الشخص فسئلت بعضهم عن ترك صلوة ذلك الشخص فقال وما حاجة هذا الى الصلوة، وقد وصل أيجوز ان يجعل بينه وبين الله تعالى حاجباً فقلت لا فقال الصلوة حاجب بين العبد والرب انتهى. اقول امثال هذا قد شاهدنا منهم كثيرا وسننقل احوالهم انشاء الله تعالى واسباب الاختلاف كثيرة لا نطول الكتاب بذكرها.

نور الهي

يتضمن برهاناً مختصراً في اثبات الواجب وسائر صفاته، يتفرع عليه من التفريعات ما لا يحصى، اعلم ان هذا الصانع المحكم صنعه، على هذا النظام الذي ترى يجب ان يكون في غاية

الكمال، بالنظر الى كل كمال ويجب ايضاً ان يكون كمالاته كلها موجودة خارجة من القوة لانه لو كان له كمال، منتظر الخروج من لقوة الى الفعل لكان ناقصاً بالنظر الى ذلك الكمال فلم يكن كاملاً من جميع الوجوه، وقد وجب ان يكون كاملاً فيه واذا كان كذلك وجب ان يكون واحداً بالذات والصفات لان غاية الكمال، كمال فوق جميع الكمالات ولا ريب ان الواحد بالذات والصفات اكمل من المثيل في جميع الكمالات اذ يعقل فوق المثيل اكمل في الكمالات وهو اللاَّ المثيل في الذات والصفات ولا يعقل فوق الوحيد اكمل في الكمالات فهو في غاية الكمال في جميع الكمالات ويجب حينئذ ان يكون هذا الصانع موجوداً لان الوجود كمال والعدم نقص ويجب ايضاً ان يكون عالماً وقادراً ومختاراً في فعله ومريداً وحياً وسميعاً وبصيراً الى غير ذلك من صفات الايجاب وذلك لان نقائضها نقص وقد تحققت انه يجب ان يكون في غاية الكمال فلا يحتاج الى الاستدلال على كل واحدة من هذه الصفات بدليل عليحدة، كما فعل المتكلمون.ويندفع بهذا الدليل ايضاً شبهة ابن كمونة المشهورة، وحاصل تقريرها: انه لا يجوز ان يكون الواجب بالذات ذاتين متباينتين، مستجمعتين، لجميع صفات الكمال بان يكون امتيازهما بالذات، ووجودهما عين ذاتيهما، كالصفات، ولا يكون وجوب الوجود مشتركاً بينهما، بل كيفية نسبة الوجود اليهما، فيجاب عنها، بانهما لا يخلوان بحسب الفرض، عن انه إما ان يكونا في الصفات الخاصة بكل منهما متساويين بأن يكونا في جميع الكمالات مثلين، أو يكون احدهما اكمل بتفاوت في البين فعلى الثاني انما الواجب هو الاكمل وعلى الاول لا يكونان في غاية الكمال، اذ يعقل فوقهما اكمل وهو عديم المثال، والواجب وجب ان يكون في غاية الكمال، في جميع مراتب الجلال والجمال، ومن جملة فروع هذا الاستدلال، ظهور حدوث العوالم الممكنة المتناهية في جانب الازل والابد حدوثاً زمانياً فإن من اعلى مراتب الكمال صدق قوله عليه السلام كان الله ولم يكن معه شيء صدقاً متناولاً لجميع الاكوان ذاتاً أو زماناً وكذا قوله عز من قائل في الحديث القدسي كنت كنزاً مخفياً فأحببن ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف فانه بظاهره دال على حدوث الممكنات حدوثاً زمانياً والاصل عدم التأويل فتكون الاشياء مخلوقة حادثة فلنبين أي مخلوق سبق المخلوقات وجوداً.

نور نبوي

اعلم ان الاخبار قد اختلفت في اول مخلوق خلقه الله تعالى.فروى رئيس المحدثين الكليني قدس الله روحه بإسناده الى الصادق عليه السلام انه قال ان الله خلق العقل وهو اول خلق من الروحانيين عن يمين العرش من نوره.وفي تفسير علي بن ابراهيم عن الصادق عليه السلام انه اول ما خلق الله القلم.وفي الاخبار المروية عن النبي صلى الله عليه وآله اول ما خلق الله نوري وبلفظ آخر اول ما خلق الله روحي.وفي الاخبار عن علي عليه السلام اول ما خلق الله النور.وروى ان اول مخلوق هو الهوى ذكره علي بن ابراهيم في تفسير قوله تعالى ﴿ وكان عرشه على الماء﴾.قال وذلك في مبدأ الخلق ان الرب تبارك وتعالى خلق الهوائ، ثم خلق القلم فأمره ان يجري فقال يا رب بم اجري فقال بما هو كائن، ثم خلق الظلمة من الهوائ، وخلق النور من الهوئ، وخلق الماء من الهوائ، وخلق العرش من الهوئ، وخلق العقيم من الهوائ، وهو الريح الشديدة، وخلق النار من الهوائ، وخلق الخلق كلهم من هذه الستة التي خلقت من الهوائ.وفي الروضة مسنداً الى ابي محمد بن عطية قال جاء رجل الى ابي جعفر عليه السلام من اهل الشام من علمائهم فقال يا ابا جعفر جئت اسئلك عن مسألة قد أعيت عليَ ان اجد أحداً يفسرها، وقد سئلت عنها ثلاثة اصناف من الناس فقال كل صنف منهم شيئاً غير الذي قال الصنف الاخر فقال له ابو جعفر عليه السلام ما ذاك قال فأني اسألك عن اول ما خلق الله من خلقه، فإن بعض من سئلته قال القدر، وقال بعضهم القلم وقال بعضهم الروح، فقال ابو جعفر عليه السلام ما قالوا شيئاً اخبرك ان الله تعالى كان ولا شيء غيره وكان عزيزاً ولا احد كان قبل عزَه وذلك قوله ﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون ﴾ وكان الخالق قبل المخلوق، ولو كان اول ما خلق الله من خلقه الشيء اذا لم يكن له انقطاع ابداً ولم يزل الله اذاً ومعه شيء، ليس هو يتقدمه ولكنه كان اذ لا شيء غيره وخلق الشيء الذيجميع الاشياء منه، وهو الماء الذي خلق الاشياء منه فجعل نسب كل شيء الى الماء ولم يجعل للماء نسباً، يضاف اليه وخلق الريح من الماء ثم سلَط الريح على الماء فشققت الريح متن الماء حتى ثار من الماء زبد على قدر ما شاء ان يثور الحديث.فان قلت فما وجه التوفيق بين هذه الاخبار.فالجواب ان بعضها محمول على الاولية الاضافية وبعضها محمول على الاولية الحقيقية اما اولية الماء فهو بالاضافة الى الاجسام الكثيفة التي تقع عليها الابصار واما الهوى الذي خلق الماء منه فهو ليس من الاجسام الكثيفة المرئية حتى ان بعضهم ذهب الى انكاره واما اولية العقل فقد صرح فيه بانه اول خلق من الروحانيين أي الاجسام اللطيفة التي شبهت بالروح في اللطافة والصفاء ومنه الملائكة الروحانيون وهم نوع من الملائكة سموا به لما فيهم من اللطافة وعدم الكثافة كما في باقي انواعهم مع ان بعض المحققين ذهب الى ان العقل الوارد في الاخبار بانه اول المخلوقات هو نوره صلى الله عليه وآله وسيأتي الكلام فيه.واما اولية القلم فهي بالنظر الى ما جانسه من ادوات الكتابة كالمداد ونحوه وفي العرف يقال في شأن

الكاتب انه اول ما برأ القلم.ويؤيد ما رواه عبد الرحيم القصير عن ابي عبد الله عليه السلام قال سئلته عن ﴿ ن والقلم ﴾ قال ان الله تعالى خلق القلم من شجرة في الجنة يقال لها الخلد قم قال لنهر في الجنة كن مداداً فجمد النهر وكان اشد بياضاً من الثلج واحلى من الشهد ثم قال للقلم اكتب قال يا رب وما اكتب قال اكتب ما كان وما هو كائن الى يوم القيامة الحديث وسيأتي بتمامه ان شاء الله تعالى.واما الاخبار الواردة بأولية النور، ونوري، وروحي، فهي واحدة وهي عبارة عن نوره صلى الله عليه وآله وهو اول مخلوق على الاولية الحقيقية ليس فيه للاضافة مدخل بوجه من الوجوه لأنه قد استفاض في الاخبار ان نوره صلى الله عليه وآله افرزه الله سبحانه من نوره وافرز من ذلك النور انوار الائمة الطاهرين وافرز من ذلك النور الثاني انوار المؤمنين، كما سيأتي بيانه في محله ان شاء الله تعالى فهو الاول والاخر والظاهر والباطن ومن هذا قال صلى الله عليه وآله كنت نبياً وآدم بين الماء والطين.وقد ذكر في شرح المواقف وجهاً لجمع الاخبار الثلاثة وهي اول ما خلق الله العقل وأول ما خلق الله القلم، وأول ما خلق الله نوري، وهو أنَ المعلول الاول من حيث إنه مجرد يفعل ذاته ومبدأه يسمى عقلاً ومن حيث أنه واسطة في صدور سائر الموجودات ونقوش العلوم، يسمى قلماً، ومن حيث توسطه في افاضة أنوار النبوة كان نوراً لسيد الانبياء، وهذا يجري على مذاهبهم كما لا يخفى.واما حقيقة هذه الانوار فلا نتحققها على حقيقتها ولكن المفهوم من هذه الاخبار هو ان المراد بهذه الانوار اجسام لطيفة نورانية على قالب هذه الاجسام وتفارقها في النور واللطافة والصفا ولما خلقها وادخل الارواح فيها كانت اجساماً فيها ارواح في عالم الملكوت تسبح الله وتقدسه وتمجده وتعلّم الملائكة بعد ان خلقوا للعبادة والتسبيح.ومنه قال صلى الله عليه وآله سبّحنا فسبحت الملائكة بتسبيحنا، وقدسنا فقدست الملائكة بتقديسنا، الحديث.وروى صاحب بستان الكرامة ان النبي صلى الله عليه وآله كان جالساً،وعنده جبرئيل عليه السلام فدخل علي عليه السلام، فقام له جبرئيل عليه السلام فقال النبي صلى الله عليه وآله أتقوم لهذا الفتى فقال له صلى الله عليه وآله نعم ان له عليَ حق التعليم فقال النبي صلى الله عليه وآله كيف ذلك التعليم يا جبرئيل، فقال لما خلقني الله تعالى سئلني من أنت، وما اسمك، ومن أنا، وما اسمي فتحيرت في الجواب وبقيت ساكتاً ثم حضر هذا الشاب في عالم الانوار، وعلمني الجواب فقال قل أنت ربي الجليل، واسمك الجليل وانا العبد الذليل واسميْ جبرئيل ولهذا قمت له وعظمته فقال النبي صلى الله عليه وآله كم عمرك يا جبرئيل فقال يا رسول الله يطلع نجم من العرش في كل ثلاثين الف سنة مرة وقد شاهدته طالعاً ثلاثين الف مرة الى هذا الحديث نظر محيي الدين بن عربي حيث قال في اول خطبة فتوحاته الحمد لله الذي جعل الانسان الكامل معلم الملك وادار بانقساره[١٦]بقات الفلك فالنبي واهل بيته

---

(١٦)قسرة على الامر يقسره قسراً اكرهه عليه وقهره.

صلوات الله عليهم قد شاركوا الملائكة في افضل صفاتهم التي هي النورية الخاصة، وزاد عليهم في الصفات العالية التي لا تكاد تحصى.ومن هذا اجاب شيخنا طاب ثراه عن شبهة من ذهب الى افضلية الملائكة على الانبياء بأن في الملائكة من لا يفتر عن الطاعة والعبادة من اول عمره الى آخر فناء الدنيا.وحاصل الجواب ان هذه الصفة تنغمر في صفات الانبياء عليهم السلام فأن ارشاد الخلائق الى طريق الهداية بعد الضلالة يفضل عبادة الملائكة بحكم قوله تعالى ﴿ ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعاً ﴾ أي من انقذها من الضلالة التي هي شبيهة بالموت بل اعظم منه كما ورد في الخبر في روايات الفريقين ان جبرئيل عليه السلام قد اتى يوماً الى منزل فاطمة عليها السلام فتكلمت معه، وكان فيما خاطبته ان قلت له يا عمّ فلما دخل النبي صلى الله عليه وآله قال له جبرئيل ان فاطمة عليها السلام قالت لي يا عم فكيف هذا ونحن معاشر الملائكة قد خلقنا من النور وانتم معاشر البشر قد خلقتم من الطين فقال له النبي صلى الله عليه وآله صدقت فاطمة، ثم قال يا جبرئيل نحن ايضاً مخلوقون من النور أتعرف النور اذا رايته قال نعم فقال صلى الله عليه وآله ادعوا لي علياً فلما دخل قال يا علي أدن مني فدنى نه فوضع جبهته على جبهته وحكها فيها فظهر نور لا تكاد الابصار تطيق النظر اليه، فقال النبي صلى الله عليه وآله يا جبرئيل تعرف هذا النور فقال نعم، هذا النور الذي كنا نراه في قوائم العرش، فقال يا جبرئيل من هذا قالت لك فاطمة يا عم، وفي هذا الحديث اسرار الهية وحكم ربانية لا تبلغ العقول اكثرها منها:الاشارة الى ان الايمان لا يتم بالشهادتين فقط بل لا بد من الولاية، لانه قسيمه في الكمال والى هذا الاشارة بقوله عز من قائل ﴿ اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ﴾لما نوه النبي صلى الله عليه وآله بولايته يوم الغدير، وقال من كنت مولاه فهذا علي مولاه، ومنها ان المساواة بينهما انما أتت من عالم الملكوت، نعم إنما فضّله بالنبوة وبتوسط التعليم والى هذا الاشارة بقوله صلى الله عليه وآله أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي.وأما قول علي عليه السلام انا عبد من عبيد محمد صلى الله عليه وآله فهو إما كما قال الصدوق طاب ثراه من ان المراد عبد طاعة لا عبد ملك أو يكون من باب التواضع لجنابه صلى الله عليه وآله.والظاهر انه لا يجوز لنا نحن ان نقول هذا القول وننسبه الى ما نسب نفسه لان عبارات التواضع لا تحسن إلا من قائلها كما هو المتعارف في العادات الزمانية كيف لا وقد روى الصدوق طاب ثراه عن النبي صلى الله عليه وآله قال اعطيت ثلاثاً وعلي مشاركي فيها واعطى علي ثلاثة ولم اشاركه فيها فقيل يا رسول الله وما الثلاث التي شاركك فيها علي عليه السلام قال لواء الحمد لي وعلي حامله والكوثر لي وعلي ساقيه والجنة والنار لي وعلي قسيمها، وأما الثلاث التي اعطى علي ولم اشاركه فيها فأنه اعطي شجاعة ولم اعط مثله واعطي فاطمة الزهراء زوجة ولم اعط مثلها واعطي ولديه الحسن والحسين عليهما السلام ولم اعط مثلهما.وينبغي ان يراد بالشجاعة هنا اعمالها وممارسة الحروب والدخول فيها لا مبدءها من قوة القلب والجرأة على اقتحام الحروب لان النبي

ﷺ منها الحظ الاوفر.نعم لما كان هو الملك والسلطان لم يباشر الحروب بنفسه المباركة بل تصدى لها علي عليه السلام.وروى ايضاً عن عبد الله بن مسعود قال دخلت على رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله أرني الحق لأصل اليه قال يا عبد الله الج المخدع[١٧]ولجت المخدع وعلي بن ابي طالب عليه السلام يصلي ويقول في ركوعه وسجوده، اللهم بحق محمد عبدك اغفر للخاطئين من شيعتي فخرجت حتى اخبر رسول الله ﷺ فمسعته يقول الله بحق علي بن ابي طالب عبدك إلاّ ما غفرت للخاطئين من امتي قال فأخذني من ذلك الهلع[١٨]العظيم، فأوجز النبي ﷺ في صلاته وقال يا بن مسعود أكفر بعد ايمان فقلت حاشا وكلا يا رسول الله ولكن رأيت علياً يسئل الله بك ورأيتك تسئل الله به ولا اعلم ايكما افضل عند الله تعالى فقال اجلس يا بن مسعود فجلست بين يديه.فقال اعلم ان الله خلقني وعلياً من نور عظمته، قبل ان يخلق الله الخلق بالفي عام اذ لا تسبيح ولا تقديس ولا تهليل ففتق نوري فخلق منه السموات والارض وانا والله اجل من السموات والارض، وفتق ونور علي بن ابي طالب فخلق منه العرش والكرسي وعلي والله اجل من العرش والكرسي، وفتق نور الحسن عليه السلام فخلق منه اللوح والقلم والحسن والله اجلّ من اللوح والقلم، وفتق نور الحسين عليه السلام وخلق منه الجنان والحور العين والحسين والله اجل من الجنان والحور العين، ثم اظلمت المشارق والمغارب فشكت الملائكة الى الله تعالى ان يكشف عنهم تلك الظلمة، فتكلم الله جل جلاله بكلمة فخلق منها روحاً ثم تكلم فخلق من تلك الكلمة الاخرى نوراً فأضاف النور الى تلك الروح وأقامها اما العرش، فأزهرت المشارق والمغارب، فهي فاطمة الزهراء عليها السلام، فلذلك سميت الزهراء، يا بن مسعود اذا كان يوم القيامة يقول الله جل جلاله، لي وبعلي ادخلا الجنة من شئتما، وأدخلا النار من شئتما وذلك قوله تعالى ﴿ القيا في جهنم كل كفار عنيد ﴾ فالكافر من جحد نبوتي والعنيد من جحد ولاية علي بن ابي طالب.وروى عن تاج الدين عن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ في مجلسه وعنده جماعة من المهاجرين والانصار اذ نزل عليه جبرئيل عليه السلام وقال له يا محمد الحق يقرئك السلام ويقول لك احضر علياً واجعل وجهك مقابل وجه ثم عرج جبرئيل عليه السلام الى السماء فدعا رسول الله ﷺ علياً فأحضره وجعل وجهه مقابل وجهه فنزل جبرئيل عليه السلام ثانياً، ومعه طبق فيه رُطب فوضعه بينهما ثم قال كلا فأكلا ثم احضر طشتاً وابريقاً فقال يا رسول الله قد امرك الله ان تصبّ الماء على يد علي بن ابي طالب فقال ﷺ السمع والطاعة لما امرني به ربي ثم أخذ الابريق وقام يصب الماء على يد علي بن ابي طالب عليه السلام فقال له علي عليه السلام يا رسول الله انا أولى ان أصب الماء على يديك فقال له يا علي إنَ الله

---

(١٧)المخدع والمخدع الخزانة أي البيت الصغير توضع فيه الامتعة جمع مخادع

(١٨) هلع الرجل يهلع هلعاً جزع او افحش الجزع.

سبحانه وتعالى امرني بذلك وكان كلما اصبَ الماء على يد علي بن ابي طلب عليه السلام لم يقع منه قطرة في الطشت فقال علي عليه السلام يا رسول الله إني لم أرَ شيئاً من الماء يقع في الطشت فقال رسول الله صلى الله عليه وآله يا علي إن الملائكة يتسابقون على أخذ الماء الذي يقع من يديك فيغسلون به وجوههم ليتبركوا به وغير ذلك من الاخبار.

نور امامي

قد تحققت ان النبي صلى الله عليه وآله والائمة صلوات الله عليهم قد خلقوا من نور واحد والنبي صلى الله عليه وآله له فضيلة وأما سيد الموحدين أمير المؤمنين عليه السلام فقد فضله على الأئمة عليهم السلام وذكروا أن له الفضل على الأئمة ووجهه ظاهر وأما الحسنان صلوات الله عليهما فالذي يظهر من أخبارهم عليهم السلام أن لهما الفضيلة أيضاً على باقيهم ولعل وجهه القرب من النبي صلى الله عليه وآله ومشاهدة الوحي وهبوط الملائكة في منازلهم والقرب من زمان الأسلام وغير ذلك وأما هما صلوات الله عليهما فلا نعرف الأفضليه بينهما لأن الإمامة والخلافة قد أتتهما من جدّهما صلى الله عليه وآله معاً وقد كانا في الكمالات كفرسي رهان مع ما خص به الحسين عليه السلام عوض الشهادة بأن جعل الشفاء في تربته والدعاء مستجاب تحت قبته والأئمة من ذريته ولا تعد أيام زائره جائيا وراجعا من عمره،وفي الروايات الخاصة أن فاطمة عليها السلام أتت بهما الى النبي صلى الله عليه وآله فقالت يا رسول الله، ورث ولديك، فقال صلى الله عليه وآله أما الحسن فله سؤددي وعلائى وأما الحسين فله سخاوتي وشجاعتي، ومن هذا كان الحسين عليه السلام في الدرجة القصوى من الكرم والشجاعة أما الكرم فقد كان الحسن عليه السلام يكتب إليه بأنك تعطي الشعراء ونحوهم كثيرً من الأموال فأجابه الحسين عليه السلام بأنك تعلم يا أخي أن خير المال ماصين به العرض، وفيه دلالة على أن الإعطاء بقصد صون العرض حسنة، ولو لم يكن من أهل الأستحقاق وروى مصرحاً به في بعض الأخبار، من أن الإعطاء لصون العرض، يكتب فيه ثواب الصدقة، وأما الشجاعة فناهيك بواقعة الطَفوف، وقدومه على الجهاد، مع ستين ألفاً، وقتله الجماعات منهم حتى أحتالوا عليه بأن زاحموا إليه كلهم، وقد كانت العادة بينهم قديما أن يبرز واحد لواحد مع ما لحقه من العطش، ولأذى بقتل أهل بيته، وإخوته ولكن قد سبق الكتاب أجله، وسيأتي بيان هذا إنشاء الله تعالى. وفي الروايات أن الحسنين عليهما السلام قد تكاتبا، فجاء الى النبي صلى الله عليه وآله ليميز بين كتابيهما وقد كانا أطفالا فقال لهما، أنا أمي ولكن أمضيا الى أبيكما فجاء أليه، فقال أبوهما أمضيا الى أمكما لتميز بينكما فلما أتيا إليها، قالت يا ولداي، عندي عقد فيه سبع من اللؤالى فأن أقطعه، فكل من يحوز الأربع فسطره الأحسن فلما ألقتها تبادر إلى التقاط فالتقط كل واحد منهما ثلاثة وأتى جبرئيل عليه السلام يضرب بجناحه اللؤلؤة وقدها نصفين فأخذ كل واحد منهما

نصفاً، فأنظر نصفين فأخذ كل واحد منهما نصفاً، فأنظر إلى رعاية حرمتهما حيث لم يرد الله، ورسوله وأبوهما وإمهما إدخال غم الترجيح عليهما وأمثال هذه الروايات الدالة على المساوات بينهما لاتكاد تحصى مع أنه ﷺ، ورثهما من بدنه الشريف، فكان الحسن عليه السلام يشبه من السرة إلى فوق والحسين عليه السلام يشبهه في النصف الباقي.وفي الروايات الكثيرة أن الجنة قالت يا رب أسكنتني الضعفاء والمساكين قال لها الله تعالى، ألا ترضين أني زينت اركانك بالسن والحسين عليهما السلام، قال فماست كما تميس العروس فرحاً وروى أنه كان رسول الله ﷺ يخطب فجاء الحسن والحسين عليهما السلام وعليهما قميصان احمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال صدق الله ورسوله ﴿انما اموالكم واولادكم فتنة﴾ نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران، فلم اصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما.وأما بقي الائمة عليهم السلام فالاخبار قد اختلفت في احوالهم، في المساواة والاشرفية فروى الصدوق مسنداً الى مولانا أبي عبد الله الحسين عليه السلام قال دخلت أنا وأخي على جدي رسول الله ﷺ فأجلس أخي على فخذه الايمن وأجلسني على فخذه الاخرى، ثم قبَلنا وقال بأبي أنتما من أمامين صالحين اختاركما الله مني، ومن ابيكما، وأمكما واختار من صلبك يا حسين تسعة أئمة عليهم السلام تاسعهم قائمهم، كلهم في الفضل والمنزلة عند الله سواء.وفي الروايات الأخرى، ان افضلهم قائمهم، ولعل افضليته عليه السلام باعتبار تشييد اركان الدين، وكثرة جهاده واعزاز المؤمنين به، ونحو ذلك مما يأتي تفصيله ان شاء الله.

نور علوي

إعلم أنه لا خلاف بين اصحابنا رضوان الله عليهم في اشرفية نبينا ﷺ على سائر الانبياء عليهم السلام للأخبار المتواترة وإنما الخلاف بينهم في افضلية امير المؤمنين والائمة الطاهرين عليهم السلام على الانبياء مما عدا جدهم ﷺ فذهب جماعة الى انهم افضل باقي الانبياء ما خلا اولي العزم .فانهم افضل من الائمة عليهم السلام، وبعضهم الى المساواة واكثر المتأخرين الى افضلية الائمة عليهم السلام، على اولي العزم، وهو الصواب والدليل عليه امور:الاول: قول النبي ﷺ لولا علي لم يكن لفاطمة كفؤ آدم عليه السلام فمن دونه، وقد اعترض الرازي على هذا بأن ابراهيم واسماعيل ابواها، فلا يدخلان في هذا العموم والجواب ظاهر وان المراد النظر الى الكفوية، مع قطع النظر عن الابوية، مع ان غيرهما كاف في باب التفضيل، اذ لا قائل بالفرق بين موسى وابراهيم.الثاني: ما رواه المفضل بن عمر، قال ابو عبد الله عليه السلام، ان الله تبارك وتعالى خلق الارواح قبل الاجساد بالفي عام، فجعل اعلاها واشرفها، ارواح محمد وعلي والحسن والحسين

والائمة صلوات الله عليهم فعرضها على السموات والجبال فغشيها نورهم فقال الله تبارك وتعالى للسموات والارض والجبال هؤلاء احبائي واوليائي وحججي على خلقي وأئمة بريتي ما خلقت خلقاً هو أحب اليّ منهم، ولمن تولاهم خلقت جنتي ولمن خالفهم، وعاداهم خلقت ناري الى ان قال، فلما اسكن آدم عليه السلام وحوى الجنة نظر الى منزلة النبي صلى الله عليه وآله والائمة، فوجداها اشرف منازل اهل الجنة، فقال لهما سبحانه لولاهما، لما خلقتكما ولا يعترض على هذا، بأن الافضلية باعتبار المجموع الذي قد دخل فيه النبي صلى الله عليه وآله لان قوله سبحانه ما خلقت خلقاً هو أحب اليّ منهم بمنزلة قوله، ما خلقت خلقاً أحبَ اليّ من محمد، وما خلقت خلقاً احبَ اليّ من علي وهكذا مع ان الاخبار الواردة على طريق الوحدة متكثرة جداً ولعلك تطلع على بعضها ان شاء الله تعالى في تضاعيف هذا الكتاب.

الثالث: ما روى مستفيضاً من قوله صلى الله عليه وآله اذا كان يوم القيامة اقام الله عز وجل جبرئيل ومحمد عليهما السلام على الصراط لا يجوز احد الاّ من كان معه براءة من علي بن ابي طالب عليه السلام والا هلك وانزله اله الدرك الاسفل وكذا روى انه لا يدخل الجنة احد الا من كان معه براءة من علي بن ابي طالب عليه السلام واحد من الموضعين نكرة في سياق النفي، وتوجيه هذا ظاهر فأنه سيأتي ان شاء الله تعالى في نور عرصات القيامة، ان الله تعالى يبعث رضوان بمفاتيح الجنة، ومالكاً بمفاتيح النار فيدفعهما الى علي بن ابي طالب عليه السلام، ويأتي شفير جهنم فيقف والملائكة تسوق الناس الى الصراط، وهو واقف عنده فيقول يا نار هذا لي وهذا لك وهذا معنى كونه قسيم الجنة والنار، على ما تواترت به الاخبار، وفي احاديث عيون اخبار الرضا عليه السلام ان النبي صلى الله عليه وآله سمَي ابا القاسم لانه ربّى علياً في حجره لما اخذه من ابي طالب عام القحط، وعلي قاسم الجنة والنار، والنبي ابوه فهو ابو القاسم.الرابع: ما رواه ابن عباس، في تفسير قوله تعالى ﴿ وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون ﴾ قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله فأقبل علي بن ابي طالب عليه السلام فلما رآه النبي صلى الله عليه وآله تبسم في وجهه وقال مرحباً بمن خلقه الله تعالى، قبل ابيه آدم عليه السلام بأربعين الف عام، فقلت يا رسول الله أكان الابن قبل الاب فقال نعم ان الله خلقني وخلق علياً قبل ان يخلق آدم عليه السلام بهذه المدة خلق نوراً فقسمه نصفين فخلقني من نصفه وخلق علياً من النصف الاخر، قبل الاشياء فنورها من نوري ونور علي جعلنا عن يمين العرش ثم خلق الملائكة فسبحنا فسبحت الملائكة وهللنا فهللت الملائكة وكان ذلك من تعليمي وتعليم علي وكان ذلك في علم الله السابق ان الملائكة تتعلم منا التسبيح، والتكبير والتهليل، وكل شيء سبح الله وكبره، وهلله بتعليمي وتعليم علي، وكان في علم الله السابق ان لا يدخل النار محب لي ولعلي، وكذا كان في علمه تعالى ان لا يدخل الجنة مبغض لي ولعلي الا وان الله عز وجل خلق ملائكة بأيديهم اباريق اللجين مملوة من ماء الجنة من الفردوس،

فما أحد من شيعة علي الا وهو طاهر الوالدين تقي نقي، مؤمن بالله فاذا اراد واحدهم ان يواقع اهله جاء ملك من الملائكة الذين بأيدهم اباريق الجنة فطرح من ذلك الماء في انائه الذي يشرب فيه، فيشرب هو ذلك الماء فينبت الايمان في قلبه كما ينبت الزرع فهم على بينة من ربهم ومن نبيهم ومن وصيي علي ومن ابنتي فاطمة الزهراء ثم الحسن ثم الحسين والائمة من ولد الحسين عليهم السلام الحديث ووجه الاستدلال بهذا ظاهر لان مرتبة الاستناد الاولى اعلى درجة من درجة التلميذ كما يظهر من قوله ﷺ وكل شيء سبح الله بتعليمي وتعليم علي.الخامس: ما استفاظ في الاخبار من ان علم الائمة عليهم السلام اكمل من علوم كل الانبياء وذلك ان من جملته علم الاعظم، وهو ثلاثة وسبعون حرفاً حرف منها استأثر به الله سبحانه واثنان وسبعون علمها لرسوله، وأمره ان يعلمها اهل بيته واما باقي الانبياء عليهم السلام فقال الصادق عليه السلام ان عيسى بن مريم عليه السلام اعطي حرفين كان يعمل بهما واعطي موسى عليه السلام اربعة أحرف واعطي ابراهيم عليه السلام ثمانية احرف واعطي نوح عليه السلام خمسة عشر حرفاً، واعطي آدم عليه السلام خمسة وعشرين حرفاً وقد جمع كل ذلك لمحمد وآله، سوى حرف واحد استأثر به الله.وروى صاحب كتاب الاربعين عن عمار بن خالد عن اسحاق الازرق عن عبد الملك بن سليمان قالا وجد في ذخيرة حواري عيسى عليه السلام في رق مكتوب انه لما تشاجر موسى والخضر عليهما السلام في قصة السفينة والغلام، والجدار ورجع موسى الى قومه فسأله اخوه هارون عما شاهده من عجائب البحر قال موسى عليه السلام انا والخضر على شاطئ البحر اذ سقط بين ايدينا طاير فأخذ في منقاره قطرة من ماء البحر ورمى به نحو المشرق وأخذ الثانية ورمى بها نحو المغرب فأخذ الثالثة ورمى بها نحو السماء واخذ الرابعة فرمى بها نحو الارض ثم أخذ خامسة فالقيها في البحر فبهتَ أنا والخضر من ذلك وسألته عنه فقال لا اعلم فبينما نحن كذلك واذا بصياد في البحر فنظر الينا وقال مالي اركما في فكرة من أمر الطاير فقلنا هو كذلك فقال انا رجل صياد وقد علمت اشارته وأنتما بيان لا تعلمان، فقلنا لا نعلم إلاَ ما علمنا الله عز وجل فقال هذا الطائر في البحر يسمى مسلماً لأنه اذا صاح يقول في صياحه مسلم فاشارته برمي الماء يقول يأتي في آخر الزمان نبي يكون علم اهل السموات والارض والمشرق والمغرب عند علمه مثل هذه القطرة الملقاة في هذا البحر ويرث علمه ابن عمه ووصيه علي بن ابي طالب فعند ذلك سكن ما كنا فيه من التشاجر واستقل كل واحد منا علمه.واما حوادث العلوم المتجددة بحوادث الايام في اعصار الائمة عليهم السلام فقد روى ان علمها يعرض على روح النبي ﷺ ومن بعده من الائمة عليهم السلام ثم يعرض على الامام الحي حتى لا يكون لاخرهم فضل على اولهم بالعلم ومن كان اعلم كان افضل لقوله سبحانه ﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب ﴾.السادس: انه قد روى في عدة اخبار انه قد اجتمع في علي عليه السلام من

الصفات ما وجد في غيره متفرقاً من الانبياء السابقين.روى الصدوق طاب ثراه باسناده الى سليم بن قيس قال قال رسول الله ﷺ علي في السماء السابعة كالشمس بالنهار في الارض وفي السماء السادسة الدنيا كالقمر بالليل في الارض اعطى الله تعالى علياً من الفضل جزءاً لو قسّم على الارض لوسعهم واعطاه الله من الفهم جزء لو قسم على اهل الارض لوسعهم شبهت لينه بلين لوط عليه السلام وخلقه بخلق يحيى عليه السلام وزهده بزهد ايوب عليه السلام وسخاؤه بسخاء ابراهيم عليه السلام وبهجته ببهجة سليمان بن داود عليهما السلام وقوته بقوة داود عليه السلام له اسم مكتوب على حجاب في الجنة بشرني ربي الحديث وكل من جمع الاوصاف الحسنة له فضل على كل من فيه احدها.السابع: انه روى في صفة منبر الوسيلة عن النبي ﷺ انه منبر يؤتى به يوم القيامة فيوضع عن يمين العرش فيرقاه النبي ﷺ ثم يرقى من بعده امير المؤمنين عليه السلام فيجلس في مرقاة دونه ثم الحسن عليه السلام في مرقاة دونه الى آخر الائمة ثم يؤتى بابراهيم وموسى وعيسى والانبياء عليهم السلام فيجلس كل واحد على مرقاة من دون المراقي وفي هذا ايضاً دلالة على ترتيب الفضل والشرف.الثامن: ما رواه ابو حمزة الثمالي قال دخل عبد الله بن عمر على زين العابدين عليه السلام وقال يا بن الحسين انت الذي تقول ان يونس بن متى إنما لقى من الحوت ما لقى لانه عرضت عليه ولاية جدي فتوقف عندها قال عليه السلام بلى ثكلتك امك قال فأرني آية ذلك ان كنت من الصادقين فأمر بشد عينه بعصابة وعيني بعصابة ثم امر بعد ساعة بفتح اعيننا فاذا نحن على شاطئ بحر تضطرب امواجه فقال ابن عمر يا سيدي دمي في رقبتك الله الله في نفسي ثم قال عليه السلام ايتها الحوت قال فأطلع الحوت رأسه البحر مثل الجبل العظيم وهو يقول لبيك لبيك يا ولي الله فقال من انت قال انا حوت يونس يا سيدي ان الله لم يبعث نبياً من آدم الى ان صار جدك محمداً ﷺ الا وقد عرض عليه ولايتكم اهل البيت فمن قبلها من الانبياء سلم وتخلص ومن توقف عنها وتتعتع[19]ي حملها لقى ما لقى آدم عليه السلام من المصيبة وما لقى نوح عليه السلام من الغرق وما لقى ابراهيم عليه السلام من النار وما لقى يوسف عليه السلام من الجب وما لقى ايوب عليه السلام من البلاء وما لقى داود عليه السلام من الخطيئة الى ان بعث الله يونساً عليه السلام فأوحى الله اليه ان يا يونس تولّ امير المؤمنين علياً والائمة الراشدين من صلبه فقال كيف اتولى من لم اره ولم اعرفه وذهب مغاضباً فأوحى الله تعالى اليّ ان التقمي يونس ولا توهني له عظماً فمكث في بطني اربعين صباحاً يطوف معي البحار في ظلمات ثلث ينادي ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين قد قبلت ولاية علي بن ابي طالب والائمة الراشدين من ولده عليهم السلام فلما آمن بولايتكم امرني ربي فقذفته على ساحل البحر فقال زين العابدين عليه السلام ارجعي ايتها الحوت الى وكرك فرجع

---

(١٩)تتتع في الكلام تردد من حصر اوعى وتعتعت الدابة ارتطمت في الرمل.

الحوت واستوى الماء.التاسع: ما اورده الصدوق طاب ثراه نقلاً عن جماعة قال لما وردت حرّة بنت حليمة السعدية رضي الله عنهما على الحجاج بن يوسف الثقفي وجلست بين يديه فقال لها انت حرّة بنت حليمة قد قيل انك تفضلين علياً على ابي بكر وعمر وعثمان قالت لقد كذب الذي قال اني افضله على هؤلاء خاصة قال وعلى من غير هؤلاء قالت افضله على آدم ونوح ولوط وابراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى بن مريم فقال لها ويلك اقول لك انك تفضليه على الصحابة فتزيدين عليهم ثمانية من الانبياء من اولي العزم فان لم تأتيني ببيان ما قلت والا ضربت عنقك فقالت ما انا فضلته على هؤلاء الانبياء بل الله عز وجل فضله في القرآن عليهم في قوله في حق آدم فعصى آدم ربه فغوى وقال في حق علي عليه السلام وكان سعيهم مشكوراً فقال احسنت يا حرة فبم تفضليه على نوح ولوط قالت الله تعالى فضله عليهم بقوله ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما وعلي بن ابي طالب كان ملكه تحت سدرة المنتهى زوجته بنت محمد صلى الله عليه وآله فاطمة الزهرا عليها السلام التي يرضى الله لرضاها ويسخط لسخطها، فقال الحجاج احسنت يا حرّة فبم تفضليه على اب الانبياء ابراهيم خليل الله عليه السلام فقالت الله فضله بقوله ﴿ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال او لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ﴾ وامير المؤمنين قال قولا لم يختلف فيه احد من المسلمين لو كشف الغطاء ما أزددت يقينا وهذه كلمة لم يقلها قبله ولا بعده أحد قال أحسنت ياحرّة فبم تفضليه على موسى عليه السلام نجي الله قالت بقول الله عز وجل فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين وعلي بن أبي طالب بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله لم يخف حتى أنزل الله في حقه ﴿ومن الناس من يشري نفسه إبتغاء مرضات الله ﴾، قال أحسنت يا حرة قال فبما تفضليه على داود عليه السلام قالت ألله فضله عليه بقوله ﴿يا داود أنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى﴾ قال فأي شيئ كانت حكومته قالت في رجلين أحدهما كان له كرم وللاخر غنم فنفشت الغنم في الكرم فرعته فأحتكما الى داود فقال تباع الغنم وينفق ثمنها على الكرم، حتى يعود على ما كان عليه فقال له ولده يا أبه بل يأخذ من لبنها وصوفها فقال الله عز وجل ﴿ففهمناها سليمان ﴾.وأن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال أسئلوني عما فوق السماء إسألوني عما تحت العرش إسألوني قبل أن تفقدوني وأنه عليه السلام دخل على النبي صلى الله عليه وآله يوم فتح خيبر فقال النبي صلى الله عليه وآله للحاضرين أفضلكم وأعلمكم علي فقال لها أحسنت يا حرة، فبم تفضليه على سليمان عليه السلام فقالت الله فضله عليه بقوله ﴿رب هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي ﴾ومولانا عليه السلام قال يا دنيا طلقتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك فعند ذلك أنزل الله عليه﴿ تلك الدار الأخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾ قال أحسنت ياحرة فبم تفضليه على عيسى بن مريم عليه السلام قالت ألله فضله عليه

بقوله إذ قال الله﴿يا عيسى بن مريم ءأنت قلت للناس أتخذوني وأمي الهين من دون الله قال سبحانك ﴾الى أخر الأية.وعلي بن أبي طالب عليه السلام لما إدعوا النصيرية فيه ما ادعوا لم يعاتبه الله سبحانه فقال احسنت يا حرَة خرجت من جوابك ولولا ذلك لما كان ذلك ثم اجازها واعطاها وسرحها سراحاً حسناً.اقول هذا الجواب منها قد ورد في الاخبار ولكن لم يجتمع في خبر فلذلك نقلناه من كلام حرة والاَ فقد رويناه في الاخبار عن الائمة الطاهرين.وفي كتاب المناقب مسنداً الى صعصعة بن صوحان انه دخل على امير المؤمنين عليه السلام لما ضرب فقل يا امير المؤمنين أنت افضل ام آدم ابو البشر؟قال علي عليه السلام تزكية المرء نفسه قبيح لكن قال الله تعالى لادم ﴿ يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ وانا اكثر الاشياء اباحها لي وتركتها وما قاربتها ثم قال أنت افضل يا امير المؤمنين أم نوح قال علي عليه السلام ان نوحاً دعا على قومه وانا ما دعوت على ظالمي حقي وابن نوح كان كافراً وابناي سيدا شباب اهل الحنة قال انت افضل ام موسى قال عليه السلام ان الله تعالى ارسل موسى الى فرعون فقال اني اخاف ان يقتلوني حت قال الله تعالى لا تخف اني لا يخاف لديّ المرسلون وقال رب اني قتلت منهم نفساً فاخاف ان يقتلون وانا ما خفت حين ارسلني رسول الله صلى الله عليه وآله بتبليغ سورة براءة ان اقرأها على قريش في الموسم مع اني كنت قتلت كثيراً من صناديدهم فذهبت بها اليهم وقرأتها عليهم وما خفتهم ثم قال انت افضل ام عيسى بن مريم قال عيسى عليه السلام كانت امه في بيت المقدس فلما جاء وقت ولادتها سمعت قائلاً يقول اخرجي هذا بيت العبادة لا بيت الولادة وانا امي فاطمة بنت اسد لما قرب وضع حملها كانت في الحرم فانشق حايط الكعبة وسمعت قائلاً يقول ادخلي فدخلت في وسط البيت وانا ولدت به وليس لاحد هذه الفضيلة لا قبلي ولا بعدي.العاشر: ما رواه الصدوق باسناده الى عمار بن ياسر رضي الله عنه قال لما سار علي بن ابي طالب عليه السلام الى صفين وقف بالفرات وقا لاصحابه اين المخاض فقالوا انت اعلم يا امير المؤمنين فقال الرجل من اصحابه امض الى هذا التل وناديا جلنداً فأين المخاض قال فسار حتى وصل التل ونادى يا جلندا فاجابه من تحت الارض خلق عظيم فبهت ولم يعلم ماذا يصنع فأتى الى امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام فقال جاوبني خلق كثير فقال الامام يا قنبر امض وقل يا جلندا بن كركر اين المخاض قال فمضى وقال يا جلندى بن كركر اين المخاض قال فكلمه واحد وقال لهم يا ويلكم من عرف اسمي واسم ابي عرف اين المخاض وانا في هذا المكان وقد بقيت تراباً وقدمت من ثلاثة الاف سنة وقد عرَفكم بأسمي واسم ابي وهو لا يعلم اين المخاض فوالله اعلم بالمخاض مني يا ويلكم ما اعمى قلوبكم واضعف يقينكم امضوا اليه واتبعوه فأين خاض خوضوا معه فأنه اشرف الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله

اقول: وجه الاستدلال من هذا الخبر ان اخص اوصاف عيسى عليه السلام ومعجزاته احياء الموتى وهنا قد احيا الله الاموات لرسول علي بن ابي طالب عليه السلام فأين هذا من ذاك.الحادي عشر: ما رواه صاحب كتاب القدسيات وهو من اعظم محققي الجمهور عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال لعلي يا علي ان الله تعالى قال لي يا محمد بعث علياً مع الانبياء باطناً ومعك ظاهراً ثم قال صاحب ذلك الكتاب وصرح بهذا المعنى في قوله انت مني بمنزلة ارون من موسى ولكن لا نبي بعدي ليعلموا ان باب النبوة قد ختم وباب الولاية قد فتح.واشارة بعث علي عليه السلام مع الانبياء عليهم السلام باطناً الى سر الولاية التي ظهرت بعد النبي صلى الله عليه وآله ليكون علماء امته الذين هم الاولياء داعين للناس في سواديه دايرة الولاية وبياضيتها الى الحق.اقول هذا الذي رواه من بعثه عليه السلام باطناً قد روى مضمونه في اخبار اهل البيت عليهم السلام عن علي بن ابي طالب عليه السلام وهو اشارة الى سر الهي في الغاية القصوى من التحقيق وهو انه قد روى عنه عليه السلام انه قال في جواب من سئله عن فضله وفضل من تقدمه من الانبياء مع انهم حازوا غاية الاعجاز اما ابراهيم عليه السلام فقد نجاه الله سبحانه من نار النمرود وجعلها عليه برداً وسلاماً ونوح عليه السلام قد نجاه الله مع الغرق وموسى عليه السلام من فرعون واتاه التورية وعلمه اياها وعيسى عليه السلام اتاه النبوة في المهد وانطقه بالحكمة والنبوة وسليمان عليه السلام الذي سخر له الريح والجن والانس وجميع المخلوقات فقال عليه السلام والله قد كنت مع ابراهيم في النار وانا الذي جعلتها برداً وسلاماً وكنت مع نوح في السفينة فانجيته من الغرق وكنت مع موسى فعلمته التورية وانطقت عيسى في المهد وعلمته الانجيل وكنت مع يوسف في الجب فانجيته من كيد اخوته وكنت مع سليمان على البساط وسخّرت له الرياح.وفي الروايات الخاصة ان النبي صلى الله عليه وآله كان يوماً جالساً ومعه رجل من الجن يسئله عن اشياء من احكام الدين فدخل علي عليه السلام فتصاعر ذلك الجني خوفاً حتى صار مثل العصفور فقال يا رسول الله اجرني من هذا الشاب فقال النبي صلى الله عليه وآله ولم تخافه فقال لاني تمردت على سليمان بن داود عليه السلام وسلكت البحار فارسل الى جماعة من الجن والشياطين فلم يقدروا عليّ وأتاني هذا الشاب وبيده حربة فضربني بها على كتفي والى الان اثر جراحته فقال له النبي صلى الله عليه وآله ادن من علي تطيب جراحتك وتؤمن به وتكون من شيعته ففعل وخطبة البيان[٢٠]المنقولة عنه عليه السلام تبين هذا كله وهي الاسرار التي لا يعرف معناها الا العلماء الراسخون.الثاني عشر: ما استفاض في الروايات من ان ابراهيم عليه السلام طلب في مدة عمره من الله سبحانه مرة واحدة ان يطلعه على للملكوت ليشاهده عياناً فقال رب ارني ملكوت السموات والارض فرفع الحجاب عن وجهه حتى نظر بهذه العين الباصرة الى ما خلق الله في الارض

---

(٢٠)خطبة البيان من خطب امير المؤمنين عليه السلام وفقراتها تحتاج الى شروح.

والسماء.واما مولانا امير المؤمنين علي عليه السلام فقد كانت له هذه الحالة طول عمره كما روى انه عليه السلام كان يخطب يوماً على المنبر فقال ايها الناس سلوني قبل ان تفقدوني اسئلوني عن طرق السموات فاني اعرف بها مني بطرق الارض فقام رجل من القوم فقال يا امير المؤمنين اين جبرئيل هذا الوقت فقال عليه السلام دعني انظر فنظر الى فوق والى الارض ويمنة ويسرة فقال انت جبرئيل فطار من بين القوم شق سقف المسجد بجناحه فكبر الناس وقالوا الله اكبر يا امير المؤمنين من اين علمت ان هذا جبرئيل فقال اني لما نظرت الى السماء بلغ نظري الى ما فوق العرش والحجب ولما نظرت الى الارض خرق بصري طبقات الارض الى الثرى ولما نظرت يمنة ويسرة رأيت ما خلق ولم ارَ جبرئيل في هذه المخلوقات فعلمت انه هو.وروى الشيخ الطوسي قدس الله روحه باسناده الى ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول اعطاني الله تبارك وتعالى خمساً واعطى علياً خمساً اعطاني جوامع الكلم[٢١]اعطى علياً جوامع العلم وجعلني نبياً وجعله وصياً واعطاني الكوثر واعطاه السلسبيل واعطاني الوحي واعطاه الالهام واسري بي اليه وفتح له ابواب السماء والحجب حتى نظر اليَّ ونظرت اليه قال ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت له ما يبكيك فداك ابي وامي فقال يا بن عباس ان اول ما كلمني به ان قال يا محمد انظر تحتك فنظرت الى الحجب قد انخرقت والى ابواب السماء قد فتحت ونظرت الى علي عليه السلام وهو رافع رأسه اليَّ فكلمني وكلمته وكلمني ربي عز وجل فقلت يا رسول الله بم كلمك قال قال لي يا محمد اني جعلت علياً وصيك ووزيرك وخليفتك من بعدك فاعلمه فيها هو يسمع كلامك فاعلمته وانا بين يدي ربي عز وجل فقال لي قد قبلت واطعت فامر الله الملائكة ان تسلّم عليه ففعلت فرد عليهم السلام ورأيت الملائكة يتباشرون به وما مررت بملائكة من ملائكة السماء الا هنؤني وقالوا يا محمد والذي بعثك بالحق نبياً لقد دخل السرور على جميع الملائكة باستخلاف الله عز وجل لك ابن عمك ورأيت حملة العرش قد نكسوا رؤسهم الى الارض فقلت يا جبرئيل لم نكس حملة العرش رؤسهم الى الارض فقال يا محمد ما من ملك من الملائكة الا وقد نظر الى وجه علي بن ابي طالب استبشاراً به ما خلا حملة العرش فانهم استأذنو الله عز وجل في هذه الساعة فأذن لهم ان ينظروا الى علي بن ابي طالب فنظروا اليه فلما هبطت جعلت اخبره بذلك وهو يخبرني به فعلمت اني لم اطأ موطأ الا وقد كشف لعلي عنه حتى نظر اليه.اقول هذا الحديث يدل على ان علياً عليه السلام عرج الى ملكوت السماء وهو جالس في بيته هذه المناقب لا قعبان من لبن شيبا بماء فصار بعد ابوالا وهذا الحالة قد

---

(٢١)او تيت جوامع الكلم يعني القرآن جمع الله بلطفه في الالفاظ اليسيرة منه معاني كثيرة واحدها جامعة أي كلمة جامعة ومنه الحديث في صفته(ص) انه كان يتكلم بجوامع الكلم أي انه كان كثير المعاني قليل الالفاظ قاله ابن الاثير في النهاية انظر من ١٧٦ج١ط مصر.

كانت للائمة عليهم السلام اعني مشاهدة الملكوت وبها فضلوا على سائر الانبياء عليهم السلام.وروى صاحب مشارق الانوار باسناده الى مفضل بن عمر قال سألت ابا عبد الله عليه السلام عن الامام كيف يعلم ما في اقطار الارض وهو في بيته مرخى عليه ستره قال يا مفضل ان الله جعل فيه خمسة ارواح روح اليحوة وبها دبَّ ودرج وروح القوة وبها نهض وروح الشهوة وبها يأكل وروح الايمان فبها امر وعدل وروح القدس وبها حمل النبوة فاذا قبض النبي صلى الله عليه وآله انتقل روح القدس الى الامام فلا يغفل ولا يلهو وبها يرى ما في الاقطار وان الامام لا يخفى عليه شيئاً مما في الارض ولا مما في السماء وانه ينظر في ملكوت السموات فلا يخفى عليه شيء ولا هممهة ولا شيء فيه روح ومن لم يكن بهذه الصفات فليس بامام.والدلائل والاخبار الدالة على هذا المطلب كثيرة جداً والذي اطلعنا عليه منها زها الف حديث ولكن اردنا ان لا يخلو هذا الكتاب من بعض مدائحه الربانية فلذا ذكرنا هذا الطرف القليل وكفاه شرفاً ان رقاه كتف رسول الله صلى الله عليه وآله عند كسر الاصنام وما احسن ما قيل فيه:

قيل لي قل في علي مدحاً	ذكره يخمد ناراً موصده
قلت لا اقدم في مدح فتى	حار ذو اللب الى ان عبده
والنبي المصطفى قال لنا	ليلة المعراج لما صعده
وضع الله بظهري يده	فأحس القلب ان قد برده
وعلي واضع اقدامه	بمحل وضع الله يده

وليس المطلب اظهار مدائحه فأنا نجلَه ونعظَمه عن مدحنا لانّ من مدحه الله سبحانه في محكم آياته ومتشابهها ومدحه انبياؤه المرسلون وملائكته المقربون لا يليق بنا ان نذكر شيئاً من مناقبة على طريق المدح وانما المقصود من هذا تحصيل المثوبات الاخروية بأن نتسبب بهذا وامثاله الى الانسلاك في سلك عبيدهم.وروى الصدوق (ره) في الفقيه عن ابي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال للإمام علامات يكون اعلم الناس واحكم الناس واتقى الناس واحلم الناس واشجع الناس واعبد الناس واسخى الناس ويولد مختوناً ويكون مطهراً ويرى من خلفه كما يرى من بين يديه ولا يكون له ظل واذا وقع على الارض من بطن امه وقع على راحتيه رافعاً صوته بالشهادة ولا يحتلم وتنام عيناه ولا ينام قلبه ويكون محدثاً ويستوي عليه درع رسول الله صلى الله عليه وآله ولا يرى له بول وغايط لان الله عز وجل قد وكل الارض بابتلاع ما خرج منه ويكون رائحته اطيب من رائحة المسك ويكون اولى بالناس منهم بانفسهم واشفق عليهم من آبائهم وامهاتهم ويكون اشد

الناس تواضعاً لله جل ذكره ويكون اخذ الناس بما يأمر به واكف الناس عما ينهى عنه ويكون دعائه مستجاباً حتى انه لو دعا على صخرة لانشقت بنصفين ويكون عنده سلاح رسول الله ﷺ وسيفه ذو الفقار ويكون عنده صحيفة فيها اسماء شيعته الى يوم القيامة وصحيفة فيها اسماء اعدائه الى يوم القيامة ويكون عنده الجامعة وهي صحيفة طولها سبعون ذراعاً فيها جميع ما يحتاج اليه من ولد آدم ويكون عنده الجفر الاكبر والاصغر اهاب ماعز واهاب كبش فيهما جميع العلوم حتى ارش الخدش وحى الجلدة ونصف الجلدة وثلث الجلدة ويكون عنده مصحف فاطمة عليها السلام.روى الصدوق قدس الله روحه باسناده الى الصادق عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ ان الله تبارك وتعالى جعل لاخي علي بن ابي طالب عليه السلام فضائل لا يحصى عددها غيره فمن ذكر فضيلة من فضائله مقراً بها غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر ولو وافى القيامة بذنوب الثقلين ومن كتب فضيلة من فضائل علي بن ابي طالب عليه السلام لم تزل الملائكة تستغفر ما بقي لتلك الكتابة رسم ومن استمع الى فضيلة من فضائله غفر الله الذنوب التي اكتسبها بالاستماع ومن نظر الى كتابه فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالنظر ثم قال رسول الله ﷺ النظر الى علي بن ابي طالب عليه السلام عبادة وذكره عبادة ولا يقبل ايمان عبد الا بولايته والبراءة من اعدائه.وهذا الذي يحدو المؤلفين على ذكر ما ذكروا من مناقبه عليه السلام وقد قيل ان معوية يسئل رجلاً من الشيعة كم لابن ابي طالب من المناقب فقال كيف اقول في من كتم شيعته مدائحه خوفاً منك وكتم اعداؤه مناقبه حسداً منهم وقد ظهر بين الكتمانين ما ملأ الخافقين وما احسن قول الشافعي

اولوا النهى عجزت عن والعارفون بمعنى ذاته تاهوا
ان ادعه بشراً فالعقل يمنعني واتقى الله في قولي هو الله

وكذا قول بعضهم

هو النبأ العظيم وفلك نوح وباب الله وانقطع الخطاب

وما اقول في من ينوبه الملائكة في الحروب.روى العامة والخاصة ان النبي ﷺ غزى غزوة فلما رجع المدينة وكان علي عليه السلام قد تخلف عند اهله فقسم المغنم فدفع الى علي بن ابي طالب سهمين وهو بالمدينة متخلف فقال معاشر الناس ناشدتكم بالله وبرسوله الم تروا الى الفارس الذي حمل على المشركين من يمين العسكر فهزمهم ثم رجع اليَ فقال ان لي معك سهماً وقد جعلته لعلي بن ابي طالب فهو جبرئيل عليه السلام معاشر الناس ناشدتكم بالله وبرسوله هل رأيتم الفارس الذي حمل على المشركين من يسار العسكر ثم رجع فكلمني فقال لي يا محمد ان لي معك سهماً وقد جلعته لعلي بن ابي طالب فهو ميكائيل فوالله ما دفعت لعلي الا سهم جبرئيل

وميكائيل. وروى عن الرضا عليه السلام ان علياً عليه السلام قال يا رسول الله انت افضل ام جبرئيل قال يا علي ان الله تعالى فضّل انبيائه المرسلين وفضلني على جميع النبيين والمرسلين والفضل لك يا علي وللائمة من بعدك.

فايدة

ما تضمنه الدليل التاسع من قوله عليه السلام لو كشف الغطاء لما ازددت يقيناً مما استفاض نقله عنه عليه السلام وقد اورد اصحابنا رضوان الله عليهم اشكالاً في هذا المقام وحاصله ان النبي صلى الله عليه وآله قد كان يطلب زيادة المعرفة بقوله صلى الله عليه وآله اللهم زدني فيك معرفة وقوله صلى الله عليه وآله تب علينا فإننا بشر ما عرفناك حق معرفتك.وعلى هذا فيلزم ان يكون علي عليه السلام اكمل في المعرفة منه صلى الله عليه وآله وقد تفصّى عنه محققونا بوجوه.أولها ما نقل عن العلامة الحلي قدس الله روحه من أن المراد أن علياً عليه السلام لما كانت مادة استعداده لمراتب المعرفة انقص من مادة استعداد النبي صلى الله عليه وآله فكأنه عليه السلام قال اني وصلت في درجات المعرفة الدرجة التي لا اتعداها فلو كشف الحجاب وصار ما يدرك بالبصيرة مدركاً بلبصر لما ازداد علمي ويقيني وهذا الجواب كما ترى.وثانيها ما قاله شيخنا البهائي طاب ثراه من أن قول امير المؤمنين عليه السلام منزل على درجات القيامة ومراتبها والمعنى لو كشف الغطا عن مراتب الاخرة وما قاله الانبياء عليهم السلام في وصفها لما ازددت علما في معرفتها وانا في هذه الدنيا فلا يكون قوله عليه السلام في المعرفة ودرجتها بل في احوال النشأة كما رواه رئيس المحدثين الشيخ الكليني نور الله ضريحه عن اسحاق بن عمار قل سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول ان رسول الله صلى الله عليه وآله صلّى بالناس الصبح فنظر الى شاب في المسجد وهو يخفق ويهوي برأسه مصفراً لونه قد نحف جسمه وغارت عيناه في رأسه فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله كيف اصبحت يا فلان قال اصبحت يا رسول الله صلى الله عليه وآله موقنا فعجب رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله وقال ان لكل يقين حقيقة فما حقيقة يقينك فقال ان يقني يا رسول الله هو الذي احزنني واسهر ليلي وأظمأ هواجري فعرفت نفسي عن الدنيا وما فيها حتى كأني انظر الى عرش ربي وقد نصب الحساب وحشر الخلائق لذلك وانا فيهم وكأني انظر الى اهل الجنة وهم يتنعمون في الجنة ويتعارفون على الارائك متكئون وكأني انظر الى اهل النار وهم فيها معذبون مصطرخون وكأني الان اسمع زفير النار يدور في مسامعي فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لاصحابه هذا عبد نور الله قلبه للايمان ثم قال له الزم ما انت عليه فقال الشاب ادع الله لي يا رسول الله ان ارزق الشهادة معك فدعا له رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يلبث ان خرج في بعض غزوات النبي صلى الله عليه وآله فاستشهد بعد تسعة نفر وكان هو العاشر.

وفي رواية اخرى ان ذلك الشاب هو حارثة بن مالك الانصاري.وثالثها ما قاله بعض الاذكياء من المعاصرين وهو ان يكون يقيناً منصوباً على المفعولية لا على التمييز وحاصله ان لي يقيناً في مراتب المعرفة ولو كشف الغطاء لم ازدد يقيناً غير ذلك اليقين ان يتغير علمي ويحدث لي علم يغايره كما هو واقع في علومنا وليس المراد ان ذلك اليقين لا يقبل الزيادة والنقصان بل هو قابل له غير انه لا يتغير الى يقين يغايره.ورابعها ما خطر لنا ويعد هذا رأينا في شرح استاذنا الاجل الشيخ علي اعلى الله شأنه على شرح اللمعة وحاصله ان النبي ﷺ كانت مراتب معرفته تتزايد يوماً بعد يوم على طول مدة عمره الشريف وكان يحدث له بالوحي والالهام من درجات المعرفة ما يعد الدرجة السابقة ذنباً بالنسبة الى الدرجة اللاحقة ولذا قال ﷺ اني لاستغفر الله كل يوم سبعين مرة من غير ذنب فكان ﷺ يطلب زيادة مراتب المعرفة في حيوته لانها تفاض عليه آناً بعد آن ولما استكملت مدته استكمل له ما يليق بمادته النبوية من افاضة العلوم اللايقة بذاته الشريفة التي هي منتهى مراتب البشر ولما مرض مرضه الذي انتقل الى جوار القدس طلب علياً وادناه منه وعلمه علوم مدة عمره الشريف بلحظة واحدة فلذا قال عليه السلام لما سئل ما علّمك رسول الله ﷺ انه علمني الف باب من العلم ينفتح من كل باب الف باب ومن هذا صار البطين لتراكم العلوم في صدره الشريف فهو عليه السلام بعد النبي ﷺ يقول اني عرفت الله سبحانه بما علمته من النبي حتى لو كشف الغطاء لم ازدد علما يضاف الى معرفتي الكاملة ويحتمل معان اخر ايضاً.

نور مرتضوي

في بيان ان افضل الخلق بعد رسول الله ﷺ هو علي بن ابي طالب عليه السلام وهذا على سبيل الاغماض عن النور الاول لان من كان افضل من ابراهيم ونوح وموسى وعيسى بالدلائل السابقة لا يحتاج تفضيله على غيرهم الى الدليل ولكن قد وقع الخلاف بين جماهير المسلمين فذهب الاشاعرة وجماعة من المعتزلة الى ان افضل الخلق بعد رسول الله ﷺ هو ابو بكر وذهبت الشيعة واكثر المعتزلة الى ان الافضل علي بن ابي طالب عليه السلام والحق ان المعتزلة لم يخالف احدح منهم في افضلية علي عليه السلام سوى شاذ نادر واما الاشاعرة فأن تفضيل ابي بكر وان نقله عنهم علماؤهم المتأخرون الا ان المتقدمين منهم قد وافقوا الشيعة على ما ذهبوا اليه ولننقل كلام اعلم محققيهم حتى يتضح الحال فنقول ذكر محمد بن عمر الرازي المعروف بابن خطيب الري[٢٢] وهو اعلم علماء الاشعرية صاحب التصانيف الكثيرة فانه قال في الكتاب الذي صنفه وجعله دستوراً لولده

---

(٢٢)هو الامام فخر الدين الرازي الشهير المتوفى سنة(٦٠٦)هـ وقد يعبر عند السيد الداماد قدس سره بامام المشككين.

وسماه كتاب الاربعين في الفصل الخامس من المسئلة التاسعة والثلاثين في بيان افضل الصحابة بعد رسول الله ﷺ واورد عشرين حجة في ان علي بن ابي طالب عليه السلام افضل الصحابة قال في الحجة الثالثة ما هذا لفظه الحجة الثالثة ان علياً عليه السلام كان اعلم الصحابة والاعلم افضل وانما قلنا ان علياً كان اعلم الصحابة للاجمال والتفصيل اما الاجمال فهو انه لا نزاع في ان علياً عليه السلام كان في اصل الخلقة في غاية لذكاء والفطنة والاستعداد للعلم وكان محمد ﷺ افضل الفضلاء واعلم العلماء وكان علي عليه السلام في غاية الحرص في طلب العلم وكان محمد ﷺ في غاية الحرص في تربيته وزفي ارشاده الى اكتساب الفضائل ثم ان علياً عليه السلام ربّي من اول صغره في حجر محمد ﷺ وفي كبره صار ختنا له وكان يدخل اليه في كل الاوقات ومن المعلوم ان التلميذ اذا كان في غاية الذكاء والحرص على التعلم وكان الاستاذ في غاية الفضل وفي غاية الحرص على التعليم ثم اتفق لمثل هذا التلميذ ان يتصل بخدمة هذا الاستاذ من زمان الصغر وكان ذلك الاتصال بخدمته حاصلاً في كل الاوقات فانه يبلغ ذلك التلميذ مبلغاً عظيماً وهذا بيان اجمالي في ان علياً عليه السلام كان اعلم الصحابة فأما ابو بكر فانه انما كان اتصل بخدمته في زمان الكبر وايضاً ما كان يصل الى خدمته في اليوم والليلة الا مرة واحدة زماناً يسيراً واما علي عليه السلام فانه اتصل بخدمته في زمن الصغر وقد قيل العلم في الصغر كالنقش في الحجر والعلم في الكبر كالنقش في المدر فثبت بما ذكرنا ان علياً عليه السلام كان اعلم من ابو بكر.واما التفصيل فيدل عليه وجوه:الاول: ان اكثر المفسرين سلموا ان قوله ﴿وتعيها اذن واعية﴾ نزل في حق علي عليه السلام تخصيصه بزيادة الفهم يدل على اختصاصه بمزيد العلم.

الثاني: قوله ﷺ أقضاكم علي والقضاء يحتاج الى جميع أنواع العلوم فلما رجحه على الكل في القضاء لزم أنه رجحه عليهم في كل العلوم وأما سائر الصحابة فقد رجحه كل واحد منهم على غيره في علم واحد كقوله (أفرضكم زيد وأقرأكم أبى[٢٣]).الثالث: روى أن عمراً أمر برجم إمرأة ولدت لستة أشهر فنبهه علي عليه السلام بقوله ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾ فقال عمر لولا علي لهلك عمر وروى أن أمرأة أقرت بالزنا وكانت حاملا فأمر عمر برجمها فقال له علي عليه السلام إن كان لك سلطان عليها فما سلطانك على ما في بطنها فترك عمر رجمها وقال لولا علي لهلك عمر فان قيل لعل عمر أمر برجمها من غير تفحص عن حالها فظن أنها ليست بحامل فلما نبهه علي عليه السلام ترك رجمها قلت هذا يقتضي أن عمر ما كان يحتاط في سفك الدماء وهذا أشر من الأول ورووا أيضاً أن عمر قال يوماً على المنبر إلا لا تغالوا مهور نسائكم فمن غالى في مهر إمرأته

---

(٢٣) من هذا يعلم وجه تخصيصه صلى الله عليه واله علياً عليه السلام بقوله اقضاكم علي ولم يخصه بسائر الاوصاف كقوله افقهكم او اعلمكم او افرضكم او غيرها فان القضاء لابد فيه من اجتماع جميع تلك الاوصاف باسرها ق

جعلته في بيت المال فقامت عجوز فقالت يا عمر أتمنع منا ما جعله الله لنا وقد قال الله تعالى ﴿وإن أردتم أستبدال زوج مكان زوج وأتيتم أحديهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئا أتاخذوا منه بهتانا وأثماً مبيناً ﴾ فقال عمر كلكم افقه من عمر حتى المخدرات في البيوت وهذه الوقايع وقعت لغير علي ولم يتفق مثلها لعلي.الرابع: نقل عن علي عليه السلام انه قال والله لو كسرت لي الوسادة ثم جلست عليها لقضيت بين اهل التوراية بتوريتهم وبين اهل الانجيل بانجيلهم وبين اهل الزبور بزبورهم وبين اهل الفرقان بفرقانهم والله ما من آية نزلت في بحر ولا بر وفي سهل ولا جبل ولا ارض ولا سماء ولا ليل ولا نهار الا وانا اعلم فيمن نزلت وفي أي شيء نزلت طعن ابو هاشم في هذا فقال التورية منسوخة فكيف يجوز الحكم بها الجواب من وجوه:الاول: لعل المراد شرح كمال عليه بتلك الاحكام المنسوخة على التفصيل وبالاحكام الناسخة لها الواردة في القرآن .الثاني: لعل المراد لو ان قضاة اليهود والنصارى يمكنون من الحكم والقضا على وفق اديانهم بعد بذل الجزية وكان المراد انه لو جاز لمسلم ذلك لكان هو قادراً عليه الثالث لعل المراد انه يستخرج من التورية والانجيل نصوصاً دالة على نبوة محمد صلى الله عليه وآله وكان ذلك قوياً في التمسك بها.الخامس: انا نفحص عن احوال العلوم واعظمها علم الاصول وقد جاء في خطب امير المؤمنين عليه السلام من اسرار التوحيد والعدل والنبوة والقضا والقدر واحوال المعاد ما لم يأت في كلام سائر الصحابة وياضاً فجميع فرق المتكلمين ينتهي آخر نسبتهم في هذا العلم اليه اما المعتزلة فانهم ينسبون انفسهم اليه واما الاشعرية فكلهم ينتسبون الى الاشعري وهو كان تلميذاً لابي علي الجبائي المعتزلي وهو منتسب الى امير المؤمنين عليه السلام واما الشيعة فانتسابهم اليه ظاهر وكلهم تلامذة علي عليه السلام واما الخوارج فهم مع بعدهم عنه كلهم منتسبون الى اكابرهم واولئك الاكابر كانوا تلامذة علي بن ابي طالب عليه السلام فبينا ان جمهور المتكلمين من فرق الاسلام منسوبة اليه وافضل فرق الامة الاصوليين وكان هذا منصباً عظيماً في الفضل ومنها علم التفسير وابن عباس رضي الله عنه رئيس المفسرين وهو كان تلميذ علي بن ابي طالب عليه السلام ومنها علم الفقه وكان فيه الدرجة ولهذا قال صلى الله عليه وآله اقضاكم علي وقال علي بن ابي طالب عليه السلام لو كسرت لي الوسادة وجلست عليها لحكمت بين اهل التورية بتوراتهم الخبر ومنها علم الفصاحة ومعلوم ان احداً من الفصحاء الذين بعده لم يدركوا درجته ولا القليل ومنها علم النحو ومعلوم انه انما ظهر منه وهو الذي ارشد ابا الاسود الدؤلي ومنها علم تصفية الباطن ومعلوم ان نسبة هذه العلوم تنتهي اليه فثبت بما ذكرنا انه عليه السلام كان استاذ العالمين بعد محمد صلى الله عليه وآله في جميع الخصائل المرضية والمقامات الشرعية واذا ثبت انه اعلم الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وجب ان يكون افضل الخلق بعده لقول الله تعالى ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذي لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب ﴾ وقوله تعالى ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين

اوتوا العلم درجات ﴾ ثم قال ذلك الفاضل الاشعري الحجة العشرون اعلم ان الفضائل اما نفسانية واما بدنية واما خارجية اما الفضائل النفسانية وهو محصورة في نوعين العلمية والعملية اما العلمية فقد دللنا على ان علم علي عليه السلام كان اكثر من علم سائر الصحابة ويقوي ذلك ما روى ان علياً عليه السلام قال علمني رسول الله صلى الله عليه وآله الف باب من العلم فانفتح منم كل باب الف باب واما الفضائل النفسانية العملية فأقسام منها العفة والزهد وقد كان في الصحابة جمع من الزهاد كأبي ذر وسلمان وابي الدرداء وكلهم كانوا فيه تلامذة علي عليه السلام ومنها الشجاعة وقد كان في الصحابة كأبي دجانة وخالد بن الوليد وكانت شجاعته اكثر عنفاً من شجاعة الكل الا ترى ان النبي صلى الله عليه وآله قال يوم الاحزاب لضربة علي خير من عبادة الثقلين وقال علي بن ابي طالب عليه السلام ما قلعت باب خيبر بقوة جسمانية ولكن بقوة ربانية ومنها السخاوة وقد كان في الصحابة جمع من الاسخياء وقد بلغ اخلاصه في سخاوته الى ان اعطى ثلاثة اقراص فانزل الله تعالى في حقه ﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً واسيراً ﴾ ومنها حسن الخلق وقد كان مع غاية شجاعته وبسالته حسن الخلق جداً وقد بلغ فيه الى حيث نسبه اعداؤه الى الدعابة ومنها البعد عن الدنيا وظاهر انه مع انفتاح ابواب الدنيا عليه لم يظهر التنعم والتلذذ وكان مع غاية شجاعته اذا شرع في صلوة التهجد وشرع في الدعوات والتضرعات الى الله تعالى بلغ مبلغاً لا يوازيه احد ممن جاء بعده من الزهاد ولما ضربه ابن ملجم عليه اللعنة قال فزت ورب الكعبة ومنها الفضائل البدنية فمنها القوة والشدة وكان فيها عظيم الدرجات حتى قيل انه يقطّ الهام قط الاقلام ومنها النسب العالي ومعلوم ان اشرف الانساب هو القرب من رسول الله صلى الله عليه وآله وكان اقرب الناس نسباً اليه.واما العباس فانه وان كان عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله الا ان العباس كان اخاً لعبد الله من الاب لا من الام واما ابو طالب فانه كان اخاً لعبد الله من الاب والام وايضاً فان علياً عليه السلام كان هاشمياً من الاب والام لانه علي بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم وامه فاطمة بنت اسد بن هاشم ومنها المصاهرة ولم يكن لاحد من الخلق مصاهرة مثل ما كانت له واما عثمان فهو وان شاركه في كونه ختنا لرسول الله صلى الله عليه وآله الا ان اشرف اولاد رسول الله صلى الله عليه وآله هي فاطمة عليها السلام ولذلك قال صلى الله عليه وآله سيدة نساء العالمين اربع وعدّ منهنّ فاطمة عليها السلام ولم يحصل مثل هذا الشرف للبنتين اللتين هما زوجتا عثمان ومنها انه لم يكن لاحد من الصحابة اولاد يشاركون اولاده في الفضيلة فالحسن والحسين عليهما السلام هما سيدا شباب اهل الجنة ولداه ثم انظر الى اولاد الحسن مثل الحسن المثنى والمثلث وعبد الله بن المثنى والنفس الزكية والى اولاد الحسين مثل الامام زين العابدين والباقر والصادق والكاظم والرضا عليهم السلام فان هؤلاء الاكابر يعتّد بفضيلتهم وعلّو درجاتهم على كل مسلم ومما يدّل على علو شأنهم ان افضل المشايخ واعلاهم درجة ابو يزيد البسطامي وكان سقّاء في دار جعفر الصادق عليه السلام واما

معروف الكرخي فانه اسلم على يد علي بن موسى الرضا عليه السلام وكان بواب داره وبقي على هذه الحالة الى آخر عمره ومعلوم ان امثال هذه الاولاد لم يتفق لاحد من الصحابة ولو اخذنا في الشرح والاطناب لطال انتهى كلام الرازي وفيه كفاية للعاقل المنصف والعجب من هؤلاء القوم مع نقلهم مناقبه ومدائحه في كل باب وايراد مطاعن منادعى الخلافة من المتخلفين كيف فضلوا غيره عليه حتى انهم لم يرضوا بالافضلية بدرجة بل قالوا ان ابا بكر افضل من عمر بسبعين درجة وعمر افضل من عثمان بسبعين درجة والخلاف انما وقه بينهم في عثمان وعلي فهل هما في الفضل سواء الاكثر على تفضيل عثمان عليه بسبعين درجة والاقل على المساواة وهذا هو المصيبة العظمى والداهية الكبرى نعوذ بالله من سوء عاقبتها واما محققوهم كالتفتازاني والسيد الشريف واضرابهم فقد سمعت انهم بعد ان حاولوا إتمام مدحة من مدائح الثلاثة ولم يتم لهم لكثرة الواردات عليه قالوا انا نكل هذا التفضيل الى السلف لحسن الظن بهم، وهذا منهم اعجب من الاول فان الله سبحانه قد ذم اقواماً في تقليدهم الاباء والاسلاف في مسائل الاصول ذماً شنيعاً والعجب ان امثال هؤلاء الافاضل لم يرضوا في تقليدهم الاسلاف بالمسائل الفروعية فكيف رضوا في تقليدهم بما هو اهم واعلى الذي هو مسائل الاصول لكن ابليس اغواهم وصيرهم عمياً وبكماً فلا سمعاً ولا بصراً روى عن عمر بن الخطاب قال والله لقد تصدقت باربعين خاتماً وانا راكع لينزل فيَّ ما نزل بعلي بن ابي طالب فما نزل وكأنهم اخذوا التقليد من امامهم هذا.

فايدة

في ايضاح ما ذكره ذلك الفاضل:اما قوله بأن علياً عليه السلام كان يدخل على النبي صلى الله عليه وآله في كل حين فهو حق لان علياً عليه السلام كان له المحرمية بالنسبة الى بيت النبي صلى الله عليه وآله فقد روى عنه عليه السلام قال كنت معه في بعض الغزوات فحميت ولم يكن عند النبي صلى الله عليه وآله سوى لحاف واحد وكانت معه زوجته عايئة فانامني مه ومع زوجته تحت ذلك اللحاف ولما اقام لصلوة الليل ثنى بعض اللحاف بيني وبين زوجته وقد رأت عائشة انه صلى الله عليه وآله يقرّ به هذا القرب وكونه يدخل في كل وقت هو احد الاسباب في كون القرآن الذي كتبه علي عليه السلام قد كان اكثر من القرانات التي كتبها كتّاب الوحي لان جبرئيل عليه السلام قد كان يأتي الى النبي صلى الله عليه وآله في اكثر الخلوات ولا كان يدور معه فيها الا علي عليه السلام ولذا قال علي عليه السلام كان النبي صلى الله عليه وآله يديرني معه كيف دار.واما قوله بأن ابا بكر ما كان يدخل على النبي صلى الله عليه وآله الا مرّة واحدة فهذا منه تواضع لابي بكر لانه ربما دخل من بين الايام مرة واحدة لمكان ابنته وفي هذا الموضع عجب عجيب وهو ان العامة نقلوا ان ابا هريرة قد تفرد بنقل اثني عشر الف حديث لم يشاركه في نقلها غيره وقد تنبه لهذا المعنى سراج الدين البقيني وهو من اعظم محققيهم فأبطل كل ما تفرد بنقله ابو هريرة وقال ان وقت النبي صلى الله عليه وآله قد كان مضبوطاً بالنقل من اليسر

والتواريخ والاحاديث لانه كان يخرج عند طلوع الفجر الى المسجد ويصلّي بالناس ويبقى معقباً الى طلوع الشمس مع الناس ثم يدير وجهه الى الناس حتى يقضي حوائجهم ويبقى معهم في الكلام حتى يقرب الظهر فيدخل منزله ويخلو مع زوجاته الى صلوة الظهر ثم يخرج يصلّي بالناس ويحول وجهه اليهم بعد الصلوة لتعليم الاحكام الى قبل الغروب فيدخل منزله الى وقت الصلوة ثم يخرج للصلوة بالناس فيدخل منزله وينام مع زوجاته الى نصف الليل ثم يقوم لصلوة الليل الى طلوع الفجر فهذا ليله وذاك نهاره ففي أي وقت تفرّد به ابو هريرة مع بعده عن النبي ﷺ في النسب والحسن حتى روى عنه هذه الاخبار المتكثرة وانت اذا تصفحت اكثر اخبارهم وجدتها على هذا المنوال وسيأتي تمام الكلام فيه ان شاء الله تعالى.واما قوله ان القضاء يحتاج الى جميع انواع العلم فهو كما قال وقد اطبق اصحابنا رضوان الله عليهم على ان من شرائط القاضي ان يكون مجتهداً في اربعة عشر علماً وهي علوم الاجتهاد المذكورة في كتب الاصحاب واما قضاة الامصار في هذه الاعصار فقد صار من جملة شرائطهم الجهل في العلوم المذكورة وموافقة الحكام الجائرين لعلة المجانسة وكل شكل لشلكه الف اما ترى الفيل يألف الفيل ولعمرك انهم باعوا حظَهم من دار الامان بدار الغرور وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وكفى لهم بشارة قول الصادق عليه السلام ان النواويس وهي طبقة من طبقات جهنم شكت الى الله عز وجل شدَة حرّها فقال لها عز وجل اسكتي فان موضع القضاة اشدّ حراً منك روى ابو حمزة الثمالي عن ابي جعفر عليه السلام قال كان في بني اسرائيل قاض يقضي بينهم قال فلما حضره الموت قال لامرأته اذا مت فاغسليني وكفنيني وضعيني على سريري وغطي وجهي فانك لا ترين سوءاً فلما ان مات فعلت به ذلك ثم مكثت حيناً وكشفت عن وجهه لتنظر اليه فاذا هي بدودة تقرض منخره ففزعت لذلك فلما كان الليل اتاها في منامها فقال لها افزعك ما رأيت قالت اجل لقد فزعت فقال اما انك فزعت فما كان ما رأيت الا من هوى اخيك فلقد اتاني ومعه خصم له فلما جلسا اليَ قلت اللهم اجعل الحق له ووجه القضاء له على صاحبه فلما اختصما ليَ كان الحق له فرأيت ذلك بيّناً في القضاء له على صاحبه فأصابني ما رأيت لموضع هوى كان معه وان وافقه الحق وروى حريز عن ابي بصير عن ابي عبد الله عليه السلام قال ايما رجل كان بينه وبين اخ له مماراة في حق له فدعاه الى رجل من اخوانكم ليحكم بينه وبينه فأبى إلاَ ان يرافعه الى هؤلاء يعني القضاة مان بمنزلة الذين قال الله ﴿ الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ﴾ وقال الصادق عليه السلام القضاة أربعة ثلاثة في النار وواحد في الجنة رجل قضى بجور وهو يعلم فهو في النار ورجل قضى بجورهم وهو لا يعلم فهو في النار ورجل قضى بحق وهو لا يعلم فهو في النار ورجل قضى بحق وهو يعلم فهو في الجنة وأغلب قضاة هذه الاعصار من

الاولين لانهم أخذوا القضاء بالبذل لمن هو أعلى منهم أو بالميراث من أسلافهم أو بهما جميعاً وأما أخذ الحق بحكمهم وان كان حقاً فقد مال بعض مشايخنا وبعض من تقدمنا الى عدم جوازه ولعله الاولى لما رواه مشائخنا المحدثون في كتب الاصول عن عمر بن حنظلة قال سألت ابا عبد الله عليه السلام عن رجلين من اصحابنا يكون بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما الى السلطان أو الى القضاة أيحلَ ذلك فقال من تحاكم الى الطاغوت فحكم له فأنما يأخذه سحتاً وان كان حقه ثابتاً لأنه أخذه بحكم الطاغوت وقد امر الله عز وجل ان يكفر بها قلت كيف يصنعان قال انظروا الى من كان منكم قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف احكامنا فلترضوا به حكماً فأني قد جعلته عليكم حاكماً فاذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه فانما بحكم الله استخف وعلينا ردَ والرادَ علينا الرادَ على الله وهو على حدَ الشرك بالله عز وجل ويستفاد من هذا الحديث ان علماء الامامية رضوان الله عليهم في هذه الاعصار منصوبون للقضاء من الامام عليه السلام عموماً ولا يجوز لاحد ردَ حكمهم ومن ردَ حكمهم عليهم كان على حدّ الشرك بالله ولا يبعد ان يقال يجب على العلماء والمجتهدين في مثل هذه الاعصار اذا تمكنوا من القضاء ان يتصدوا له وان يظهروا علومهم فإنَ بدع القضاة قد ظهرت وقال صلى الله عليه وآله اذا ظهرت البدع فليظهر العالم علمه ومن لم يظهره الجمه الله لجاماً من نار.واما قوله في الثالث ان عمر قال لولا علي لهلك عمر قال صاحب الكشاف وهو من علماء الحنفية ان عمر قال هذه الكلمة في سبعين موضعاً حتى اشتهرت في الامثال ونقلها علماء العربية في بحث لو الشرطية.واما قول عمر بعد رد المرأة عليه كلكم افقه من عمر حتى المخدرات في البيوت فقد نقل علماء الفريقين انه قال بعد هذا ان لي شيطاناً يعتريني فاذا عثرت فقوموني واذا غلطت فسددوني ولا تدعوا النساء تردَ عليَ كلامي وقد صدق في هذا القول ونقل ايضاً مثله عن ابي بكر وهو صادق ايضاً.واما قول علي عليه السلام لو كسرت لي الوسادة ثم جلست عليها الحديث معناه اني لو تمكنت من الحكومة بين الناس من غير منازع وهذا يدل على انه عليه السلام لم يكن متمكناً في وقت خلافته من اقامة الاحكام على وجهها لما تقدمه المتخلفون في البدع فصار لا يقدر ان يغير ما فعلوه فمنه عزل شريح عن القضا اراده عليه السلام فلم يتمكن منه لانه كان منصوباً من قبل المتقدمين ومنه صلوة الضحى فلقد ارسل ابنه الحسن عليه السلام ان ينادي في مساجد الكوفة ان لا تصلي فضج الناس ضجة واحدة وقالوا واعمراه امرنا بالصلوة وانت تنهانا عنها أرأيت الذي ينهى عبداً اذا صلَى ومنه رد الفدك والعوالي الى اولاد فاطمة فانه كان مظنة الفتنة والفساد بتغليط من تقدمه وقد روى الصدوق طاب ثراه في كتاب العلل عللاً أخرى منها ما رواه مسنداً الى ابي بصير عن ابي عبد الله عليه السلام قال قلت له لِمَ لمْ يأخذ امير المؤمنين عليه السلام فدكاً لَمّا ولَى الناس ولأية علة تركها فقال لأن الظالم والمظلوم قد كانا قدما على الله عز وجل واثاب الله المظلوم وعاقب الظالم فكره ان

يسترجع شيئاً قد عاقب الله عليه غاصبه واثاب عليه المغصوبة وذكر ايضاً جواباً آخر رواه باسناده الى ابراهيم الكرخي قال سألت ابا عبد الله عليه السلام فقلت لأي علة ترك امير المؤمنين عليه السلام فدكاً لما ولى الناس فقال للاقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله لما فتح مكة وقد باع عقيل بن ابي طالب داره فقيل له يا رسول الله الا ترجع الى دارك فقال صلى الله عليه وآله وهل ترك لنا عقيل داراً ونحن اهل بيت لا نسترجع شيئاً شيئاً يؤخذ منّا ظلماً فلذلك لم يسترجع فدكا لما ولى وذكر ايضاً جواباً ثالثاً باسناده الى علي بن فضال عن ابي الحسن عليه السلام قال سألته عن امير المؤمنين عليه السلام لِمَ لَمْ يسترجع فدكاً لما ولى الناس فقال لانّا اهل بيت لا يأخذ لنا حقوقنا ممن ظلمنا الا هو يعني الله ونحن اولياء المؤمنين انما نحكم لهم ونأهذ حقوقهم ممن ظلمهم ولا نأخذ لانفسنا وهذا احد اسباب غضب فاطمة عليها السلام على ابي بكر وعمر روى اصحابنا ان رجلا من اولاد البرامكة عرض لعلي بن موسى الرضا عليه السلام بخراسان ولزم لجام دابته وقال ما تقول في ابي بكر وعمر فقال له سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فألح السائل عليه في كشف الجواب فقال عليه السلام كانت لنا ام صالحة ماتت وهي عليهما ساخطة ولم يأتنا بعد موتها خبر انها رضيت عنهما وذكر ابو هلال العسكري ان اول من رد فدكاً على ورثة فاطمة عليها السلام عمر بن عبد العزيز وكان معاوية أقطعها لمروان بن الحكم وعثمان بن عفان ويزيد بن معاوية وجعلها بينهم اثلاثاً ثم قبضت من ورثة فاطمة عليها السلام فردها السفاح ثم قبضت منهم فردها عليهم المأمون وقبضت منهم بعد المأمون فردها عليهم الواثق ثم قبضت فردها عليهم المنتصر ثم قبضت فردها عليهم المعتمد ثم قبضت فردها عليهم المعتضد ثم قبضت فردها عليهم الراضي واما حدودها فقال موسى بن جعفر عليهما السلام ان حدها الاول عريش مصر والحد الثاني دومة الجندل والحد الثالث تيما والحد الرابع جبل احل من المدينة.واما قوله ومنها علم التفسير الى اخره فقد تحقق في الاخبار من العامة والخاصة ان قوله تعالى ﴿ وكل شيء احصيناه في امام مبين ﴾ المراد به علي بن ابي طالب عليه السلام وهو الذي فسّر الباء من بسم الله الرحمن الرحيم لابن عباس فقل يابن عباس لو طال الليل لطلناه وفي الروايات الخاصة عنه عليه السلام انه قال علم ما كان وما يكون كله في القرآن وعلم القرآن كله في سورة الفاتحة وعلم الفاتحة كله في البسملة منها وعلم البسملة كله في بائها وانا النقطة تحت الباء وهذا الحديث من مشكلات الاخبار واكثر الاشكالات انما هو في قوله وانا النقطة تحت الباء ويحتمل ان يكون معناه أنّى أبين علوم القرآن وأوضح مجملاتها كما ان نقطة الباء توضحه وتميز عما يشاركه في الصورة كالتاء المثناة والثاء المثلثة ويحتمل معان كثيرة لا يخفى بعضها على اولي الالباب والحاصل ان العلوم كلها تنتهي اليه ولم يؤخذ علم الا منه والعلماء كلهم تلاميذه اما المعتزلة فلأن كبيرهم واصل بن عطا تلميذ ابي هاشم بن عبد الله بن محمد بن الحنفية وابو هاشم تلميذ ابيه وابو تلميذ علي عليه السلام واما الاشعرية فانهم ينتهون الى ابي الحسن الاشعري وهو

تلميذ واصل بن عطا وكل فقيه في الاسلام فإليه يعزي اما مالك فأخذ الفقه عن ربيعة الراي وهو أخذه عن عكرمة وهو عن عبد الله بن عباس وهو عن علي عليه السلام واما ابو حنيفة فعن الصادق عليه السلام واما الشافعي فهو تلميذ مالك واما الحنبلي فهو تلميذ الشافعي.واما قوله منها علم النحو وهو الذي علمه الدؤلي قال ابو القاسم الزجاج في اماليه حدثنا ابو جعفر محمد بن رستم الطبري قال حدثنا ابو حاتم السجستاني قال حدثنا يعقوب بن اسحاق الحضرمي قال حدثنا سعيد بن مسلم الباهلي قال حدثنا ابي عن جدي عن ابي الاسود الدؤلي قال دخلت على علي بن أبي طالب عليه السلام فرأيته مطرقاً مفكراً فقلت فيم تفكر يا أمير المؤمنين قال أني سمعت ببلدكم هذا لحنا فأردت ان اصنع كتاباً في اصول العربية فقلت ان فعلت هذا احييتنا وبقيت لنا هذه اللغة ثم أتيته بعد ثلاث فألقى اليَ صحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم الكلام كله اسم وفعل وحرف فالاسم ما أنبأ عن المسمى والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى والحرف ما أنبأ عن معنى ليس بأسم ولا فعل ثم قال لي تتبعه وزد ما وقع لك واعلم يا ابا الاسود ان الاشياء ثلاثة ظاهر ومضمر وشيئ ليس بظاهر ولا مضمر وانما تتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بظاهر ولا مضمر قال ابو الاسود فجمعت منه اشياء وعرضتها عليه فكان من ذلك حروف النصب فذكرت فيها إنَ وأنَ وليت ولعل وكأنَ ولم أذكر لكن فقال لي لم تركتها فقلت لم احسبها فيها فقال بل هي منها فزدها فيها انتهى. وذكر ابن الاثير في المثل السائر في ابتداء وضع النحو ان ابنة لابي الاسود الدؤلي قالت له يوماً يا أبت ما أشد الحر فضمت الدال وكسرت الراء، فظنها ابوها مستفهمة فقال شهر آب فقالت يا أبت إنما أخبرتك ولم أسئلك فأتى ابو الاسود الى امير المؤمنين عليه السلام وقال له يا امير المؤمنين ذهبت لغة العرب واخبره بخبر بنته فقال صلوات الله عليه، هلّم صحيفة ثم املى عليه اصول النحو وهذه الكلمات هي اصل علوم العربية وقد بسطت الكلام في هذ المقام في كتبنا النحوية.قوله ومها علم تصفية الباطن اراد به علم رياضة النفس الذي تدعيه الصوفية وتسميه العلم الحقيقي وكان عليه السلام يقول انه ما عرض لي امران الا اخترت اشقهما على بدني ولعلك تقول ان هذا مناف لقول الباقر عليه السلام فيما رواه الشيخ (ره) في كتاب الاستبصار في باب من احرم قبل الميقات لا يعرض لي بابان كلاهما حلال الا ان أخذت باليسير وذلك لان الله يسير يحب اليسير ويعطي على اليسير ما لا يعطي على العنف ووجه التوفيق اما يأن نقول كل امام مكلف بتكاليف خاصة به فلعل هذا من ذاك واما بأن نقول ان الباقر عليه السلام كان بادنا، وقد كان بدانته تمنعه عن ارتكاب التكاليف الشاقة كما روى عنه عليه السلام انه كان يصلي بعض النوافل جالساً وكان يعتذر بكثرة اللحم والبدانة.واما قوله منها العفة والزهد فحاله فيه مشهور وهو على الالسن مذكور في الكتب مسكور روى العامة والخاصة انه دخل ضرار بن ضمرة الليثي على معاوية فقال له صف علياً فقال أو لا تعفيني من ذلك فقال لا أعفيك فقال كان

والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلاً ويحكم عدلاً يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يتوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل ووحشته كان والله غريز العبرة طويل الفكرة يقلّب كفه ويخاطب نفسه ويناجي ربه يعجبه من اللباس ما خشن ومن الطعام ما جشب كان والله فينا كأحدنا يدنينا اذا اتيناه وحيجيبنا اذا سئلناه وكنا مع دنوه منا وقربنا منه لا نكلمه لهيبته لا نرفع اعيننا اليه لعظمته فان تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم يعظم اهل الدين ويحب المساكين لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله واشهد بالله لقد رأيته ف بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه وهو قائم في محرابه قابض على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين فكأني الان أسمعه وهو يقول يا دنيا يا دنيا أبي تعرضت أم أليّ تشوقت هيهات هيهات غريَ غيري لا حاجة لي فيك قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيك فعمرك قصير وخطرك يسير واملك حقير آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق وعظم الموقف فوكفت دموع معوية على لحيته فنشفها بكمه واختنق القوم بالبكاء ثم قال كان والله ابو الحسن ذكللك فكيف كان حبك اياه قال كحب ام موسى لموسى واعتذر الى الله من التقصير، فقال كيف صبرك عنه يا ضرار قال صبر من ذبح واحدها على صدرها فهي لا ترقى عبرتها ولا تسكن حرارتها.ثم قل وخرج وهو باك فقال معوية اما لو انكم فقدتموني لما كان فيكم من يثني عليَ مثل هذا الثناء فقال له بعض من كان حاضراً الصاحب على قدر صاحبه، وروى عن سويد بن غفلة قال دخلت على امير المؤمنين عليه السلام بعد ما بويع بالخلافة وهو جالس على حصير صغير ليس في البيت غيره فقلت يا أمير المؤمنين بيدك بيت المال ولست أرى في بيتك شيئاً مما يحتاج اليه البيت فقال عليه السلام يا ابن غفلة ان البيت لا يتأثث في دار النقلة ولنا دار أمن قد نقلنا اليخا خير متاعنا وانا عن قليل صائرون، وكان عليه السلام اذا اراد ان يكتسى دخل السوق فشيتري الثوبين فيخير قنبر اجودهما، ويلبس الاخر ثم يأتي النجار فيمدله احدحى كميه ويقول له خذ بقدومك ويقول هذه تخرج في مصلحة أخرى ويبقى الكم الاخرى بحالها ويقول هذه نأخذ فيها من السوق للحسن والحسين.وروى عن الاسود وعلقمة، قال دخلنا على علي عليه السلام وبين يديه طبق من خوص عليه قرص أو قرصان من شعير، وان اسطار النخالة ليبين في الخبز، وهو يكسره على ركبتيه ويأكل بملح جريش فقلنا لجارية له اسمها فضة الا نخلت هذا الدقيق لامير المؤمنين عليه السلام فقالت أيأكل هو المهنى ويكون الوزر في عنقي فتبسم وقال انا امرتها ان لا تنخله قلنا ولم يا أمير المؤمنين قال ذلك اجدر ان تذل النفس ويقتدى في المؤمن فالحق باصحابي.واما سلمان وابو ذر فحالهما فيه مشهور، روى الشيخ الورام طاب ثراه ان سلمان الفارسي لما مرض مرضه الذي مات أتاه سعد يعوده فقال كيف انت يا عبد الله فبكى فقال ما يبكيك فقال والله ما أبكي حرضاً على الدنيا ولا حباً لها ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله عهد الينا عهداً

فقال ليكن بلاغ احدكم من الدنيا كزاد راكب فأخشى ان تكون قد جاوزنا مره وهذه الاساور حولي وليس حوله الا مطهرة فيها ماء واجانة وجفنة ودخل رجل على سلمان الفارسي رضي الله عنه فلم يجد في بيته الا سيفاً ومصحفاً فقال ما في بيتك الا ما أرى قال ان امامنا عقبة كؤداً وانا قدمنا متاعنا الى المنزل اولاً فاولا وقال وقع الحريق فأخذ سلمان سيفه ومصحفه وقال هكذا ينجو المخفون.وفي عيون الاخبار باسناده الى الصادق عليه السلام قال دعى سلمان ابا ذر رحمة الله عليهما الى منزله فقدَم اليه رغيفين فأخذ أبو ذر رضي الله عنه الرغيفين فقبلهما فقال سلمان رضي الله عنه يا ابا ذر لأي شيء تقلّب هذين الرغيفين قال خفت الا يكونا ناضجين فغضب سلمان من ذلك غضباً شديداً ثمَ قال ما اجرأك حيث يقلب الرغيفين فوالله لقد عمل في هذا الخبز الماء الذي تحت العرش وعملت فيه الملائكة حتى القوه الى الريح وعملت فيه الريح وحتى القته الى السحاب وعمل فيه السحاب حتى امطره الى الارض وعمل فيه الرعد والملائكة حتى وضعوه وعملت فيه الارض والخشب والحديد والبهائم والنار والحطب والملح وما لا احصيه اكثر فكيف لك ان تقوم بهذا الشكر فقال ابو ذر الى الله اتوب واستغفر الله مما أحدثت واليك اعتذر مما كرهت قال ودعا سلمان ابا ذر رحمة الله عليهما ذات يوم الى ضيافته فقدم اليه جرابه كسرة يابسة وبلَها من ركوته فقال ابو ذر ما أطيب هذا الخبر لو كان معه ملح فقام سلمان وخرج فرهن ركوته وحمل اليه فجعل ابو ذر يأكل من ذلك الخبز ويذَر عليه من ذلك الملح ويقول الحمد لله الذي رزقنا هذه القناعة فقال سلمان لو كانت قناعة لم تكن ركوتي مرهونة.وروى انه لما بعث الى المدائن ركب حماره وحده فأتصل بالمداين خبر قدومه فاستقبله اصناف الناس على طبقاتهم فلما رأوه قالوا ايها الشيخ اين خلفت قال ومن اميركم قالوا الامير سلمان الفارسي (ره) صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لا اعرف الامير وانا سلمان ولست بأمير فترجلوا له وقادوا اليه المراكب والجنائب فقال ان حماري هذا خير لي وارفق فلما دخل البلد ارادوا ان ينزلوه دار الامارة قال كيف انزل دار الامارة ولست بأمير فنزل على حانوت في السوق فقال ادعوا لي صاحب الحانوت فاستاجر منه وجلس هناك يقضي بين الناس وكان معه وطاء يجلس عليه ومطهرة يتطهر بها للصلوة وعكّازة يعتمد عليها في المشي فاتفق ان سيلاً وقع في البلد وارتفع صياح الناس بالويل والعويل يقولون وا اهلاه ووالداه وامالاه فقام سلمان ووضع وطائه في عاتقه واخذ مطهرته وعكازته بيده وارتفع على الصعيد وقال هكذا ينجو المخففون يوم القيامة.واما قوله لضربة علي خير من عبادة الثقلين الى يوم القيامة فهو مما استفاض نقله بل كان متواتراً وقد اعترض بعضهم بأنه كيف جاز ان يكون ضربة واحدة خيراً من عبادة الجن والانس الى يوم القيامة واجاب عنه العامة والخاصة اما الخاصة فقالوا ان ضربة ابن عبد ودَ انما قصد بها وجه الله سبحانه ولم يقصد اظهار الشجاعة المتعارفة بين

الشجعان مع ان قتل مثله مما تفخر به اكابر العرب لانه كان يعدَ بألف رجل فاخلاص نيته عليه السلام في قتل مثل هذا اوجب له الفضل على عبادة الثقلين ويؤيده انه عليه السلام لما صرعه وركب على صدره ضجَ المسلمون وقالوا يا رسول الله قل لعلي يجعل على ازهاق روحه فقال دعوه هو اعلم بما يصنع منكم ولما قمع رأسه واتى به الى النبي صلى الله عليه وآله فقال ما بالك يا علي توقفت في قطع رأسه فقال يا رسول الله أنني لما صرعته شتمني فغضبت عليه وخفت ان اقتله لاجل شتمه اياي فتوقفت حتى سكن غضبي فقتلته لاجل وجه الله سبحانه.واما الوجه الذي ذكره جمهور المخالفين فهو ان الاسلام ذلك الوقت كان منحصراً في المدينة المشرفة فلو غلب ابن ودّ على الاسلام ذلك ليوم لانهدم اساس الايمان فضربة علي عليه السلام هي التي بسببها بقي الاسلام فهي اصل في وجوده وعبادة الثقلين فرع عليها والاصل اشرف من فرعه وهذا المعنى لطيف جداً ويؤيده قوله صلى الله عليه وآله حين برز علي عليه السلام برز الاسلام كله الى الكفر كله.وفي هذا المقام روى قيس بن هلال ان ابن ود نادى عمر بأسمه يا عمر فحاد عنه ولاذ بأصحابه حتى تبسم رسول الله صلى الله عليه وآله مما داخله من الرعب ولقد قال لاصحابه الاربعة اصحاب الكتاب الذين تعاهدوا عليه الرأي أرى والله ان ندفع محمداً برمته ونسلم قال امير المؤمنين عليه السلام انهم قالوا هذا القول حين جاء العدوَ من فوقنا ومن تحت ارجلنا كما قال الله تعالى ﴿وزلزلوا زلزالاً شديداً ويظنون بالله الظنونا واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا ﴾ فقال صاحبه لا ولكن نتخذ صنماً عظيماً نعبده لانا لا نأمن ان يظفر ابن ابي كبشة فيكون هلاكنا ولكن يكون ذخراً فان ظفرت قريش اظهرنا عبادة هذا الصنم واعلمناهم اننا لم نفارق ديننا وان رجعت دولة ابن ابي كبشة كنا مقيمين على عبادة الصنم سراً فأخبر بها جبرئيل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله فخبرني بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله بعد قتل عمر بن عبد ودَ فدعاهما فقال كم صنم عبدتما في الجاهلية فقالا يا محمد لا تعيرنا بما في الجاهلية فقال كم صنماً تعبدان اليوم فقالا والذي بعثك بالحق نبياً ما نعبد الا الله منذ اظهرنا لك من دينك ما اظهرنا فقال يا علي خذ هذا السيف ثم انطلق الى موضع كذا وكذا فاستخرج الصنم الذي يعبدانه فأت به فان حال بينك وبينه أحد فاضرب عنقه فانكبا على رسول الله صلى الله عليه وآله يقبلانه ثم قالا استرنا يسترك الله فقلت انا ضامن لهما من الله ورسوله ان لا يعبدا الا الله ولا يشركا به شيئاً فعاهدا رسول الله صلى الله عليه وآله على ذلك وانطلقت حتى استخرجت الصنم من موضعه ثم انصرفت الى رسول الله صلى الله عليه وآله فوالله لقد تبين ذلك في وجوههما.

وقد ابدى ابن ابي الحديد عذرهما حيث قال:

عذرتكما إن الحمام لمبغض وان بقاء النفس للنفس محبوب

دعا قصب العلياء يملكها امرء بغير افاعيل الدنائة مغصوب

ولا تعجب من هذا الحديث فأنه قد روي في الاخبار الخاصة ان ابا بكر كان يصلي خلف رسول الله ﷺ والصنم معلق في عنقه، وسجوده له.ويوضح هذا المعنى ما ذكره البلاذري وهو من الجمهور في تأريخه قال لما قتل الحسين بن علي عليه السلام كتب عبد الله بن عمر الى يزيد بن معاوية، اما بعد فقد عظمت الرزية وجلّت المصيبة، وحدث في الاسلام حدث عظيم ولا يوم كيوم الحسين فكتب اليه يزيد لعنه الله يا احمق إنا جئنا الى بيوت منجدة وفرش ممهدة ووسائد منضدة فقاتلنا عنها فان يكن الحق لنا فعن حقنا وان يكن لغيرنا فابوك اول من سنّ هذا وابتزه واستأثر بالحق على اهله فبعث الى عبد الله بن عمر عهداً كتبه ابوه الى معاوية هذا عهد من عمر بن الخطاب الى معاوية بن ابي سفيان:اعلم يا معاوية ان محمداً قد جاء بالافك والسحر ومنعنا من اللات والعزّى وحوّل وجوهنا الى الكعبة التي يزعم انها القبلة الاسلامية، فكان هذا من غاية غلّوه وعلّوه ومهارته في السحر الذي بهر به على موسى وعيسى وكافة بني اسرائيل، ونحن على الذي كنا قبل ذلك وما تركنا اللات والعزّى والهبل، ولما توفي محمد تواطينا مع اربعين رجلاً من اهل نحلتنا وشهدنا انه قال الائمة من قريش، وعزلنا علياً عن الخلافة التي فوضها اليه وجعلها مخصوصة له ثم كتفناه واخرجناه من بيته وجئنا به الى ابي بكر وامرنا الناس ببيعته، وكنا نظاهر بسنة محمد لئلا يهرب الناس عنا ولكنّا في باطن الامر على الذي كنّا قبل ذلك انتقمنا من اولاده وذراريه على حسب طاقتنا وقدرتنا، واما انت يا معاوية فأوصيك الا تسمح فيها واقتل من اولاده واحفاده ما تصل اليه يدك وقدرتك، ولو لم تقدر على استيصال طائفته خوفاً منم تنَفر الناس وتباعدهم عنك وخروجهم عليك فكن في باطن الامر على دفعهم وازالتهم عن مقامهم وانحطاط من مراتبهم، ولا تخرج محبة اللات والعزى من قلبك، فانها طريقنا وطريق آبائنا وانا على اثارهم مقتدون.فان قلت فاذا كان حالهما هذا من حب الاصنام وعبادتهما فما سبب مبادرتهما الى الاسلام في اوائله والنبي ﷺ بمكة زادها الله شرفاً وتعظيماً، قلت هذه شبهة قديمة فتحتاج الى جواب من المعصوم عليه السلام وقد روى صاحب كتاب الاحتجاج عن سعد بن عبد الله القمس الاشعري حديثاً طويلاً قال فيه اني بليت بأشد النواصب منازعة فقال لي يوماً معاشر الروافض تقولون ان الاول والثاني كانا منافقين وتستدلون على ذلك بليلة العقبة اخبرني عن اسلامهما كان عن طوع ورغبة او كان عن اكراه واجبار فاحترزت عن جواب ذلك وقلت مع نفسي ان كنت اجبته بأنه كان عن طوع فيقول لا يكون على هذا الوجه ايمانهما عن تفاق، وان قلت كان عن اكراه واجبار لم يكن في ذلك الوقت للاسلام قوة حتى يكون اسلامهما باكراه وقهر، فرجعت عن هذا الخصم على حال ينقطع كبدي، فكتبت مسائل كثيرة وقصدت مولاي الحسن العسكري عليه السلام فدخلت عليه وصاحب الزمان

عليه السلام جالس معه وهو غلام، فاجابني مولانا صاحب الزمان عليه السلام عن المسائل كلها ثم قال:واما ما قال لك الخصم بأنهم اسلما طوعاً أو كرهاً لِمَ لم تقل بل انهما اسلما طمعاً وذلك انهما كانا يخالطان اليهود ويخبرون بخروج محمد صلى الله عليه وآله واستيلائه على العرب من التورية والكتب المتقدمة، وملاحم قصة محمد صلى الله عليه وآله ويقولون لهما يكون استيلاؤه على العرب كاستيلاء بخت نصر على بني اسرائيل الا انه يدَعي النبوة ولا يكون من النبوة في شيء فلما ظهر امر رسول الله صلى الله عليه وآله تساعدا معه على شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله طمعاً ان يجدا من جهة رسول الله صلى الله عليه وآله ولاية بلد اذا انتظم امره وحسن حاله واستقامت ولايته فلما ايسا من ذلك فتوافقا مع امثالهما ليلة العقبة، وكان حالهما كحال طلحة والزبير اذ جاءا علياً عليه السلام وبايعاه طمعاً ان يكون لكل واحد منهما ولاية، فلما لم يكن ذلك وأيسا من الولاية نكثا بيعته وخرجا عليه حتى آلَ امر كل واحد منهما الى ما يؤل اليه امر من ينكث العهود والمواثيق.وبالجملة فشجاعة علي عليه السلام مما لا يحتاج بيانها الى الاستدلال روى البرسي في كتابه لما وصف وقعة خيبر، وان الفتح فيها كان على يد علي عليه السلام ان جبرئيل عليه السلام جاء الى رسول الله صلى الله عليه وآله مستبشراً بعد قتل مرحب فسئله النبي صلى الله عليه وآله عن استبشاره فقال يا رسول الله ان علياً لما رفع السيف ليضرب به مرحباً امر الله سبحانه اسرافيل وميكائيل ان يقبضا عضده في الهوى حتى لا يضربه بكل قوته، ومع هذا قسمه نصفين وكذا ما عليه من الحديد وكذا فرسه ووصل السيف الى طبقات الارض فقال لي الله سبحانه يا جبرئيل بادر الى تحت الارض وامنع سيف علي عن الوصول الى ثور الارض حتى لا تنقلب الارض فمضيت فامسكته فكان على جناحي اثقل من مدائن قوم لوط وهي سبع مدائن قلعتها من الارض السابعة، ورفعتها فوق ريشة واحدة من جناحي الى قرب السماء، وبقيت منتظراً الامر الى وقت السحر حتى امرني الله بقلبها فما وجدت لها ثقلاً كثقل سيف علي فسأله النبي صلى الله عليه وآله لم لا قلَبتها من ساعة رفعها فقال يا رسول الله انه قد كان فيهم شيخ كافر نائم على قفاه وشيبته الى السماء فاستحى الله سبحانه ان يعذبهم فلما كان وقت السحر انقلب ذلك الشائب على قفاه فأمرني بعذابها وفي ذلك اليوم لما فتح الحصن واسروا نسائهم فكان فيهن صفية بنت ملك الحصن فأتت النبي صلى الله عليه وآله وفي وجهها اثر شجَة فسئلها النبي صلى الله عليه وآله عنها فقالت ان علياً عليه السلام لما اتى الحين وتعسر عليه اخذه اتى الى برج من بروجه فهزَه فاهتز الحصن كله وكل من كان فوق مرتفع سقط عنه وانا كنت جالسة فوق سريري فهويت من عليه فاصابني السرير فقال النبي صلى الله عليه وآله يا صفية ان علياً لما غضب وهزَ الحصن غضب الله لغضب علي فزلزل السموات كلها حتى خافت الملائكة ووقعوا على وجوههم، وكفى بها شجاعة ربانية.واما باب خيبر فقد كان اربعون رجلاً يتعاونون على سدَه وقت الليل ولما دخل الحصن طار ترسه ممن يده من كثرة الضرب فقلع الباب وكان في يده

بمنزلة الترس، يقاتل وهو في يده حتى فتح الله عليه، وروى ان بعضهم دخل عليه ذات يوم وبين يديه خبز يابس وهو يريد كسره فيعجز عنه فيضعه على ركبته حتى يقدر عليه، فقال له ذلك الرجل يا علي اين تلك القوة التي قلعت بها باب خيبر، فقال تلك قوة الله تعالى وهذا قوتي، والنقل من هذه وامثاله يفضي الى فناء الاوراق وكسر الاقلام وجفاف المداد، وفي شعره عليه السلام

وإذا ركبت فصيدي الابطال   صيد الملوك أرانب وثعالب

واما قوله ومنها السخاوة، فقد عجزت اصحاب النبي صلى الله عليه وآله مع كثرة اموالهم عن الوصول الى ادنى درجة من سخائه روى الصدوق طاب ثراه بإسناده الى خالد بن ربعي قال ان امير المؤمنين عليه السلام دخل مكة في بعض حوائجه، فوجد اعرابياً متعلقاً بأستار الكعبة، وهو يقول يا صاحب البيت البيت بيتك والضيف ضيفك ولكل ضيف من مضيفه ضيفة قراي فاجعل قراي منك الليلة المغفرة، فقال امير المؤمنين عليه السلام لاصحابه اما تسمعون كلام الاعرابي قالوا نعم قال الله اكرم من ان يرد ضيفه قال فلما كان من الليلة الثانية وجده متعلقاً بذلك الركن وهو يقول يا عزيزاً في عزك فلا اعز منك في عزك اعزني بعز عزك في عزّ لا يعلم احد كيف هو أتوجه اليك واتوسل اليك بحق محمد وآل محمد عليك اعطني ما لا يعطيني احد غيرك وأصرف عني ما لا يصرفه احد غيرك، فقال قال امير المؤمنين عليه السلام لاصحابه هذا والله الاسم الاعظم بالسريانية اخبرني به حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله سأله الجنة فأعطاه وسأله صرف النار فصرفها عنه.قال فلما كان ليلة الثالثة وجده وهو متعلق بذلك الركن، وهو يقول يا من لا يحويه مكان ولا يخلو منه مكان بلا كيفية كان ارزق الاعرابي أربعة آلاف درهم قال فتقدم امير المؤمنين عليه السلام وقال يا اعرابي سئلت ربك فاقراك وسئلته الجنة فاعطاك وسألته ان يصرف عنك النار وقد صرفها عنك وفي هذه الليلة تسئله اربعة آلاف درهم قال الاعرابي من انت قال انا علي بن ابي طالب قال الاعرابي انت والله بغيتي وبك انزلت حاجتي.قال سل يا اعرابي فقال اريد الف درهم للصداق، والف درهم اقضي به ديني، وألف درهمك اشتري به داراً، وألف درهم أتعيش به، قال انصفت يا اعرابي، فاذا خرجت من مكة فسل عن داري بمدينة رسول الله صلى الله عليه وآله فأقام الاعرابي بمكة اسبوعاً وخرج في طلب امير المؤمنين عليه السلام الى المدينة، ونادى من يدلّني على دار امير المؤمنين عليه السلام فقال الحسين بن علي من بين الصبيان انا أدلك على دار امير المؤمنين، وانا ابنه الحسين بن علي، فقال الاعرابي من ابوك قال امير المؤمنين علي بن ابي طالب قال من أمك قال فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين.

قال من جدك قال محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قال من جدتك قال خديجة بنت خويلد قال من اخوك قال ابو محمد الحسن بن علي قال قد اخذت الدنيا بطرفيها إمش الى امير المؤمنين وقل له ان الاعرابي صاحب الضمان بمكة على الباب قال فدخل الحسين بن علي عليهما السلام

فقال يا أبة اعرابي بالباب يزعم انه صاحب الضمان بمكة قال فقا يا فاطمة عندك شيء يأكله الاعرابي، قالت اللهم لا فتلبّس امير المؤمنين عليه السلام وخرج، وقال ادعوا لي ابا عبد الله سلمان الفارسي.قال فدخل سلمان الفارسي رضي الله عنه فقال يا ابا عبد الله اعرض الحديقة التي غرسها رسول الله صلى الله عليه وآله على التجار، قال فدخل سلمان الى السوق وعرض الحديقة فباعها بأثني عشر ألف درهم واحضر المال واحضروا الاعرابي فاعطاه اربعة الاف درهم واربعين درهما نفقة، ووقع الخبر الى سؤّال المدينة فأجتمعوا، ومضى رجل من الانصار الى فاطمة عليها السلام فأخبرها بذلك، فقالت آجرك الله في ممشاك، فجلس علي عليه السلام والدراهم مصبوبة بين يديه، حتى اجتمع اليه اصحابه فقبض قبضة قبضة وجعل رجلاً رجلاً حتى لم يبق معه درهم واحد فلما اتى المنزل قالت فاطمة عليها السلام يا ابن العم بعت الحائط الذي غرسه لك والدي، قال نعم بخير منه عاجلاً وآجلاً، قالت فأين الثمن قال دفعته الى اعين إستحييت ان اذلها بذّل المسألة، اعطيتها قبل ان تسألني.

قالت فاطمة عليها السلام انا جائعة وإبناي جائعان، ولا أشك إلاّ وأنك مثلنا في الجوع لم يكن لنا منه درهم، وأخذت بطرف ثوب علي عليه السلام فقال علي عليه السلام يا فاطمة خلّيني فقالت لا والله أو يحكم بيني وبينك أبي، فهبط جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول إقرء علياً مني السلام وقل لفاطمة ليس لك ان تضربي على يديه ولا تلزمي بثوبه، فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وآله منزل علي عليه السلام وجد فاطمة عليها السلام ملازمة لعلي فقال لها يا بنية ما لك ملازمة لعلي فقالت يا ابه باع الحائط الذي غرسته له باثني عشر الف درهم لم يحبس لنا منه درهماً نشتري به طعاماً، فقال يا بنية ان جبرئيل يقرئني من ربي السلام ويقول إقرأ علياً من ربي السلام، وأمرني ان اقول ليس لك ان تضربي على يديه ولا تلزمي بثوبه، قالت فاطمة استغفر الله ولا اعود ابداً.قالت فاطمة عليها السلام فخرج ابي في ناحية وزوجي في ناحية، فما لبث ان اتى ابي صلى الله عليه وآله ومعه سبعة دراهم سود هجرية، فقال يا فاطمة اين ابن عمي، فقلت له خرج فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله هاك هذه الدراهم، فاذا جاء ابن عمي فقولي له يبتاع لكم بها طعاماً فما لبث الا يسيراً حتى جاء علي عليه السلام، فقال رجع ابن عمي فأني اجد رائحة طيبة قالت نعم وقد دفع اليّ شيئاً تبتاع به طعاماً، فقال علي عليه السلام هاتيه، فدفعت اليه سبعة دراهم سود هجرية، فقال بسم الله والحمد كثيراً طيباً، وهذا من رزق الله ثم قال يا حسن قم معي فأتيا السوق فاذا هما برجل واقف وهو يقول من يقرض العلي الوفي قال بني نعطيه قال أى والله فاعطاه علي عليه السلام الدراهم كلها قال يا أبتاه أعطيته الدراهم كلها قال نعم يا بني إن الذي يعطي القليل قادر أن يعطي الكثير، قال فمضى علي عليه السلام الى باب رجل يستقرض منه شيئاً، فلقيه أعرابي ومعه ناقة، فقال يا علي أشتري مني هذة، قال ليس معي ثمنها

قال فإني أنظرك به الى القبض قال بكم يا أعرابي قال بمائة درهم فقال علي ؑ خذها يا حسن فأخذها فمضى علي ؑ فلقيه أعرابي آخر ألمثال واحد و الثياب مختلفة، فقال يا علي تبيع الناقة، قال علي ؑ وما تصنع بها، قال أغزو بها اول غزوة يغزوها أبن عمك، قال أن قبلتها فهي لك بلا ثمن قال معي ثمنها وبالثمن أشتريها فبكم أشتريتها، قال بمائة درهم قال الأعرابي فلك سبعون ومائة درهم، قال علي ؑ للحسن خذ السبعين والمائة وسلم المائة للأعرابي الذي باعنا الناقة والسبعين لنا نبتاع بها شيئا فأخذ الحسن ؑ الدراهم وسلم الناقة، قال علي ؑ فمضبت أطلب الأعرابي الذي أبتعت منه الناقة لأعطيه ثمنها فرأيت رسول الله ﷺ جالساً في مكان لم أره فيه قبل ذلك اليوم ولابعده على قارعة الطريق فلما نظر النبي ﷺ الي تبسم ضاحكاً حتى بدت نواجده،قال علي ؑ أضحك الله سنك وبشرك بيومك، فقال يا أبا الحسن إنك تطلب الاعرابي الذي باعك الناقة لتوفيه الثمن، فقلت أي والله فداك ابي وامي، فقال يا ابا الحسن الذي باعك الناقة جبرئيل والذي اشتراها منك ميكائيل والناقة والدراهم من عند رب العالمين عز وجل فانفقها في خير ولا تخف إقتاراً.واما قوله النسب العالي فلا نسب أفخر من أخي رسول الله ﷺ وقد روى الخاصة والعامة مسفيضاً عن ابن عباس، قال قال رسول الله ﷺ أتاني جبرئيل ؑ وهو فرح مستبشر فقلت يا حبيبي جبرئيل مع ما أنت فيه من الفرح ما منزلة أخي وابن عمي علي بن ابي طالب عند ربه، فقال جبرئيل يا محمد والذي بعثك بالنبوة واصطفاك بالرسالة ما حبطت في وقتي هذا الا لهذا، يا محمد العلي الاعلى يقرء عليك السلام ويقول محمد نبي ورحمتي وعلي مقيم حجتي لا اعذب من والاه وان عصاني ولا ارحم من عاداه وان اطاعني.وقد استشكل هذا بعض المحققين من المعاصرين وقال انه محمول على المبالغة، والجواب انه لا يحتاج الى الحمل على المبالغة، بل هو محمول على الحقيقة فان فساق الشيعة مما يكره اعمالهم ولكن لانتسابهم الى امير المؤمنين ؑ بالمحبة والولاية رفع الله عنهم الخلود في النار، بل ظاهر بعض الاخبار ان منهم من لا يعذب اصلاً، واما المخالفون فمع ما عليه بعضهم من العبادة والزهادة وسائر انواع البر لا يدخلون الجنة باجماع اصحابنا، وذلك ليس الا بمعاداتهم علياً ؑ وهو ؑ اول هاشمي تولدَ بين هاشميِن، ولا بأس بالتعرض لنسب الخلفاء.

في نسب الخلفاء

اما ابو بكر فلم يتعرض احد لنسبه بسوء لا من العامة ولا من الخاصة، نعم ذكر المنذر بن هشام الكلبي وهو من علمائهم في كتاب المثالب ما هذا لفظه، وممن كان ينادي على طعام بن جذعان بن سفيان بن عبد الاسد المخزومي ابو قحافة، فهل ترى لأبي قحافة مالاً أو ثروة فمن اين انتقل الى ابي بكر حتى صار يغني رسول الله ويطعن بذلك على الله، حيث قال سبحانه ووجدك

عائلاً فأغنى، فكابروا هذا القول وردوا عليه وقالوا بل اغناه ابو بكر بماله واما عدم الطعن عليه بالسوء كما سيأتي في أنساب امثاله فلعله لان الائمة عليهم السلام من نسله، وذلك لان أم فروة هي ام الصادق عليه السلام بنت القاسم بن محمد بن ابي بكر.نعم لما وليّ أبو بكر الخلافة كان ابوه ابو قحافة بالطائف فلما بويع لابي بكر كتب لابيه كتاباً، عنوانه من خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله الى أبيه ابي قحافة أما بعد فإنَ الناس قد تراضوا بي فأني اليوم خليفة الله، فلو قدمت علينا كان أحسن بك فلما قرأ أبو قحافة الكتاب، قال للرسول ما منعكم عن علي قال هو حدث السن وقد أكثر القتل في قريش وغيرها، وأبو بكر أسنَ منه قال ابو قحافة ان كان الامر في ذلك بالسن فأنا أحق من ابو بكر، لقد ظلموا علياً وقد بايع له النبي صلى الله عليه وآله وأمرنا ببيعته، ثم كتب، من ابو قحافة الى ابي بكر اما بعد فقد أتاني كتابك فوجدته كتاب أحمق ينقض بعضه بعضاً، مرة تقول خليفة رسول الله ومرة تقول خليفة الله ومرة تقول تراضوا بي الناس وهو أمر ملتبس فلا تدخلنَ في امر يصعب عليك الخروج منه غداً، وتكون عقباك منه الى الندامة وملامة النفس اللوامة لدى الحساب يوم القيامة، فأن للامور مداخل ومخارج وأنت تعرف من هو أولى منك، فراقب الله كأنك تراه ولا تدعن صاحبها، فانَ تركها اليوم احق عليك واسلم لك.وبقي الكلام في النسب الشريف للخليفة الثاني، فروى ابن عبد ربه في المجلد الثاني من كتاب العقد، قال وخرج عمر بن الخطاب ويده على المعلى بن جارود فليقته امرأة من قريش فقالت يا عمر فوقف لها فقالت كنا نعرفك مرة عميرا ثم صرت من بعد عمير عمر ثم صرت من بعد عمر امير المؤمنين فاتق الله يا ابن الخطاب وانظر في امور الناس، فأنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ومن خالف الموت خشى الفوت، ومن طريف ما بلغوا اليه من القدح في اصل خليفتهم عمر، ان جدته صهاك ولدته من سفاح يعني من زنا ورووا ان ولد الزنا لا ينجب ثم مع هذا ولَواه الخلافة وشهدوا عليه بالزنا فمن رواياتهم في ذلك ما ذكره ابو المنذر هشام بن محمد السائب الكلبي، وهو من رجالهم في كتاب المثالب ما هذا لفظه في عدد جملة من ولدوا من سفاح، هشام عن ابيه قال كانت صهاك امة حبشية لهاشم بن عبد مناف فوقع عليها عبد العزى بن رياح، فجائت بنفيل جد عمر بن الخطاب فهل بلغت الشيعة الى اقبح من هذه الانساب.ومن عجيب ما رووه عن الخطاب والد عمر بن الخطاب انه كان سرَاقاً وقطع في السرقة، ما ذكره ابو عبيد القسم بن سلام في كتاب الشهاب، في تسمية من قطع من قريش في الجاهلية في السرقة ما هذا لفظه، قال والخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عدي بن كعب ابو عمر بن الخطاب قطعت يده في سرقة قدر ومحاه ولاية عمر ورضى الناس عنه قال بعض المسلمين الا تعجب من قوم رووا ان عمر كان ولد زنا، وأنه كان في الجاهلية نخّاس الحمير وأنه كان أبوه سرَاقاً وأنه ما كان يعرف الا بعمير لرذالته ثم مع هذا جعلوه خليفة قائماً مقام نبيهم ونائباً

عن الله في عباده وقدموه على من لا طعن عليه في حسب ولا نسب ولا إرب ولا سبب ويا ليتهم حيث ولواه وفضحوا انفسهم بذلك كانوا قد سكتوا عن نقل هذه الاحاديث التي قد سمت بها الاعداء وجعلوها طريقاً الى جهلهم بمقام الانبياء وخلافة الخلفاء.واما روايات الخاصة في هذا الباب فكثيرة ولنذكر منها حديثاً واحداً وهو ما رواه رئيس المحدثين محمد بن يعقوب (ره) باسناده الى سماعة، قال تعرض رجل من ولد عمر بن الخطاب بجارية رجل عقيلي فقالت له أنَ هذا العمري قد آذاني فقال لها عديه وادخليه الدهليز فادخلته فسدَ عليه فقتله والقاه في الطريق، فاجتمع البكريون والعمريون والعثمانيون، وقالوا ما لصاحبنا كفو لن نقتل به الا جعفر بن محمد عليه السلام وما قتل صاحبنا غيره، وكان ابو عبد الله عليه السلام قد مضى نحو قبا فلقيته بما اجتمع القوم عليه فقال دعهم فلما جاء وثبوا عليه وقالوا ما قتل صاحبنا احد غيرك، ولا نقتل به احداً غيرك فقال ليكلمني منكم جماعة فاعتزل قوم منهم فأخذ بأيديهم وادخلهم المسجد فخرجوا وهم يقولون شيخنا ابو عبد الله جعفر بن محمد صلوات الله عليهما معاذ الله ان يكون مثله يفعل هذا أو يأمر به، فانصرفوا قال فمضيت معه فقلت جعلت فداك ما كان اقرب رضاهم من سخطهم، قال نعم دعوتهم فقلت امسكوا وإلاَ اخرجت الصحيفة فقلت ما هذه الصحيفة جعلني الله فداك، فقال ان ام الخطاب كانت امة للزبير بن عبد المطلب فشطر بها نفيل وهو ابو الخطاب فاحبلها فطلبه الزبير فخرج هارباً الى الطائف فخرج الزبير خلفه فبصرت به ثقيف، فقالوا يا ابا عبد الله ما تعمل هيهنا قال جاريتي شطر بها نفيلكم فهرب الى الشام، وخرج الزبير في تجارة له الى الشام فدخل على ملك الدومة، فقال له يا ابا عبد الله لي اليك حاجة قال وما حاجتك ايها الملك، فقال رجل من اهلك قد اخذت ولده فاحبَ ان ترده عليه فقال ليظهر لي حتى اعرفه فلما ان كان من الغد دخل الى الملك فلما راه الملك ضحك فقال ما يضحكك ايها الملك قال ما اظن هذا الرجل ولدته عربية، لما رآك قد دخلت لم يملك استه ان جعل يضرط فقال يا ايها الملك اذا صرت الى مكة قضيت، فلما قد الزبير تحمل عليه ببطون قريش كلها ان يدفع اليه ابنه فأبى ثم تحمل عليه بعد المطلب فقال ما بيني وبينه عمل، اما علمتم ما فعل في ابني فلان ولكن امضوا انتم اليه فكلموه فقصدوا فقال لهم الزبير ان الشيطان له دولة وان ابن هذا ابن الشيطان ولست آمن أن يترأس علينا، ولكن أدخلوه من باب المسجد علي على أن احمي له حديدة وأخط في وجه خطوطاً، وأكتب عليه وعلى أبنه أن لا يتصدر في مجلس ولا يأتمر على أولادنا ولا يضرب معنا بسهم، قال ففعلوا وخط وجهه بالحديدة وكتب عليه الكتاب، وذلك الكتاب عندنا فقلت لهم أن أمسكتم وألا أخرجت الكتاب ففيه فضيحتكم فأمسكوا، والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة فهذا نسب الخليفة الثاني .وأما أفعاله الجميلة فلقد نقل منها محبوه ومتابعوه مالم ينقله أعداؤه منها مانقله صاحب

كتاب الأستيعاب في الرجال وهو من أفاضلهم، فقال أن عمر لما ضربه أبو لؤلؤة بالسكين في بطنه قال أدعو لي الطبيب فدعى الطبيب، فقال أي الشراب أحب إليك قال النبيذ فسقي نبيذاً فخرج من بعض طعناته فقال الناس هذا دم هذا صديد، قال أسقوني لبناً فخرج من الطعنة فقال له الطبيب لاأرى أن تمسى فما كنت فاعلا فأفعل، وذكر تمام الخبر في الشورى، والنبيذ هو شراب التمر ولقد كان يحب أن يلاقي الله سبحانه وبطنه المزوقة مملیه من الشراب، فأنظروا يا أهل الألباب .ومنها ما قال المحقق جلال الدين السيوطي في حواشي القاموس عند التصحيح لغة الأبنة، وقال هناك وكانت في جماعة في الجاهليه أحدهم سيدنا عمر واقبح منه ما قاله الفاضل أبن الأثير وهما من أجلاء علمائهم قال زعمت الروافض أن سيدنا عمر كان مخنثاً كذبوا، ولكن كان به داء دواؤه ماء الرجال وغير ذلك مما يستقبح من نقله، وقد قصروا في إضاعة مثل هذا السر المكنون المخزون ولم أرى في كتب الرافضة مثل هذا، نعم روى العياشي منهم حديثاً حاصل معناه أن الأسم الذي هو لفظ أمير المؤمنين قد خص الله به علي بن أبي طالب عليه السلام، وبهذا لم تسم الرافضة أئمتهم بهذا الأسم ومن سمى نفسه به غير علي بن أبي طالب فهو مما يؤتى في دبره، وهذا شامل لجميع المتخلفين من الأموية والعباسية وقد نقلت أهل السنة هيهنا عن أمامهم ماهو أقبح من هذا،ولا حول ولا قوة الإبالله العلي العظيم وقد بقي أشياء كثيرة.منها ما ذكر الطبري في تاريخه وهو من علمائهم قال أتى عمر بن الخطاب إلى منزل علي عليه السلام فقال والله لأحرقن عليكم او لتخرجن للبيعة، فخرج عليه الزبير مصلتاً بالسيف فعثر فسقط السيف من يده فوثبوا عليه فأخذوه، قال زيد بن اسلم وهو منهم كنت ممن حمل الحطب مع عمر الى باب فاطمة عليها السلام، حين امتنع علي واصحابه عن البيعة، فقال عمر لفاطمة اخرجي من البيت والا احرقته ومن فيه، قال وفي البيت علي والحسن والحسين عليهم السلام وجماعة من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله فقالت فاطمة عليها السلام تحرق علي وولدي فقال أي والله أو ليخرجنَ وليبايعنَ.اقول وقد اعترف بهذا النقل من متقدميهم جمهور المتأخرين منهم لكن قالوا ان الوالي يفعل ما يقتضيه المصلحة ولا يخفى ما فيه، فأنّ فعله هذا انما كان في زمن خلافة ابي بكر وانتم ما اثبتتم خلافة ابي بكر الا من جهة الاتفاق وحينئذ كان الواجب على عمر ان يصبر حتى يحصل الاتفاق من علي وامثاله، فتثبت خلافة ابي بكر وولايته فاذا ثبتت فعل ما يقتضيه رأيه ولا كان ينبغي لعمر ان يفعل ابتدا الامر ما يبطل دليل خلافة صاحبه، ولكن هذا ليس بأول قارورة كسرت في الاسلام.واما عثمان فقد شهدوا عليه بارتداده عن الايمان، روى السدي وهو من مفسريهم في تفسير قوله تعالى ﴿ ويقولون آمنا بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين ﴾ قال السدي نزلت في عثمان بن عفان قال لما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله بني النضير وقسم اموالهم، فقال لعلي عليه السلام إئت

رسول الله ﷺ فاسئله ارض كذا وكذا، فان اعطاكها فأنا شريكك فيها وآته واسأله انا فان اعطانيها فأنت شريكي فيها فسأله عثمان اولاً فاعطاه اياها، فقال له علي عليه السلام اشركني فأبى عثمان الشركة فقال بيني وبينك رسول الله ﷺ فأبى ان يخاصمه الى النبي ﷺ فقال هو ابن عمه فأخاف ان يقضي له فنزل قوله ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (٤٨) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ فلما بلغ عثمان ما انزل الله فيه اتى النبي ﷺ وأقرّ لعلي عليه السلام بالحق وشركه في الارض.ومن غريب ما شهدوا به على طلحة وعثمان من شكهم في الاسلام وشهادة الله عليهم بالكفر بعد اظهار الايمان ما ذكره السدي ايضاً، في تفسير قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ قال لما اصيب اصحاب النبي ﷺ بأحد قال عثمان لالحقنّ بالشام فأنّ لي به صديقاً من اليهود يقال له دهلك فلاخذنّ منه أماناً فاني اخاف ان يدال[٢٤] علينا اليهود وقال طلحة بن عبد الله لاخرجنّ الى الشام فانّ لي به صديقاً من النصارى فلاخذنّ منه اماناً فاني اخاف ان يدال علينا النصارى.قال السدي فأراد احدهما ان يتهود والاخر ان يتنصر، قال فأقبل طلحة الى النبي ﷺ وعنده علي بن ابي طالب عليه السلام فاستأذنه طلحة في المسير الى الشام، وقال ان لي بها مالاً اخذه ثم انصرف، فقال النبي ﷺ على مثل هذا الحال تخذلنا وتخرج فأكثر على النبي ﷺ من الاستيذان فقال علي عليه السلام يا رسول الله إئذن لابن الحضرمية فكفّ طلحة الاستيذان عند ذلك فأنزل الله عز وجل فيهما ﴿ ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم حبطت اعمالهم ﴾ يقول انه يحلف لكم انه مؤمن معكم فقد حبط عمله بما دخل فيه من امر المسلمين حيث نافق فيه.

ومن غريب ما بلغوا اليه من الطعن في اصل عثمان ونسبه ما رواه علمائهم وذكره ابو المنذر هشام بن السائب الكلبي في كتاب المثالب فقال ما هذا لفظه، وممن كان يلعب به ويتخنث ثم ذكر من كان قال وعفان بن ابي العاص بن امية ممن كان يتخنث ويلعب به واغرب من هذا ما ذكره في ذم اصل طلحة بن عبد الله وطعنهم في نسبه وكونهم جعلوه ولد زنا، وقد ذكره جماعة من الرواة وذكره ايضاً ابو المنذر هشام بن محمد السائب الكلبي في كتاب المثالب، فقال وذكر من جملة البغايا من ذوي الرايات صعبة فقال واما صعبة فهي بنت الحضرمي كانت لها راية بمكة فوقع عليها ابو سفيان، وتزوجها عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم فجائت بطلحة

---

(٢٤) دالت الايام دارت ودال الزمان دولة انقلبت من حال الى حال يقال دالت له الدولة ودالت الايام بكذا ودال الرجل دولا ودألة صارة شهرة.

بن عبيد الله لستة اشهر، فأختصم ابو سفيان وعبيد الله في طلحة فجعلا امرهما الى صعبة فالحقته بعبيد الله، فقيل لها كيف تركت ابا سفيان فقالت يد عبيد الله طلقة ويد ابي سفيان تربة ثم ذكر صاحب كتاب المثالب المشار اليه هجاءاً لبني طلحة بن عبيد الله من جملته:

فاصدقوا يا قومنا انسابكم ثم اقيمونا على الامر الجلي

لعبيد الله انتم معشر ام ابو سفيان ذاك الاموي

وذكر ايضاً في كتاب المذكور ما هذا لفظه قال وممن كان يلعب به ويتخنث عبيد الله ابو طلحة بن عبيد الله.

ومن طريف ما بلغوا اليه من القدح في ولادة معاوية بن ابي سفيان ما رووه في كتبهم ورواه ابو المنذر هشام بن محمد السائب الكلبي في كتاب المثالب فقال كان معاوية لاربعة لعمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي ولمسافر بن عمر ولابي سفيان ولرجل اخر سماه، قال وكانت هند امه من المعتلمات وكان احب الرجال اليها السودان، وكانت اذا ولدت اسود قتلته، وقال في موضع آخر من الكتاب واما حمامة فهي من بعض جدات معاوية كان لها راية بذي المجاز يعني من ذوي الرايات في الزنا، وما احسن قول بعض المسلمين

ان هذا النسب مما يقلقل تقوم تعظيماً له عند ذكره

وقد نقل في كتب كثيرة ان يزيد قد تعشق عمته وكانت بكراً فاستحى ان يظهر لها الحال فاراد ان يمتحنها، فأتى معها الى بستان وجلست في موضع فأمر ان ينزي حصان[٢٥] على فرس وعمته تنظر اليهما، فلما نزى عليها وهي تنظر اليهما اتاها يزيد وامرها بالقيام من مكانها فلما قامت رأى في مكانها إراقة المني فعلم ارادتها لذلك الغرض فاتى اليها، فلما جامعها لم يجدها بكراً فقال لها اين بكارتك فقالت له ان اباك لم يترك بكراً، فظهر ان معاوية قد كان مخالطاً لها وهذا العجب العجيب والامر الغريب.

واما يزيد لعنه الله فحاله اشهر من ان يذكر وسبب ولادته ما قاله بعض مفسريهم ان معاوية لعنه الله كان ذات يوم يبول فلدعته عقرب في ذكره فزوجوه عجوزاً ليجامعها ويشتفي من دوائها، فجامعها مرة وطلقها فوقعت النطفة مختلطة بسم العقرب في رحم العجوز فحصل منها يزيد هذا هو المشهور ولكن رأيت في بعض كتب المسلمين انه كان عند معاوية جارية هندية تخدمه فحبلت منه وجائت بيزيد الكلب النجس، وقال النبي ﷺ اتقوا اليهود والهنود ولو الى سبعين بطناً.

---

(٢٥)الحصان الفرس العتيق وكل ذكر من الخيل.

وروى الكليني انه كان بين الحسين وبين يزيد لعنه الله عداوة اصلية وعداوة فرعية، اما الاصلية فانه ولد لعبد مناف ولدان هاشم وامية ملتزقاً ظهر كل واحد منهما بظهر الاخر ففرق بينهما بالسيف، فلم يرتفع السيف من بينهما وبين اولادهما حتى وقع حرب بن امية وعبد المطلب بن هاشم وبين ابي سفيان بن حرب وبين ابي طالب وبين معاوية بن ابي سفيان لعنهما الله تعالى وعلي بن ابي طالب عليه السلام وبين يزيد بن معاوية لعنه الله والحسين بن علي عليه السلام .

واما العداوة الفرعية فان يزيد قال لابيه يا أبه قد هيأت لي وراثة الملك وما قصرت في حقي غير انه كات لعبد الله بن الزبير امرأة يقال لها فاطمة من اجمل النساء فأريد ان تزوجنيها فدعا معاوية عبد الله بن الزبير وقال اريد ان ارعى قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله وازوجك ابنتي واجعل لك ولاية مصر فانخدع به عبد الله ورضى فبعد يوم دعاه واخبره بانها لا ترضى الا ان يطلق زوجته خوفاً من الغيرة لجمالها فطلقها فبعد يوم دعاه واخبره بانها تأبى وتقول انه لم يف لصاحبة الجمال فكيف يصنع بي اذا زال الملك والمال فاغتم عبد الله فسلاه معاوية وقال لا تغتم فاني سأرسل اليها بنساء يرضينها، فلما انقضت عدّة فاطمة ارسل اليها ابا موسى الاشعري ليخطبها ليزيد فمر ابو موسى بقثم بن العباس فقال قثم اني راغب فيها ايضاً، ثم بالحسين عليه السلام كذلك فلما دخل عليها قال لها ما قالوا وقال اني راغب فيك ايضاً فقالت اما انت فشيخ وانا شابة ولكن اريد منك طلب المصلحة، فقال ان تريدي الولاية والتنعم الدنيوي فيزيد، وان تريدي العلم والجمال وقرابة الرسول صلى الله عليه وآله فقثم، وان تريدي العلم والزهد وبنوة النبي فالحسين وقد رأيت النبي صلى الله عليه وآله يقبله ويقول سيد شباب اهل الجنة، فقالت اخترت الحسين فسمع معاوية وغضب على ابي موسى الاشعري.

فان قلت على ما ذكرت أيجوز اطلاق ولد الزنا على ما ذكرت من هؤلاء الجماعة ام لا يجوز، قلت ان هذا الاطلاق وان لم يصح على اولاد الكفار ونحوهم ممن تميز نكاحهم عن سفاحهم، الا ان هذا الاطلاق على ما ذكرت من الجماعة جائز لانه سفاح في مذهبهم والشارع جوَز عليهم هذا الاطلاق كما جوّزه على من حضر واقعة الطفوف من اهل العراق والشام وغيرهم واما باقي الكفار فلا يجوز روى عمارة بن نعمان الجعفي قال كان لابي عبد الله عليه السلام صديق لا يكاد يفارقه اين ذهب فبينما يمشي معه في الحذّائين ومعه غلام سندي يمشي خلفه اذ التفت الرجل يريد غلامه ثلاث مرات فلم يره، فلما نظر في الرابعة قال يا بن الفاعلة اين كنت قال فرفع ابو عبد الله عليه السلام يده فصكَ بها جبهته، قال سبحان الله تقذف امّة قد كنت أرى ان لك ورعاً فاذا ليس لك ورع، فقالت جعلت فداك انَ امّه سندية مشركة فقال اما علمت ان لكل امّة نكاحاً فتنحَ عني فما رأينته يمشي معه حتى فرّق الموت بينهما ونحوه كثير.

واما قوله ومنها المصاهرة فلا درجة اعلى منها وذلك ان النبي ﷺ كان يتمنى بان يكون له زوجة مثل فاطمة فلم يحصل وكفى به شرفاً ان اكابر العرب خطبتها منه فاعرض عنهم وما زوجها علياً عليه السلام حتى زوجه الله في السماء روى الصدوق(ره) باسناده الى الصادق عليه السلام قال قال علي عليه السلام، لقد هممت بتزويج فاطمة بنت محمد ﷺ حيناً ولم أتجرأ أن أذكر ذلك للنبي ﷺ وأن ذلك أختلج في صدري ليلاً ونهاراً حتى دخلت على رسول الله ﷺ فقال يا علي قلت لبيك يا رسول الله، قال هل لك حاجة في التزويج قلت رسول الله أعلم وظننت أنه يريد أن يزوجني بعض نساء قريش، وأني لخائف على فوت فاطمة فما شعرت بشئي أذ أتاني رسول رسول الله ﷺ فقال لي أجب النبي ﷺ وأسرع فما رأينا رسول الله ﷺ أشد فرحاً منه اليوم، قال فأتيته مسرعاً فأذا هو في حجرة أم سلمة فلما نظر الي تهلل وجهه وتبسم حتى نظرت الى بياض أسنانه، فقال أبشر يا علي فأن الله عز وجل قد كفاني ما كان أهمني من أمر تزويجك فقلت وكيف ذلك يا رسول الله، فقال أتاني جبرئيل ومعه من سنبل الجنة وقرنفلها ولنيهما فأخذتهما فشممتها فقلت ما سبب هذا القرنفل والسنبل،فقال أن الله تبارك وتعالى أمر سكان الجنة من الملائكة ومن فيها أن يزينوا كلها بمغارسها وأشجارها وثمارها وقصورها وأمر ريحها فهبت بانواع العطر والطيب وأمر حور عينها بالقرائة فيها بسورة طه و طواسين وحمعسق ثم نادى مناد من تحت العرش ألا أن اليوم وليمة علي بن أبي طالب ألا أنى أشهدكم إني قد زوجت فاطمة بنت محمد من علي بن أبي طالب رضى منى بعضها لبعض ثم بعث الله سبحانه سحابة بيضاء فمطرت عليهم من لؤلؤها وزبرجدها ويواقيتها، ومالت الملئكة فنثرت من سنبل الجنة وقرنفلها هذا مما نثرت الملئكة .

ثم أمر الله تبارك وتعالى ملكاً من ملوك الجنة يقال له راحيل وليس في الملئكة أبلغ منه فقال أخطب يا راحيل فخطب بخطبة لم يسمع مثلها أهل السماء ولا أهل الأرض ثم نادى منادي ألايا ملائكتي وسكان جنتي باركوا على علي بن أبي طالب حبيب محمد فقد باركت عليهما ؛ألا أني قد زوجت أحب النساء الي من أحب الرجال الي بعد النبيين والمرسلين فقال راحيل الملك وما بركتك فيهما بأكثر مما رأينا لهما في جنانك ودارك، فقال عز وجل يا راحيل من بركتي عليهما أني أجمعهما على محبتي و أجعلهما حجتي على خلقي وعزتي وجلالي لأخلقن منهما خلقاً ولإنشئن منهما ذرية أجعلها خزاني في أرضي ومعادن لعلمي ودعاة الى ديني بهم أحتج على خلقي بعد النبيين والمرسلين فأبشر يا علي فأن الله عز وجل أكرمك كرامة لم يكرم بمثلها أحداً، وقد زوجتك أبنتي فاطمة على ما زوجك الرحمن وقد رضيت لها بما رضى الله لها فدونك اهلك فأنك أحق بها مني، ولقد أخبرني جبرئيل عليه السلام ان الجنة مشتاقة اليكما ولولا أن الله عز وجل قدر أن يخرج منكما ما يتخذه على الخلق حجة لأجاب فيكما الجنة وأهلها، فنعم الأخ أنت ونعم الختن

انت وكفاك برضا الله رضى قال علي عليه السلام يا رسول الله بلغ من قدري حتى ذكرت في الجنة، وزجني الله في ملئكته فقال صلى الله عليه وآله أن الله عز وجل أذا اكرم وليه وأحبه اكرمه بما لا عين رأت ولا أذن سمعت فأختارها الله لك يا علي فقال علي عليه السلام رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي فقال رسول الله صلى الله عليه وآله آمين .

وروى ان شجرة طوبى وهي شجرة في الجنة أصلها في منزل علي أن أبي طالب عليه السلام وفي كل منزل من مناز الشيعة غصن من أغصانها فيه جميع أنواع الثمار أهتزت في ذلك اليوم، وألقت جميع أنواع الحلي الحلل والجواهر والياقوت فالتقطه أهل الجنه لكونه نثار فاطمة، فهم يتهادون به الى يوم القيامة وكان فيما ألقت تلك الشجرة قراطيس كثيرة، وفي كل قرطاسة أسم واحد من الشيعة وأنه معتق من النار لكرامة فاطمة وعلي عليهما السلام، وتلك القراطيس عند أهل الجنة.

وأما مهرها عليها السلام فهو ثمن درع علي عليه السلام وهو خمسمائة درهم قيمة كل درهم أثنا عشر غازياً ونصف غازي بقيمة هذه الأعصار،وقد كان في عصر النبي صلى الله عليه وآله كل مثقال ذهب وهو الأ شرفي الأن قيمته عشر دراهم، لكن في هذة الأوقات أرتفعت قيمة الذهب وأنحطت الفضة فما تعارف في بعض البلاد من ان مهر السنة هو تسعة عشر مثقالاونصف مما لا وجه له، وهذا هو المهر الذي وقع التراضي عليه في الأرض وأما العقد السماوي الذي تقدم ذكره فقد روى في كثير من الاخبار ان الله سبحانه جعل مهر فاطمة عليها السلام جميع الاراضي والمياه ومن هذا قال الصادق عليه السلام ان فاطمة عليها السلام لم تجعل احداً في حل من الارض بالمساكن وغيرها ولا بالانتفاع من الماء الا لشيعتها ومحبيها، وكفانا بهذا مفخراً حين نفخر، وقد وقع التزويج الارضي في اول يوم من ذي الحجة قاله الكفعمي.وقال الشيخ الطوسي قدس الله روحه بأسناده الى أبان قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام يا أبن رسول الله لم سميت الزهراء فقال لأنها تزهر لأمير المؤمنين عليه السلام في النهار ثلاث مرات بالنور، كان يزهر نور وجهها صلاة الغداة والناس في فرشهم فيدخل بياض النور الى حجراتهم بالمدينة فتبيض حيطانهم فيعجبون من ذلك فيأتون النبي صلى الله عليه وآله فيسألون عما رأوا فيرسلهم الى منزل فاطمة عليها السلام فيأتون منزلها فيرونها قاعدة في محرابها تصلي والنور يسطع من وجهها عليها السلام بالصفرة فتدخل الصفرة حجرات الناس فتصفر ثيابهم وألوانهم فيأتون النبي صلى الله عليه وآله فيسألونه عما رأوا فيرسلهم الى منزل فاطمة عليها السلام فيرونها قائمة في محرابها وقد زهر نور وجهها عليها السلام بالصفرة فيعلمون ان الذي رأوه كان من وجههافأذا كان آخر النهار وغربت الشمس إحمر وجه فاطمة عليها السلام وأشرق نور وجهها بالحمرة فرحاً وشكر الله عز وجل فكان يدخل حمرة وجهها حجرات القوم وتحمر حيطانهم فيعجبون من ذلك ويأتون النبي صلى الله عليه وآله ويسألونه عن ذلك فيرسلهم الى منزل فاطمة عليها السلام فيرونها جالسة تسبح الله وتمجدّه ووجهها يزهر بالحمرة فيعلمون ان الذي رأوا كان من نور وجه

فاطمة عليها السلام فلم يزل ذلك النور في وجهها حتى ولد الحسين عليه السلام فهو يتقلب في وجوهنا الى يوم القيامة في الائمة منّا اهل البيت امام بعد امام ولعلّك تطلب وجه اختصاص هذه الانوار بهذه الاوقات.

فنقول يجوز ان يكون وجهه انّ النور الابيض يدخل اليهم وقت الصبح وهم نيام ليكشف عنهم بقية ظلام الليل فيقومون الى الصلوة، وايضاً ينبغي ان يكون مخالفاً لاول نور الشمس عند طلوعها حتى لا يشتبه على الناس احد النورين بالاخر، فأن نور الشمس اصفر في ذلك الوقت واما عند انتصاف النهار فنور الشمس ابيض فيكون نورها عليها السلام اصفر خلافاً له لتلك العلّة، ولأنه نور الخوف لان وقت الزوال تفتح ابواب السماء وتنظر الملائكة الى الارض ونور الخوف اصفر، وأما آخر النهار فهو نور المحبة والشكر على اداء الفرائض كما يظهر من قوله عليه السلام فرحاً وشكراً لله عزَ وجل ونور المحبة احمر كما هو المتعارف.

واعلم ان مخالفينا لما رأوا ان الطعن على الثلاثة قد تكثر من طرقهم وبعد عن ساحة عزَ علي عليه السلام رام بعضهم ان يذكر له طعنا، حتى يشارك فيه فجال في ميدان التفحص فما وجد الا ان علياً عليه السلام اغار فاطمة عليها السلام، بأن اراد ان يتزوج عليها فشكته الى ابيها فقال فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني فلا بأس ان نشير اليه فنقول:

روى الصدوق باسناده الى ابن ابي المقدام وزياد بن عبيد الله، قال أتى رجل ابا عبد الله عليه السلام فقال رحمك الله هل شيّعت الجنازة بنار ومشى معها بمجمرة او قنديل او غير ذلك مما يضائبه، قال فتغير لون ابي عبد الله عليه السلام من ذلك واستوى جالساً ثم قال انه جاء شقيّ من الاشقياء الى فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله فقال لها انا علمت ان علي بن ابي طالب عليه السلام خطب بنت ابي جهل فقالت حقاً ما تقول حقاً ما تقول ثلاث مرات فدخلها من الغيرة ما لا تملك نفسها وذلك ان الله تبارك وتعالى كتب على النساء غيرة وجعل على الرجال جهاداً، وجعل للمحتسبة الصابرة منهنَ من الاجر ما جعل للمرابط المهاجر في سبيل الله فاشتدّ غم فاطمة عليها السلام من ذلك وبقيت متفكرة حتى جاء الليل، فحملت الحسن على عاتقها الايمن والحسين على عاتقها الايسر وأخذت بيد أم كلثوم اليسرى بيدها اليمنى، ثم تحولت الى حجرة ابيها فجاء علي عليه السلام فدخل حجرته فلم يرَ فاطمة عليها السلام، فأشتد بذلك غمه وعظم عليه ولم يعلم القصة ما هي فاستحى ان يدعوها من منزل ابيها، فخرج الى مسجد فصلّى فيه ما شاء الله ثم جمع شيئاً من كثيب المسجد واتكى عليه.

فلما رأى النبي صلى الله عليه وآله ما فاطمة عليها السلام من الحزن افاض عليه من الماء ولبس ثوبه ثم دخل المسجد فلم يزل بين راكع وساجد وكلما صلّى ركعتين دعى الله ان يذهب ما بفاطمة من الحزن والغمَ، وذلك انه خرج من عندها وهي تتقلب وتتنفس الصعداء فلما رآها النبي صلى الله عليه وآله انه لا يهنيها

النوم وليس لها قرار قال لها قومي يا بنية، فقامت فحمل النبي ﷺ الحسن وحملت ﷺ الحسين واخذت بيد ام كلثوم فانتهى الى علي ﷺ وهو نائم في المسجد فوضع النبي ﷺ رجله على رجل علي ﷺ وغمزه وقال قم يا ابا تراب فكم ساكن أزعجته أدع لي ابا بكر من داره وعمر من مجلسه فخرج علي ﷺ فاستخرجهما من منزلهما واجتمعوا عند رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ يا علي اما علمت ان فاطمة بضعة مني وانا منها فمن آذاها فقد آذاني ومن آذاها بعد موتي كان كمن اذاها في حياتي ومن آذاها في حياتي كان كمن اذاها بعد موتي قال فقال علي ﷺ بلى يا رسول الله قال فما دعاك الى ما صنعت فقال علي ﷺ والذي بعثك بالحق نبياً ما كان مما بلغها شيء ولا حدَثت به نفسي، فقال النبي ﷺ صدقت وصدقت فاطمة، فعند ذلك تبسمّت حتى رأى ثغرها، فقال احدهما لصاحبه انه لعجب ما دعاه الى دعائنا هذه الساعة، قال ثم أخذ النبي ﷺ بيد علي فشبك اصابعه فحمل النبي ﷺ الحسن وحمل علي الحسين وحملت فاطمة ام كلثوم فادخلهم النبي ﷺ بيتهم، ووضع عليهم قطيفة واستودعهم الله ثم خرج وصلّى بقية الليل.

فلما مرضت فاطمة ﷺ مرضها الذي ماتت فيه أتيا عائدين وأستأذنا عليها فأبت ان تأذن لهما فلما رأى ذلك أبو بكر أعطى الله عهداً أن لا يظله سقف بيت حتى يدخل على فاطمة ويتراضاها فبات ليلته في البقيع ما أظله شئ ثم إن عمر أتى علياً ﷺ فقال له ان ابا بكر شيخ رقيق القلب، وقد كان مع رسول الله ﷺ في الغار فله صحبة وقد أتيناها غير هذه المرة مراراً، نريد الأذن عليها وهي تأبى ان تأذن لنا حتى ندخل عليها فنتراضا فان رأيت ان تستأذن لنا عليها فافعل، قال نعم فدخل علي ﷺ على فاطمة فقال لها يا بنت رسول الله قد كان من هذين الرجلين ما قد رأيت وقد ترددا مراراً كثيرة ورددتهما ولم تأذني لهما وقد سألاني ان استأذن لهما عليك، فقالت والله لا اذن لهما ولا اكلمهما من رأس حتى ألقى ربي فأشكوهما اليه بما صنعاه وارتكباه مني.

قال علي ﷺ فأني ضمنت لهما ذلك قالت ان كنت قد ضمنت لهما شيئاً فالبيت بيتك والنساء تتبع الرجال لا اخالف عليك بشيء فاذن لمن احببت فخرج علي ﷺ فأذن لهما فلما وقع بصرهما على فاطمة ﷺ سلّما عليها فلم تردّ عليهما، وحوّلت وجهها عنهما فتحولا واستقبلا وجهها حتى فعلت مراراً وقالت يا علي جاف الثوب عليّ وقالت لنسوة حولها حوّلن وجهي، فلما حوّلن وجهها حولاً وجوههما اليها فقال ابا بكر يا بنت رسول الله إنما اتيناك ابتغاء مرضاتك واجتناب سخطك نسألك ان تعفى عنا وتصفحي عما كان منا اليك، قالت لا اكلمكما من رأسي كلمة واحدحة ابداً حتى القى ربي واشكوكما اليه واشكو صنعكما وفعالكما وما ارتكبتما مني قالا إنا جئناك معتذرين مبتغين مرضاتك فاغفري واصفحي عنّا ولا تؤاخذينا بما كان منّا.

فالتفت الى علي عليه السلام وقالت اني لا اكلمهما من رأسي كلمة حتى أسالهما عن شيء سمعا من رسول الله صلى الله عليه وآله فان صدقا رأيت قالا اللهم ذلك لها وانا لا نقول الا حقا ولا نشهدكما الا صدقا، فقالت انشدكما بالله اتذكران ان رسول الله صلى الله عليه وآله استخرجكما في جوف الليل بشيء كان حدث من أمر علي فقالا الله نعم، قالت انشدكما بالله فهل سمعتما النبي صلى الله عليه وآله يقول فاطمة بضعة مني وانا منها من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذاها بعد موتي كم آذاها في حيوتي ومن آذاها في حيوتي كان كمن آذاها بعد موتي قالا اللهم نعم قالت الحمد لله ثم قالت الله اني اشهدك فاشهدوا يا من حضرني انهما قد اذياني في حيوتي وعند موتي والله لا اكلمهما من رأسي كلمة واحدة حتى لقى ربي فأشكوكما اليه بما صنعتما بي وارتكبتما مني.

فدعا ابو بكر بالويل والثبور وقال يا ليت امي لم تلدني فقال عمر عجباً للناس كيف ولوَك امورهم وانت شيخ قد خرفت تجزع لغضب امرأة وتفرح برضاها، وما يبلغ من غضب امرأة فقاما وخرجا فلما نعى الى فاطمة عليها السلام نفسها ارسلت الى أم ايمن وكانت أوثق نسائها فقالت لها يا ام ايمن ان نفسي نعيت اليَ فادع لي علياً فدعته لها فلما دخل عليها قالت له يا بن عمَ اريد ان اوصيك بأشياء فاحفظها عليَ فقال لها قولي ما احببت قالت له تزوج فلانة تكون لولدي مربية من بعدي مثلي واعمل نعشي فاني رأيت الملائكة قد صورته لي، فقال لها علي عليه السلام أريني كيف صورته فارته ذلك كما وصفت له وكما امرته به ثم قالت اذا قضيت نحبي فأخرجني من ساعتك أي ساعة كانت من ليل او نهار ولا يحضرنَ من اعداء الله واعداء رسوله للصلوة عليَ قال علي عليه السلام أفعل فلما قضت نحبها وهي في جوف الليل أخذ علي عليه السلام في جهازها من ساعته كما اوصته به فلما فرغ من جهازها خرج مع الجنازة واشعل النار على جريدة النخل ومشى مع الجنازة بالنار حتى صلَى عليها ودفنها ليلاً، فلما اصبح ابو بكر وعمر عاودا عائدين لفاطمة عليها السلام فليقا رجلاً من قريش فقالا له من أين اقبلت قال عزَيت علياً بفاطمة قالا وقد ماتت قال نعم ودفنت في جوف الليل فجزعا جزعاً شديداً ثم اقبلا الى علي بن ابي طالب عليه السلام فليقا وقالا له والله ما تركت شيئاً من غوائلنا ومساوينا، وما هذا الا شيء في صدرك علينا هل هذا الا كما غسلت رسول الله صلى الله عليه وآله دوننا ولم تدخلنا معك، وكما علمَت ابنك ان يصيح بأبي بكر ان انزل عن منبر أبي.

فقال لهما علي عليه السلام أتصدقاني ان حلفت لكما قالا نعم فحلف فادخلهما المسجد فقال ان رسول الله صلى الله عليه وآله لقد اوصاني وتقدم اليَ أنه لا يطلَع على عورته أحد إلاَ ابن عمه فكنت أغسله والملائكة تقلَبه والفضل بن العباس يناولني الماء وهو مربوط العينين بالخرقة ولقد اردت ان انزع القميص فصاح بي صائح من البيت سمعت الصوت ولم أرَ الصورة لا تنزع قميص رسول الله صلى الله عليه وآله ولقد سمعت الصوت يكرر عليَ فادخلت يدي من بين القميص فغسلته ثد قدم الى الكفن

فكفنته ثم نزعت القميص بعد ما كفنته واما الحسن ابني فقد تعلمان ويعلم اهل المدينة انه كان يتخطى الصفوف حتى يأتي النبي ﷺ وهو ساجد فيركب على ظهره فيقوم النبي ﷺ واحدى اليدين على ظهر الحسن والاخرى على ركبته حتى يتم الصلوة قالا نعم قد علمنا ذلك ثم قال تعلمان ويعلم اهل المدينة ان الحسن كان يسعى الى النبي ﷺ ويركب رقبته ويدلي رجليه على صدر النبي ﷺ حتى يرى بريق خلخاليه من اقصى المسجد والنبي ﷺ يخطب ولا يزال على رقبته حتى يفرغ النبي ﷺ من خطبته والحسن على رقبته فلما رأى الصبي على منبر أبيه غيره شقَ عليه ذلك والله ما أمرته بذلك ولا فعله عن أمري.

واما فاطمة فهي المرأة التي أستأذنت لكما عليها فقد رأيتما ما كان من كلامها لكما، والله لقد اوصتني ان لا تحضرا جنازتها ولا الصلوة عليها وما كنت الذي اخالف امرها ووصيتها اليَ فيكما، فقال عمر إذن نحفر قبرها فقال علي عليه السلام والله لو ذهبت تروم من ذلك شيئاً لعلمت انك لا تصل الى ذلك حتى يبدر عنك الذي فيه عيناك، فأني كنت لا اعاملك الا بالسيف قبل ان تصل الى شيء من ذلك، فوقع بين علي عليه السلام وبين عمر كلام فتلاحيا واجتمع المهاجرون والانصار فقالوا والله ما نرضى بهذا ان يقال في ابن عم رسول الله وأخيه ووصيه، وكادت ان تقع فتنة فترفقا.

قال مؤلف هذا الكتاب هذا الذي حصّلوه بعد غاية الفحص عن مطاعن علي عليه السلام ويا ليتهم سكتوا على هذا من غير ان يضيفوا اليه ما تشهد العقول والعادات بكذبه، بل قالوا ان فاطمة لما شكت علياً الى ابيها من جهة أنه يريد يخطب عليها بنت أبي جهل صعد النبي ﷺ المنبر وقال سمعت ان علياً يريد ان يتزوج أبنة عدو الله على ابنة ولي الله، وما كان هذا يجوز ان فاطمة بضعة مني الحديث. وكل عاقل يجزم ان هذا لا يليق بمرتبة النبوة وان مثله يخاصم لابنته من جهة الزوجية مع انه ﷺ هو الذي اباحه وعمل به، والعادات جرت بقبح هذه المخاصمة الا ترى ان المأمون لما كتبت اليه ابنته ام الفضل تشكو من الجواد عليه السلام وانه يتسرى عليها، كتب اليها اننا ما زوجناه لنحرم عليه حلالاً وقد كان يمكنه أشد المنع لكنه لاحظ الشرع ومجارى العادات.

كيف لا يكون هذا والحال ان طوائف العامة والخاصة رووا ان عثمان قد ضرب رقية زوجته وهي بنت النبي ﷺ بزعمهم ضرباً مبرها حتى اثرت السياط في بدنها على غير جناية تستحقها، ولما أتت النبي ﷺ شاكية تكلم عليها وقال لا يليق بالمرأة ان تشكو من زوجها وامرها بالرجوع الى منزله، ثم كرر عليها الضرب فأتت النبي ﷺ ثم ردها ثم ضربها الضرب الذي كان السبب في موتها فأمر النبي ﷺ علياً عليه السلام ان يخرجها من منزل عثمان فأتى بها الى بيت النبي ﷺ وماتت فيه.

فأن قلت اذا كانت فاطمة عليها السلام مطهرة معصومة من أدناس نساء الدنيا فكيف جاز منها اعمال هذه الغيرة البشرية من غير ان تتفحص عن تحقيق الحال قلت الجواب عن هذا من وجوه:

الاول: ان هذا وامثاله غير مناف للعصمة ولا للطهارة من الادناس البشرية وذلك ان الله سبحانه غيور والنبي صلى الله عليه وآله كان يمتدح بأنه أغير على اهله من الصحابة على اهلهم وكذلك الائمة عليهم السلام، ولا يخفى ان التمدح بالغيورية انما كان في الامور المباحة والا فالمحرمات مما لا يمتدح بها النبي صلى الله عليه وآله على الصحابة بأنه أغير منهم لانه أفعل التفضيل لا معنى له حينئذ وتزويج ما فوق الواحدة مباح وليس بمستحب وانما الفضل في اصل التزويج والخروج به عن العزوبة، ولعلها عليها السلام خطر ببالها الشريف ان علياً عليه السلام اذا تزوج عليها وصارت ضرّة لغيرها لزم منه تحمل علي عليه السلام ارتكاب الهموم والمشاق التي حصلت على النبي صلى الله عليه وآله من تعدد الازواج والضرّات ووصل اليها ايضاً من أنواع الاذى ما كانت تشاهده في ازواج ابيها.

هذا وقد صدر من بنات الانبياء ما هو اعظم وأشد فان سارة من بنات الانبياء عليهم السلام والزمت ابراهيم عليه السلام ان يخرج عنها هاجراً وابنها اسماعيل الى وادٍ غير ذي زرع، ولا ينزل معهما بل يضعهما فيه وهو راكب ويرجع اليها، وقد امر الله ابراهيم بأن يمتثل امر سارة ولو كان محرماً في الشريعة لما امره به، فيستفاد من هذا كله ان اصل غيرة النساء على الرجال في هذا وامثاله ليس من الامر الحرام نعم لا يجب على الرجال قبوله الا ان يدل عليه بدليل من خارج كما وقع في شأن ابراهيم وزوجته سارة من الامر.

الثاني: ان المعصومين عليهم السلام قد كانوا احياناً ينتزلون عن مراتبهم الى مراتب البشر ويقع منهم الغضب والرضا والمحاورات المتعارفة في مجارى العادات، لحكم ومصالح يجوز ان يكون منها ان لا يظن بهم فوق مراتبهم كما وقع من الغلاة وأشباههم وهذا يظهر من تتبع الاخبار كثيراً ومنها ايضاً ان يتعقبه المحبة والخلّة المستقيمة كما روى انه قد جرى بين الحسنين عليهما السلام نوع من الكلام بعث على الانقطاع، وبعده قيل للحسين عليه السلام انت أصغر من أخيك فلم لا تمشي اليه وتصالحه، قال أني سمعت من جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول من كان يسبق بالصلح فهو السابق الى الجنة وما أحب ان اسبق اخي الى الجنة فبلغ الحسن عليه السلام فأتى الى اخيه الحسين عليه السلام .

الثالث: وهو الاظهر عندي انها عليه السلام انما فعلته لمعرفتها بما يؤل اليه الامر من احضار النبي صلى الله عليه وآله لمن احضر حتى يكون باعثاً لاتمام الحجة عليهما، فإذا ترتب عيل مثل هذا امثال هذه الحجج والفوائد فلا ريب ان فعله أحسن من تركه، كما وقع منها عليها السلام مرة أخرى لفائدة جليلة، وهو ما رواه الصدوق طاب ثراه باسناده الى ابي ذر (ره) قال كت انا وجعفر بن ابي طالب مهاجرين الى بلاد الحبشة فأهديت لجعفر جارية قيمتها أربعة الاف درهم فلما قدمنا الى المدينة اهداها لعلي عليه السلام

تخدمه فجعلها علي عليه السلام في منزل فاطمة عليها السلام فدخلت عليها السلام يوماً فنظرت الى رأس علي عليه السلام في حجر الجارية فقالت يا ابا الحسن فعلتها فقال لا والله يا بنت محمد صلى الله عليه وآله ما فعلت شيئاً، فما الذي تريدين قالت تأذن لي في المسير الى منزل ابي رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لها ذنت لك فتجلببت بجلبابها وتبرقعت ببرقعها وارادت النبي صلى الله عليه وآله ، فهبط جبرئيل عليه السلام فقال يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول ان هذه فاطمة تشكو علياً فلا تقبل منها في علي شيئاً، فدخلت فاطمة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله جئتني تشكو علياً قالت أي والله رب الكعبة، فقال لها ارجعي اليه فقولي له رغم انفي لرضاك ثلاثاً فرجعت فاطمة عليها السلام الى علي عليه السلام فقالت يا ابا الحسن رغم انفي لرضاك فقال علي عليه السلام شكوتني الى خليلي وحبيبي رسول الله واسئتاه من رسول الله صلى الله عليه وآله اشهد الله يا فاطمة ان الجارية حرة لوجه الله تعالى وان الاربعمائة درهم التي فضلت من عطائي صدقة على فقراء اهل المدينة ثم تلبس وتنعل واراد النبي صلى الله عليه وآله .

فهبط جبرئيل عليه السلام فقال يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول لك قل لعلي ان الله يقرئك السلام ويقول لك قد اعطيتك الجنة يعتقك الجارية في رضا فاطمة والنار بالاربعمائة دراهم التي تصدقت بها، فادخل الجنة من شئت برحمتي واخرج من النار من شئت بعفوي فعندها قال علي عليه السلام انا قسيم الله بين الجنة والنار، وترتب مثل هذه الفائدة الجليلة على مثل هذا حسن جداً، وبالجملة فان اندفعنا الى ذكر بعض اوصاف الزهراء عليها السلام لطال الكتاب ولكنّا من اهل طلب المحال.

واول عداوة خربت الدنيا وبنى عليها جميع الكفر والنفاق الى يوم القيامة هي عداوة عائشة لمولاتها الزهراء عليها السلام على ما روى عن الطاهرين عليهم السلام وذلك لما روى ان النبي صلى الله عليه وآله كان يحب فاطمة حباً مفرطاً، وكان اذا اشتاق الى الجنة وثمارها اتى الى فاطمة عليها السلام وقبّلها، وما كان ينام ليلة الا بعد ان يأتي اليها ويشمها ويقبلها، وذلك انه صلى الله عليه وآله لما عرج الى السماء ودخل الجنة ناوله جبرئيل عليه السلام تفاحة من تفاحها فأكلها ولما نزل الى الارض واقع خديجة فكانت النطفة من تلك التفاحة، ومن ثم كان حمرة وجهها منها، وقد انتقلت الى الائمة عليهم السلام فكانت في وجوههم فغارت عايشة وبغضت مولاتها فاطمة لهذا وسرت هذه العداوة من عايشة الى ابي بكر فعادا مولاه امير المؤمنين عليه السلام وعمر كان من احباب ابي بكر لجامع النفاق فشركه في العداوة فاستمرت الى يوم القيامة.

واما قوله واما عثمان فهو وان شاركه في كونه ختناً أقول الاختان اللتان اخذهما عثمان هما رقية تزوجها عتبة بن ابي لهب فطلقها قبل ان يدخل بها ولحقها منه اذى فقال النبي صلى الله عليه وآله اللهم سلط على عتبة كلباً من كلابك فتناوله الاسد من بين اصحابه وتزوجها بعده بالمدينة عثمان

بن عفان فولدت له عبد الله ومات صغيراً نقره ديك على عينيه فمرض ومات، وتوفيت بالمدينة زمن بدر فتخلف عثمان على دفنها ومنعه ذلك ان يشهد بدراً، وقد كان عثمان هاجر الى الحبشة ومعه رقية، والاخرى ام كلثوم تزوجها ايضاً عثمان بعد اختها رقية وتوفيت عنده.

وقد اختلف العلماء لاختلاف الروايات في انهما هل هما من بنات النبي ﷺ من خديجة او انهما ربيبتاه من احد زوجيها الاولين فانه اولاً قد تزوجها عتيق بن عائذ المخزومي فولدت له جارية، ثم تزوجها ابو هالة الاسدي فولدت له هنداً بنت هالة، ثم تزوجها رسول الله ﷺ وهذا الاختلاف لا أثر له لأن عثمان في زمن النبي ﷺ قد كان ممن أظهر الاسلام وأبطن النفاق وهو ﷺ قد كان مكلفاً بظواهر الاوامر كحالنا نحن ايضاً وكان يميل الى مواصلة المنافقين رجاء الايمان الباطني منهم، مع أنه ﷺ لو اراد الايمان الواقعي لكان أقل قليل، فأن اغلب الصحابة كانوا على النفاق لكن كانت نار نفاقهم كامنة في زمنه، فلما انتقل الى جوار ربه برزت نار نفاقهم لوصيه ورجعوا القهقرى، ولذا قال عليه السلام إرتد الناس كلهم بعد النبي ﷺ الا اربعة سلمان وابو ذر والمقداد وعمار وهذا مما لا اشكال فيه.

وانما الاشكال في تزويج علي عليه السلام ام كلثوم لعمر بن الخطاب وقت تخلفه لانه قد ظهرت منه المناكير وارتد عن الدين ارتداداً اعظم من كل من ارتد، حتى انه قد وردت في روايات الخاصة ان الشيطان يغلَ بسبعين غلاً من حديد جهنم ويساق الى المحشر فينظر ويرى رجلاً امامه تقوده ملائكة العذاب وفي عنقه مائة وعشرون غلاًمن اغلال جهنم فيدنو الشيطان اليه ويقول ما فعل الشقي حتى زاد عليَ في العذاب وانا اغويت الخلق واوردتهم موارد الهلاك، فيقول عمر للشيطان ما فعلت شيئاً سوى اني غصبت خلافة علي بن ابي طالب، والظاهر انه قد استقل سبب شقاوته ومزيد عذابه، ولم يعلم ان كل ما وقع في الدنيا الى يوم القيامة من الكفر والنفاق واستيلاء اهل الجور والظلم انما هو من فعلته هذه، وسيأتي لهذا مزيد تحقيق ان شاء الله تعالى.

فاذا ارتد على هذا النحو من الارتداد فكيف ساغ في الشريعة مناكحته وقد حرم الله تعالى نكاح اهل الكفر والارتداد واتفق عليه علماء الخاصة.

فنقول قد تفصّى الاصحاب عن هذا بوجهين عامي وخاصي.

اما الاول فقد استفاض في اخبارهم عن الصادق عليه السلام لما سئل عن هذه المناكحة فقال انه اول فرج غصبناه، وتفصيل هذا ان الخلافة قد كانت اعزّ على امير المؤمنين عليه السلام من الاولاد والبنات والازواج ووالاموال، وذلك لان بها انتظام الدين واتمام السنة ورفع الجور واحياء الحق وموت الباطل، وجميع فوائد الدنيا والاخرة، فاذا لم يقدر على الدفع عن مثل هذا الامر الجليل الذي ما تمكن من الدفع عنه زمان معاوية وقد بذل عليه الارواح وسفك فيه المهج، حتى أنه قتل

لاجله ستين الفاً في معركة صفين وقتل من عسكره عشرون الفاً، وواقعة الطفوف اشهر من أن تذكر، فاذا قبلنا منه العذر في ترك هذا الامر الجليل وقد كان معذوراً كما سيأتي الكلام فيه عند ذكر اسباب تقاعده عليه السلام عن الحرب في زمان الثلاثة ان شاء الله تعالى. والتقية باب فتحه الله سبحانه للعباد وامرهم بارتكابه والزمهم به، كما اوجب عليهم الصلوة والصيام حتى انه ورد عن الائمة الطاهرين عليهم السلام لا دين لمن لا تقية له، فقبل عذره عليه السلام في مثل هذا الامر الجزئي، وذلك انه قد روى الكليني (ره) عن ابن ابي عمير عن هشام بن سالم عن ابي عبد الله عليه السلام قال لما خطب اليه قال له امير المؤمنين عليه السلام انها صبية، قال فلقى العباس فقال له ما لي أبي بأس، قال وما ذاك قال خطبت الى ابن اخيك فردني اما والله لاعودنَ زمزم ولا ادع لكم مكرمة الا هدمتها ولا قيمن عليه شاهدين بأنه سرق ولاقطعنّ يمينه، فأتاه العباس واخبره وسأله ان يجعل الامر اليه فجعل اليه.

واما الشبهة الواردة على هذا وهي انه يلزم ان يكون عمر زانياً في ذلك النكاح وهو مما لا يقبله العقل بالنظر الى ام كلثوم فالجواب عنها من وجهين.

احدهما ان ام كلثوم لا حرج عليها في مثله لا ظاهراً، ولا واقعاً وهو ظاهر، واما هو فليس بزان في ظاهر الشريعة لانه دخول ترتب على عقد باذن الولي الشرعي، واما في الواقع وفي نفس الامر فعليه عذاب الزاني، بل عذاب كل أهل المساوي والقبائح. الثاني ان الحال لما آل الى ما ذكرنا من التقية فيجوز ان يكون قد رضى عليه السلام بتلك المناكحة رفعاً لدخوله في سلك غير الوطي المباح.

واما الثاني وهو الوجه الخاصي فقد رواه السيد العالم بهاء الدين علي بن عبد الحميد الحسيني النجفي في المجلد الاول من كتابه المسمى بالانوار المضيئة قال مما جاز لي روايته عن الشيخ السعيد محمد بن محمد بن النعمان المفيد (ره) رفعه الى عمر بن اذينة قال قلت لابي عبد الله عليه السلام ان الناس يحتجون علينا ان امير المؤمنين عليه السلام زوّج فلانا ابنته ام كلثوم وكان عليه السلام متكياً فجلس وقال اتقبلون ان علياً عليه السلام انكح فلاناً ابنته، ان قوماً يزعمون ذلك ما يهتدون الى سواء السبيل ولا الرشاد، ثم صفق بيده وقال سبحان الله ما الله ما كان امير المؤمنين عليه السلام يقدر ان يحول بينه وبينها كذبوا لم يكن ما قالوا ان فلانا خطب الى علي عليه السلام بنته ام كلثوم فأبى فقال للعباس والله لئن لم يزوجني لانزعن منك السقاية وزمزم، فأتى العباس علياً عليه السلام فكلمه، فأبى عليه فألح عليه العباس، فلما رأى امير المؤمنين عليه السلام مشقة كلام الرجل على العباس وانه سيفعل معه ما قال، ارسل الى جنية من اهل نجران يهودية يقال لها سحيفة بن حريرية، فأمرها فتمثلت في مثال ام كلثوم وحجبت الابصار عن ام كلثوم بها، وبعث بها الى الرجل فلم تزل عنده حتى انه استراب بها يوماً

وقال ما في الارض اهل بيت أسحر من بني هاشم، ثم اراد ان يظهر للناس فقتل فأخذت الميراث وانصرفت الى نجران واظهر امير المؤمنين عليه السلام أم كلثوم اقول وعلى هذا فحديث اول فرج عصبناه محمول على التقية والاتقاء من عوام الشيعة كما لا يخفى.

ظلمة حالكة في ما بقي من فضائل الشيخين اعلم ان من أقوى الدلائل والمناقب التي ذكروها لابي بكر هي حكاية الغار، لانها المصرح بها في محكم القرآن حيث قال ثاني اثنين إذ هما في الغار. الاية.

ويعجبني نقل كلام وقع اليَ من جانب شيخنا المفيد نور الله ضريحه، قال رأيت فيما يرى النائم كأني اجتزت في بعض الطرق فاذا انا بحلقة كبيرة دائرة وفيها رجل يعظ، فقلت من هذا فقيل عمر بن الخطاب فاستفرجت الناس فافرجوا اليَ فدخلت اليه فقت أتأذن لي في مسألة فقال سل، فقلت أخبرني عن فضل صاحبك عتيق بن ابي قحافة من قول الله ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه، فاني أرى من ينتحل مودتكما يذكر ان له فضلاً كثيراً، فقال الدلالة على فضل صاحبي عتيق ابن ابي قحافة من هذه الاية من ستة اماكن.

الاول: ان الله عز وجل ذكر النبي صلى الله عليه وآله وذكر ابا بكر فجعله ثانيه فقال ثاني اثنين، الثاني وصفهما بالاجتماع في مكان واحد لتأليفه بينهما فقال اذ هما في الغار، الثالث انه قد اضافه اليه بذكر الصحبة ليجمع بينهما في الرتبة، اذ يقول لصاحبه الرابع انه اخبر عن شفقته عليه ورفقته به لمكانه عنده، فقال اذ يقول لصاحبه لا تحزن الخامس انه اخبر عن كون الله معهما على حد سواء ناصراً لهما ودافعاً عنهما، فقال ان الله معنا، السادس انه اخبر عن نزول السكينة على ابي بكر لان الرسول صلى الله عليه وآله لم تفارقه السكينة قطّ فقال فأنزل الله سكينته عليه فهذه اماكن لا يمكنك ولا غيرك الطعن فيها على وجه من الوجوه ولا سبب من الاسباب، فقلت له حررت كلامك هنا واستقصيت البيان فيه واتيت بما لا يقدر احد ان يزيد عليه غير اني بعون الله سأجعله كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف.

اما قولك ان الله تعالى ذكر النبي وذكر ابا بكر فجعله ثانيه فهو عند التحقيق إخبار عن العدد فقط، ولعمري لقد كانا اثنين فما في ذلك من الفضل، ونحن نعلم ضرورة ان مؤمناً ومؤمناً اثنان ومؤمناً وكافراً اثنان، فما أرى في ذلك العدد طائلاً يعتمد عليه.

واما قولك انه وصفهما بالاجتماع في مكان واحد فهو كالفضل الاول واضعف لان المكان يجمع المؤمنين والكفار كما يجمع العدد المؤمنين والكفار وذلك ان مسجد النبي صلى الله عليه وآله افضل واشرف من الغار وقد جمع النبي والمنافقين والكفار، قال الله عز وجل فما للذين كفروا قبلك

مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين، أيطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم، وايضاً فان سفينة نوح عليه السلام افضل واشرف من الغار وقد حملت النبي والشيطان والبهيمة، والمكان لا يدلَ على ما ادعيت من الفضل فبطل فضلان.

واما قولك انه اضافه اليه بذكر الصحبة فهو كالفضلين الاولين واضعف وذلكان اسم الصحبة يقع بين المؤمنين والكفار قال الله عز وجل حكاية عن بعض انبيائه قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم نطفة ثم سواك رجلاً فسماه صاحباً وهو كافر، وقد سمَت العرب الحمار ايضاً صاحباً فقالت في ذلك:

إن الحمار مع الحمير مطيَة ... واذا خلوت به فبس الصاحب

وسموا ايضاً الجماد صاحباً فقالوا من ذلك للسيف. شعر

زرت هندا وذاك بعد إجتناب ... ومعي صاحب كلوم اللسان

فاذا كان اسم الصحبة قد وقع بشهادة كتاب الله عز وجل بين نبي وكافر وبشهادة لسان العرب بين عاقل وبهيمة وبين جماد وحيوان، فأي فضل لصاحبك فيه.

واما قولك انه قال لا تحزن فهو وبل عليه ومنقصة له، وذلك دليل على خطائه، لأن قوله لا تحزن نهي له وذلك ان صورة النهي عند العرب قول القائل لا تفعل كما ان صورة الامر عندهم القائل افعل، وليس يخلو حزن ابي بكر من ان يكون طاعة او معصية، فلو كان طاعة لم ينه النبي صلى الله عليه وآله عنه فثبت انه معصية ويجب عليك ان تستدل على أنه انتهى لان في الاية دليلاً على عصيانه بشهادة النبي صلى الله عليه وآله وليس فيها دليل على انه قد انتهى.

واما قول النبي صلى الله عليه وآله ان الله معنا فعلى الاختصاص وعبّر عن نفسه بلفظ الجمع ونون العظمة وذلك مشهور في كلام العرب قال الله غز وجل انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وانا لنحن نحي ونميت ونحن الوارثون وقد قالت الشيعة في ذلك قولاً غير بعيد وهو انهم قالوا ان ابا بكر قال له يا رسول الله ما معك اخوك علي بن ابي طالب وذلك انه خلفه على الفراش فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله لا تحزن ان الله معنا، أي معي ومع اخي علي بن ابي طالب.

واما قولك ان السكينة نزلت على ابي بكر فهو كفر محض لان الله تعالى اخبر ان الذي أنزل عليه السكينة هو الذي أيده بلجنود ودلَ على ذلك بحرف العطف فقال عز وجل فأنزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها، فان كان ابو بكر هو صاحب السكينة فهو صاحب الجنود، وهذا إخراج للنبي صلى الله عليه وآله من النبوة، وبعد فقد أخبر الله عز وجل انه انزل السكينة على نبيه في مكانين وكان معه فيها قوم مؤمنون فشركهم معه فيها، فقال في موضع فأنزل الله سيكنته على رسوله وعلى المؤمنين، وقال في موضع آخر ثم وليتم مدبرين ثم انزل الله سكينته على رسوله

وعلى المؤمنين ولما كان في هذا الموضع خصّه وحده بالسكينة، فقال عز وجل فأنزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها فلو كان معه في الموضع مؤمن لشركه معه في السكينة كما شرك من تقدم فدلّ اخراجه من السكينة على خروجه من الايمان فلم يحر جواباً وتفرقوا واستيقظت انتهى.

اقول: انما أجرى الله سبحانه تلك الاستدلالات من الاية على لسان عمر ليسمع الجواب عنها، والا فهو عاجز عن تقرير مثل هذه الاستدلالات.

ومن عجيب ما رووه في كتبهم ان النبي ﷺ ما صحب ابا بكر في الغار الا خوفاً منه ان يدلَ الكفار عليه رواه ابو القاسم نصر بن الصباح في كتاب النور والبرهان رواه عن ابن شهاب قال حدثنا شهاب بن عمر (معمر خ ل) عن ابي يحيى عن محمد بن اسحاق، قال قال حسان قدمت مكة معتمراً وناس من قريش يعذبون اصحاب محمد ﷺ يقول حسان في هذا الحديث ما هذا لفظه، فأمر رسول الله ﷺ علياً عليه السلام فنام على فراشه وخشى من ابن ابي قحافة ان يدلهم عليه فأخذه معه ومضى به الى الغار، اقول ويقوى هذا انه لما كان معه في الغار وسمع أصوات المشركين اراد الكلام، لان يدل على النبي ﷺ فقال لا تحزن، ثم أنه مد رجله الى باب الغار كي يعلموا بمكانهما، فخرجت حية لدغته في رجله، فبكى فأبرأها النبي ﷺ بدعائه لئلا يرفع صوته.

المنقبة الثانية من مناقب الشيخين كونهما ضجيعين لرسول الله ﷺ وقد روى انه مرَ فضال بن الحسن بن فصال الكوفي بأبي حنيفة وهو في جمع كثير يملي عليهم من فقهه وحديثه، فقال لصاحب له والله لا ابرح حتى اخجل ابا حنيفة، فقال صاحبه الذي كان معه ان ابا حنيفة ممن قد علت حاله وظهرت حجته، قال مه هل رأيت حجة علت على حجة مؤمن، ثم دنى منه فسلم عليه فرده ورد القوم بأجمعهم فقال يا ابا حنيفة ان أخاً لي يقول ان خير الناس بعد رسول الله ﷺ علي بن ابي طالب، وانا اقول ابو بكر خير الناس وبعده عمر، فما تقول انت رحمك الله فأطرق ملياً ثم رفع رأسه، فقال كفى بمكانهما من رسول الله ﷺ كرماً وفخراً أما علمت انهما ضجيعاه في قبره فأي حجة تريد أوضح من هذا فقال له أني قد قلت ذلك لاخي فقال والله لئن كان المكان لرسول الله ﷺ دونهما فقد ظلما بدفنهما في موضع ليس لهما بحق، وان كان الموضع لهما فوهباه لرسول الله ﷺ فقد اساءا وما احسنا إذ رجعا في هبتهما ونسيا عهدهما فأطرق ابو حنيفة ساعة ثم قال له لم يكن له ولا لهما خاصة، ولكنهما نظرا في حق عائشة وحفصة فاستحقا الدفن في ذلك الموضع بحقوق ابنتيهما فقال فضّال قد قلت له ذلك فقال انت تعلم ان النبي ﷺ مات عن تسع نساء ونظرنا فكان لكل واحدة منهن تسع الثمن .

ثم نظرنا في تسع الثمن فاذا هو شبر في شبر فكيف يستحق الرجلان اكثر من ذلك، وبعد فما بال عائشة وحفصة ترثان رسول الله ﷺ وفاطمة بنته تمنع الميراث فقال ابو حنيفة يا قوم نحوَه عني فانه رافضي خبيث لعنه الله تعالى.

اقول ويوضح هذا ما رووه في الجمع بين الصحيحين للحميدي وغيره ان النبي ﷺ لما هاجر الى المدينة اقام ببعض دور اهلها واستعرض مريداً للتمر كان لسهل وسهيل كانا يتيمين في حجر سعد بن زرارة ليشتريه فوهباه له.

وروى الحميدي رواية أخرى وهو ان النبي ﷺ اراد ان يشتري موضع المسجد من قوم بني النجار فوهبوه له، وقد تضمَن القرآن كون البيوت للنبي ﷺ بقوله يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام، ومن المعلوم ان زوجته عائشة لم يكن لها دار بالمدينة ولا لأبيها، ولا لقومها لانهم من اهل مكة ولا روى أحد انها بنت بيتاً لنفسها، ومع هذا فلمَا ادعت حجرة النبي ﷺ بعد وفاته التي دفن فيها صدَقها ابو بكر وسلَمها اليها بمجرد سكناها أو دعواها، ومنع فاطمة عليها السلام عن فدك ولم يصدقها مع شهادته لها بالعصمة والطهارة ردَ شهودها بأن اباها وهبها ذلك في حيوته ومنع فاطمة من ميراثها واعطى ابنته الحجرة ميراثاً، ودفن امواتهم فيها وضربوا المعاول عند رأسه.

واعجب من هذا ان جماعة من جهالهم ظنَ ان البيت لعائشة باضافته اليها في المحاورات ولم يدر أنه من باب قوله تعالى واذا طلقتم النساء فطلقوهنَ لعدتهنَ واحصوا العدَة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهنَ ولا يخرجن الا ان يأتين بفاحشة مبينة، ومعلوم ان البيوت انما هي للازواج.

وحيث انجر الكلام الى هنا فلا بأس بذكر بعض احوا فدك من طريقهم لانه منه يظهر ايضاً فضائل الشيخين، فنقول ذكر صاحب التاريخ المعروف بالعباسي في حوادث سنة ثماني عشرة ومأتين ان جماعة من ولد الحسن والحسين عليهم السلام رفعوا قصة الى المأمون يذكرون فدك والعوالي وانها كانت لامهم فاطمة عليها السلام ومنعها أبو بكر بغير حق، فسألوا المأمون انصافهم وكشف ظلامتهم، فأحضر المأمون مائتي عالم من علماء الحجاز والعراق وغيرهم من علماء الجمهور، وتوكل عليهم في اداء الصدق وسألهم عما عندهم من الحديث في ذلك، فروى غير واحد منهم عن بشر بن الوليد والواقدي وبشر بن عتاب في احاديث يرفعونها الى النبي ﷺ انه لما افتتح خيبر اصطفى لنفسه قرى من قرى اليهود فنزل جبرئيل عليه السلام بهذه الايات وآت ذا القربى حقه، فقال النبي ﷺ ومن ذا القربى وما حقه، فقال فاطمة تدفع اليها فدك، فدفع اليها فدك ثم اعطاها العوالي بعد ذلك فاستغلتها حتى توفى ابوها.

فلما بويع ابو بكر منعها وكلمته فاطمة عليها السلام في رده، فقالت ان ابي دفعها عليَّ فقال لا امنعك ما اعطاك ابوك، واراد ان يكتب لها كتاباً فاستوقفه عمر بن الخطاب وقال انا امرأة فادعوها بالبينة على ما ادعت فأمرها ابو بكر ان تفعل فجائت بأم ايمن واسماء بنت عميس مع علي بن ابي طالب عليه السلام فشهدوا لها جميعاً بذلك، فكتب لها ابو بكر فبلغ ذلك عمر فأخبره ابو بكر الخبر، فأخذ الصحيفة فمحاها، فقال ان فاطمة امرأة وعلي بن ابي طالب زوجها، وهو جار الى نفسه النفع ولا يكون بشهادة امرأتين دون رجل، فأرسل ابو بكر الى فاطمة عليها السلام فأعلمها ذلك فحلفت بالله الذي لا اله الا هو انهم ما شهدوا الا بالحق، فقال ابو بكر لعلك ان تكوني صادقة ولكن احضري شاهداً لا يجر الى نفسه النفع فقالت فاطمة عليها الم تسمع من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول اسماء بنت عميس وام ايمن من اهل الجنة فقالا بلى، فقالت امرأتان من اهل الجنة تشهدان بباطل فانصرفت صارخة تنادي اباها وتقول، قد اخبرني ابي عليه السلام اني اول من يلحقه فوالله لاشكونهما اليه، فلم تلبث ان مرضت فأوصت علياً عليه السلام ان لا يصليا عليها وهجرتهما فلم تكلمهما حتى ماتت.

ثم احضر في يوم آخر الف رجل من اهل الفقه والعلم وشرح لهم الحال وامرهم بتقوى الله ومراقبته، فتناظروا واستظهروا ثم افترقوا فرقتين فقالت طائفة منهم الزوج عندنا جار الى نفسه فلا شهادة له، ولكنا نرى يمين فاطمة عليها السلام قد اوجبت لها ما ادعت مع شهادة المرأتين، وقالت طائفة نرى اليمين مع الشهادة لا توجب حكماً، ولكن شهادة الزوج عندنا جائزة ولا نراه جاراً الى نفسه، وقد وجب بشهادته مع المرأتين لفاطمة عليها السلام ما ادعت فكان اختلاف الطائفة اجماعاً منهم على استحقاق فاطمة عليها السلام فدك والعوالي، فسألهم المأمون بعد ذلك عن فضائل لعلي بن ابي طالب عليه السلام فذكروا منها طرفاً جليلاً وسالهم عن فاطمة عليها السلام فرووا لها عن ابيها فضائل جميلة وسألهم عن ام ايمن واسماء بنت عميس فرووا عن نبيهم صلى الله عليه وآله انهما من اهل الجنة.

فقال المأمون أيجوز ان يقال او يعتقد ان علي بن ابي طالب مع ورعه وزهده يشهد لفاطمة عليها السلام بغير حق وقد شهد الله ورسوله صلى الله عليه وآله بهذه الفضائل أو يجوز مع علمه وفضله ان يقال انه يمشي على شهادة وهو يجهل الحكم فيها، وهل يجوز ان يقال ان فاطمة عليها السلام مع طهارتها وعصمتها وانها سيدة نساء العالمين وسيدة نساء اهل الجنة كما رويتم تطلب شيئاً ليس لها، تظلم فيه جميع المسلمين وتقسم عليه أو يجوز ان يقال عن ام ايمن واسماء بنت عميس انهما شهدتا بالزور وهما من اهل الجنة، وان الطعن على فاطمة وشهودها طعن على كتاب الله والحاد في دين الله، ثم عارضهم المأمون بحديث رووه ان علي بن ابي طالب عليه السلام أقام منادياً بعد وفاة محمد صلى الله عليه وآله ينادي من كان له على رسول الله صلى الله عليه وآله دين او عدة فليحضر فحضر جماعة فأعطاهم علي بن ابي

طالب عليه السلام ما ذكروه بغير بينة، وان ابا بكر امر منادياً ينادي بمثل ذلك فحضر جرير بن عبد الله وادعى على النبي صلى الله عليه وآله عدة فأعطاه ابو بكر ما ادعاه بغير بينة وحضر جابر بن عبد الله وذكر ان محمد صلى الله عليه وآله وعده ان يحثو له ثلاث حثوات من مال البحرين فلما قدم مال البحرين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله اعطاه ابو بكر ثلاث حثوات بغير بينة.

وفي الجمع بين الصحيحين في الحديث التاسع من افراد مسلم في مسند جابر وان جابراً قال فعددتها فاذا هي خمسمائة فقال ابو بكر لجابر خذ مثلها، فتعجب المأمون من ذلك فقال اما كانت فاطمة وشهودها يدرون مجرى جرير بن عبد الله وجابر بن عبد الله ثم جعل فدك والعوالي في يد محمد بن يحيى بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام يعمرها ويستغلها ويقسم دخلها بين ورثة فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله .

ومما يقال في هذا المقام انهم رووا في صحاحهم ان علي بن ابي طالب عليه السلام ممدوح مزكّى زمن حياته وبعد وفاته وانه افضل الصحابة وان جاز الشك على الموصوف بتلك الصفات فانما هو شك فيمن اسندوا اليه تلك الروايات وتكذيب لانفسهم فيما صححوه مع انهم رووا عن عطية عن ابي سعد قال لما نزلت وآت ذا القربى حقه دعا رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام فاعطاها فدك.

ومما يقال ايضاً أن علياً عليه السلام مع اتصافه بتلك الصفات كيف يترك زوجته المعظمة تطلب شيئاً لا يثبت لها ولا تقبل في الشرع شهادة شهودها، وكيف يقدم على الشهادة لها مع ان شهادته في الشريعة غير جايزة لها.

ومما يعجب منه في اعتذارهم لابي بكر ما قاله المحمود الخوارزمي في كتاب الفائق قال ان فاطمة صادقة وانها من اهل الجنة قال فكيف تشك في دعواها فدك والعوالي وكيف يجوز ان يقال عنها انها ارادت ظلم جميع المسلمين واصرتّ على ذلك الى الوفاة فقال الخوارزمي ما هذا لفظه، كون فاطمة صادقة في دعواها وانها من اهل الجنة لا يوجب العمل بما تدعيه الاّ ببينة لان حالها لا يكون أعلة من حال النبي صلى الله عليه وآله ولو ادّعى النبي صلى الله عليه وآله مالاً على ذمي وحكم حكماً ما كان للحكم أن يحكم له لنبوته وكونه من اهل الجنة الا ببينة.

اقول هذا الكلام مما يضحك منه العقول ويكشف عن انهم ما صدقوا نبيهم في التحريم والتحليل والعطا والمنع، مع انهم ما عرفوا ثبوت البينة وصحة العمل بها الا من نبيهم فكيف يكون ثبوت صدقه الان في الدعوى على الذمي بالبينة مع انهم ذهبوا الى ان حاكم الشرع يجوز له العمل بما علم وهو من جملة اسباب الحكم.

ومما يقال ايضاً من طرائف ما تجدد لفاطمة عليها السلام معهم انها لما رأت تكذيبهم لها وشكهم فيها وفي شهودها بأن اباها وهبها ذلك في حياته ارسلت الى ابي بكر ورووا انها حضرت بنفسها تطلب فدك بطريق الميراث من ابيها لان المسلمين اجمعوا على ان فدك كان لابيها او لها.

فمن الروايات في ذلك ما ذكره البخاري في صحيحه في الجزء الخامس من اجزاء ثمانية باسناده ان فاطمة بنت رسول الله صلوات الله عليهما ارسلت الى ابي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله مما افاء الله عليه بالمدينة من فدك وما بقي من خمس خيبر فقال ابو بكر ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال لا نورث ما تركناه صدقة، وانما يأكل آل محمد عليهم السلام من هذا المال واني والله لا اغيِّر شيئاً من صدقة رسول الله صلى الله عليه وآله عن حالها التي كانت عليه على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ولاعملنَ فيها بما عمل به رسول الله فأبى ابو بكر ان يدفع الى فاطمة منها شيئاً فغضبت فاطمة عليها السلام في ذلك على ابي بكر فلم تكلمه حتى توفيت وعاشت بعد النبي صلى الله عليه وآله ستة اشهر فلما ماتت دفنها زوجها علي عليه السلام ليلاً ولم يؤذن بها ابو بكر وصلّى عليها علي عليه السلام .

وروى مسلم في صحيحه هذا الحديث ايضاً في الجزء الثالث وهذا بزعم ابي وصاحبه يقتضي ان محمداً صلى الله عليه وآله اعمل اهل بيته الذين قال الله له عنهم وانذر عشيرتك الاقربين وفي القرآن يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة.فيلزم على هذا انه لم ينذر عشيرته ولا وقى اهله ولا عرفهم انهم لا يرثونه ولا عرف علياً عليه السلام ولا عباس ولا احداً من بني هاشم ولا ازواجه ولا سمعوا بهذا الحديث الذي رواه ابو بكر مدّة حياة نبيهم ولا بعد وفاته، حتى خرج بعضهم بطلب ميراته وبعضهم يرضى بذلك الطلب، وخرجب ابنته الطاهرة المعصومة تطلب ظلم جميع المسلمين على قولهم مع مخالطتها لابيها سراً وجهراً وليلاً ونهاراً ولا اسمعها ولا اسمع زوجها ذلك الحديث واسمعه ابا بكر ما هذا الا شيء عجاب ما سمعنا بهذا في كل الملل والاديان.

وبعض الجمهور لما صحَ عنده عموم آية الارث وما طاوعته نفسه على تكذيب ابي بكر ذكر الحديث تأويلاً، وهذا هو الامام الرازي في تفسيره الكبير عند قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين بعد ان نقل الحديث الذي رواه ابو بكر نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة، قال يحتمل ان يكون قوله ما تركناه صدقة صلة، لقوله لا نورث، والتقدير ان الشيء الذي تركناه صدقة لا نورَث، ويكون المراد ان الانبياء اذا عزموا على التصدق شيء فبمجرد العزم على ذلك يخرج ذلك الشيء عن ملكهم فلا يرثه انتهى والكلام على هذا التأويل واسع الميدان.

والعجب انهم شهدوا في هذه الاحاديث ان فاطمة عليها السلام هجرت ابا بكر وصاحبه الى وقت الموت وخرجت من الدنيا غاضبة عليهما مع ان مسلماً روى في صحيحه في الجزء الرابع من ثلثه الاخير ورواه ايضاً مسلم في صحيحه في الجزء الرابع من آخره ورواه الحميدي في الجمع بين الصحيحين ورواه صاحب كتاب الجمع بين الصحاح الستة في الجزء الثالث ورووه كلهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال فاطمة بضعة مني فمن اغضبها فقد اغضبني وانه قال فاطمة سيدة نساء اهل الجنة .

ويعجبني نقل مباحثة جرت بين شيخنا البهائي قدس الله روحه وبين علماء مصر وهو اعلمهم وافضلهم، وقد كان شيخنا البهائي (ره) يظهر لذلك العالم انه على دينه فقال له ما تقول الرافضة الذين كانوا قبلكم في الشيخين فقال البهائي (ره) قد ذكروا لي حديثين فعجزت عن جوابهم، فقال ما يقولون، قلت يقولون ان مسلماً روى في صحيحه ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال من آذى فاطمة فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فقد كفر وروى ايضاً مسلم بعد هذا الحديث بخمسته اوراق ان فاطمة عليها السلام خرجت من الدنيا وهي غاضبة على ابي بكر وعمر فما ادري ما التوفيق بين هذين الحديثين فقال له العالم دعني الليلة انظر فلما صار الصبح جاء ذلك العالم وقال للبهائي (ره) الن اقل لك ان الرافضة تكذب في نقل الاحاديث البارحة طالعت الكتاب فوجدت بين الخبرين اكثر من خمسة اوراق، هذا اعتذاره عن مارضة الحديثين.

فان قلت هذا الحديث الذي ادعيتم ان ابا بكر قد اختلقه مروي عندكم فما الجواب عنه وذلك انه قد روى الصدوق باسناده الى الصادق عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً الى الجنة وان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضى به وانه ليستغفر لطالب العلم من في السموات ومن في الارض حتى الحوت في البحر وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر وان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ولكن ورّثوا العلم فمن اخذ به اخذ بحظ وافر.

والجواب بعد صحة الرواية وبعد ان لا نحملها على التقية بوجوه:

الاول: انهم لم يقصدوا الى توريث الدراهم والدنانير لاولادهم واهل ميراثهم مثل غيرهم من الناس فانهم يقصدون الى جمع الاموال وتبقيتها بعدهم لاهل ميراثهم اما اذا بقي من الانبياء شيء من الميراث اتفاقاً فلا بأس به ولا ينافي الحديث.

الثاني: ان الانبياء من حيث النبوة لم يورثوا الا العلم اما من حيث الانسانية والبشرية فيجوز ان يخلفو اشياء من الاموال ومن هذا قال بعض المحققين العلماء اولاد روحانيون للانبياء لانهم يقتبسون العلوم من مشكوة انوارهم ويرثون ملكات ارواحهم كما ان الاولاد الحقيقية

والاقارب الصورية يرثون الاموال بل النسبة الاولى آكد من الثانية ولذلك كان حق المعلم الرباني على المتعلم اولى من حق ابيه الجسماني عليه والحاصل انه من باب تعليق الحكم على الوصف المشعر بالعليَة.

الثالث: انهم لم يخلفوا جنس الدرهم والدينار الذي يخلفه اهل الثروات اما غيرهما من الاملاك والزراعات والمنازل فلا بأس بأن يخلفوها ومما يقال ايضاً في هذا المقام ما رواه الشيخ اسعد في كتاب الفائق باسناده الى عروة عن عائشة انها قالت لما بلغ فاطمة ان ابا بكر قد اظهر منعها فدك وضعت خمارها على رأسها واشتملت بجلبابها واقبلت في حفدة من نسائها تطأ ذيولها تمشي مشية رسول الله ﷺ حتى دخلت على ابي بكر وهو في جماعة من المهاجرين والانصار وغيرهم ثم اجهش القوم بالبكاء فخطبت خطبة بليغة اظهرت فيها الشكاية من ابي بكر وصاحبه ومن المهاجرين والانصار في ترك نصرتهم لها في ميراثها وفي آخرها ثم انكفأت الى قبر ابيها وهي تقول:

قد كان بعدك انباء وهنبثة ... لو كنت حاضرها لم تكثر

انا فقدناك فقد الارض وابلها ... واختل اهلك فاشهدهم ولا

وقالت فيها افعلى عمد تركتم كتاب الله واتخذتموه وراءكم ظهرياً اذ يقول تعالى وورث سليمان داود مع ما اقتص الله من خبر زكريا عليه السلام اذ قال وهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث م آل يعقوب، وقال واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله، وقال يوصيكم الله ثم عطفت على قبر ابيها وبكت وتمثلت بقول صفية:

وكان قربك بالايات يونسنا ... فغاب عنّا فكل الخير محتجب

وكنت بدراً ونوراً يستضاء به ... عليك ينزل من ذي العزة

فجبهتنا[٢٦] رجال واستخف ... مذ غبت عنّا ونحن اليوم

ابدت رجال لنا فحوى ... لما مضيت وحالت دوننا

فقد رزئنا بما لم برزه احد ... من البرية لا عجم ولا عرب

فسوف نبكيك ما عشنا وما ... منا الشئون بتهمال[٢٧] لها

---

(٢٦) جبهة كمنعة ضرب جبهته وردها ولقيه بما يكره.

(٢٧) هملت عينه فاضت دموعاً.

(٢٨) سكب الماء سكباً صبه.

اقول: والله لو وفدت بهذا الكلام على ملك من ملوك الكفار لما ردها عما طلبت ولكان اعطاها من ماله مضاعف ما ارادت ان منعها عما طلبت لكن سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وهذا كلام وقع في البين فلنرجع الى فضائل الشيخين.

فنقول روى صاحب كتاب الاحتجاج طاب ثراه ان المأمون بعد ما زوّج ابنته ام الفضل اباا جعفر عليه السلام كان في مجلس وعنده ابو جعفر عليه السلام ويحيى بن اكثم وجماعة كثيرة فقال ل يحيى بن اكثم ما تقول يا بن رسول الله في الخبر الذي روى انه نزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا محمد ان الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك سل ابا بكر هل هو عني راض فانا عنه راض، فقال ابو جعفر عليه السلام يجب على صاحب هذا الخبر ان يأخذه مثال الخبر الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حجة الوداع قد كثرت عليّ الكذابة وستكثر فمن كذب عليّ معتمداً فليتبوأ مقعده من النار،فاذا اتاكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله عز وجل وسنتي فخذوا به وما خالف كتاب الله وسنتي فلا تأخذوا به وليس يوافق هذا الحديث كتاب الله قال الله تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد، فالله عز وجل خفي عليه رضاء ابي بكر من سخطه حتى سأل عن مكنون سره هذا مستحيل في العقول.

ثم قال يحيى بن اكثم وقد روى ان مثل ابي بكر وعمر في الارض مثل جبرئيل وميكائيل في السماء، فقال وهذا ايضاً يجب ان ينظر فيه لان جبرئيل وميكائيل ملكان مقربان لم يعصيا الله قط ولم يفارقا طاعته لحظة واحدة، وهما قد اشركا بالله عز وجل وان اسلما بعد الشرك، وكان اكثر ايامهما الشرك بالله فحال ان يشبها بهما قال يحيى بن اكثم وقد روى ايضاً انهما سيدا كهول اهل الجنة فما تقول فيه، قال عليه السلام وهذا الخبر محال ايضاً لان اهل الجنة كلهم يكونون شباباً ولا يكون فيهم كهل، وهذا الخبر وضعه بنو امية لمضادة الخبر الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله في الحسن والحسين عليهما السلام بأنهما سيدا شباب اهل الجنة، فقال يحيى بن اكثم وروى ان عمر بن الخطاب سراج اهل الجنة، فقال عليه السلام وهذا ايضاً محال لان في الجنة الملائكة المقربين وآدم ونوح وجميع الانبياء والمرسلين لا يضيء بانوارهم حتى يضيء بنور عمر.

فقال يحيى قد روى ان السكينة تنطق على لسان عمر، فقال عليه السلام ان ابا بكر افضل من عمر فقال على رأس المنبر ان لي شيطاناً يعتريني فاذا ملت فسددوني، فقال يحيى قد روى ان النبي صلى الله عليه وآله قال لو لم ابعث لبعث عمر فقال عليه السلام كتاب الله اصدق من هذا الحديث، يقول في كتابه ولقد اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح، فقد اخذ الله ميثاق النبيين فكيف يمكن ان يبدل ميثاقه وكل الانبياء عليهم السلام لم يشركوا بالله طرفة عين فكيف يبعث بالنبوة من اشرك وكان اكثر ايامه مع الشرك بالله، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله نبئت وآدم بين الروح والجسد.

فقال يحيى بن اكثم وقد روى ان النبي ﷺ قال ما احتبس عليّ الوحي قطّ الا ظننته قد نزل على آل الخطاب فقال عليه السلام وهذا محال ايضاً لانه لا يجوز ان يشك النبي ﷺ في نبوته، وقال الله تعالى يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس فكيف يمكن ان ينتقل النبوة ممن اصطفا الله تعالى الى من اشرك به قال يحيى قد روى ان النبي ﷺ قال لو نزل العذاب لما نجى منه الا عمر بن الخطاب فقال عليه السلام وهذا ايضاً محال لان الله تعالى يقول وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون، فأخبر سبحانه انه لا يعذب احداً ما دام فيهم رسول الله ﷺ وما داموا يستغفرون الله تعالى الى غير ذلك من الاخبار الموضوعة الذي استقصاؤها يفضي الى الملال.

ولا تعجب من كثرة الاخبار الموضوعة فانهم بعد النبي ﷺ قد غيّروا وبدّلوا في الدين ما هو اعظم من هذا كتغييرهم القرآن وتحريف كلماته وحذف ما فيه من مدائح آل الرسول والائمة الطاهرين وفضائح المنافقين واظهار مساويهم كما سيأتي بيانه في نور القرآن فان قلت العجب العجيب والامر الغريب قبول الناس مبتدعاتهم بعد النبي ﷺ مع حدوث العهد به وسبب وضع الاخبار الكثيرة في مدائح المتخلفين وآل امية وآل ابي سفيان مع انهم رووا عن النبي ﷺ الاخبار الدالة على نفاقهم وخبث سريرتهم.

قلت الجواب عن هذا اجمالاً وتفصيلاً اما الاول فقد روى مستفيضاً عن النبي ﷺ من طريق العامة والخاصة انه قال كذب عليّ في حيوتي وستكثر عليّ الكذابة بعد فوتي الا فمن كذب عليّ معتمداً فليتبوأ مقعده من النار، حتى قال جماعة من الرواة انه لا خبر متواتر اللفظ عنه ﷺ سوى هذا بعد اختلافهم في تواتر الحديث المشهور وهو قوله انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى.

وقد وقعت مباحثة بين السيد المرتضى قدس الله روحه وجماعة من الجمهور، حيث ذكروا ان الشيعة يقولون ويروون ان الناس كذبوا على رسول الله ﷺ بعد فوته ومن ذا الذي يقدر على ان يتعمد الكذب عليه فتلا المرتضى هذا الحديث، وقال فهذا خبر مسند عن النبي ﷺ فهو اما صدق واما كذب، فان كان صدقاً تمّ المطلوب وان كان كذباً فهو من الاخبار المكذوب بها على النبي ﷺ وهذا من الاجوبة الحاضرة كجواب شيخنا البهائي (ره) لمّ تباحث مع بعض علماء المخالفين، فقال له لم جوّزتم ايها الشيعة قتل عثمان مع انه كان من اكابر الصحابة وقال النبي ﷺ في اصحابه اصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم، فقال البهائي (ره) جوّزنا قتله بهذا الحديث الذي قلته لان الذي قتله وسعى فيهم هم الصحابة محمد بن ابي بكر واضرابه وهؤلاء من الصحابة فلما ارتكبوا القتل ارتكبنا نحن التجويز.

وهذا مما يناسب جواب الصادق عليه السلام وقد سئل في مجلس الخليفة عن الشيخين فقال هما امامان عادلان قاسطان كانا على الحق فماتا عليه عليهما رحمت الله يوم القيامة. فلما قام من المجلس تبعه بعض اصحابه وقال يا ابن رسول الله قد مدحت ابا بكر وعمر هذا اليوم فقال انت لا تفهم معنى ما قلت فقال بيِّنه لي فقال عليه السلام اما قولي هما امامان فهو اشارة الى قوله تعالى ومنهم أئمة يدعون الى النار.

واما قولي عادلان فهو اشارة الى قوله تعالى والذين كفروا بربهم يعدلون واما قولي قاسطان فهو المراد من قوله عز من قائل واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا، واما قولي كانا على الحق فهو من المكاونة والكون ومعناه انهما كاونا على حق غيرهم لان الخلافة حق علي بن ابي طالب وكذا ماتا عليه فانهما لم يتوبا بل استمرا على افعالهم القبيحة الى ان ماتوا وقولي عليهما رحمة الله المراد به النبي صلى الله عليه وآله بدليل قوله تعالى وما ارسلناك الى رحمة للعالمين، فهو القاضي والحاكم والشاهد على فعلوه يوم القيامة، فقال فرّجت عني فرج الله عنك.

ومما يناسب هذا جواب بعض مشائخنا المعاصرين وكان رجلاً مزّاحاً فسأله سلطان البصرة يوماً بحضور جماعة من علماء الجمهور، وكان ذلك السلطان منهم ايضاً فقال يا شيخ ايما افضل فاطمة عليها السلام ام عائشة فقال ذلك الشيخ عائشة افضل فقال ولم هذا فقال لقوله تعالى فضل الله المجاهدين على القاعدين درجة، وعائشة خرجت من المدينة الى البصرة وجهزت العساكر وجاهدت علياً وبني هاشم واكابر الصحابة حتى قتل بسببها خلق كبير، واما فاطمة عليها السلام فقد لزمت بيتها وما خرجت منه الا الى المسجد لطلب فدك والعوالي من ابي بكر ولما منعها منه استقرت في مكانها الى يوم موتها فضحك السلطان والحاضرون وقال السلطان هذا يا شيخ تشنيع لطيف ومثل هذه الجوابات كثير وسنفرد له نوراً ان شاء الله تعالى.

فان قلت قوله صلى الله عليه وآله اصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم أهو حديث صحيح ام خبر مختلق قلت بل هو حديث صحيح ويدلّ عليه ما رواه الرازي عن ابيه عن الرضا عليه السلام قال سئل عن قول النبي صلى الله عليه وآله اصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وعن قوله عليه السلام دعوا لي اصحابي فقال هذا صحيح يريد من لم يغير بعده ولم يبدل قيل وكيف نعلم انهم غيّروا وبدّلوا قال لما يروونه من انه صلى الله عليه وآله قال ليذادَن رجال من اصحابي يوم القيامة عن حوضي كما تذاد[٢٩] غرائب الابل عن الماء فاقول يا رب اصحابي اصحابي فيقال لي انك لا تدري ما احدثوا بعدك فيؤخذ بهم ذات الشمال فاقول بعداً لهم وسحقاً افترى هذا لمن لم يغيّر ولم يبدّل.

---

(٢٩) ذاده ذوداً وذياداً دفعه.

وما الجواب التفصيلي فهو ان الناس انما قبلوا مبتدعات عمر واصحابه لما قاله بعض المحققين من العارفين بضلالة الضالين، فقال ان السبب في ذلك هو ان المنافقين وهم اكثر المسلمين قد كان لهم طرف وافر من التعصب على اهل البيت عليهم السلام لعلل واسباب يطول شرحها وكون اكثر البلاد انما فتحت في خلافة عمر، فلما خرجوا من الكفر الى الاسلام صادفوا مبتدعات عمر المحدثة ولم يكونوا عالمين بسنن النبي ﷺ فتلقوا سنن عمر رهبة ورغبة من نوابه، كما تلقنوا شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله فنشأ عليها الصغير ومات عليها الكبير ولم يعتقد اصحاب البلاد التي فتحت ان عمر يقدم على تغيير شيء من سنن نبيهم، ولا ان احداً يوافقه على ذلك فأضلَ عمر نوابه واضل نوابه من تبعهم، فما اقرب وصفهم يوم القيامة بما تضمنه كتابهم اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب، وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرَة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار.

واما الاخبار الموضوعة في مدائح المتخلفين واضرابهم، فمن جملة اسبابه ما روى في كتاب سليم بن قيس وهذا لفظه، وكتب معاوية الى ولاته في جميع الارضين ان لا يجيزوا لاحد من شيعة علي واهل بيته شهادة ولا لأهل ولايته الذين يروون فضله ويتحدثون بمناقبه وكتب الى عماله انظروا الى من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه واهل ولايته والذين يروون فضله ويتحدثون بمناقبه فادنوا مجالسهم وقربوهم واكرموهم وشرفوهم، واكبوا اليَ بما يروي كل رجل منهم فيه بأسمه واسم ابيه وممن هو ففعلوا ذلك حتى كثر في عثمان الحديث وبعث اليهم بالصلاة والكسى واقطع اكثرهم القطائع من العرب والموالي وكثروا في كل مصر وتنافسوا في المنازل والضياع واتسعت عليهم الدنيا فليس احد يأتي على مصر او قرية فيروى في عثمان مناقباً وفضلاً الا كتب اسمه واعطى عطايا جزئيلة ثم كتب الى عماله ان الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل قرية ومصر وناحية فاذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس الى الرواية في ابي بكر وعمر فان فضلهما وسوابقهما احب اليَ واقرَ لعيني وادحض لحجة اهل هذا البيت واشدَ عليهم من مناقب عثمان وفضله، فقرأ كل امير وقاض كتابه على الناس فاشتغل الناس بوضع الروايات والمناقب وعلموه غلمانهم وصبيانهم وتعلموه كما يتعلمون القرآن حتى علَموه بناتهم ونسائهم وخدّامهم وحشمهم فلبثوا بذلك ما شاء الله.

ثم كتب نسخة الى جميع عماله الى جميع البلدان ان انظروا الى من قامت عليه البينة انه يحب علياً واهل بيته فامحوه من الديوان ولا تجيزوا له شهادة، ثم كتب كتاباً آخر من اتهمتموه ولم

تقم عليه بينة انه منهم فاقتلوه فقتلوهم على التهم والظنون والشبه تحت كل كوكب[٣٠] حتى انه كان الرجل يسقط[٣١] بكلمة فيضرب عنقه ولم يكن ذلك البلاء في بلد أشد ولا اكثر منه بالعراق ولا سيما الكوفة، حتى انه كان الرجل من شيعة علي من اهل المدينة وغيرها يأتيه من يثق به فيدخل بيته ويلقى عليه ستره ويخاف خادمه ومملوكه ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الايمان المغلظة ليكتمنَ عليه وجعل الامر لا يزداد الا شدة وكثر عدد محبيهم واظهروا الاحاديث الكاذبة من اصحابهم من الزور والبهتان فلبسوا على الناس ولا يتعلمون الا منهم ومضى عليه قضاتهم وولاتهم وكان اعظم الناس في ذلك فتنة وبلية القرّاء المذبذبين الذين يظهرون الكذب ويختلقون الاحاديث ليحظوا بذلك عندهم وعند ولاتهم ويدنوا مجالسهم ويصيبون بذلك الاموال والقطائع والمنازل حتى صارت احاديثهم شايعة كثيرة، فوقعت بيد من لا يستحل الكذب فقبلوها وهم يرون انها حق ولو علموا انها باطل لم يرووها ولم يتدينوا بها ولم يبغضوا من خالفهم فصار الصدق كذباً والكذب صدقاً، وقد قال رسول الله ﷺ لتشملنكم بعدي فتنة يربوا فيها الوليد ويشبَ عليها الكبير تجري الناس عليها تتخذونها سنّة فاذا غيّر منها شيء قيل اتى الناس منكراً غيَرته السنَة، وكان عادة المتخلفين من الاموية والعباسية انهم اذا مالت طباعهم الى فعل محرم طلبوا من علمائهم من يرو لهم حديثاً في مدحه الراوون عندهم كثيرون لاجل الصلات والقطائع.

كما روى ان الخليفة المهدي العباسي كان مولعاً بلعب الحمام وبالمراهنة عليه ثم طلب من يروي له حديثاً في مدحه وجوازه فأتى اليه وهب بن وهب القرشي وحفص بن غياث القاضي ورويا له في مدحه كثيراً من الاحاديث فأعطاهم اموالاً جزيلة، فلما خرجا منه قال اعطيتهما واعلم ان لحييهما لحيى كذاب، وقد نقل هذا المضمون جماعة من علماء الجمهور وقواعدهم وعاداتهم الى هذا الوقت على نحو ما سلف..

نور علوي

يكشف عن سبب تقاعد امير المؤمنين عليه السلام في خلافة المتخلفين، مع انهم على ما ذكرنا من الارتداد بعد النبي ﷺ وتغيير سنته والواجب على المتمكن من المنع على مثله ان يبذل الجهد والطاقة فيه وقد تقدم ان علياً عليه السلام اشجع الناس وبه قد كانت تضرب الامثال، فكيف ساغ له الجلوس والحال على ما وصفت قلت ربما وقع فيه خلاف بين الاصحاب فبعضهم قال الذي اقعده

---

(٣٠) ذهبوا تحت كل كوكب أي تفرقوا.

(٣١) سقط بكلامه اخطأ.

هو العجز وعدم التمكن من الدفاع، وبعضهم قال السبب فيه هو عهد عهده اليه رسول الله ﷺ في ترك المجاهدة مهم اقول وهذان القولان كلاهما حق والعلل الشرعية معرَفات لا مؤثرات وقد روت الخاصة بل والعامة ايضاً لتقاعده عليه السلام عللاً متكثرة.

منها ما رواه الكليني والصدوق قدس الله روحيهما باسنادهما الى الصادق عليه السلام قال قلت ما بال امير المؤمنين عليه السلام لم يقاتل فلاناً وفلاناً، قال آية في كتاب الله عز وجل لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً اليماً قال قلت وما يعني بتزايلهم قال ودائع المؤمنين في اصلاب قوم كافرين، وكذلك القائم عليه السلام لن يظهر ابداً حتى تخرج ودائع الله عز وجل فاذا خرجت على من ظهر من اعداء الله فقتلهم اقول ان اكثر المؤمنين والشيعة انما خرجوا من اصلاب اولئك الاقوام المرتدين فلو حاربهم علي عليه السلام كما فعل يوم البصرة وصفين والنهروان لضاع المؤمنون في تلك الاصلاب واما المقتولون في المواطن الثلاثة فلم يكن في اصلابهم احد من المؤمنين بعلم الله تعالى فلذا قتل منهم الالوف واوصلهم الحتوف[٣٢].

ومنها ما رواه الرماني قال سئلت الرضا عليه السلام فقلت يا بن رسول الله اخبرني عن علي بن ابي طالب عليه السلام لِمَ لمْ يجاهد اعدائه خمساً وعشرين سنة بعد رسول الله ﷺ ثم جاهد في ايام ولايته فقال لانه اقتدى برسول الله ﷺ في تركه جهاد المشركين بمكة ثلاث عشرة سنة بعد النبوة وبالمدينة تسعة عشر شهراً وذلك لقلة اعوانه عليهم فلما لم تبطل نبوة رسول الله ﷺ مع تركه الجهاد لم تبطل ولاية علي عليه السلام بتركه الجهاد خمساً وعشرين سنة اذ كانت العلة المانعة لهما من الجهاد واحدة، وسئل ابو عبد الله عليه السلام ما بال امير المؤمنين عليه السلام لم يقاتلهم، قال للذي سبق في علم الله ان يكون وما كان له ان يقاتلهم وليس معه الا ثلثة رهط من المؤمنين اقول قوله عليه السلام للذي سبق في علم الله معناه والله اعلم ان الله تعالى قد علم بافعالهم الاختيارية وعلمه تعالى ليس علة لها بل وقوعها منهم على طريق الاختيار في المستقبل علة لتعلق العلم بها في الازل فالعلم تابع للمعلوم وليس علة له كما توهمه مجوس هذه الامة وهم الاشاعرة.

ومنها ما رواه الصدوق (ره) باسناده الى بن مسعود قال اجتمع الناس في مسجد الكوفة فقالوا ما بال امير المؤمنين عليه السلام لم ينازع الثلاثة كما نازع طلحة والزبير وعائشة ومعاوية فلبغ ذلك علياً عليه السلام فأمر ان ينادي الصلوة جامعة فلما اجتمعوا صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال معاشر الناس أنه بلغني عنكم كذا وكذا قالوا صدق امير المؤمنين قد قلنا ذلك قال فان لي بستة من الانبياء أسوة فيما فعلت قال الله عز وجل في محكم كتابه لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة

---

(٣٢) الحتوف جمع الحتف بمعنى الموت.

قالوا ومن هم يا امير المؤمنين قال اولهم ابراهيم عليه السلام اذ قال لقومه واعتزلكم وما تدعون من دون الله فان قلتم ان ابراهيم اعتزل قومه لغير مكروه اصابه منهم فقد كفرتم وان قلتم اعتزلهم لمكروه رآه منهم فالوصي اعذر، ولي بابن خالته لوط اسوة، اذ قال لقومه لو ان لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد فان قلتم ان لوطاً كانت له بهم قوة فقد كفرتم وان قلتم لم يكن له بهم قوة فالوصي اعذر ولي بيوسف عليه السلام اسوة اذ قال رب السجن احب اليّ مما يدعونني اليه فان قلتم ان يوسف دعا ربه وسئله السجن لسخط ربه فقد كفرتم وان قلتم انه اراد بذلك لئلا يسخط ربه عليه فاختار السجن فالوصي اعذر ولي بموسى عليه السلام اسوة اذ قال ففرت منكم لما خفتكم فان قلتم ان موسى عليه السلام فرّ من قومه بلا خوف كان له منهم فقد كفرتم وان قلتم ان موسى خاف فالوصي اعذر ولي بأخيه هارون عليه السلام اسوة اذ قال لاخيه يا ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني، فان قلتم لم يستضعفوه ولم يشرفوا على قتله فقد كفرتم وان قلتم استضعفوه واشرفوا على قتله فلذلك سكت عنهم فالوصي اعذر ولي بمحمد صلى الله عليه وآله اسوة حين فرّ من قومه ولحق بالغار من خوفهم وانامني على فراشه فان قلتم فرّ من قومه لغير خوف منهم فقد كفرتم وان قلتم خافهم وانامني على فراشه ولحق هو بالغار من خوفهم فالوصي اعذر.

ومنها ما رواه عن زرارة قال قلت لابي عبد الله عليه السلام ما منع امير المؤمنين عليه السلام ان يدعو الناس الى نفسه قال خوفاً أن يرتدّوا قال علي[٣٣] أحسب في هذا الحديث قال ولا يشهدون ان محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله .

ومنها ما رواه ابن قيس قال يا ابن ابي طالب ما معنك حين بويع اخو بني تيم واخو عدي واخو بني امية ان تقاتل وتضرب بسيفك فانك لم تخطبنا خطبة مذ قدمت العراق الا قلت فيها والله اني اولى الناس بالناس، وما زلت مظلوماً منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله فما منعك ان تضرب بسيفك دون من ظلمك، قال قد قلت فاسمع الجواب، لم يمنعني من ذلك الجبن ولا كراهة المغازي، ولا ان اكون لا اعلم بأنّ ما عند الله خير لي من الدنيا بما فيها ولكن منعني من ذلك امر رسول الله صلى الله عليه وآله وعهده اليّ اخبرني بما احدث الامة بعده فلم اكن بما صنعوا حين عاينته باعلم به مني ولا اشدّ يقيناً به مني قبل ذلك بل انا بقول رسول الله صلى الله عليه وآله أشد يقيناً بما عاينت وشاهدت فقلت لرسول الله صلى الله عليه وآله فما تعهد اليّ اذا كان ذلك قال فان وجدت اعواناً فانبذ اليهم وجاهدهم، وان لم تجد اعواناً فكفّ يدك واحقن دمك حتى تجد على اقامة كتاب الله وسنتي اعواناً، واخبرني ان الامة ستخذلني وتتبع غيري واخبرني اني منه بمنزلة هارون من موسى، وان

---

(٣٣) اسم احد الرواة الذين هم في سلسلة السند.

الامة سيصيرون بعده بمنزلة هارون ومن يتبعه وبمنزلة العجل ومن تبعه، فقال موسى يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا الا تتبعنَ افعصيت امري قال يا ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلوني، وقال يا ابن ام لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي اني خشيت ان تقول فرّقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي وانما يعني ان موسى امر هارون حين استخلفه عليهم ان ضلوا ثم وجدوا اعواناً ان يجاهدهم، وان لم يجد اعواناً ان يكفّ يده ويحقن دمه ولا يفرّق بينهم، واني خشيت ان يقول ذلك اخي رسول الله ﷺ فرّقت بين الامة ولم ترقب قولي وقد عهد اليك ان لم تجد اعواناً فكفّ يدك واحقن دمك ودم اهل بيتك وشيعتك، فلما قبض رسول الله ﷺ مال الناس الى ابي بكر فبايعوه وانا مشغول بغسل رسول الله ﷺ ثم شغلت بالقرآن وآليت على نفسي ان لا ارتدي برداء الا للصلوة حتى اجمعه في كتاب ثم حملت فاطمة ثم أخذت بيد ابني الحسن والحسين فلم ادع احداً من اهل بدر واهل السابقة ومن المهاجرين والانصار الا ناشدتهم الله في حقي ودعوتهم الى نصرتي فلم يستجب لي من الناس الا اربعة رهط، الزبير وسلمان وابو ذر والمقداد ولم يبق معي من اهل بيتي احداً طول به واقوى.

واما حمزة فقتل يوم احد وجعفر قتل يوم مؤتة، وبقيت بين حليفين خائفين ذليلين حقيرين العباس وعقيل، وهم قريبوا عهد بالاسلام واكرهوني وقهروني كما قال هرون لاخيه يا ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلي بهرون اسوة حسنة ولي بعهد رسول الله ﷺ حجة قوية، وساق الحديث الى ان قال ويلك يا ابن قيس كيف رأيتني صنعت حين قتل عثمان اذ وجدت اعواناً أهل رأيت مني فشلاً او جبناً او تقصيراً في وقعتي يوم البصرة فلما بغوا عليّ فنفرت اليهم في اثني عشر الفاً وهم عشرون ومائة الف فنصرني الله عليهم، وقتلهم بأيدينا وشفى صدور قوم مؤمنين، وكيف رأيت يا ابن قيس وقعتنا بصفين وان الله قتل منهم بأيدينا خمسين الفاً في صعيد واحد الى النار، وكيف رأيت يوم النهروان اذ لقيت المارقين وهم يومئذ مذبذبين كما قال الله عز وجل الذي ضلّ سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا، فقتلهم الله بأيدينا في صعيد واحد الى النار لم يبق منهم الا عشرة ولم يقتلوا من المسلمين غير عشرة، وساق كلامه الى ان قال اما الذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو وجدت يوم بويع أخو تيم الذي عيرتني بدخولي في بيعته أربعين رجلاً كلهم على مثل بصيرة الاربعة الذي وجدت لما كففت يدي ولناهضت، ولكن لم أجد خامساً قال الاشعث قلت فمن الاربعة قال سلمان وابو ذر والمقداد والزبير ابن صفية قبل نكثه بيعتي، فأنه بايعني مرتين.

اما الاولى فالتي وفى بها فإن عتيقا لما بويع أتاني اربعون رجلاً من المهاجرين والانصار فبايعوني فأمرتهم وفيهم الزبير ان يصبحوا عند بابي محلقين رؤوسهم عليهم السلاح فما وفى ولا

صدقني غير اربعة سلمان وابو ذر والمقداد والزبير واما البيعة الاخرى فانه اتاني هو وصاحبه طلحة بعد قتل عثمان فبايعاني غير مكرهين ثم رجعا عن دينهما مدبرين ناكثين مكابرين حاسدين فقتلهما الله الى النار واما الثلاثة سلمان وابو ذر والمقداد فثبتوا على دين محمد ﷺ الحديث.

اقول هذه الاخبار تكشف لك عن اسباب تقاعده عليه السلام وان القولين السابقين كلاهما حقّ وذلك ان النبي ﷺ وان امره بالتقاعد في زمن الثلاثة لكن ما امره به الا بشرط عدم المعاون ولذا امره بالمجاهدة زمن معاوية لما يعلم من حصول الماظهر والمعاون ولم يأمره النبي ﷺ بارتكاب المذلة وتحمل المهانة، ولكن علم ان الصلاح في ترك منابذتهم تلك المدة.

واما شجاعة علي عليه السلام فلم يكن بأشد من شجاعة النبي ﷺ وما تقول من وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بالنسبة الى علي عليه السلام فنقول هو بالنسبة الى النبي ﷺ اوجب فلم ترك منابذة الكفار بمكة وبعد قدومه الى المدينة حتى قويت شوكته وحصل له المعين وقوي الاسلام، فعلي عليه السلام انما ترك جهاد جماعة كانو متجاهرين بالاسلام.

واما النبي ﷺ فانما ترك جهاد اهل عبادة الاصنام فما توردون من الاعتراض علينا بالنسبة الى قعود علي عليه السلام فنحن نورده عليكم بالنسبة الى قعوده ﷺ ومما يوضح ما قلناه ان الحسين عليه السلام كان من الشجاعة بمكان لا يدانى فيه، كيف لا وقد سبق ان النبي ﷺ ورثه شجاعته وسخاوته، ولما صار لطلب حقه وقلّت اعوانه وكثرت الاعداء عليه اصيب بتلك المصيبة التي صدعت اركان الدين وزلزلت السموات والارض، وهي كالحجة على ان علياً عليه السلام انما قعد عن المنازلة لمثل هذا مع ان علياً عليه السلام قد كان له قوة الهية وبها قلع باب خيبر وقوة بشرية ولم يكن بها قادراً على كسر قرص الشعير اليابس فبالنظر الى القوة الاولى قد كان قادراً لولا تلك الموانع من ارتداد الناس عن الدين ومن جهة الودائع التي كانت في اصلاب المرتدين واما بالنظر الى القوة الثانية فهو كغيره من افراد البشر يوصف بالعجز ونحوه.

نور سماوي

يكشف عن ثواب يوم قتل عمر بن الخطاب، رويناه من كتاب الشيخ الامام العالي ابي جعفر محمد بن جرير الطبري قال المقتل الثاني يوم التاسع من شهر ربيع الاول[٣٤] اخبرنا الامين السيد ابو المبارك احمد بن محمد بن اردشير الدستاني قال اخبرنا السيد ابو البركات بن محمد الجرجاني قال اخبرنا هبة الله القمي واسمه يحيى قال حدثنا احمد بن اسحاق بن محمد البغدادي، قال حدثنا الفقيه الحسن بن الحسن السامري انه قال كنت انا ويحيى بن احمد بن جريح البغدادي فقصدنا احمد بن اسحاق القمي وهو صاحب الامام الحسن العسكري عليه السلام بمدينة قم فقرعنا عليه الباب فخرجت الينا من داره صبية عراقية فسئلناها عنه فقالت هو مشغول وعياله فأنه يوم عيد، قلنا سبحان الله الاعياد عندنا اربعة عيد الفطر وعيد النحر والغدير والجمعة، قالت روى سيدس احمد بن اسحاق عن سيده العسكري عن ابيه علي بن محمد عليهم السلام ان هذا يوم عيد وهو من خيار الاعياد عند اهل البيت عليهم السلام وعند مواليهم، قلا فأستأذني بالدخول عليه وعرَفيه مكاننا، قال فخرج علينا وهو متزر بمئزر له متّشح بكسائه يمسح وجهه فأنكرنا عليه ذلك فقال لا عليكما انني كنت اغتسل للعيد فان هذا اليوم وهو يوم التاسع من شهر ربيع الاول يوم

---

(٣٤) لايخفى على القارئ العزيز مافي هذه الرواية من المخالفة لما هو المشهور بين ان عمر بن الخطاب توفى في اواخر ذي الحجة سنة(٢٣)هـ فقيل توفي ليلة الاربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة وقيل طعن الاربعاء لاربع يقين من ذي الحجة ودفن يوم الاحد هلال محرم سنة(٢٤)هـ وقيل توفي لاربع يقين من ذي الحجة وقيل ان وفاته كانت في غرة المحرم سنة(٢٤)هـ وقيل طعن لسبع يقين من ذي الحجة وقيل لست بقين منه وقيل غير ذلك .
انظر تاريخ الطبري ج٣ص٢٦٥-٢٦٦ط مصر سنة(١٣٥٧)هـ وتهذيب الاسماء للنووي ج٢ص١٤ وابن الاثير ج٣ص٢٠ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٣٦ ط مصرسنة(١٣٧١)هـ وغيرها من الكتب الكثيرة ولكن يظهر من النووي في تهذيب الاسماء ان في تاريخ الطعن على عمر ومدة خلافته ووفاته اقوال اخر ولايبعد ان يكون منها القول بكون قتله في اليوم التاسع من ربيع الاول كما انه يظهر من العلامة عبد الجليل الرازي في كتاب(النفص) الملف في حدود سنة(٥٦٠)هـ ان قتل عمر في اليوم التاسع منه كان مشهوراً بين الشيعة انظر ص٢٨٠ وتعليق الفاضل المعاصر المحدث عليه والرواية التي نقلها المصنف لاتخلو من المناقشات التي لاسعة في المقام لذكرها ولا سيما ما في ذيل الرواية من قوله: وامرت الكرام الكاتبين ان يرفعوا القلم عن الخلق ثلاثة ايام ولا اكتب عليهم شيئاً من خطاياهم) فان ظاهر هذه الفقرة مخالف لقواعد المذهب واصول المسلمة ولابد من تأولها وتوجيها واخراجها عن ظاهرها
ونقل هذه الرواية العلامة المجلسي(ره) في البحار عن السيد ابن طاووس(ره) انظر المجلد العشرين ص٣٣٠ط امين الضرب وفيها زيادات في آخر الرواية وذكر اثنين وسبعين اسماً ليوم التاسع من ربيع الاول
والذي يهون الخطب ان هذه الرواية لم نجدها في الجوامع الحديثية المعتبرة كالكتب الاربعة- عند الامامية ولذا يشكل الاعتماد على جميع فقراتها.

عيد فأدخلنا داره واجلسنا على سرير له ثم قال لنا اني قصدت مولاي ابا الحسن العسكري عليه السلام مع جماعة من اخواني في مثل هذا اليوم وهو اليوم التاسع من ربيع الاول فراينا سيدنا عليه السلام قد أمر جميع خدمه ان يلبس ما يمكنه من الثياب الجدد وكان بين يديه مجمرة يحرق فيها العود قلنا يا ابن رسول الله هل تجد في هذا اليوم لاهل البيت فرحاً فقال عليه السلام وأي يوم اعظم حرمة من هذا اليوم عند اهل البيت وأفرح.

وقد حدثني ابي عليه السلام ان حذيفة دخل في مثل هذا اليوم وهو اليوم التاسع من شهر ربيع الاول على رسول الله صلى الله عليه وآله قال حذيفة فرأيت امير المؤمنين عليه السلام مع ولديه الحسن والحسين عليهما السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله يأكلون والرسول صلى الله عليه وآله يتبسم في وجوههما ويقول كُلا هنيئاً مريئاً لكما ببركة هذا اليوم وسعادته فأنه اليوم الذي يقبض الله فيه عدوه وعدو جدكما ويستجيب دعاء امكما، فأنه اليوم الذي يكسر فيه شوكة مبغض جدكما وناصر عدوكما كُلا فأنه اليوم الذي يفقد فيه فرعون اهل بيتي وهامانهم وظالمهم وغاصب حقهم كُلا فأنه اليوم الذي يفرج الله فيه قلبكما وقلب امكما قال حذيفة قلت يا رسول الله في امتك واصحابك من يهتك هذا الحرم قال رسول الله صلى الله عليه وآله جبت من المنافقين يظلم اهل بيتي ويستعمل في امتي الريا ويدعوهم الى نفسه ويتطاول على الامة من بعدي ويستجلب اموال الله من غير حلّه وينفقها في غير طاعته ويحمل على كتفه درّة الخزى ويضل الناس عن سبيل الله ويحرف كتابه ويغيّر سنبي ويغصب ارث ولدي وينصب نفسه علماً ويكذبني ويكذب اخي ووزيري ووصي وزوج ابنتي، ويتغلب على ابنتي ويمنعها حقها وتدعو فيستجاب لها الدعاء في مثل هذا اليوم.

قال حذيفة قلن يا رسول الله ادع الله ليهلكه في حياتك قال يا حذيفة لا احب ان اجترئ على الله لما قد سبق في علمه لكني سألت الله عز وجل ان يجعل لليوم الذي يقبضه فيه اليه فضيلة على سائر الايام ويكون ذلك سنة يستن بها احبائي وشيعة اهل بيتي ومحبوهم فأوحى الله عز وجل اليّ فقال يا محمد انه قد سبق في علمي ان يمسك واله بيتك محن الدنيا وبلاؤها وظلم المنافقين والمعاندين من عبادي ممن نصحتهم وخانوك ومحضتهم وغشوك وصافيتهم وكاشحوك واوصلتهم وخالفوك واوعدتهم فكذبوك، فأني بحولي وقوتي وسلطاني لافتحنّ على روح من يغصب بعدك علياً وصيك وولي حقك من العذاب الاليم ولاوصلنه واصحابه قعراً يشرف عليه ابليس فيلعنه ولاجعلنّ ذلك المنافق عبرة في القيامة مع فراعنة الانبياء واعداء الدين في المحشر، ولاحشرنهم واولياءهم وجميع الظلمة والمنافقين في جهنم ولادخلنهم فيها ابد الابدين، يا محمد انا انتقم من الذي يجتري عليّ ويستترك كلامي ويشرك بي وبصدّ الناس عن سبيلي وينصب نفسه عجلاً لامتك ويكفر بي اني قد امرت سكان سبع سمواتي من شيعتكم ومحبيكم ان يتعيدوا في هذا اليوم الذي

اقبضه اليَّ فيه وامرتهم ان ينصبوا كراسي كرامتي بإذاء بيت المعمور ويثنوا عليَّ ويستغفروا لشيعتكم من ولد آدم، يا محمد وامرت الكرام الكاتبين ان يرفعوا القلم عن الخلق ثلثة ايام من اجل ذلك اليوم ولا اكتب عليهم شيئاً من خطاياهم كرامة لك ولوصيك يا محمد اني قد جعلت ذلك عيداً لك ولاهل بيتك وللمؤمنين من شيعتك، وآليت على نفسي بعزتي وجلالي وعلوي في رفيع مكاني ان من وسع في ذلك اليوم على اهله واقاربه لازيدنَّ في ماله وعمره ولاعتقنه من النار ولاجعلنَّ سعيه مشكورا وذنبه مغفورا واعماله مقبولة، ثم قام رسول الله ﷺ فدخل بيت ام سلمة فرجعت عنه وانا غير شاكٌ في امر الشيخ الثاني حتى رأيته بعد رسول الله ﷺ قد فتح الشر واعاد الكفر والارتداد عن الدين وحرّف القرآن.

اقول وذكر صاحب الاستيعاب وهو من رجال العامة، قال ذكر الواقدي قال اخبرني نافع عن ابي نعيم عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن ابيه، قال غدوت مع عمر بن الخطاب الى السوق وهو متكي على يدي فلقيه ابو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة فقال الا تكلم مولاي يضع عني من خراجي، قال كم خراجك قال دينار قال ما أرى ان افعل لعامل محسن وما هذا بكثير ثم قال له عمر الا تعمل لي رحى قال بلى قال فلما ولّى قال ابو لؤلؤة لاعملنَّ لك رحى يتحدث بها ما بين المشرق والمغرب قال فوقع في نفسي قوله قال فلما كان في النداء لصلوة الصبح وخروج عمر الى الناس قال ابن الزبير وانا في مصلاي وقد اضطجع به ابو لؤلؤة فضربه بالسكين ست صنعات احديهن تحت سرته هي قتلته فصاح لعبد الرحمن بن عوف فقال قم فصلِّ بالناس واحتملوا عمر فقالوا له لم لا تولي الخلافة لعلي بن ابي طالب قال ان ولّوها الاجلح(٣٥) سلك بهم الطريق المستقيم يعني علي بن ابي طالب وقال له ابنه ما يمنعك ان تقدم علياً قال اكره ان اتحملها حياً وميتاً. اقول انظر الى هذا الجواب والاعتذار والاقرار منه حال موته بأنه قد كان متحملاً للخلافة غير قابل لها والا فلو كان من اهلها كان اعرف بمواقعها ولا كان يحتاج الى ذلك التلبيس المذكور في حكاية الشورى التي خربت بناء الاسلام وهدمت اركان الدين واحزنت سيد الموحدين، حيث قال في خطبة الشقشقية:

اما والله لقد تقمصها فلان وانه ليعلم ان محلّي منها محل القطب من الرحى ينحدر عني السيل ولا يرقى اليَّ الطير فسدلت دونها ثوباً وطويت عنها كشها وطفقت ارتأي بين ان اصول بيد جذاء أو اصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها مؤمن حتى

---

(٣٥)جلح جلحاً انحسر شعره عن جانبي رأسه فهو الجح.

يلقى ربه، فرأيت ان الصبر على هاتا احجى، فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى، أرى تراثي نهباً، حتى مضى الاول لسبيله فأدلى بها الى فلان بعده.

شعر

شتّان ما يومي على كورها ويوم حيّان اخي جابر

فيا عجباً بينا هو يستقلها في حياته اذ عقدها لاخر بعد وفاته لشدَ ما تشطّر اضرعيها فصيّرها في حوزة خشناء يلغظ كلمها[٣٦] ويشخن مسها، ويكثر العثار فيها والاعتذار منها فصاحبها كراكب الصعبة ان اشنق لها خرم وان ابليس لها تقحّم فمنى الناس لعمر الله بخبطٍ وشماسٍ وتلوّن واعتراض، فصبرت على طول المدة وشدة المحنة حتى اذا مضى سلبيله جعلها في جماعة زعم اني احدهم فيالله وللشورى متى اعترض الريب فيَّ مع الاول حتى صرت اقرن الى هذه النظائر، لكني اسففت اذ اسفوا وطرت اذا طار وافصعني منهم رجل لضغنه ومال الاخر لصهره مع هنٍ وهنٍ الى ان قام ثالث القوم نافجاً حضينه بين نثيله ومعتلفه وقام معه بنو ابيه يخضمون مال الله تعالى خضم الابل نبتة الربيع الى ان انتكث عليه فقتله واجهز عليه عمله وكبت به بطنته فما راعني الاَ والناس كعرف الضبع اليَ ينثالون عليَ من كل جانب حتى لقد وطئ الحسنان وشقَ عطفاي مجتمعين حولي كربيضة الغنم، فلما نهضت بالامر نكثت طائفة ومرقت أخرى وقسط آخرون كأنهم لم يسمعوا كلام الله سبحانه حيث يقول تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين بلى والله لقد سمعوها ووعوها، ولكنهم حليت الدنيا في اعينهم وراقهم زبرجها اما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء الا يقاروا على كظّة ظالم ولا سغب مظلوم لالقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس اولها ولالفيتم دنياكم هذه عندي أزهد من عفطة عنز[٣٧] قال وقام اليه رجل من اهل السوّاد عند بلوغه الى هذا الموضع من خطبته فناوله كتاباً فأقبل ينظر فيه فلما فرغ من قرائته قال له ابن عباس رضي الله عنه يا امير المؤمنين لو اطردت مقالتك من حيث افضيت، فقال هيهات يا ابن عباس تلك شقشقة هدرت ثم قرّت قال ابن عباس والله ما أسفت على كلام قطّ كأسفي على ذلك الكلام ان لا يكون امير المؤمنين عليه السلام بلغ حيث اراد منه.

---

(٣٦) الكلم بمعنا الجرح كانه يقول خشونتها تجرح جرحاً غليظاً وفي نسخة: كلامها بالضم الارض الغليظية:

(٣٧) قال الشخ محمد عبدة عقطة العنز ماتنثره من انفها كالعطفة عطفت تعطف من باب ضرب غير ان اكثر مايستعمل ذلك ف النعجة والاشهر في العنز النفطة بالنون يقال ماله عافط ولا نافط أي نعجة ولاعنز كما يقال ماله ثاغية وراغية والعفطة الحبقة ايضاً لكن الاليق بكلام امير المؤمنين (عليه السلام) هو ماتقدم.

اقول لا يخفى ما في هذه الخطبة البليغة من الذم لمن تقدمه من الثلاثة ومن يكون على مثل هذه الحال كيف يكون قد رضى بأبي بكر وصاحبيه وبايعهما طوعاً كما يقول جماعات العامة، ومن هذا ذهب بعضهم الى ان هذه الخطبة من قول السيد الضري (ره) جامع نهج البلاغة، ويردَ هذا القول ان صاحب كتاب معاني الاخبار قد نقلها مسندة ومفسرة بتفسير الحسن بن سعيد العسكري وهو من اعيان الجمهور، وتاريخ وفات صاحب كتاب معاني الاخبار قبل ولادة المرتضى اخي الرضي الذي هو اكبر من الرضي رحمهما الله تعالى. وقد نقلها صاحب كتاب الغارات مسندة باسانيدهم، وتاريخ الفراغ من ذلك يوم الثلاثا لثلاث عشرة خلون من شوال سنة خمسة وخمسين وثلثمائة وهذه هي السنة التي ولد فيها المرتضى الموسوي، وهو اكبر من أخيه الرضي كما عرفت وقد اعترف ابن ابي الحديد في الشرح انه اطلع عليها في نسخة تاريخها قبل ولادة الرضي مع ان طبقة كلامه عليه السلام لا تخفى على من له معرفة بعلم البلاغة فان كلامه عليه السلام كما قيل فوق كلام المخلوق وتحت كلام الخالق وحينئذ فلا بأس بالاشارة الى حلَ الفاظها والا فبسط الكلام فيها يحتاج الى كتاب بانفراد.

قوله عليه السلام اما والله لقد تقمصها فلان، يعني ابا بكر لبس الخلافة متكلفاً لها وليس هو من اهلها وقوله عليه السلام محل القطب من الرحى، معناه ان مدار الرحى ومناط عملها انما هو على القطب ولولاه لكانت الرحى صخرة موضوعة على صخرة لا ينتفع بها بوجه من الوجوه وقوله عليه السلام ينحدر عني السيل شبَه علومه وحكمه الواصلة الى الناس بالماء الجاري من المحل المرتفع الى المكان المنخفض فالمراد بالسيل علومه ومنافعه.

وقوله عليه السلام ولا ترقى اليَ الطير معناه ان الطير لو اراد الطيران الى ادنى درجة من درجات كماله لم يبلغها، وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس، وقوله عليه السلام فسدلت دونها ثوباً وطوبت عنها كشحاً، معناه اني ارخيت بيني وبين الخلافة ثوباً ولم اطلبها، وكذا طوبت عنها كشحاً معناه اني اعرضت عن طلبها اعراضاً، والكشح هو الخاصرة.

وقوله عليه السلام وطفقت ارتأي بين ان اصول بيد جذّاء او اصبر على طخية عمياء، معناه اني شرعت انظر وأتأمل ان اصول بيد مقطوعة، وهو كناية عن قلة الناصر والمعين والطخية الليلة المظلمة السوداء، وهي خلافة الثلاثة كما قال تعالى او ظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض، اذا اخرج يده لم يكد يراها، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور، وقد ورد في الحديث تفسير الظلمات بخلافاتهم، قوله عليه السلام يهرم فيها الكبير ويشبَ فيها الصغير معناه ان الكبير يسرع اليه الهرم كما ان الصغير يسرع اليه الشيب بسبب هذه

الطخية العمياء ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه الكدح التعب أي المؤمن يتعب نفسه في هذه الطخية الى ان يلقى ربه.

وقوله عليه السلام على هاتا احجى أي على الطخية اولى فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى، الشجى ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه والمراد به هنا المصيبة المانعة من لذل الاكل والشرب وقوله عليه السلام ارى تراثي نهبا، التراث الميراث والمراد به الخلافة فانها ميراثه من النبي صلى الله عليه وآله والمراد ما هو اعمَ يتناول فدك والعوالي فانه بعد فاطمة عليها السلام صار ميراثاً، قوله عليه السلام حتى اذا مضى الاول وهو ابو بكر لسبيله فادلى بها الى فلان يعني انه دفعها الى عمر بطريق النص والوصية وقوله عليه السلام شتّان، البيت وهو للاعشى يقول تفرق ما بين يومي يوم سروري وهو مناد متى لاخي حيّان، ويوم شدتي وركوبي على متن ناقتي في البراري والقفار، فهو عليه السلام قد استعار هذا ليوميه يوم فرحه لما كان نديمه النبي صلى الله عليه وآله ويوم تعبه وهو يوم ركوبه المشاق والحروب وحده بلا معاون ونصير.

وقوله عليه السلام فيا عجبا بينا هو يستقيلها في حيوته اذ عقدها لاخر بعد وفاته أي قوم اعجبوا عجباً، بين اوقات ابي بكر يقول اقيلوني اقيلوني فلست بخيركم وعلي فيكم رواه الجمهور عن ابي بكر، اذ عقدها لعمر بعد وفاته، وفي هذا دلالة على ان تلك الاستقالة كانت خدعة منه، ومن ثم قال بعض المحققين معنى استقالته الامر بقتل علي بن ابي طالب عليه السلام يعني ما دام علي فيكم موجوداً فأنا لست بخيركم فاقتلوه حتى اكون انا الخليفة من غير منازع، وفي هذا دلالة على مخالفة ابي بكر للنبي صلى الله عليه وآله لانهم يزعمون ان النبي صلى الله عليه وآله مات ولم يوص الى احد، ولا ريب ان هذا باعتقادهم كان هو الاولى حتى يكون الاختيار مفوضاً الى الناس فكيف يصنع ابو بكر مثل صنعه ان هذا الا خلاف بيَن، وقوله عليه السلام لشدّ ما تشطر اضرعها، شبّه عليه السلام الخلافة بناقة لها ضرعان وكان كل واحد منهما أخذ منها ضرعاً لنفسه يحلب منه.

وقوله عليه السلام فصيرها في حوزة خشنا الحوزة الطبيعة والمراد ان صاحب تلك الطبيعة فظَ غليظ القلب وقوله يغلظ كلمها معناه ان تلك الطبيعة يعظم جرحها وهو كناية عن ايذائه المؤمنين ويكثر العثار فيها أي يقع في الاحكام الشرعية في زمن خلافة الثاني عثار كثير وهو الغلط في الاحكام حتى كان يتعذر من كثرة اغاليطه بقوله كل الناس افقه من عمر حتى المخدرات تحت الحجال، وقوله لولا علي لهلك عمر في سبعين موضعاً قوله عليه السلام فصاحبها كراكب الصعبة ان اشنق لها خرم وان اسلس لها تقحم، يقال شنق البعير يشنقه أي كفه بزمامه حتى الزق ذفراه بقادمة الرجل، والمعنى ان صاحب تلك الطبيعة الخشنة التي يكثر منها العثار في الاحكام والاعتذار عن الغلط في المسائل كراكب الصعبة ان كفها بزمامها خرم وشقه لانها لا تقف بسهولة

وان ارخى لها الزمام اسلسها تقحم في اودية الهلاك، وهذه طبيعة المتخلف الثاني مع انه لم يرد كفها وهي كالناقة الصعبة فلا جرم رمت به في وادي الضلال.

وقوله عليه السلام فمنى الناس لعمر الله بخبط وشماس وتلون واعتراض منى على المجهول بمعنى ابتلى يقال منى بكذا ابتلى به، والخبط مسّ الشيطان والشمّاس الامتناع من قبول الحق بسبب تسويلات عمر ووساوسه لهم، والتلون عدم الثبوت على هيئة وصفة واحدة والاعتراض المنع والاصل فيه ان الطريق اذا اعترض فيه بناء او غيره منع السائلة من السلوك وهو قد اعترض لهم في طريق الحق فمنعهم عن سلوكه قوله عليه السلام فصبرت على طول المدة وشدة المحنة حتى اذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم اني احدهم.

وطول مدة خلافتهما هو ان مدة خلافة ابي بكر سنتان وستة أشهر وايام ومدة خلافة الثاني عشر سنين فصبر عليها فلما اراد الله ان يقبضه الى ما هيأ له من اليم العذاب جعل عمر الخلافة في ستة رجال وجعل علياً عليه السلام منهم، وهي علي عليه السلام وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف والزبير وطلحة وعثمان، ودعا ابا طلحة زيد بن سعد الانصاري فقال له كن في سبعين (خمسين خ ل) رجلاً من قومك فاتقل من ابى ان يرضى ان يكون من هؤلاء الستة وان اختلفوا فالحق في القوم الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، فقال العباس لعلي بن ابي طالب عليه السلام ذهب الامر منا لان عبد الرحمن كانت بينه وبين عثمان مصاهرة وامور توجب انه لا يختار عليه احداً فقال علي عليه السلام انا اعلم ذلك ولكن ادخل معهم في الشورى لا عمر قد استصلحني الان للخلافة، وكان يقول من قبل ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال ان النبوة والامامة لا تجتمعان في بيت واحد، واني ادخل في ذلك ليظهر انه كذب نفسه، لما روى اولاً وكان مقصد عمر من هذه الشورى قتل علي بن ابي طالب عليه السلام لعلمه بأنه لا يطيع عبد الرحمن بن عوف، فانظر الى شدّة عداوته لاهل البيت عليهم السلام ومن جملة مكائده في هذه الوصية انه لم يوص الى ابنه عبد الله بن عمر وقيل له في ذلك فقال انه لم يعرف يطلق زوجته فكيف اوليه الخلافة وكان اخراجه مكيدة على الناس وباعثاً لهم على قبول الشورى.

وقوله عليه السلام فيالله وللشورى متى اعترض الريب فيّ مع الاول حتى صرت اقرن الى هذه النظائر، أي فيارب انت المغيث والمعين والمخلصَ من شدة الشورى ومشقتها يا رب واين انا من الشورى وما لي وللشورى متى اعترض الشك فيّ بمساواة ابي بكر حتى قرنني عمر بمن هو ادنى منه ومن صاحبه الاول وقوله عليه السلام لكني اسففت اذ اسفوا وطرت اذا طاروا اسف الرجل أي تتبع مداق الامور وهرب من صاحبه وطلب الامور الدنية، والمعنى انهم حين ارادوا المكر والخدعة تابعتهم تقية من القتل وطرت معهم الى مطالبهم لما طاروا تقية ايضاً .

قوله عليه السلام فصنعي منهم رجل لضغنه أي مال رجل من اهل الشورى وهو سعد بن ابي وقاص من الحق الى الباطل لحقده وحسده لعلي عليه السلام فمال عنه الى عثمان، ومال الاخر لصهره مع هن وهن أي مال الرجل الاخر وهو عبد الرحمن بن عوف لمصاهرة بينه وبين عثمان مال اليه لانه كان زوجاً لاخت عثمان من امه، وهي كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط، وهذا الميل ايضاً ليس لمجرد المصاهرة بل كان معه شيء من البغض والحسد لعلي عليه السلام، وهو المراد بقوله وهن وهن أي مع شيء شيء.

قوله عليه السلام الى ان قام ثالث القوم نافجاً حضينه بين نثيله ومعتلفه يعني حتى بايعوا عثمان وقام بأمر الخلافة منتفخاً جنبيه من البغض والحسد او من الاكل والشرب والنثيل الروث والمعتلف الاكل ومعناه ان غرض عثمان وحاجته الاكل والروث يعني يأكل ويروث.

وقوله عليه السلام وقام مه بنو ابيه يخضمون مال الله تعالى خضم الابل نبتة الربيع أي اتفق مع عثمان بنو ابيه وهم بنو امية بن عبد الشمس يأكلون مال الله تعالى من غير مبالات كأكل الابل نبات الربيع، كان يصرف مال الله تعالى على نفسه وعلى اقاربه حتى انه اعطى منه اصهاره اربعمائة الف درهم حتى وصل الامر الى ان قال له المهاجرون والانصار اما تخلع نفسك من الخلافة او نقتلك فاختار القتل على خلع نفسه فقتلوه وكان مطروحاً في خندق اليهود الى ثلاثة ايام فلا يستحل احد دفنه ولا يقدم احد على ذلك خوفاً من المهاجرين والانصار حتى نهبه بنو امية ودفنوه وقيل كان مطروحاً في مزبلة اليهود ثلاثة ايام حتى اكلت الكلب احدى رجليه فاستأذنوا علياً عليه السلام فأذن في دفنه وهذا الذي في المدينة هو عثمان بن مظعون لا عثمان بن عفان، فان قبره الان غير معلوم.

قوله عليه السلام الى ان انتكث عليه فتله واجهز عليه عمله وكبت به بطنته النكث هو النقض والبطنة كثرة الاكل قوله عليه السلام فما راعني الا والناس اليَّ كعرف الضبع ينثالون عليَّ من كل جانب حتى لقد وطئ الحسنان وشقَّ عطفاي أي اعجبني امر مثل هذا الامر وهو اجتماع الناس على بيعتي وتواليهم وازدحامهم مثل عرف الضبع وينثالون بمعنى ينصبون عليَّ كانصباب الماء وشقَّ عطفاي أي شق جانبا ثوبي من كثرة ازدحام الناس.

قوله كربيضة القنم أي كاجتماع الغنم حول راعيها وقوله عليه السلام فنكث طائفة ومرقت اخرى وقسط آخرون أي نقض بيعتي وهم اهل البصرة ومرقت أخرى وهم اهل النهروان وقسط آخرون وهم اهل صفين وقد اخبره النبي صلى الله عليه وآله بقوله انك يا علي ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين، رواه العامة والخاصة قوله عليه السلام لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما اخذ الله على العلماء الا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم أي لولا حضور الحاضر لاجل بيعتي

وقيام الحجة على سبب وجود المعين والناصر، ولولا ما اخذ الله على العلماء ان لا يقاروا أي لا يلبثوا ولا يداهنوا على ظلم الظالمين والكظة بالكسر البطنة وشيء يعترى من امتلاء البطن ولا سغب مظلوم أي على جوعه وتعبه الذي اصابه من ظلم الظالم.

قوله عليه السلام لالقيت حبلها على غاربها هو جواب الشرط أي لتركت الخلافة او الامة ولالقيت زمامها على ظهرها قوله عليه السلام ولسقيت آخرها بكأس اولها أي لخليتهم يشربون من كأس الحيرة والجهالة بعد عثمان كما شربوه اولاً في زمن الثلاثة وقوله عليه السلام وتلك شقشقة هدرت، الشقشقة بالكسر شيء كالسرية يخرجه البعير من فيه اذا هاج، شبه هذه الخطبة بها لانها انما صدرت منه حين هاجت نفسه الشريفة من ظلم الظالمين[٣٨].

واما الكتاب الذي دفعه الرجل الى امير المؤمنين عليه السلام فروى انه قد كان فيه عدة مسائل منها انه سئله ما الحيوان الذي خرج من بطنه حيوان آخر وليس بينهما نسب فأجابه بأنه يونس بن متى خرج من بطن الحوت، ومنها ما الشيء الذي قليله مباح وكثيره حرام، فقال عليه السلام نهر طالوت لقوله تعالى الا من اغترف غرفة بيده، ومنها ما العبادة التي ان فعلها احد استحق العقوبة، وان لم يفعلها ايضاً استحق العقوبة فاجاب بانها صلاة السكارى، ومنها ما الطائر الذي لا فرخ له ولا اصل ولا فرع، فقال هو طائر عيسى عليه السلام في قوله تعالى واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيه.فلينظر الى هذ الخطبة وما اشتملت عليه من الشكاية ممن تقدمه، والعجب العجيب من جماعة المخالفين كيف احبوا علياً وعمر وكيف جمعوا بين حب علي وعمر في قلب واحد مع ان حبهما مما لا يجتمعان ابداً كما سيأتي تحقيقه، واعجب من هذا دعواهم حب علي معاوية واعتقادهم الخبر في كليهما مع ان كل واحد منهما قد كفَر الاخر واستحل قتله، ولعمرك لو تمكن معاوية في حرب صفين من قتل علي عليه السلام لقتله بيده كما ان ولده الخبيث لما تمكن من قتل ولده الحسين عليه السلام قتله واسر حريمه وفعل فعلته الشنيعة، ولكن جوابهم انهما مجتهدان قد اخطأ واحد منهما، ويقولون المخطي هو معاوية لكن المجتهد المخطي لا عقاب عليه في اجتهاده الخطأ.

فنقول لهم اولاً ان معاوية كان اعلم منكم بأحوال علي عليه السلام واستحقاقه الخلافة لان الخلافة عند كافة المسلمين طريق ثبوتها، اما النص كما يقوله الامامية او الاجماع كما تقولونه انتم وبعد قتل عثمان لم يحصل الاتفاق والبيعة الا لعلي عليه السلام فهو بعد عثمان خليفة واجب الطاعة باجماع كل المسلمين ومعاوية كان اعرف بهذا الامر من كل احد، وقد رويتم انتم في اخباركم عن معاوية طرفاً وافراً من علمه واظهاره واستحقاق علي عليه السلام الخلافة دونه وكذا علم اكابر اصحابه

---

(٣٨) وسميت هذه الخطبة الشريفة بالشقشقية لقوله عليه السلام فيها انها شقشقت هدرت ثم قرت.

مثل عمرو بن العاص واشباهه كما رويتم في كتبكم عن عدي بن ارطأة قال قال معاوية يوماً لعمرو بن العاص يا ابا عبد الله اينّا ادهى قال عمرو انا للبديهة وانت للروية قال معاوية لي على نفسك وانا ادهى منك في البديهة، قال عمرو فأين دهاؤك يوم رفعت المصاحف، قال بها غلبتني يا ابا عبد الله أفلا اسألك عن شيء تصدقني فيه، قال والله ان الكذب لقبيح فسل عمّا بدا لك اصدقك، فقال هل غششتني منذ نصحتني قال لا قال بلى والله لقد غششتني اما اني لا أقول في كل المواطن ولكن في موطن واحد قال واي موطن هذا قال يوم دعاني علي بن ابي طالب للمبارزة فاستشرتك فقلت ما ترى يا ابا عبد الله فقلت كفو كريم فأشرت عليَ بمبارزته وأنت تعلم من هو فعلمت انك غششتني قال يا امير المؤمنين دعاك رجل الى مبارزته عظيم الشرف جليل الخطر فكنت من مبارزته على أحد الحسنيين اما ان تقتله فتكون قد قتلت قتّال الاقران وتزداد شرفاً الى شرفك وتخلو بملكك واما ان تعجل الى مرافقة الشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا، قال معاوية هذه اشر من الاولى والله اني لاعلم اني لو قتلته دخلت النار ولو قتني دخلت النار قال له عمرو فما حملك على قتاله قال الملك عقيم ولن يسمعها مني احد بعدك فهذا اعتراف صريح من معاوية بأن علياً عليه السلام هو القابل للخلافة وهي له.

وقد قال له عمرو بن العاص قصيدة[٣٩] في وصف حاله مع معاوية لما وعده معاوية امارة مصر كذب عليه اولها:

معاوية الحال لا	وعن سنن الحق لا

الى ان قال:

وعلمتكم كشف	لردّ الغضنفرة المقبل
وقلت لكم ان	عليها المصاحف
ولولاي كنت شبيه	تعاف الخروج من
خلعت الخلافة من	محل النعال من

---

(٣٩) هي القصيدة المسماة بالجلجلية كتبها عمرو بن العاص الى معاوية بن ابي سفيان في جوابه كتابه اليه يطلب خراج مصر ويعاتبه على امتناعه عنه ولما سمع معاوية هذه الابيات لم يتعرض له بعد ذلك وتسمى بالجلجلية لما فيها في آخرها:

(ففي عنقي علق الجلجل) مثل يظرب انظر لسان العرب ج١٣ص١٢٩ ط مصر والجلجل الجرس الصغير يعلق في اعناق الدواب ونقل تلك القصيدة برمتها حضرة العلامة الكبير شيخنا الاميني دام ظله في كتابه القيم النفيس•الغدير) ج٢ ص١١٤ وذكر. ترجمة عمرو بن العاص بن وائل الابتر ابن الابتر شاني محمد وآل محمد في الجاهلية والاسلام واحد دهات العرب الخمس الذين منه دئت الفتن واليه تعود انظر من صفحة(١٢٠) الى (١٧٦) تجد ترجمة مفصلة على نحو التحقيق والتحليل.

والبستها فيك يا ابن ... كلبس الخواتيم في

ولا لك فيها ولا ذرة ... ولا لجدودك من

ورقيتك المنبر ... بلا جذب سيف ولا

وكم قد سمعنا من ... وصايا مخصصة في

وفي يوم خمّ رقى ... وبلّغ والصحب لم

وامنحه أمرة ... فنال بها شرف

وفي كفه كفه معلنا ... ينادي باسم العزيز

فمن كنت مولاه ... علي له الان نعم

فوال مواليه يا ذا ... وعاد معادي اخي

الى ان قال:

فان قيل بينكما نسبة ... فأين الحسام من

واين الثريا واين ... واين معاوية من

وقد بدت تذرق ... حذار[41] الغضنفرة

وعلى نحو هذه الابيات من مدح علي عليه السلام وذمّ معاوية وهي قصيدة طويلة قال في آخرها:

فان أك فيها بلغت ... ففي عنقي علّق

واما ثانياً فلأن اجتهاد معاوية قد قتل في معركة واحدة على ما تقدم ستين الفاً من عسكره وعشرين الفاً من عسكر علي عليه السلام فاذا كان صاحب هذا الاجتهاد معذوراً فلم لا تعذروا الشيعة في لعن عمر وصاحبيه فان مجتهديهم قد اجتهدوا في جواز هذا السب واللعن وجوّزوه بل ربما صرّح بعضهم بوجوبه وتوجيهه ان الله سبحانه قد كلفنا بالتوحيد والاقرار بالرسالة والامامة فان هذه الثلاثة من اركان الدين.

فاما الوحيد فهو مركب من ايجاب وسلب تجمعهما كلمة التوحيد وهي لا اله الا الله فاما من قال ان الله اله ولكن له شريك فهو مشرك ليس بمسلم بالاجماع، وكذا رسالة النبي صلى الله عليه وآله مركبة من ايجاب وسلب ايضاً، وهو ان محمداً رسول الله وانّ من ادعى الرسالة غيره ليس بنبي مثل مسيلمة الكذاب ونحوه فمن شرّك بينهما لا يكون مسلماً ايضاً وكذلك الامامة تابعة لهما في التركيب، فيجب على القائل بها ان يقول عليٌ هو الخليفة والامام وان من ادعى الخلافة غيره ليس بامام، بل هو كاذب فكما يجب علينا التبري من الاصنام ولعنها ولعن من اتخذه الهة وكذا

---

(٤٠)المنجل بكسر الميم ما يحصد به الزرع.

(٤١) حذاراً من البطل المقبل خ ل.

يجب التبري من مسيلمة ولعنه يجب ايضاً التبرئ واللعن على من ادعى الامامة وليس لها بأهل فكما عذرتم معاوية في ذلك الاجتهاد الذي سفكت فيه الدماء فاعذروا الشيعة في هذا الاجتهاد وان كان خطاء ولا تقولون بأن من ثبت انه لعن واحداً من الخلفاء الثلاثة وجب احراقه لان هذا منكم محض عناد وتعصب فان معاوية سبّ علياً عليه السلام على المنابر وقذف فاطمة واستمر السب والقذف ثمانين سنة الى خلافة ابن عبد العزيز حتى كان هو الذي رفعه بلطائف الحيل فاذا جاز مثل هذا بالاجتهاد جاز للشيعة ما قلناه ايضاً بالاجتهاد.

ومن العجب ان كل متخلف من خلفاء الجور قد زاد على الاول في مخالفته للنبي صلى الله عليه وآله اما ابو بكر فقد خالفه بالنص على عمر فأنهم يزعمون ان النبي صلى الله عليه وآله لم ينص على احد واما عمر فقد خالف النبي صلى الله عليه وآله وخالف شيخه ابا بكر في امر الشورى بل كان الواجب عليه متابعة احدهما، واما عثمان ومعاوية فقد زاد على الكل وليت شعري اذا كان صلاح الامة في ترك النص على واحد بزعمكم كما تقولونه بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وآله فكيف ابو بكر لم يراع هذا الاصلح ولم يترك النص على عمر اقتداءاً بالنبي صلى الله عليه وآله ما هذا الا عجب عجيب وامر غريب.

ومما يناسب هذا المقام نقل حديث ونقل بعض الاشعار اما الحديث فقد رواه رئيس المحدثين محمد بن يعقوب (ره) باسناده الى يونس بن يعقوب قال كان عند ابي عبد الله الصادق عليه السلام جماعة من اصحابه فيهم حمران بن اعين ومؤمن الطاق وهشام بن سالم والطيّار وجماعة من اصحابه فيهم هشام بن الحكم وهو شاب، فقال ابو عبد الله عليه السلام يا هشام قال لبيك يا ابن رسول الله قال الا تحدثني كيف صنعت بعمرو بن عبيد وكيف سألته، قال هشام جعلت فداك يا ابن رسول الله اني اجلّك واستحييك ولا يعمل لساني بين يديك فقال ابو عبد الله الصادق عليه السلام اذا امرتكم بشيء فافعلوه، قال هشام بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه في مسجد البصرة وعظم ذلك عليَ فخرجت اليه ودخلت البصرة في يوم الجمعة فأتيت المسجد فاذا انا بحلقة كبيرة واذا انا بعمرو بن عبيد عليه شملة سوداء متزر بها عن صوف وشملة مرتد بها والناس يسألونه فاستفرجت الناس فأفرجوا لي ثم قعدت في آخر القوم على ركبتي ثم قلت ايها العالم انا رجل غريب أتأذن لي فأسألك عن مسألة، قال نعم قال قلت له ألك عين قال يا بني أي شيء هذا من السؤال فقلت هكذا مسألتي فقال يا بني سل وان كانت مسألتك حمقا، قلت اجبني فيها قال فقال سل قلت ألك عين قال نعم قلت فما ترى بها قال الالوان والاشخاص، قال قلت ألك أنف قال نعم قال قلت له فما تصنع به قال أعرف به طعم الاشياء قال قلت ألك لسان قال نعم قلت فما تصنع به قال أتكلم به قال قلت ألك أذن قال نعم قلت وما تصنع به قال أسمع به الاصوات، قال قلت ألك يد قال نعم قلت وما تصنع بها قال ابطش بها قلت ألك قلب قال نعم قلت وما تصنع

به قال أميّز به كل ما ورد على هذه الجوارح، قال قلت أفليس في هذه الجوارح غنى عن القلب قال لا قلت وكيف ذلك وهي صحيحة سليمة قال يا بني أن الجوارح اذا شكت في شيء شمّته او رأته أو ذاقته أو سمعته أو لمسته ردته الى القلب فتيقن اليقين ويبطل الشك قال قلت انما أقام الله القلب لشك الجوارح قال نعم قال فقلت يا ابا مروان ان الله تبارك وتعالى ذكره لم يترك جوارحك حتى جعل لها إماماً يصحح لها الصحيح وتيقن ما شكّ فيه ويترك هذا العالم كله في حيرتهم وشكهم ويقيم لك إماماً لجوارحك ترد اليه حيرتك وشكك قال فسكت ولم يقل شيئاً.

قال ثم التفت اليّ فقال أنت هشام فقلت لا فقال لي أجالسته قلت لا قال فمن أين، قلت من اهل الكوفة فقال اذاً هو ضمني اليه واقعدني في مجلسه وما نطق حتى قمت فضحك ابو عبد الله عليه السلام ثم قال يا هشام من علّمك هذا قال قلت يا ابن رسول الله جرى على لساني، قال يا هشام هذا والله مكتوب في صحف ابراهيم وموسى.

اقول من الامور الغريبة ان واحداً من جماعات المسلمين لو كان صاحب اولاد وعيال واطفال فمات ولم يوص الى أحد يتكفل احوالهم وضبط اموالهم لذمه العقلاء من اهل عصره كما هو المعروف الان فكيف جاز للنبي صلى الله عليه وآله ان يخرج من الدنيا ويدع هذه الامة الكثيرة بلا راع ولا داع ولا وصي ولا ولي، ان هذا من الامر الطريف.

واما الاشعار فهي ان الشيخ العالم العامل الشيخ صالح الجزائري كتب الى الشيخ المحقق خاتمة المجتهدين شيخنا الشيخ بهاء الدين تغمده الله برحمته كتابة هذا لفظها، ما قول سيدي وسندي ومن عليه بعد الله واهل البيت معولي ومعتمدي في هذه الابيات لبعض النواصب بتر الله اعمارهم وخرّب ديارهم فالمأمول من انفاسكم الفاخرة والطافكم الظاهرة ان تشرفوا خادمكم بجواب منظوم تكسر سورة هذا الناصب وشبهته وامثاله من الطغاة، نصر الله بكم الاسلام بمحمد وآله الكرام يقول:

أهوى علياً أمير المؤمنين ولا ... ارضى بسب ابي بكر ولا عمرا
ولا اقول اذا لم يعطيا فدكا ... بنت النبي رسول الله قد كفرا
الله يعلم ماذا يأتيان به ... يوم القيامة من عذر اذ اعتذرا

فأجابه الشيخ بهاء الدين طاب ثراه الثقة بالله وحده التمست ايها الاخ الافضل الصفي الوفي الالمعي الزكي والذكي أطال الله بقال وادام في معارج القرار تقاك الاجابة عما ذهر به هذا المخذول فقابلت التماسك بالقبول وطفقت أقول:

يا ايها المدّعي حب الوصي ولم ... تسمح بسب ابي بكر ولا عمرا
كذبت والله في دعوى محبته ... تبّت يداك ستصلى في غد سقرا

فكيف تهوى امير المؤمنين وقد ... اراكَ في سبّ من عاداه مفتكرا
فان تكن صادقاً فيما نطقت به ... فابرأ الى الله ممن خات او غدرا
وأنكرَ النص في خم وبيعته ... وقال ان رسول الله قد هجرا
أتيت تبغي قيام العذر في فدك ... أتحسب الامر بالتمويه مستترا
ان كان في غصب حق الطهر فاطمة ... ستقبل العذر ممن جاء معتذرا
فكل ذنب له عذر غداة غده ... وكل ظلم ترى في الحشر مفتقرا
فلا تقولوا لمن أيامه صرفت ... في سب شيخيكم قد ضلّ أو كفرا
بل سامحوه وقولوا لا نوأخذه ... عسى يكون له عذر اذا اعتذرا
فكيف والعذر مثل الشمس اذ بزغت ... والامر متضح كالصبح اذ ظهرا
لكن ابليس اغواكم وصيركم ... عمياً وصماً فلا سمعاً ولا بصرا

وحيث انتهى الحال الى هنا فلا بأس بذكر يوم الغدير والكشف عنه.

نور غديري

يضمن حكاية يوم الغدير ونص النبي ﷺ فيه على علي عليه السلام بالخلافة والامامة أعلم ان النص من الله ومن رسوله ﷺ على أمير المؤمنين عليه السلام يوم الغدير مما تواتر عند شيعة أهل البيت عليهم السلام نقلوه عن أئمتهم المعصومين عليهم السلام بالاسانيد المتكثرة حتى بلغ حد التواتر واهل البيت أدرى بما فيه كما أن أهل كل أمام هم اعلم بأقوال امامهم من غيرهم فأن اصحاب ابي حنيفة اعرف بمذهب ابي حنيفة من اصحاب الشافعي، وكذلك اصحاب الشافعي اعرف بمذهبه من غيرهم، واما مخالفوهم فقد اختلفوا في التقصي عن يوم الغدير، فمنهم من انكره رأساً، وقال ام ذلك العام قد كان علي عليه السلام في اليمن أرسله النبي ﷺ لقبض الجزية من نصارى نجران، فهذا قد انكر يوم الغدير من اصله وهذا هو الذي ذهب اليه اكثر متأخريهم وبعضهم قال به ولكن قدح في دلالة الالفاظ على النص بتأويل ركيك سيأتي ان شاء الله .

اما الجواب عن انكاره فالظاهر انه غير محتاج اليه لان الاحكام الشرعية انما وصلت الينا واليهم من صاحب الشرع باخبار الاحاد ووجب علينا العمل بمضمونها وخبر الغدير قد نقل بالتواتر الينا واليهم اما من طرقنا فهو اجماعي واما من طرقهم فمن خلع حبل التعصب عنقه ولم يتلفت على انا وجدنا اباءنا على امة، يظهر له تواتره ايضاً، وقد صنف علماؤهم في يوم الغدير كتباً متعددة فممن صمف فيه ابو العباس احمد بن محمد بن سعيد الهمداني الحافظ المعروف بابن عقدة وهو ثقة عند ارباب المذاهب وجعل ذلك كتاباً مجرداً سمّاه حديث الولاية، وذكر الاخبار

عن النبي ﷺ بذلك واسماء الرواة من الصحابة وهذه اسماء من روى عنهم يوم الغدير، ونص النبي ﷺ على علي بالخلافة واظهار ذلك عند الكافة.

أبو بكر بن عبد الله، عمر بن الخطاب، عثمان بن عفان، علي بن ابي طالب عليه السلام، طلحة بن عبيد الله، الزبير بن العوام، عبد الرحمن بن عوف، سعيد بن مالك، العباس بن عبد المطلب، الحسن بن علي بن ابي طالب عليه السلام، الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام، عبد الله بن جعفر بن ابي طالب، عبد الله بن مسعود، عمار بن ياسر، ابو ذر جندب بن جنادة الغفاري، سلمان الفارسي، اسعد بن زرارة الانصاري، ابو ايوب خالد بن يزيد الانصاري، سهل بن حنيف الانصاري، عثمان بن حنيف الانصاري، حذيفة بن اليمان، عبد الله بن عمر بن الخطاب، البراء بن عازب، رفاعة بن رافع الانصاري، سمرة بن جندب، سلمة بن الاكوع السلمي، زيد بن ثابت الانصاري، ابو ليلى الانصاري، ابو قدامة الانصاري، سهل بن سعد الانصاري، عدي بن حاتم الطائي، ثابت بن زيد بن وديعة، سعد بن عجرة الانصاري، ابو الهيثم الهيّان الانصاري، هاشم بن عتبة بن ابي وقاص الزهري، المقداد بن عمرو الكندي، عمر بن ابي سلمة، عبد الله بن ابي عبد الاسد المخزومي، عمر بن حصين الخزاعي، بريدة بن الخضيب الاسلمي، جبلة بن عمرو الانصاري، ابو هريرة الدوسي، ابو برزة، نضلة بن عتبة الاسلمي، ابو سعيد الخدري، جابر بن عبد الله الانصاري، جرير بن عبد الله، زيد بن ارقم الانصاري، ابو رافع مولى رسول الله ﷺ، ابو عمير بن عمرو بن محصن الانصاري، انس بن مالك الانصاري، ناجية بن عمرو الخزاعي، ابو زينب بن عوف الانصاري، يعلى بن مرة الثقفي، سعيد بن سعد بن عبادة الانصاري، حذيفة بن اسيد ابو سريحة الغفاري، عمرو بن الحمق الخزاعي، زيد بن حارثة الانصاري، مالك بن الحوريث، ابو سليمان جابر بن سمرة السوراني، عبد الله بن ثابت الانصاري، عبد الله بن أبي اوقر الاسلمي، يزيد بن شراحيل الانصاري، عبد الله بن يسر المازني، النعمان بن العجلان الانصاري، عبد الرحمن بن يعمر الديلمي، ابو الحمراء خادم رسول الله ﷺ، ابو فضالة الانصاري، عطية بن بشر المازني، عامر بن ليلى الغفاري، ابو الطفيل عمرو بن واثلة الكناني، عبد الرحمن بن عبد ربه الانصاري، حسان بن ثابت الانصاري، سعيد بن جنادة العوفي، عامر بن عمير النموي، عبد الله بن باميل، حية بن خوبه العوني، عقبة عامر الجهني، ابو دبب الشاعر، ابو شريح الخزاعي، ابو حجيفة وهب بن عبد الله السوني، ابو امامة الصيدي بن عجلان الباهلي، عامر بن ليلى بن ضمرة، جندب بن سفيان العجلي، اسامة بن زيد بن حارثة الكلبي، وحش بن حرب، قيس بن ثابت الانصاري، عبد الرحمن مديح، حبيب بن بديل الخزاعي، فاطمة بنت رسول الله ﷺ عائشة بنت ابي بكر ام المؤمنين، ام هانئ بنت ابي طالب، فاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب،

اسماء بنت عميس الخثعمية، ثم ذكر ابن عقدة ثماني وعشرين رجلاً من الصحابة لم يذكر اسماؤهم ايضاً.

وقد صنف ابو سعد مسعود بن ناصر السجستاني كتاب دراية حديث الولاية وهو شبعة عشر جزء وهو من اوثق رجال الاربعة المذاهب وقد كشف عن يوم الغدير ونص النبي ﷺ على علي بالخلافة بعده ورواه عن مائة وعشرين نفساً من الصحابة منهم ست نساء وعدد اسانيد هذا الكتاب على ما قاله صاحب الطرائف ألف وثلثمائة وخمسة وثلاثون اسناداً وقد كان هذا في حجة الوداع وهي آخر ما كان له من المواقف والاسفار فنعي الى المسلمين نفسه وعرفهم انه قد قرب انتقاله، فأقام باقي ذي الحجة ومحرماً وتوفي في صفر وقيل في ربيع الاول، وقد روى حديث يوم الغدير محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ من خمس وسبعين طريقاً، وأفرد له كتابَ سمَاه كتاب الولاية ذكر أنه انما صنفه للرد على الحرقوصية يعني الحنبلية لان احمد بن حنبل من ولد حرقوص بن زهير الخارجي.

وممن صنف في حديث يوم الغدير الحاكم عبد الله بن عبيد الحسكاني كتاباً سمّاه كتاب دعاة الهداة الى اداء حق الموالاة، وذكر محمد بن الحسن الطوسي في كتاب الاقتصاد وغيره انه قد روى خبر يوم الغدير من مائة وخمسة وعشرين طريقاً، ورواه ايضاً أحمد بن حنبل في مسنده من خمسة عشر طريقاً، ورواه الفقيه بن المغازلي في كتاب المناقب من اثني عشر طريقاً، وقال ابن المغازلي بعد رواياته لخبر يوم الغدير هذا حديث صحيح عن رسول الله ﷺ وقد روى حديث غدير خم من نحو مائة نفس منهم العشرة وهو حديث ثابت تفرد علي بهذه الفضيلة لم يشركه فيها أحد هذا كلامه، فمن روايات الفقيه ابن المغازلي في كتاب المناقب باسناده الى جابر بن عبد الله الانصاري، قال قال رسول الله ﷺ بمنى واني لادناهم في حجة الوداع قال لالفينكم ترجعون بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض وايم الله لئن فعلتموها لتعرفنني في الكتيبة التي تضاربكم ثم التفت الى خلفه فقال أو علي أو علي ثلاثاً فرأينا ان جبرئيل عليه السلام غمزه فأنزل الله تعالى على أثر ذلك فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون بعلي بن ابي طالب الى آخر الحديث.

ومن ذلك ما رواه ايضاً الفقيه الشافعي ابن المغازلي في كتاب المناقب باسناده الى الوليد بن صالح عن زيد بن ارقم، قال اقبل نبي الله في حجة الوداع حتى نزل بغدير الحجفة بين مكة والمدينة فأمر بالدرجات فقمّ ما تحتهن من شوك ثم نادى الصلاة جامعة فخرجنا الى رسول الله ﷺ في يوم شديد الحر وساق الحديث الى ان قال ثم أخذ بيد علي عليه السلام فرفعها فقال من كنت مولاه فعلي مولاه ومن كنت نبيه فهذا وليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه قالها ثلاثا.

ومن ذلك ما رواه ابو بكر بن مردويه الحافظ عندهم باسنادهم الى ابي سعيد الخدري ان النبي ﷺ يوم دعا الناس الى غدير خم امر بما كان تحت الشجرة من الشوك فقمّ وذلك يوم الخميس ثم دعا الناس الى علي عليه السلام فأخذ بضبعيه فرفعها حتى نظر الناس الى بياض إبط رسول الله ﷺ لم يتفرقا حتى نزلت هذه الاية اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً، فقال رسول الله ﷺ الله اكبر على اكمال الدين ورضى الرب برسالتي والولاية لعيل عليه السلام ثم قال اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم والي من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره وأخذل من خذله الحديث وكذلك رواه ابو سعيد مسعود بن نصار الحافظ السجستاني ومن ذلك ما رواه ابن المغازلي في كتابه ايضاً باسناده الى ابي هريرة قال من صام يوم ثماني عشرة من شهر ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً وهو يوم غدير خم لما أخذ النبي ﷺ بيد علي بن ابي طالب فقال ألست أولى بالمؤمنين من انفسهم، قالوا بلى يا رسول الله قال من كنت مولاه فعلي مولاه فقال عمر بن الخطاب بخ بخ لك يا ابن ابي طالب اصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، فأنزل الله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً، ولو استقصينا الاخبار التي نقلها الجمهور في باب يوم الغدير لافضى الى تطويل الكتاب.

واما التأويل فقد قاله اكثر محققيهم، وحاصله ان المولى قد ورد في اللغة لمعان منها الناصر، ومنها المحب ومنا الاولى من كل أحد كما يقال مولى العبد وحينئذ فقوله ﷺ من كنت مولاه فعلي مولاه أي من كنت ناصره فعلي ناصره فلا يستلزم الاولوية المطلقة والجواب عن هذا ظاهر فان هذا القول منه ﷺ انما صدر بعد ان قال للناس ألست اولى بكم من انفسكم كما في الروايات من العامة والخاصة، وحينئذ فقوله ﷺ من كنت مولاه فعليّ مولاه منزّل على تلك الاولوية لانتظامها معها في سياق واحد مع ان هذا المعنى الذي قالوه لا يحتاج الى هذا التأكيد العظيم في ذلك الحر الشديد، وليس هو من خصائص علي عليه السلام لانه يجب على كل مؤمن ان يحب وينصر من أحبه ونصره رسول الله ﷺ .

ولو سلَمنا انه اراد الناصر كما زعمتم فالنصرة لا يمكنه اجراؤها الا اذا رجعت الامور اليه وكان هو الخليفة، حتى يتمكن من نصر من نصره النبي ﷺ ، ولا كان يدع عثمان يخرج ابا ذر من المدينة ويفعل ما فعل، وكذلك من تقدمه من المتخلفين ولكن باب التأويل واسع ولو فرضت ان النبي ﷺ نص على علي عليه السلام بأصرح من هذه الالفاظ لامكن تأويلها، وحيث انجرَ الكلام الى هنا فلنذكر الصلوة على محمد وآله وكذا لعن اعدائهم.

نور صلواتي

يكشف عن الصلوة على النبي ﷺ ولواحقها، روى العامة والخاصة في تفسير قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلموا تسليماً قالت الصحابة يا رسول الله قد علمنا السلام عليك، فكيف الصلوة عليك قال قولوا اللهم صلّ على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد، رواه الثعلبي في تفسيره والحميدي في الجمع بين الصحيحين والبخاري في الجزء السادس ومسلم في الصحيح وهذه هي الكيفية الكاملة للتصلية وادنى ما يجزي اللهم صلّ على محمد وآل محمد وصلّى الله على محمد وآل محمد ونحوهما.

واما وجوب الصلوة عليه اذا ذكر أو استحبابها ففيه خلاف بين الاصحاب والذي دلّت عليه الاخبار الصحيحة هو الوجوب كلما ذكره ذاكر سواء اتحد مجلس الذكر او تعدد وسواء صلّى عليه سابقاً لا سواء ذكر باسمه او بقلبه او بكنيته، بل وبالضمير الراجع اليه فانه كناية عنه.

روى الكليني وغيره بالاسانيد المتكثرة عن النبي ﷺ انه قال من ذُكرت فلم يصلّ عليّ دخل النار فأبعده الله، فجيب الصلوة عليه عند ذكره ولو كان السامع مشغولاً بالصلوة الواجبة قطعها وصلّ عليه كما جاء في الرواية وهي على ما صلى. واما صلوة المخالفين وبعض صلوة عوام الشيعة وهي الصلوة عليه وحده بدون ضمّ الآل فهي صلوة لا يقبلها الله سبحانه ولا هي الكيفية المأمور بها، روى بالاسانيد المعتبرة عنه ﷺ انه قل لا تصلوا عليّ الصلوة البتراء، فقالوا يا رسول الله وما الصلوة البتراء قال ان تقولوا اللهم صلّ على محمد بل قولوا اللهم صلّ على محمد وآل محمد وسمع الصادق عليه السلام رجلاً يقول اللهم صلّ على محمد فقال الصادق عليه السلام لا تبترها ولا تلظمنا حقنا قل وآل محمد.

وفي صحيح الاخبار انه قال من صلّى عليّ ولم يصلّ على آلي لم يجد ريح الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام، وقال ﷺ اذا صلّى عليّ ولم يتبع بالصلوة على اهل بيتي كان بينها وبين السماء سبعون حجاباً يقول الله عزّ وجل لا لبيك ولا سعديك يا ملائكتي لا يصعدوا دعائه الا ان يلحق بنبيي عترته فلا يزال محجوباً حتى يلحق بي اهل بيتي.

واما ثواب الصلوة عليه فقد روى عنم المعصومين عليهم السلام ما لا يكاد يدخل تحت قلم الضبط، منها ما رواه ابو بصير عن الصادق عليه السلام قال اذا ذكر النبي ﷺ فاكثروا الصلوة عليه فانه من صلّى على النبي ﷺ صلوة واحدة صلىّ الله عليه في الف صفّ من الملائكة، ولم يبق

شرء مما خلقه الله الا صلّى على ذلك العبد لصلوة الله عليه وصلوة ملائكته، فمن يرغب في هذا فهو جاهل مغرور قد برئ الله منه وملائكته ورسوله.

وينبغي ان تكتب الصلوة لا بلفظ الرمز كما هو المتعارف في هذه الاعصار، قال شيخنا الشهيد الثاني قدس الله روحه الو من كتب صلعم قطعت يده واقلّ ما في الاخلال بها تفويت الثواب العظيم عليها، فقد ورد عنه ﷺ انه قل من صلىّ علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب انتهى.

وفي الروايات انه لما نظر آدم الى حوا قال يا رب زوجني منها فقال جل اسمه هات مهرها يا آدم، فقال آدم يا رب ما اعلم قال الله تعالى يا آدم صلِّ على محمد وآل محمد عشر مرات، فصلَى آدم كما أمره الله جلّ جلاله فزوجه بها، فاذا كانت الصلوة مهر حوا فكيف لا يكون مهر الحور العين.

وفي الروايات ايضاً ان الله تعالى قد خلق ملائكة سيَاحين في الارض وليس لهم غرض إلاّ تبليغ النبي ﷺ صلوة من يصلي عليه ﷺ في اطراف الارض يقولون له يا رسول الله فلان قد بلَغك السلام والصلوة، فيقول النبي ﷺ وعلى فلان الصلوة والسلام وكذلك يبلَغونه زيارات الزائرين كما يبلغون الائمة عليهم السلام صلوات المصلين وزيارات الزائرين وسلام المسلَمين، وروى ايضاً ان الله سبحانه قد خلق ريحا تبلَغ النبي ﷺ سلام المسلَمين وصلوة المصلين.

وروى ابو سعيد في كتاب الوفي لشرف المصطفى عن علي عليه السلام انه قال قال رسول الله ﷺ اكثروا عليَ الصلوة قلت وهل تبلغك الصلوة بعد ان تفارقنا، قال نعم يا علي ان الله تبارك وتعالى وكلَ بقبري ملكاً يقال له صلصائيل وهو في صورة الديك متن عرفه تحت عرش الرحمن ومخالبيه في تخوم الارض السابعة، له ثلاث اجنحة اذا نشرها واحداها بالمشرق والاخر بالمغرب والاخر منتشر على ارض قبري فاذا قال العبد اللهم صلِّ على محمد وآل محمد كما صليت وباركت وترحمت على ابراهيمخ وآل ابراهيم انك حميد مجيد لقطها كما يلقط الطير الحب ثم يرفرف على قبري ويقول يا محمد يا محمد ان بن فلان صلّى عليك وأقرأك السلام فيكتب له في رقَ من نور بالمسك الاذفر ويرفع له عشرون الف حسنة ويمحي عنه عشرون الف سيئة ويغرس له عشرون الف شجرة، ومن كانت له حاجة الى الله سبحانه واراد قضائها فليعمل ما قاله الصادق عليه السلام وهو ان يصلي على محمد وآله في اولها وآخرها ويذكر حاجته في الوسط فان الله سبحانه اكرم من ان يقبل الطرفين ويرد الوسط وهذا من باب بيع الصفقة فاما ان يقبل الكل او يرد الكل والطرفان مقبولان فيقبل الوسط ايضاً.

واما آله ﷺ فقد اختلف المسلمون في المراد بهم، والذي اجتمعت عليه شيعتهم بسبب النقل المستفيض عن المعصومين انهم المعصومون عليهم السلام لا غير.

ويعجبني نقل كلام ذكره المحقق الدواني[٤٢] وهو من علماء الجمهور في حواشي شرح الهيا كل وهذه عبارته آل الشخص من يؤل الى ذلك الشخص فآله ﷺ من يؤل اليه ﷺ اما بحسب النسب أو النسبة اما الاول فهم الذين حرّم عليهم الصدقة في الشريعة المحمدية وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب عند بعض الائمة وبنو هاشم فقط عند البعض واما الثاني فهم العلماء ان كانت النسبة بحسب الكمال الصوري اعني العلم التشريعي فالاولياء والحكماء المتألهون وان كانت النسبة بحسب الكمال الحقيقي اعني علم الحقيقة.

اقول وكما حرم على الاول الصدقة الصورية حرم على الثاني الصدقة المعنوية اعني تقليد الغير في العلوم والمعارف، قال ﷺ من يؤل اليه اما بحسب نسبة لحياته الجسمانية كولاده النسبية ومن يذو حذوهم من اقاربه الصورية، او بحسب نسبته لحياته العقلية كولاده الروحانية من العلماء الراسخين والاولياء الكاملين والحكماء المتألهين المقتبسين من مشكاة انواره سواء سبقوه زماناً أو لحقوه ولا شك ان النسبة الثانية اوكد من الاولى والثانية من الثانية اوكد من الاولى منها واذا اجتمع النسبتان بل النسب الثلاث كان نوراً على نور كما في الائمة المشهورين من العترة الطاهرة صلوات الله عليهم اجمعين.

ثم قال ويحتمل ان يكون مراد المصنفين جميع افراد الآل اعني الصوريين والمعنوية وان يكون مرادهم المعنوية سواء كانا سابقين عليه بالزمان او لاحقين له سواء انتسبوا اليه في العلم بظاهر التشريع او باطنه انتهى كلامه.

وشيخنا البهائي طاب ثراه بعد ان نقل حاصل هذا الكلام قال وهو مما يستوجب ان يكتب بالتبر على الاحداق بال بالحبر على الاوراق.

وبقي الكلام هنا في تحقيق مسأل علمية في التشبيه الذي في قوله كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم، وحاصل تقريرها ان هنا اشكالاً وهو ان في التشبيه يعتبر كون المشبه به اقوى في وجه الشبه او مساوياً، والصلوة هنا الثناء والعطا والمنحة التي هي من آثار الرحمة والرضوان فتستدعي

---

(٤٢)هو المحقق الحكيم المتكلم الشهير المولى جلال الدين محمد بن اسعد الدواني المتوفى سنة(٩٠٨)هـ المنتهى نسبه الى محمد بن ابي بكر كان في اوائل امره على مذهب اهل السنة ثم صار من الشيعة وصنف رسالة فارسية سماها(نور الهداية) صرح فيها بتشيعه توجد نسختها اليوم في بعض مكتبات النجف الاشرف، والسيد القاضي نور الله الشهيد لم يطلع عليها فتمسك في اثبات تشيعه بما لايخلو عن تسعف ،راجع الى الكتاب مجالس المؤمنين تجد صدق ما قلناه انظر الى تنقيح المقال ج١ ص٢٣٠ط نجف والى الكنى والالقاب للقمي ج٢ ص٢٠٦ طصيدا .

ان يكون عطاء ابراهيم والثناء عليه فوق الثناء على محمد ﷺ او مساوياً له وليس كذلك والا لكان افضل منه والواقع خلافه، وقد تصدى المحققون للجواب عنه من وجوه:

اولها ان يكون المراد تشبيه اصل الصلوة بالصلوة لا الكمية بالكمية كما في كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلم، والمراد في اصله لا في قدره، ووقته وردّه شيخنا الشهيد قدس الله روحه بأن الكاف للتشبيه وهو صفة مصدر محذوف أي صلوة مماثلة للصلوة على ابراهيم، والظاهر ان هذا يقتضي المساواة اذ المثلان هما المتساويان في الوجوه الممكنة.

وثانيها ان الصلوة بهذا اللفظ جارية في كل صلوة على لسان كل مصلَ الى انقضاء التكليف، فيكون الحاصل لمحمد ﷺ بالنسبة الى مجموع الصلوات اضعافاً مضاعفة واورد عليه ايضاً بان التشبيه واقع في كل صلوة تذكر في حال كونها واحدة فالاشكال قائم .

وثالثها ان مطلوب كل مصلَ المساواة لابراهيم في الصلوة فكل منهم طالب صلوة مساوية للصلوة على ابراهيم واذا اجتمعت هذه المطلوبات كانت زائدة على الصلوة على ابراهيم.

ورابعها ان الدعاء انما يتعلق بالمستقبل فمتى وقع تشبيه بين لفظين فانما يقع في المستقبل وحاصله ان الدعاء انما يتعلق بالمستقبل ونبينا محمد ﷺ كان الواقع قبل هذا انه أفضل من ابراهيم وهذا الدعاء يطلب فيه زيادة على هذا الفضل مساوية لصلوته على ابراهيم فهما وان تساويا في الزيادة الا ان الاصل المحفوظ خال من معارضة الزيادة.

وخامسها ان المشبه به المجموع المركب من الصلوة على ابراهيم وآله ومعظم الانبياء آل ابراهيم، والمشبه الصلوة على نبينا وآله فاذا قوبل آله بآلهم رجحت الصلوة عليهم على الصلوة على آله فيكون الفاضل من الصلوة على آل ابراهيم لمحمد ﷺ فيزيد به على ابراهيم، ويشكل بأن ظاهر اللفظ تشبيه الصلوة على محمد ﷺ بالصلوة على ابراهيم والصلوة على آله بالصلوة على آل ابراهيم تطبيقاً بين المسميين والآلين فكل تشبيه على حدته فلا يؤخذ من احدهما للآخر.

وسادسها ان التشبيه انما هو في صلاة الله على محمد وفي صلاته على ابراهيم وآله فقوله اللهم صلَ على محمد على هذا منقطع عن التشبيه وفي هذين الجوابين هضم لآل محمد كما قيل، وقد قدمنا الدلائل على افضلية علي ؑ على الانبياء، وهو واحد من الآل فيكون السؤال عند الامامية باقياً له بحاله.

وسابعها انه ﷺ من آل ابراهيم فهو داخل في الصلوة المشبه بها منضَماً الى غيره، والصلوة المشبه مختصة به وجده فصارت الاولى افضل بهذا الاعتبار وعلى هذا نزلوا الجواب عن الاشكال الوارد على ظاهر قوله تعالى وفدنياه بذبح عظيم، بارادة الحسين ؑ من الذبح العظيم

كما روى تفسيره عنهم عليهم السلام وحاصل الاشكال ان الحسين عليه السلام فضل من اسماعيل فكيف يكون فداءً له.

والجواب ان الحسين وحده وسائر المعصومين عليهم السلام من اولاد اسماعيل فالحسين عليه السلام انما صار فداء لهذه السلسلة الطاهرة وهو واحد منها والاصوب في الجواب عن هذا الاشكال هو ما رواه الصدوق طاب ثراه في عيون اخبار الرضا باسناده الى الفضل بن شاذان، قال سمعت الرضا عليه السلام يقول لما امر الله تبارك وتعالى ابراهيم عليه السلام ان يذبح مكان ابنه اسماعيل الكبش الذي انزله عليه تمنى ابراهيم عليه السلام ان يكون قد ذبح ابنه اسماعيل عليه السلام بيده انه ولن يؤمر بذبح الكبش مكانه ليرجع الى قلبه ما يرجع الى قلب الوالد الذي يذبح اعزّ ولده بيده فيستحق بذلك ارفع درجات اهل الثواب على المصائب فأوحى الله عزّ وجل اليه يا ابراهيم من احب خلقي اليك، فقال يا رب ما خلقت خلقاً هو احب اليّ من حبيبك محمد صلى الله عليه وآله فأوحى الله عز وجل اليه يا ابراهيم هو احب اليك ام نفسك قال بل هو احب اليَ من نفسي، قال فولده أحب اليك او ولدك، قال بل ولده قال فذبح ولده ظلماً على ايدي اعدائه اوجع لقلبك ام ذبح ولدك بيدك في طاتي، قال يا رب بل ذبحه على ايدي اعدائه اوجع لقلبي.

قال يا ابراهيم ان طائفة تزعم انها من امة محمد صلى الله عليه وآله ستقتل الحسين ابنه من بعده ظلماً وعدواناً كما يذبح الكبش، ويستوجبون بذلك سخطي، فجزع ابراهيم عليه السلام لذلك وتوجع قلبه واقبل يبكي فأوحى الله عز وجل اليه يا ابراهيم قد فدين جزعك علىابنك اسماعيل لو ذبحته بيدك بجزعك على الحسين وقتله، وأوجبت لك ارفع درجات اهل الثواب على المصائب، وذلك قول الله عز وجل وفديناه بذبح عظيم وحاصله ان الفداء بمعنى التعويض وهو معناه اللغوي.

وثامنها ان القوة في التشبيه هنا ترجع الى الظهور والوضوح، الصلوة على ابراهيم ظاهرة مشهورة عند ارباب الملل، والاديان اجابة لدعائه، حيث قال واجعل لي لسان صدق في الاخرين، يعني ذكراً جميلاً، ومن هذا كانت الانبياء عليهم السلام ينسبون انفسهم اليه والى دينه، فيكون هذا التشبيه من باب قوله تعالى مثل نوره كمشكوة، لان نور المشكوة محسوس مشاهد لكل احد.

وتاسعها ان الكاف للتعليل مثلها في قوله تعالى واذكروا الله كما هديكم، وقد بقيت هنا وجوه أخرى، ذكرناها في شرحنا الصغير على الصحيفة السجادية، اذا انتقش هذا على صحيفة بالك فأعلم ان شيخنا الشهيد قدس الله روحه بعد ان ذكر بعض هذه الوجوه قال قلت كل هذا بناء على ان صلوتنا عليه صلى الله عليه وآله تفيده زيادة في رفع الدرجة ومزيد الثواب وقد انكر هذا جماعة من المتكلمين وخصوصاً الاصحاب وجعلوا هذا من قبيل الدعاء بما هو واقع امتثالاً لاوامر الله تعالى والا فالنبي صلى الله عليه وآله قد اعطاه الله من الفضل والجزاء والتفضيل ما لا يؤثر فيه صلوة مصلٍ وجدت او

عدمت، وفائدة هذا الامتثال انما يعود الى المكلف فيستفيد به ثواباً كما جاء في الحديث من صلى عليَ واحدة صلّى الله عليه بها عشراً وحينئذ فيظهر ضعف الجواب الرابع من طلب المنافع في المستقبل فان هذا كله في قوة الاخبار عن عطاء الله تعالى وحينئذ يكون جواب التشبيه للاصل بالاصل سديداً ويلزمه المساواة في الصلوتين ولكن تلك الامور موهبية فجاز تساويهما فيها وان تفاوتا في الامور الكسبية المقتضية للزيادة فان الجزاء على الاعمال هو الذي تتفاضل فيه العمال لا المواهب التي يجوز بسببها كل واحد تفضلاً خصوصاً على قواعد العدلية وهب ان الجزاء كله تفضل كما تقوله الاشعرية الا ان الصلاة موهبية محضة ليست باعتبار الجزاء فالذي يسمى جزاء عند العمل وان لم يكن مسبباً عن العمل هو الذي يتفاضلان فيه، هذا واضح انتهى كلامه طاب ثراه.

ويخطر بالبال التكلم عليه من وجوه اولها ان قوله ان الله اعطى من الفضل والجزاء ما لا يؤثر فيه صلوة مصل وجدت او عدمت قد دلت الاخبار على نقيضه، فان درجات نواله تعالى مما لا تقف الى حد، وكل درجة فوقها درجة ونبينا ﷺ قد امتاز عن سائر الانبياء عليهم السلام بزيادة القبول للفيوض الربانية، وكان ﷺ يقول ان ربي قد وعدني درجة لا تنال الا بدعاء امتي، وكان يطلب الدعاء من صلحاء المؤمنين واكابر المتقين مع ان دعاءنا له ﷺ وطلبنا مزيد نوال الله سبحانه له انما هو من جملة اعماله ﷺ التي يستحق بها مزيد القرب والدرجات، لانه ﷺ قد استنقذنا من ورطة الهلاك وقد كان الناس على شفا جرف من النار فأخذ بايديهم وبلّغهم الى اقصى درجات المقربين وكذلك اولاده المعصومين عليهم السلام فقد استحقوا بهذا منّا الصلوة وطلب الرحمة من الله تعالى، فدعاؤنا لهم من جملة اعمالهم، ولا شك ان اعمالهم مما يوجب مزيد الثواب لهم بلا خلاف منّا، وليس هذا الا من باب دعاء المؤمن لاخيه بظهر الغيب، فانه مما يوجب مزيد الاجر للداعي والدعو له، وقد اورد على هذا بأنه مناف لقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى.

والجواب عن تلك الشبهة كما قلنا هو جواب عن هذه ايضاً، فان المؤمن لما صار مؤمناً باختياره وفعل ما حبب به نفسه الى المؤمنين حتى قدم المؤمنون على الدعاء له بظهر الغيب سواء كان حياً أو ميتاً كان دعاء الداعي من جملة اعمال المدعو له، وفي الحديث القدسي مما اوحى الله عز وجل الى موسى على نبينا وآله وعليه السلام ان قل له يا موسى ادعني بلسان لم تعصني به، قال يا رب كيف ذاك ولساني قد عصيتك به قال اطلب من اخوانك الدعاء فانك لم تعصني بلسان احد منهم، وموسى عليه السلام قد كان من اولي العزم المقربين ودرجته بالنسبة الى دعاء امته كدرجة نبينا ﷺ بالنسبة الى دعائنا كما يستفاد من ظاهر بعض الروايات.

وثانيها انه طاب ثراه قد فسر الصلوة بالعطا والمنحة التي هي من آثار الرحمة والعطا والمنحة التي نطلبها للنبي واهل بيته ليست مخصوصة بما يتعلق بهم وحدهم بل هو عطاء يزيد في علوهم ويرفع شرفهم فوق شرف الانبياء عليهم السلام، واكمل هذا واهمه هو مقام شفاعتهم من امتهم، ومقام شهادتهم على تبليغ سائر الانبياء والمرسلين عليهم السلام كما روى في الاخبار الصحيحة ونحو هذين وهذا الدعاء وان كان لهم صورة الا انه في المعنى ترجع فائدته الينا واليهم، فالينا بقبول شفاعتهم في حقنا للخلاص من اليم العذاب واليهم باظهار قبول شفاعتهم وحصول ملتمسهم على رؤوس الاشهاد بحضور الملائكة المقربين والانبياء المرسلين والعباد الصالحين.

ولا ريب ان قبول الالتماس من ارفع الدرجات كما ان ردّه من اعظم النكبات ولا تظنَ ان اعلى هو اعالي الجنان واللوس مع الحور والغلمان فان هذا من لذات البدن وذاك من لذات الروح، وهم عليهم السلام انما كان مطمح انظارهم هو طلب اللذة المعنوية، كما قاله سيد الموحدين عليه افضل التسليمات ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك ولكن وجدتك اهلاً للعبادة فعبدتك، وفي القرآن العزيز بعد ان ذكر سبحانه اللذات الحسية من الاشجار والانهار والحور والغلمان قال ورضوان من الله اكبر، فانه لذة معنوية كما عرفت والاشارة الى نقيضه واقعة بقوله تعالى حكاية عن دخول جهنم ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته، وذلك ان الخزي عذاب روحاني وحرارة نار جهنم وما أعدَ فيها من العقارب والافاعي عذاب جسماني، والاول افظع وأشدَ هولاً من الثاني ولذا لم يقل من تدخل النار فقد احرقته أو عذبته أو نحو ذلك والحاصل ان هذا الدعاء الخاص بالصلوة على النبي ﷺ من باب ما ورد في ادعية الصلوة وتقبّل شفاعته في امته وارفع درجته، فأن رفع الدرجة وان كان اعمَ الا انه هنا كالتفسير والبيان لقبول الشفاعة على ما عرفت مع أنه ورد في الروايات ان معن السلام على المعصومين عليهم السلام هو سلامتهم وسلامة دينهم وشيعتهم في زمن القائم عليه السلام هذا مما يتعلق بالادعية وتزيد التأثيرات فيه كما لا يخفى.

وثالثها ان قوله طاب ثراه وتلك الامور موعبية فجاز تساويهما، يرد عليه انك قد فسرت الصلوة بالعطاء الذي هو من آثار الرحمة، فنعود ونقول ما هذا العطاء واي شيء ذلك العطاء الذي فضّل الله فيه ابراهيم على محمد ﷺ بل ساواه فيه ان كان هو في عالم الدنيا فهذا عالم محسوس مشاهد وهو ﷺ قد فضل على سائر الانبياء في جميع الكمالات وان كان في النشأة الاخرى فقد روى ان الحوض والكوثر ومقام الشفاعة قسمة الجنان والنيران والشهادة للانبياء بالتبليغ والسبق بدخول الجنة ول كمال هناك انما هو آئل اليه ﷺ والى اهل بيته من غير مشاركة أحد فأين هذا العطاء الموهبي الذي تساويا فيه مع ان المواهب التي تتفاوت فيها الدرجات انما

يكون مسببة عن الاعمال والاخلاص فيها، ومن ثم فصلت ضربة ابن عبد ودّ اعمال الامة الى يوم القيامة، ولا خلاق في ان اعماله ﷺ قد فضلت اعمال الانبياء فتكون مواهب الله سبحانه أزيد وأكثر وبالجملة اعتقادنا في هذه المسئلة هو ان الصلوة على النبي ﷺ مما يعود نفعها الينا واليه بما عرفت والله اعلم.

(خاتمة هذا النور في لعن المخالفين والمتخلفين)

اعلم انه قد ورد الخلاف هنا ايضاً وهو ان المؤمن اذا لعن من يستحق اللعن من ظالمي اهل البيت وغيرهم فهل يكون هذا اللعن مما يزيد في عذابهم ام ان الله سبحانه قد بلغ بهم الى اقصى دركات العذاب بحيث يكون اللعن لا يزيدهم عذاباً وانما يزيد المؤمن ثواباً، والاولى بل هو المستفاد من الاخبار هو اوضحية القول الاول، وذلك ان رئيس الظالمين هو ابليس اللعين وقد روى في وصف مجيئه الى يحيى بن زكريا انه قد كان على راسه بيضة، فقال له يحيى عليه السلام ما هذه البيضة التي على رأسك فقال بها أتوقى لعنات المؤمنين، وذلك ان كل لعنة تأتي اليّ منهم كالشهاب الثاقب فأتوقى منها بهذه البيضة.

واما اخوته الثلثة المتخلفون فمن اسباب تضاعف عذابهم بلعن اللاعنين هو ان اسباب ظلمهم وجورهم، وما أحكموه في زمانهم قد امتدّ الى يوم القيامة على كل المؤمنين ولو قلت لك ان ظلمهم على آحاد المؤمنين أعظم منه على امير المؤمنين عليه السلام لكان قريباً من الصواب، وذلك ان اشتباه الاحكام في هذه الايام وانتشار اعلام الجور وانزواء الحق واهله انما جاء من قبلهم، وكذلك استتار الائمة عليهم السلام على ما حققناه سابقاً وهو الذي اثار الفتن وصدع اركان الدين ففي كل ساعة وفي كل لحظة يحصل للمؤمن الم من هذه الجهات فيلعنهم فيكون لعنه مقارناً لايذاء المتخلفون له فكيف لا يكون سبباً في مزيد عذابهم بل ولو من غير تذكر تألم لكان كذلك ايضاً لمقارنته لحالات الظلم، ومن هذا قال الصادق عليه السلام والله ما اريقت محجمة دم في الاسلام الى يوم القيامة الا وهي في اعناقهما.

وفي الاخبار ما هو اغرب من هذا وهو ان مولانا صاحب الزمان عليه السلام اذا ظهر وأتى المدينة اخرجهما من قبريهما فيعذبهما على كل ما وقع في العالم من الظلم المتقدم على زمانيهما كقتل قابيل هابيل وطرح اخوة يوسف له في الجبّ ورمي ابراهيم في نار نمرود، واخراج موسى خائفاً يترقب وعقر ناقة صالح وعبادة من عبد النيران، فيكون لهما الحظ الاوفر من انواع ذلك العذاب.

ولعلك تقول ان هذا ينافي العدل اذهما لم يحضرا تلك الاعصار ولم يكونا من اسباب ما وقع فيها من الظلم، كما كانا اسباباً لاستمرار الظلم بع زمانهم الى يوم القيامة فنقول هذا لا ينافيه

بوجه، وذلك ان الله سبحانه قد اخبر النبي الصادق بأن كل من يغصب خليفتك من بعدك ويجتري على ابنتك بمنعها حقها وميراثها يكون شريكاً للظالمين في عذابهم، والنبي ﷺ قد اسمعهما مثل هذا فقدما على اسباب العذاب بعد العلم والسماع من الصادق الامين باختيار منهما فيكون ذلك العذاب قد استحقاه وقبلاه فلا يكون من انواع الظلم في شيء، وليس الا من قبيل تخليد الكفار في النار الى ما لا نهاية له مع ان اعمارهم التي كانت مدة زمان كفرهم اقل قليل.

وذلك ان الله سبحانه قد قرر هذا العذاب بازاء تلك المعصية وطول زمان المعصية وقصره مما لا مدخل له في طول العذاب وقصره، وكذلك ازمنة الطاعات والثواب على المترتب فعلها.

نور في ابتداء خلق الدنيا

روى الثقاة من اصحابنا عن النبي ﷺ ان موسى سأل ربه عزَ وجل ان يعرفه بدء الدنيا منذ كم خلقت فأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام تسألني عن غوامض علمي فقال يا رب أحب ان اعلم، فقال تعالى يا موسى خلقت الدنيا منذ مائة الف عام عشر مرات وكانت خراباً خمسين الف عام ثم بدأت في عمارتها فعمرتها خمسين الف عام، ثم خلقت فيها خلقا على مثال البقر يأكلون رزقي ويعبدون غيري خمسين الف عام ثم افنيتهم كلهم في ساعة واحدة، ثم خربت الدنيا خمسين الف عام ثم بدأت في عمارتها فمكثت عامرة خمسين الف عام ثم خلقت فيها بحراً فمكث البحر خمسين الف عام ثم خلقت دابة وسلطتها على ذلك البحر فشربته في نفس واحدة، ثم خلقت خلقاً اصغر من الزنبور واكبر من البق، فسلطت ذلك الخلق على هذه الدابة فلدغها وقتلها فمكثت الدنيا خراباً خمسين الف عام، ثم بدأت في عمارتها فمكثت خمسين الف سنة، ثم خلقت الدنيا كلها آجام القصب وخلقت السلاحف وسلطتها عليه فاكلها حتى لم يبق منه شيء ثم اهلكتها في ساعة واحدة فمكثت الدنيا خراباً خمسين الف عام، ثم بدأت في عمارتها فمكثت عامرة خمسين الف عام ثم خلقت ثلاثين آدم في ثلثين الف سنة من آدم الى آدم الف سنة فأفنيتهم كلهم بقضائي وقدري، ثم خلقت فيها خمسين الف الف مدينة من فضة بيضاء، وخلقت في كل مدينة مائة الف قصر من الذهب الاحمر، فملأتها خردلاً وكان الخردل يومئذ الذّ من الشهد وأحلى من العسل وابيض من الثلج ثم خلقت طيراً واحد أعمى وجعلت زرقه في كل سنة حبة من خردل فأكلها حتى فنيت، ثم خربتها فمكثت خراباً خمسين الف عام ثم اباك آدم عليه السلام بيدي يوم الجمعة وقت الظهر ولم اخلق من الطين غيره واخرجت من صلبه النبي ﷺ .

اقول المراد بالدنيا في هذا الحديث هو ما سوى الله سبحانه من اصناف المخلوقات كلها فتشمل الافلاك والعناصر والنفوس الناطقة وغيرها، وهذا هو مذهب كافة اهل الملل كالمسلمين واليهود والنصارى والمجوس، واما حكماء الفلاسفة فقد ذهبوا في القدم والحدوث الى مذاهب كثيرة، فذهب ارسطو ومن تبعه من متأخري الفلاسفة كالفارابي وابن سينا الى انّ الاجسام قديمة بذواتها وصفاتها، وتفصيل مذهبهم انهم قالوا الاجسام تنقسم الى فلكيات وعنصريات اما الفلكيات فانها قديمة بموادها وصورها الجسمية والنوعية واعراضها المعينة من المقادير والاشكال وغيرها الا الحركات والاوضاع الشخصية فانها حادثة قطعا، ضرورة ان كل حركة مسبوقة بأخرى لا الى نهاية، وكذا الاوضاع المعينة التابعة لها، واما مطلق الحركة والوضع فقديم ايضاً لان مذهبهم ان الافلاك متحركة حركة مستمرة من الازل الى الابد بلا سكون اصلاً.

واما العناصر فقديمة بموادها وصورها الجسمية بنوعها، وذلك لان المادة لا تخلو عن الصورة الجسمية التي هي طبيعة واحدة نوعية لا تختلف الا بأمور خارجة عن حقيقها يكون نوعها مستمر الوجود بتعاقب افرادها ازلاً وابداً، وبصورها النوعية بجنسها وذهب بعضهم الى انها قديمة بذواتها محدثة بصفاتها، وهو قول من تقدم ارسطو من الحكماء وهؤلاء قد اختلفوا في تلك الذوات القديمة فمنهم من قال انه جسم واختلف في ذلك الجسم أي الاجسام هو، فقال ثاليس الملطي انه الذي هو المبدع الاول، ومنه ابدع الجواهر كلها من السماء والارض وما بينهما، وقال صاحب الملل والنحل وكأنه أخذ مذهبه من الكتب الالهية، ففي التورية ان الله تعالى خلق جوهرة ونظر اليها نظر الهيبة فذابت وصارت ماء فحصل البخار وظهر على وجهها بحسب الحركة زبد وارتفع منها دخان وحصل من زبدها الارض ومن دخانها السماء، وقيل الارض وحصلت البواقي بالتلطيف وقيل النا وحصلت البواقي بالتكثيف وقيل البخار وحصلت العناصر بعضها بالتلطيف وبعضها بالتكثيف وقيل الخليط من كل شيء لحم وخبز وغير ذلك، ومنهم من قال انه ليس بجسم، فقالت الثنوية من المجوس النور والظلمة، فانهما قديمان وبدؤ العالم من امتزاجهما، وقال الحرنانيون منهم القائلون بالقدماء الخمس النفس والهيولى وقد عشقت النفس بالهيولى لتوقف كمالاتها عليها فحصل من اختلاطهما أنواع المكونات، وقيل هي الوحدة فانها تحيرت وصارت الواحدات نقطاً ذوات اوضاع واجتمعت النقط فصارت خطّا واجتمعت الخطوط فصارت سحطا واجتمعت السطوح فصارت جسماً وذهب جالينوس الى التوقف في الكل اذ يحكى عنه انه قال في مرضه الذي توفي فيه لبعض تلامذته أكتب عني اني ما علمت ان العالم قديم او حادث وان النفس الناطقة هي المزاج أو غيره، وقد طعن فيه اقرانه بذلك حين اراد من سلطان

زمانه تلقيبه بالفيلسوف، هذا محصّل مقالتهم وأما الشبه التي استندوا اليها في تصحيح هذه المذاهب الفاسد فمذكورة في كتب الحكمة وكذا الاجوبة عنها.

فان قلت لعله قد روى في الاخبار ان الله تعالى لم يزل خلاّقاً وهذا الحديث بظاهره ينافي الحدوث قلت الجواب عنه من وجهين الاول ان معناه والله اعلم انه لم يزل متصفاً بهذه الصفة وهو صفة الخلاقية باعتبار القدرة على الخلق، فان القادر على الشيء يوصف به وان لم يصدر منه ذلك الفعل ويدلّ عليه ما روى في الاخبار وكان خالقاً اذ لا مخلوق وعالماً اذ لا معلوم وقادراً اذ لا مقجور والثاني ان الخلق بمعنى الايجاد تارة، وبمعنى التقدير أخرى وفي المثل اني اذا خلقت فريت أي اذا قدرت امضيت قال الصدوق طاب ثراه وفي قول ائمتنا عليهم السلام ان افعال العباد مخلوقة خلق تقدير لا خلق تكوين وخلق عيسى عليه السلام من الطين كهيئة الطير، وخالقه في الحقيقة الله عز وجل اقول وعلى هذا ينزّل قوله تعالى تبارك الله احسن الخالقين وهذا في الحقيقة، راجع الى العلم، فأنه عزَ سلطانه قد علم بالمخلوقات قبل ايجاده كعمله بعد ايجادها.

واما قوله سبحانه في الحديث القدسي كنت كنزاً مخفياً فأحببت ان اعرف فخلقت لاعرف، فالخلق في قوله فخلقت بمعنى الايجاد، وقد اورد على هذا الحديث اشكال وحاصله ان الخفا لا يكون الا مع وجود أحد يخفى عليه الشيء حتى يتصف ذلك الشيء بالخفا كما يقال هذا الشيء مخفي عن فلان، وخفى عليه الشيء الفلاني ولم يكن في عالم الاول مخلوق حتى يتصف سبحانه بالخفاء عنه فكيف قال مخفياً والجواب عن هذا الاشكال من جهين.

الأول: ان ارباب اللغة قد صرحوا بان خفي بمعنى ظهر قال في الصحاح نقلاً عن الاصمعي خفيت للشيء أخفيته كتمته وخفيته ايضاً أظهرته وهو من الاضداد ونقل عن ابي عبيدة ايضاً مثله، ونزل عليه قوله تعالى ان الساعة آتية اكاد اخفيها في من قرأ بفتح الهمزة أي اظهرها وفي نهاية ابن الاثير فالمعنى حينئذ اني كنت كنزاً ظاهراً فخلقت الخلق ليعرفوني على هذا الظهور الذي انا عليه، ولو لم اكن بهذه الغاية من الظهور لما توصلوا الى معرفتي بعد خلفي اياهم الثاني ان يكون الخفا بمعناه الاخر وهو الانسب بالكنز ولكن المبادئ انما تطلق عليه سبحانه باعتبار غاياتها ولوازمها ومعناه حينئذ اني كنت كنزاً مستوراً ومحتجباً تحت سرادق العز والجلال فأحببت ان ابرز من تحت هذا الحجاب، فخلقت الخلق واظهرت نفسي لهم من تحت السرادقات ليعرفوني فانه سبحانه لما خلق مخلوقاته تنزّل من ذلك الحجاب الى غاية الظهور وأزال المواقع التي لو بقيت بعد خلق الخلق على ما كانت عليه لم تصل الى اقرب درجة من مراتب معرفته العقول الطامحة بل انبسط معهم في الخطاب وعاتبهم على ما جنوا أرفق عتاب، فقال عز من قائل من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له، وقال ان تنصروا الله ينصركم، حتى قالت المنافقون واليهود ان رب

محمد قد افتقر وانه صار عاجزاً فطلب النصر فقال امير المؤمنين عليه السلام استقرضكم وله خزائن السموات والارض، واستنصركم وله جنود السموات والارض وفي الحديث القدسي يا ابن آدم ما اقلَ حياك كم أتحبب اليك بالاحسان وتتبغض اليَ بالمعاصي، خيري اليك نازل وشرك اليَ صاعد حتى كأني المحتاج اليك وانت الغني عني، ويكفيك في لطيف خطابه قوله يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن، الى غير ذلك من الايات والاخبار وهو الذي اطلع ابناء التراب على جناب قدسه العزيز وادناهم الى حماه المكين الحريز حتى اسند صفاته المتعالية اليهم وافعالهم الحميدة اليه مع نقصها عن قابلية الكمال.

وروى في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال ان الله عزّ وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، قال يا ربّ كيف ادعوك وأنت رب العالمين قال أما علمت ان عبدي فلاناً مرض فلم تعده أما علمت انك لو عدته لوجدتني يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يا رب وكيف اطعمك وانت رب العالمين قال اما علمت انه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه اما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندي يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني قال يا رب كيف اسقيك وانت رب العالمين قال استسقاك عبدي فلان فلم تسقه اما علمت انك لو سقيته لوجدت ذلك عندي وامثال ذلك من الاخبار كثيرة.

نور سماوي يكشف عن ابتداء خلق السموات

وكيفيتها وما يتبع ذلك إعلم وفقك الله ان الفلاسفة وجمعاً كثيراً من علماء الاسلام قد مهدَوا اصلاً فاسداً ولفقوا له دلائل أوهن من بيت العنكبوت وبنوا عليه فروعاً كثيرة لا تكاد تحصى وذلك انهم نظروا الى ان الله تقدس وتعالى واحد حقيقي من جميع الجهات ليس للتركيب فيه مدخل بوجه من الوجوه لا خارجاً ولا عقلاً ولا وهماً ولا غير ذلك كل مركب محتاج الى اجزائه التي تركبَ منها وأطالوا في البراهين على هذا، والبرهان اذلي ذكرنا في اول هذا الكتاب متناول له ايضاً كما لا يخفى فلما ثبتت وحدته الحقيقية قالوا ان هذا الواحد الحقيقي لا يجوز ان يكون مبدءً الا لفعل واحد والا لزم تعدد الجهات فيه، فذهبوا الى ان الصادر منه جوهر واحد وهو العقل الواحد فهو مخلوقه لا غير، وذلك انه واحد فلا يصدر منه الا واحدح وهذا الصادر الاول له اعتبارات ثلاثة وجوده في نفسه ووجوبه بالغير وامكانه لذاته فيصدر عنه بكل اعتبار امر فباعتبار وجوده يصدر عقل وباعتبار وجوبه يصدر نفس باعتبار امكانه يصدر جسم هو الفلك الاول وكذلك يصدر من العقل الثاني عقل ثالث ونفس ثانية وفلك ثان وهكذا الى العقل العاشر الذي في مرتبة التاسع من الافلاك، وهو فلك القمر ويسمى العقل الفعّال المؤثر في هيولى العالم

السفلي المفيض للصور والنفوس على البسائط وعلى المركبات بحسب الاستعدادات المسببة عن الحركات الفلكية والاتصالات الكوكبية، ويلزم على هؤلاء ان هذه الاعتبارات ان كانت وجودية فلا بد لها من مصادر متعددة والا بطل اصلهم، وهو ان الواحد لا يصدر عنه الا واحد، وان كانت اعتبارية امتنع ان تصير جزء مصوراً لامور وجودية فان اجيب بأنها ليست جزء منالمؤثر بل هي شروط التأثير والشرط قد يكون امر اعتبارياً، قلنا فليكن هذه الاعتبارات من السلوب والاضافات عارضة للمبدأ الاول فيكون بحسبها مصدراً لأمور متعددة كالمعلول الاول، فيبطل ما ذهبوا اليه، مع اسناد الفلك الثامن مع ما فيه من الكواكب المختلفة المقادير المتكثرة كثرة لا تحص الى جهة واحدة في العقل الثاني كما زعموه مشكل جداً كما قيل وكذلك اسناد الصور والاعراض التي في عالمنا هذا مع كثرتها الى العقل الفعال اشكل من الاول كما لا يخفى.

وبالجملة فهذه العقول العشرة عندهم انها جواهر مجردة عن المكان والمدة والمادة فهذه السموات التي تمدح الله عز وجل بخلقها نسبوها الى امو وهمي لم يتم عليه دليل عقل كما اعترف به المحققون، والادلة النقلية من الكتاب والسنة والاجماع والدليل العقلي ايضاً ينادي بتكذيبه وانه لا مؤثر في ايجاد الموجودات الا بالله سبحانه ولعمرك ان هذه الطائفة اشرّ من المجوس فان المجوس اثبتوا له سبحانه شريكاً يفعل الشر سموه اهرمن وهو بلغتهم الشيطان وفاعل الخير هو يزدان وهو بلسانهم الواجب تعالى، فقد اثبتوا له كل افعال الخير واما المشركون بالاصنام فقد حكى الله سبحانه عنهم ما اعتقدوه، حيث قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى، وكذلك سائر طوائف الكفار على ما سيأتي ان شاء الله تعالى، عند ذكر الفرق الاسلامية وغيرها، وهؤلاء الحكماء الذين بلغوا من مراتب الادراك الى ان قالوا انّا لا نحتاج الى ارسال الانبياء عليهم السلام انما يرسلهم الله تعالى الى اهل العقول الناقصة واما نحن فقد كملت احلامنا وعقولنا قد عزلوا الله سبحانه عن عالم ملكوته كلاً ورأساً وليتهم ذهبوا الى ما ذهبت اليه المجوس وطوائف الكفار، والعجب ان جماعة من اهل عصرنا ممن يتدين بدين الاسلام قد وافقوهم على هذه الهفوات وخرجوا عن الدين من حيث لا يشعرون وهذا كله انما جاء من جهة التعويل على العقول الناقصة.

واما المتأخرون من الحكماء ومن حذى حذوهم من طوائف المسلمين فلما رأوا قول قدمائهم بمكان من الشرك والبعد عن قول أهل الملل والاديان اوّلوا قول قدمائهم وقالوا لا مؤثر في الوجود الا الله معناه ان تلك العقول المجردة هي آلات ووسائط بين الله سبحانه وبين مخلوقاته تسبب بها الى خلق ما خلق كما يتسبب النجار الى قطع خشبته بالمنشار وكالوالدين في حصول الاولاد وهذا تأويل لكلام من لا يرضى به وقد صرّح بخلافه مع ان مفاسده كثيرة لا تحصى.

واعجب من هذا كله ان من وافق الفلاسفة من علماء الاسلام كيف غفل عن هذا المعنى وهو ان كتاب ربهم وسنَة نبيهم لم تهمل مما يحتاج اليه الخلق ومما لا يحتاجون اليه حتى ان الائمة عليهم السلام رووا في أدنى الامور كالكنف واضرابه ضروباً من الاخبار عن جدهم ﷺ وذكروا آداب الاكل والشرب والجلوس الى غير ذلك واهملوا هذا الامر العظيم الذي يدور عليه مدار الخلق والايجاد، وبه يتحقق الكفر والالحاد وكيف لم تذكر هذه العقول وافاعليها في آية من الايات ولا في حديث من الاحاديث ولا في تاريخ من التواريخ، ولا نقله خلف عن سلف وكذا ما سيأتي من اعتقادات الحكماء ومتابعيهم من اهل الاسلام كيف اهملها الشارع ولم يتعرض لها بوجه من الوجوه.

ومن الطرائف في هذا المقام ان أنجس المخلوقات وادناها شرفاً هو الكلب مع انه سبحانه لما امر صاحبه بتعليمه للصيد لم يرض له بتعليم صاحبه الذي يعلمه، بل قال عز من قائل يسئلونك ماذا أحل لهم قل احلَ لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله، أي من العلم الذي امركم على لسان رسول الله ﷺ ان تعلموه الكلاب من اتباع الكلب الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره، ولا يعتاد اكل ما امسكه، وقوله مكلبين مشتق من الكلب، أي حال كونكم صاحبي كلاب او معلمي كلاب، فاذا لم يحسن في الشرع تعليم الكلب الا من العلوم الالهية فكيف جاز لكم ايها الحكماء والعلماء ان تعلموا الانسان الذي هو اشرف المخلوقات الذي تمدَح الله عند تمام خلقه بقوله فتبارك الله احسن الخالقين، العلم الذي توهمته عقولكم وحصلته اوهامكم وزعمتم انه علم ولم يذكر في شيء من الكتب السماوية وما سمعنا ايضاً الهيولى والصورة ولا الجزء الذي لا يتجزئ في شيء من الاخبار وان هذا اقل فساداً مما تقدم اذا عرفت هذا.

فاعلم ان الافلاك التي اثبتها الحكماء والرياضيون بالارصاد بسبب اختلاف الحركات تسعة افلاك كلية، ولكنها تشتمل على افلاك جزئية واول تلك الكليات عندهم هي فلك الافلاك وهو المسمى عندهم بالفلك الاطلس، لانه غير مكوكب قالوا وهذا هو الذي يسمى بالعرش المجيد في لسان الشرع، وتحته فلك الثوابت قالوا وهو المسمى بالكرسي في الشرع، ثم فلك زحل ثم فلك المشتري، ثم فلك المريخ ثم فلك الشمس ثم فلك عطارد، ثم فلك القمر وهو السماء الدنيا، قالوا دلَ على ترتيبها الحجب فما هو اسفل يحجب ما هو أعلى، أي يصير ساتراً له عنَا اذا وقع على محازاته، فانهم وجدوا القمر يحجب سائر السيارة فعلم انه تحت الجميع ووجدوا عطارد يكسف الزهرة الزهرة والمريخ والمريخ المشتري، والمشتري زحل وحل بعض الثوابت.

واما الشمس فانها لا تنكسف الا بالقمر ولا يتصور كسفها بشيء من الكواكب لانها تستتر بشعاعها اذا قربت منها لكن لها اختلاف المنظر دون العلوية فهي تحتها وفوق القمر وبقي الاشتباه في انها فوق الزهرة وعطارد او تحتها اذ لا سبيل الى معرفة ذلك من الكسف لما عرفت من احتراقهما تحت الشعاع عند القرآن فلذلك عدل بطليموس الى طريقة الاستحسان فقال هي كشمسة القلادة متوسطة بين السبعة السيارة اعني بين العلوية وبين السفليين والقمر وقد زعم مؤيد الدين العرضي المهندس ان فلك الزهرة دون فلك عطارد، وفوق فلك الشمس وزعموا ان هذه الافلاك لها نفوس دراَكة في نهاية الادراك وان هذه الافلاك عندهم اكمل من الانبياء لان شرف العناصر عندهم انما هو للتشبيه بالافلاك، وقد سأل بعض تلامذة المولى صدر الدين الشيرازي المولى المذكور عن الافلاك هل لها نفوس ناطقة ام لا فأجابه بانه اذا كنت على هذه الحالة الحقيرة من صغر البدن وقلّة الكمالات لك نفس ناطقة فكيف لا يكون للافلاك نفوس ناطقة مع ما هي عليه من العظمة والجلالة، وزعموا ان حركاتهم ارادية اختيارية فصار الحاصل من هذا كله ان مذهبهم هو ان هذه الافلاك بسائط لها نفوس ناطقة وحركات ارادية اختيارية وهذا كله مخالف لما ورد عن الائمة الطاهرين عليهم افضل الصلوات وهم اعلم بالافلاك وغيرها من بطليموس وغيره، وكان علي عليه السلام يقول سلوني عن طرق السموات فاني اعرف بها مني بطرق الارض، وذلك انهم علموها بالحس والعيان كما في الاخبار المستفيضة عنهم عليهم السلام من ان ارواحهم تزور العرش في كل ليلة جمعة، وانهم يستفيدون علوماً جديدة في كل زيارة وهؤلاء الحكماء قد اخذوا ما قالوه عن آرائهم وعقولهم او بالسماع من امثالهم، وليس الرائي كالسامع فلنشرع في ما اردنا بيانه ولنذكر بعض الاخبار ليتضح بها الحال فنقول:

روى الصدوق طاب ثراه باسناده الى الرضا عليه السلام قال كان علي بن ابي طالب عليه السلام بالكوفة في مسجد الجامع اذ قام اليه رجل من اهل الشام فقال يا امير المؤمنين اني اسألك عن اشياء فقال سل تفقهاً ولا تسئل تعنتاً، وأحدق الناس بأبصارهم فقال اخبرني عن اول ما خلق الله تبارك وتعالى، قال خلق النور، قال مم خلق السموات قال من بخار الماء قال مم خلقت الارض، قال من زبد الماء، قال فمم خلقت الجبال قال من الامواج، قال فلم سميت المكة أم القرى قل لان الارض دحيت من تحتها وسأله عن سماء الدنيا مم هي قال من موج مكفوف وسأله عن طول الشمس والقمر وعرضها قال تسعمائة فرسخ في تسعمائة فرسخ وسأله كم طول الكوكب وعرضه، قال أثنا عشر فرسخاً في اثني عشر فرسخاً وسأله عن الوان السموات السبع واسمائها، فقال اسم السماء الدنيا رفيع وهي من ماء ودخان واسم السماء الثانية قيدوم وهي على لون النحَاس، ولسماء الثالثة اسمها المادوم وهي على لون الشبه والسماء الرابعة اسمها ارقلون وهي

على لون الفضة، والسماء الخامسة هيعون وهي على لون الذهب والسماء السادسة اسمها عروس وهي ياقوتة خضراء، والسماء السابعة اسمها عجماء وهي درة بيضاء وسأله عن المد والجزر ما هما قال ان الله تعالى ملكاً موكلاً بالبحار يقال له رومان فاذا وضع قدميه في البحر فاض الماء، واذا اخرجهما غاض وسأله لم صار الميراث للذكر مثل حظ الانثيين قال لأن السنبلة كان عليها ثلاث حبات فبادرت اليها حوى فأكلت منها حبة واطعمت آدم حبتين فمن ذلك فمن ذلك ورث الذكر مثل حظَ الانثيين وسأله عن أول من قال الشعر فقال آدم وما كان شعره قال لما نزل الى الارض من السماء فرأى تربتها وسعتها وهواها وقتل قابيل هابيل فقال آدم:

تغيرَت البلاد ومن عليها ... فوجه الارض مغبر قبيح

تغيَر كل ذي لون وطعم ... وقلَ بشاشة الوجه المليح

فأجابه ابليس

تنحَ عن البلاد وساكنيها ... فبي في الخلد ضاق بك الفيسح

وكنت بها وزوجك في قرار ... وقلبك من أذى الدنيا مريح

فلم تنفك من كيدي ومكري ... الى ان فاتك الثمن الربيح

فلو لا رحمة الجبار اضحى ... بكفك من جنان الخلد ريح

وسأله عن بكاء آدم على الجنة وكم كان دموعه التي خرجت من عينه، قال بكى مائة سنة وخرج منعينه اليمنى مثل دجلة ومن عينه اليسرى مثل الفرات وسأله عن اول من وضع سكك الدراهم فقال نمرود بن كنعان بن نوح عليه السلام وسأله عن معنى هدير الحمام الراعبية فقال تدعو على اهل المفازف والقيان والمزامير والعيدان وسأله ما بال الماعز بادي العورة فقال لان الماعز عصت نوحاً عليه السلام لما ادخلها السفينة فدفعها فكسر ذنبها والنعجة مستورة العورة لان النعجة بادرت الى السفينة فمسح نوح عليه السلام يده على حياها وذنبها فاستوت الالية، والحديث طويل اخذنا منه موضع الحاجة وغيرها، وتفصيل كلام امير المؤمنين عليه السلام ما رواه رئيس المحدثين الشيخ الكليني طاب ثراه باسناده الى محمد بن عليَة، قال جاء رجل الى ابي جعفر عليه السلام من اهل الشام من علمائهم، فقال يا ابا جعفر جئت اسألك عن مسألة فأجابه عليه السلام وساق الكلام الى ان قال، ولكن الله كان اذ لا شيء غيره وخلق الشيء الذي جميع الاشياء منه وهو الماء الذي خلق الاشياء منه وخلق الريح من الماء ثم سلط الريح على الماء فشققت الريح متن الماء حتى ثار من الماء زبد على قدر ما شاء ان يثور فخلق من ذلك الزبد ارضاً بيضاء نقيَة ليس فيها صدع ولا نقب ولا صعود ولا هبوط ولا شجر، ثم طواها فوضعها فوق الماء ثم خلق الله النار من الماء فشققت النار متن الماء حتى ثار من الماء دخان على قدر ما شاء الله ان يثور فخلق من ذلك الدخان سماء صافية نقية

ليس فيها صدع ولا نقب، وذلك قوله تعالى والسماء وما بناها رفه سمكها فسويها، واغطش ليلها واخرج ضحيها والارض بعد ذلك دحيها، قال ولا شمس ولا قمر ولا نجوم ولا سحاب ثم طواها فوضعها فوق الارض، ثم نصب الخليقتين فرفع السماء قبل الارض، وذلك قوله عز ذكره والارض بعد ذلك دحيها، يقول بسطها فقالله الشامي يا ابا جعفر قول الله عز وجل أولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما، فقال له ابو جعفر عليه السلام فلعلك تزعم انهما كانتا رتقا ملتزقتان ملتصقتان ففتقت احدهما عن الاخر، فقال نعم، فقال ابو جعفر عليه السلام استغفر ربك فان قول الله عز وجل كانتا رتقا يقول كانت السماء رتقا لا تنزل المطر، وكانت الارض رتقا لا تنبت الحب فقال الشامي اشهد انك من اولاد الانبياء وان علمك علمهم، وفي هذا الحديث دلالة على ان السموات خلقت من الدخان كما هو ظاهر قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان، والاخبار في هذا المعنى كثيرة جداً ويدلّ ايضاً على ان الارض مخلوقة من زبد الماء.

والاخبار الكثيرة ايضاً دالة عليه روى علي بن ابراهيم في تفسيره انه قال ابو عبد الله عليه السلام لأبرش الكلبي يا ابرش هو كما وصف نفسه، كان عرشه على الماء والماء على الهوى، والهوى لا يحدد ولم يكن يومئذ خلق غيرها، والماء يومئذ عذب فرات فلما اراد ان يخلق الارض امر الرياح فضربت الماء، حتى صارت موجاً ثم ازيد فصار زبداً واحداً فجمعه في موضع البيت، ثم جعله جعلاً من زبد ثم دحى الارض من تحته، فقال الله تبارك وتعالى ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً، وفي ذلك التفسير فسلّط العقيم على الماء فضربته فاكثرت الموج والزبد وجعل يثور دخانه في الهواء فلما بلغ الوقت الذي اراد به قال للزبد اجمد فجمد وقال للموج اجمد فجمد، فجعل الزبد ارضاً وجعل الموج جبالاً رواسي للارض.

وبالجملة فالمحصَل من هذه الاخبار ان الماء اول مخلوق من هذه الاجسام كما تقدم في اول الكتاب وخلق من ذلك الدخان اذلي اثار منه السموات كمكا ان خلق الارض سابقاً على السماء انما هو من ذلك الزبد والمراد بالسموات هنا السبع والا فالكرسي والعرش يأتي تحقيقه ان شاء الله تعالى وفي قوله عليه السلام فرفع السماء قبل الارض (اه) دفع لما توهمه بعض الملاحدة من التناقض بين الايات في تقديم خلق السموات على الارض أو بالعكس فان ظاهر هذه تقدم خلق السماء لمكان قوله والارض بعد ذلك أي بعد رفع السماء دحيها وسواها وظاهر آيتين في القرآن العكس من هذا.

اما الاولى فقوله تعالى لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له انداداً ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها اقواتها في أربعة ايام سواء

للسائلين ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض إئتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضيهن سبع سموات في يومين.

واما الثانية فقوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً ثم استوى الى السماء فسوهنَ سبع سموات وهو بكلّ شيء عليم، وحاصل الجواب الذي اشار عليه السلام هو ان الله سبحانه خلق مادة الارض وهي الزبد قبل خلق الدخان الذي خلق منه السماء فلما خلق السماء من ذلك الدخان رجع الى تسطيح الارض ودحوها فدحاها ووسعها ولم يكن قبل هذا الدحو الا الارض التي هي موضع الكعبة الان ومنه سميت مكة ام القرى لان ارضها مادة لكل الاراضي، فتقدم كل من السماء والارض على الاخر باعتبار فلا تناقض.

واجيب عن رفع التنافي ايضاً بأن كلمة بعد في قوله تعالى والارض بعد ذلك دحيها، ليست للتأخر الزماني بل انما هو على جهة تعداد النعم والاذكار لها كما يقول القائل اليس قد اعطيتك وفعلت بك كذا وكذا، وبعد ذلك خالطتك، وربما يكون بعض ما تقدم في اللفظ متأخراً بحسب الزمان لانه لم يكن الغرض الإخبار عن الاوقات والازمنة بل المراد ذكر النعم والتنبيه عليها وربما اقتضت الحال ايراد الكلام على هذا الوجه وقد مال بعض اساتيذنا الى ان وجه الجمع هو ان تسوية السماء المطلقة متقدمة على دحو الارض واما تسويتها سبعاً فمتأخرة عنه، وقيل فيه وجوه أخرى والمعوّل على ما اشار اليه الامام عليه السلام .

فان قلت الحكم بأن الماء اول مخلوق من الاجسام ينافي ما ورد في التورية وما في تفسير علي بن ابراهيم الذي لم يأخذ كلامه في ذلك التفسير الا من الاخبار اما الذي وجد في التورية فهو ان مبدأ الخلق هو ان الله سبحانه وتعالى خلق جوهرة ثم نظر اليها نظر الهيبة فذابت اجزاؤها فصار الماء فثار من الماء بخار كالدخان فخلق منه السموات وظهر على وجه الارض مثل زبد البحر فخلق منه الارض ثم ارسلها بالجبال.

واما الذي ذكره علي بن ابراهيم قدس الله روحه فقد ذكر في تفسير قوله تعالى وكان عرشه على الماء، قال وذلك في مبدء الخلق ان الربّ تبارك وتعالى خلق الهوى ثم خلق القلم فأمره ان يجري فقال يا رب بما اجري فقال بما هو كائن ثم خلق الظلمة من الهوى وخلق النور من الهوى، وخلق الماء من الهوى، وخلق العرشي من الهوى، وخلق العقيم من الهوى، وهو الريح الشديد، وخلق النار من الهوى، وخلق الخلق كلهم من هذه الستة التي خلقت من الهوى.

قلت: قد ذكرنا سابقاً الوجه في الجمع بين اسبقية الهوى على الماء بان اسبقية الماء اضافية بالنسبة الى محسوسات الاجسام والهوى ليس بمحسوس، ومن ثم انكر بعضهم وجوده بقي الكلام في الدرة والهوى فيجوز ان يكون سبحانه قد كوّن الدرة من الهوى فخلق الماء من الدرة هو خلق

الماء من الهوى لانتهائه اليه فتأمل. ولم يوافق الشرع من الحكماء على هذه المقالة سوى ثاليس الملطي الاسكندراني فانه قال بعد ان وحّد الصانع ونزّهه لكنه أبدع العنصر الي فيه صور الموجودات والعلومات كلها وهو المبدع الاول وهو الماء ومنه انواع الجواهر كلها من السماء والارض وما بينهما وذكر ان من جمود الماء تكونت الارض ومن انحلاله تكوّن الهوى ومن صفوته تكوَنت النار ومن الدخان والابخرة تكوّنت السماء وفي قوله عليه السلام في الخبر الاول استغفر ربك الى آخر كلامه ابطال لما ذهب اليه الحكماء ومتابعوهم من علماء الاسلام من اصليين اصليين بزعمهم.

الاول ان الفلك عندهم لا يقبل الخرق ولا الالتيام فان فتقه بالامطار خرق له ومعراج نبينا صلى الله عليه وآله ببدنه الشريف سبع سموات مما يبطله ايضاً وتأويلهم له بالمعراج الروحي زندقة والحاد[٤٣] واما الامطار فمن اماكن مختلفة يأتي تفصيلها ان شاء الله تعالى في نور المطر ولنرو هنا حديثاً واحداً وهو ما رواه علي بن ابراهيم باسناده الى الصادق عليه السلام قال كان علي صلوات الله عليه يقوم في المطر اول ما يمطر حتى يبتلَ رأسه ولحيته وثيابه فقيل له يا امير المؤمنين الكن الكن فقال ان هذا ماء قريب العهد بالعرش ثم انشأ يحدّث صلوات الله عليه فقال ان تحت العرش بحراً فيه ماء ينبت ارزاق الحيوانات فاذا اراد الله عزّ ذكره ان ينبت به ما يشاء رحمة منه لهم اوحى الله اليه فمطر ما شاء من سماء الى سماء حتى يصير الى السماء الدنيا فيما اظنّ فيلقيه الى السحاب والسحاب بمنزلة الغربال ثم يوحي الى الريح ان اطحنيه واذيبيه ذوبان الماء ثم انطلقي به الى موضع كذا وكذا فامطري عليهم فيكون كذا وكذا عباباً وغير ذلك فتقطر عليهم على النحو الذي يأمرها به فليس من قطرة تقطر الا ومعها ملك حتى يضعها موضعها، ولم ينزل من السماء قطرة من مطر الا بعدد معدود ووزن معلوم الا ما كان من ايام الطوفان فانه نزل ماء منهمر بلا وزن ولا عدد وقال في آخره قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا تشيروا الى المطر ولا الى الهلال فان الله عز وجل يكره ذلك.

الاصل الثاني لهم هو نفي الخلا وان الافلاك ليس بينهما فرجة بل مقعر كل فلك مماس لمحدب الفلك الاخر فان الشامي كان يعتقد مثل هذا بالاخذ عن كتب الحكماء واهل الرياضيات فقال له عليه السلام استغفر ربك من هذا الذنب العظيم فيدلّ على تحريم هذا الاعتقاد وامثاله وعلى ان الجاهل في معرفته ليس بمعذور فابطل عليه السلام الالتزاق والملاصقة وفي حديث زينب العطارة المسند الى الصادق عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وذكر الحديث الى ان قال والارضون السبع ومن فيها ومن عليها عند

---

(٤٣) الاشكال في مسألة المعراج مبني على الهيئة القديمة لذا فتحوا باب التاويل فيها واما على الهيئة الجديدة فليس فيها ادنى اشكال اصلا.

السماء الاولى كحلقة في فلاة قيٍ، وهذا كله والسماء الدنيا ومن عليها ومن فيها عند التي فوقها كحلقة في فلاة قيٍ وهاتان السماءان ومن فيهما ومن عليهما عند التي فوقهما كحلقة في فلاة قيٍ حتى انتهى الى السابعة وهنّ ومن فيهن وعليهنّ عند البحر المكفوف عن اهل الارض كحلقة في فلافة قيٍ هذا السبع والبحر المكفوف عند جبال البرد كحلقة في فلاة قيٍ، وتلا هذه الاية وننزّل من السماء من جبال من برد وهذه السبع والبحر المكفوف وجبال البرد عند الهوى الذي تحار فيه القلوب كحلقة في فلاة قيٍ، وهذه السبع والبحر المكفوف وجبال البرد والهوى عند حجب النور كحلقة في فلاة قيٍ وهذه السبع والبحر المكفوف وجبال البرد والهوى وحجب النور عند الكرسي كحلقة في فلاة قيٍ، ثم تلا هذه الاية وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم، وهذه السبع والبحر المكفوف وجبال البرد والهوى وحجب النور والكرسي عند العرشي كحلقة في فلاة قيٍ، وتلا هذه الاية الرحمن على العرش استوى، وفي رواية الحسن الحجب قبل الهوى الذي تحار فيه القلوب، واذا كان الحال على هذا المنوال فأين الملاصقة والمماسة وكيف نفوا الخلاء بدلائلهم العقلية.

وقد روى ايضاً مستفيضاً ان غلظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام ومنم بين السماء الى السماء كذلك ايضاً، ومن هنا الى السماء الدنيا مثلها فكيف الملاصقة والحال كما عرفت، والقيّ بكسر القاف والتشديد المفازة الخالية من الماء والكلاء، وقد ذهب الحكماء ومتابعوهم الى ان الافلاك غير ملونة.

واستدل عليه رئيس المشككين في كتاب الملخص بدليلين الاول لو كانت الافلاك ملونة لحجبت الابصار عن رؤية ما وراها فكان يجب ان لا نرى الكواكب الثاني الافلاك بسيطة والبسيط لا لون له، والجواب عن الاول على طريقتهم انا لا نسلمّ ان كل لون حاجب فان الماء له لون ولذلك يرى وكذلك الزجاج والبلور وهما لا يحجبان، مع ان هذا الدليل لا يجري في الفلك الاعظم وعن الثاني بمنع كلية الصغرى وينقض كلية الكبرى بالقمر واما على طريقة الشرع فمنع الثاني ظاهر لان الاخبار على ما عرفت انما هي دالة على عدم بساطة الافلاك بل على تركبها وتلونها كل سماء بلون كما في حديث امير المؤمنين عليه السلام السابق.

واما الاول فلا نسلم ان الثوابت في الفلك الثامن فان في الاخبار ما ينافيه صريحاً وان بيننا وبين الفلك الثامن جبالاً وبحوراً واجساماً كثيفة تمنع مما قالوه مع ان قوله عز من قائل انا زيّنا السماء الدنيا بزينة الكواكب، وكذا قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين، ظاهر في ان هذه الكواكب انما هي في السماء الدنيا لا غير ومال الى هذا شيخنا البهائي (ره) وكذا بعض مفسري الجمهور، وما ذكره المنجمّون والحكماء من ترتيب الكواكب في الافلاك

لك يدلّ عليه دليل من الشرع بل الاخبار على خلافه، ونقلها يفضي الى التطويل لان موضوع الكتاب ليس للمباحثة معهم وانما موضوعه نقل الكائنات في الافلاك واارضين على طريقة الشرع، لكن لزم منم هذا ابطال مذاهبهم المأخوذة من الحدس والرياضة اذا عرفت هذا.

فاعلم ان الظاهر من هذه الاخبار وغيرها هو ان السموات طبقات كما ان الارض طبقات لكن روى علي بن ابراهيم عن ابيه عن الحسين بن خالد عن الرضا عليه السلام قال قلت له اخبرني عن قول الله والسماء ذات الحبك، فقال هي محبوكة الى الارض، وشبك بين اصابعه فقلت كيف تكون محبوكة الى الارض والله يقول رفع السموات بغير عمد ترونها فقال سبحان الله أليس يقول بغير عمد ترونها قلت بلى قال فثمّ عمد ولكن لا ترونها قلت كيف ذلك جعلني الله فداك، قال فبسط كفه اليسرى ثم وضع اليمنى عليها فقال هذه ارض الدنيا ومساء الدنيا عليها فوقها قبَة والارض الثانية فوق سماء الدنيا وسماء الثانية فوقها قبةَ، والارض الثالثة فوق سماء الثانية وسماء الثالثة فوقها قبة، والارض الرابعة فوق سماء الثالثة، ومساء الرابعة فوقها قبة، والارض الخامسة فوق سماء الرابعة وسماء الخامسة فوقها قبة، والارض السادسة فوق سماء الخامسة وسماء السادسة فوقها قبة والارض السابعة فوق سماء السادسة وسماء السابعة فوقها قبة وعرش الرحمن تبارك وتعالى فوق السماء السابعة، وهو قول الله تعالى الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهنَ يتنزل الامر بينهن فاما صاحب الامر فهو رسول الله صلى الله عليه وآله والوصي بعد رسول الله قائم هو على وجه الارض، فانما يتنزل الامر اليه من بين السموات والارضين قلت فما تحتنا الا ارض واحدة، فقال ما تحتنا الى ارض واحدة وان الست كلهم فوقنا.

اقول لا يخفى ما في هذا الحديث من الاشكال وعدم امكان تأويله حتى ينطبق على الاخبار وظواهر الايات او على اقوال الحكماء والرياضيين، وهذا لا يوجب رده بل يجب التسليم والانقياد له وارجاعه الى متشابهات الاخبار، فان كلامهم صلوات الله عليهم كالقرآن له ظاهر وباطن، ومنه محكم ومتشابه وعامّ وخاصَ، ومطلق ومقيد ومجمل ومبين الى غير ذلك.

نعم قد وقع الخلاف بين ارباب الرياضي في الارضين السبع، فقال بعضهم بأنها طبقات سبع كما هو مدلول الاخبار، ومنهم من قال انها طبقة واحدة لكن تعددها باعتبار الاقاليم السبعة، وآخرون ذهبوا الى انها ثلث طبقات الارض الصرفة البسيطة والطينية والظاهرة التي على وجه الارض وهي مع كرة الماء كرة واحدة وثلث كرات الهوى وكرة النار ومنهم من جعل الارض كرتين البسيطة وغيرها، والماء كرة ومنهم من قسّم الهوا كرتين، ومنهم من قسمها اربع كرات، وهذه الوجوه لا ينطبق شيء منها على ظواهر الاخبار.

نور عرشي

يكشف عن بعض احوال العرش والكرسي

اعلم ان العرش في اصطلاح الحكماء ومتابعيهم هو الفلك التاسع كما عرفت، وهو المحيط بكل المخلوقات وليس فوقه شيء ولذا سموه محدد الجهات ومنتهى الاشارة، واما في اصطلاح اهل الشرع، فيقال على معان:

اولها علم الله عز وجل المحيط بكل شيء كاحاطة العرش الحسي بكل المخلوقات كما روينا في الاحاديث عن الصادق عليه السلام في قول الله عز وجل وسع كرسيه السموات والارض، فقال السموات والارض وما بينهما في الكرسي، والعرش هو العلم الذي لا يقدر احد قدره، هذا العرش هو المراد من قوله سبحانه ويحمل عرش ربك فزقهم يومئذ ثمانية فقد روى ان الثمانية الذين يحملون هذا العرش يوم القيامة اربعة من الاولين واربعة من الاخرين فاما الاولون فهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى، واما الاخرون فهم محمد صلى الله عليه وآله وعلي والحسنان عليهم السلام لانهم عن حمل العرش بمعنى الجسم المخصوص في شغل شاغل، وقال الصدوق (ره) في الاعتقادات وانما صار هؤلاء حملة العلم لان الانبياء الذين كانوا قبل نبينا صلى الله عليه وآله كانوا على شرائع الاربعة نوح وابراهيم وموسى وعيسى، وعن قبل هؤلاء صارت العلوم اليهم وكذلك صار العلم من بعد محمد صلى الله عليه وآله لعلي وابنيه.

وثانيها الملك كما رواه ابن سدير قال سألت ابا عبد الله عليه السلام عن العرش والكرسي فقال ان للعرش صفات كثيرة مختلفة، له في كل سبب ووضع في القرآن صفة على حدة فقوله رب العرش العظيم يقول الملك العظيم.

وثالثها عالم الامكان وهو ما سوى الله سبحانه، روى في تفسير قوله تعالى الرحمن على العرش استوى، قال على كل شيء فليس شيء اقرب اليه من شيء وذلك ان عرش اسلطان هو محل جلوسه ومظهر عظمته، وهنا كل ذرة من ذرات المخلوقات فيها من الشواهد على غرائب صنعه وظهور قدرته ما لا يدخل تحت العدّ والاحصاء.

وفي كـــل شـــيء لـــه آيـــة   تـــدلّ علـــى انـــه واحـــد

فكل مخلوق عرش له تعالى

ورابعها صفات الجلال والاكرام فانها مظهر قدرته واسباب عظمته.

وخامسها قلوب عباده المؤمنين فان كل قلب منها عرش لمحل معرفته ومعدن عظمته، وفي الحديث القدسي لا تسعني ارضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن ومن هذا روى ان

التفريق بين يوسف ويعقوب هو ان يعقوب قد شغف بحبَ يوسف فأدخل البيت غير صاحبه فرماه الله سبحانه بأيدي الفراق، وسمعت مشافهة من شيخنا الاجل صاحب التفسير الموسوم بنور الثقلين ان العرش يطلق في اصطلاح الاخبار على ستين معنى ولعله قال سبعين.

وسادسها المعنى المبحوث عنه هنا وهو الجسم العظيم المحيط بالسموات والارضين والكرسي ايضاً على ما عرفت من الاخبار السابقة، وفي بعضها ان الكرسي شامل للعرش وهو فوقه، وحينئذ فيحمل على احد معاني العرش غير الجسم المحيط مما يناسبه وروى الصدةق طاب ثراه باسناده الى ابي الصلت الهروي قال سأل المأمون ابا الحسن الرضا عليه السلام عن قول الله عز وجل وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملاً فقال ان الله تبارك وتعالى خلق العرش والماء والملائكة قبل خلق السموات والارض وكانت الملائكة تستدل بانفسها وبالعرش وبالماء على الله عز وجل ثم جعل عرشه على الماء ليظهر بذلك قدرته للملائكة فتعلم انه على كل شيء قدير ثم رفع العرش بقدرته ونقله فجعله فوق السموات السبع، ثم خلق السموات والارض في ستة ايام وهو مستولي على عرشه وكان قادراً على ان يخلقها في طرفة عين ولكنه عز وجل خلقها في ستة ايام ليظهر للملائكة ما يخلقه منها شيئاً بعد شيء، فتستدلَ بحدوث ما يحدث على الله تعالى ذكره، وقيل انه سبحانه علّم خلقه التثبت والرفق في الامور وروى ذلك عن سعيد بن جبير.

اقول وهذا الجسم العظيم قد خلق من النور كما دلت عليه الاخبار الكثيرة وفي بعضها انه مخلوق من الهوى كما تقدم، ولا منافاة بينهما لا مكان ان يكون مركباً من الامرين الا ان الدزء الغالب فيه هو النور، فلذا اضيف اليه وكذلك الكرسي، وفي الرواية عن الباقر عليه السلام عن علي بن الحسين عليهما السلام قال ان الله عز وجل خلق العرش ارباعاً لم يخلق قبله الا ثلاثة اشياء الهواء والقلم والنور، ثم خلقه من انوار مختلفة فمن ذلك النور نور اخضر اخضرت منه الخضرة، ونور اصفر اصفرت منه الصفرة، ونور احمر احمرت منه الحمرة، ونور ابيض وهو نور الانوار ومنه ضور النهار، ثم جعله سبعين الف طبق غلظ كلّ طبق كأول العرش الى اسفل الاسفلين ليس من ذلك طبق الا يسبح بحمد ربه ويقدسه باصوات مختلفة والسنة غير مشتبهة، ولو اذن للسان منها فأسمع شيئاً مما تحته لهدم الجبال والمدائن والحصون ولخسف البحار ولاهلك ما دونه، له ثمانية اركان على كل ركن منها من الملائكة ما لا يحصى عدهم الا الله عز وجل يسبحون الليل والنهار لا يفترون ولو حسَ شيء مما فوقه ما قام لذلك طرفة عين بينه وبين الاحساس الجبروت والكبرياء والعظمة والقدس والرحمة، ثم العلم وليس هذا مقال وليسا في التركيب من الدخان كالسموات السبع.

واما كيفية عظمة هذا الجسم فلا يحيط بها الا علاّم الغيوب، وفي الخبر عن النبي ﷺ قال لما خلق الله تعال العرش خلق له ثلثمائة وستين الف ركن، وخلق عند كل ركن ثلثمائة وستين الف ملك لو اذن الله لاصغرهم ان التقم السموات السبع ما كان ذلك بين لهاته الا كالرملة في المفازة الغضغاضة[٤٤] فقال الله تعالى لهم يا عبادي احملوا عرشي هذا فتعاطوه فلم يطيقوا حمله ولا تحريكه، فخلق الله مع كل واحد منهم واحداً فلم يقدروا ان يزعزعوه[٤٥] فخلق الله مع كل واحد عشرة فقلم يقدروا ان يحركوه، فخلق بعدد كل واحد منهم مثل جماعتهم فلم يقدروا ان يحركوه، فقال عز وجلَ لجميعهم خلّوه عليَ امسكه بقدرتي فخلوه فأمسكه بقدرته، ثم قال لثمانية منهم احملوه انتم فقالوا لم نطقه وهذا الخلق الكثير والجم العفير فكيف نطيقه الان دونهم فقال الله عز وجل ذلك لاني انا الله المقرب للبعيد والمذلل للعنيد والمخفف للشديد والمسهل لعسير افعل ما اشاء واحكم ما اريد اعلمكم كلمات تقولون بها يخفف عنكم قالوا وما هي يا ربنا قال تقولون بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد وىله الطيبين الطاهرين، فقالوها فحملوه وخفّ على كواهلهم كشعرة نابتة على كاهل رجل جلد قوي، فقال الله لسائر تلك الاملاك خلّوا على هؤلاء الثمانية عرشي ليحملوه وطوفوا انتم حوله وسبحوني ومجدوني وقدسوني فاني انا الله القادر على ما رأيتم وعلى كل شيء قدير.

وعن الصادق عليه السلام ان حملة هذا العرش اربعة املاك احدهم على صورة آدم يسترزق الله سبحانه لبني آدم والثاني على صورة الديك يسترزق الله سبحانه للطيور والثالث على صورة الاسد يسترزق الله سبحانه للسباع، والرابع على صورة الثور يسترزق الله سبحانه للبهائم، وهو قد نكس راسه حياء من الله تعالى من عبد بنو اسرائيل العجل، ولا تنافي بين الاخبار لجواز ان يكونوا اربعة في وقت وثمانية في وقت آخر.

وروى عن زين العابدين عليه السلام انه قال ان لله ملكاً يقال له خرقائيل له ثمانية عشر الف جناح، ما بين الجناح الى الجناح خمسمائة عام فخطر له خاطر هل فوق العرش فزاده الله تعالى مثلها اجنحة اخرى، فكان له ست وثلاثون الف جناح ما بين الجناح الى الجناح خمسمائة عام، ثم اوحى الله اليه ايها الملك طر، فطار مقدار عشرين الف عام لم ينل قائمة من قوائم العرش ثم ضاعف الله له في الجناح والقوة وامره ان يطير فطار مقدار ثلاثين الف عام لم ينل ايضاً، فأوحى الله اليه ايها الملك اوطرت الى نفخ الصور مع اجنحتك وقوتك لم تبلغ الى ساق عرشي، فقال الملك سبحان ربي الاعلى.

---

(٤٤) غضغف الماء: نقصه وتغضغض الماء نقص وغاض.

(٤٥) أي يحركوه زعزعة حركة شديداً.

وعن الصادق عليه السلام انه قال في العرش تمثال جميع ما خلق الله في البر ولبحر قال وهذا تأويل وان من شيء الا عندنا خزائنه، وان بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الاخرى خفقان الطير المسرع مسير الف عام، والعرش يكسى كل يوم سبعين الف لون من النور لا يستطيع ان ينظر اليه خلق من خلق الله سبحانه وفي الخبر عن الصادق عليه السلام قال ان للعرش صفات كثيرة مختلفة له في كل سبب ووضع في القرآن صفة على حدة فقوله رب العرش العظيم، يقول الله الملك العظيم وقوله الرحمن على العرش استوى يقول على الملك احتوى وهذا ملك الكيفوفة في الاشياء ثم العرش في الاصل منفرد عن الكرسي لانهما بابان من اكثر ابوبا الغيوب وهما جميعاً غيبان وهما في الغيب مقرونان لان الكرسي هو الباب الظاهر من الغيب الذي منه مطلع البدع ومنه الاشياء كلها والعرش هو الباب الباطن الذي يوجد فيه علم الكيف والكون والقدر والحد والاين والمشيئة وصفة الارادة وعلم الالفاظ والحركات والترك وعلم العود والبدء وهما في العلم بابان مقرونان لان ملك العرش سوى ملك الكرسي وعلمه اغيب من علم الكرسي فمن ذلك قال رب العرش العظيم، أي صفته اعظم من صفة الكرسي وهما في ذلك مقرونان قلت جعلت فداك فلم صار في الفضل جار الكرسي، قال انه صار جاره لان علم الكيفوفية فيه وفيه الظاهر من ابواب البدع واينيتها وحدّ رتقها وفتقها فهذان جاران احدها حمل صاحبه في الظرف الحديث.

نور حجابي يكشف عن بعض ما فوق العرش

قد عرفت ان الحما والرياضيين والمنجمين وكثيراً من علماء الاسلام قد ذهبوا الى ان العرش هو منتهى المخلوقات وليس فوقه شيء وقد اكثروا عليه من الدلائل وليس دلائلهم هذا الا كدلائلهم على الاحكام السابقة التي كذبهم فيها القرآن والسنة المتواترة نعم العرش منتهى مسافة العقول والافهام فلا تصل الى ما هو فوقه ولا حامت حول الكلام فيه والعرش في جهة الفوق كلثرى في جهة التحت، وقال الصادق عليه السلام ذا انتهى الكلام الى الثرى فقد انقطع علم العلماء، والظاهر ان المراد كون الثرى والعرش نهايتين للعلم الكسبي الذي يمكن محاولته بالفكر والنظر وان كان بعضه صحيحاً والاخر باطلاً فان العقول تتفاوت في الادراك والاوهام تزيد وتنقص لاسبابها المألوفة كما قرر في محله.

واما العلم الالهي اذلي اتاه النبي واهل بيته عليهم السلام فق تجاوزا العرش وتحت الثرى، فقد روى عن الطاهرين عليهم السلام ان الله تعالى خلق مائة الف قنديل وعلقها، والعرش والسموات والارض وما فيها حتى الجنة والنار كلها في قنديل واحد ولا يعلم ما في القناديل الباقية الا الله، وروى الصدوق قدس الله روحه عن الرضا عليه السلام انه قال أترى ان الله لم

يخلق بشراً غيركم بلى والله لقد خلق الف الف عالم والف الف آدم انت في آخر تلك العوالم واولئك الادميين.

وروى الصادق عليه السلام انه قال ان الشمس تقطع اثنى عشر برجاً واثنى عشر براً واثنى عشر بحراً واثنى عشر عالماً، وقال عليه السلام ان الله خلق اثنى عشر الف عالم كل عالم منهم اكبر من سبع سموات وسبع ارضين ما يرى عالم غيرهم واني الحجة عليهم، ولا يخفى ان هذه العوالم لا يكون الا فوق السموات والاول صريح في كونها فوق العرش وان العرش في بطن القناديل، فسبحان من جلت عظمته ومنعت حوزته.

قال محيي الدين بن العربي في الباب الثامن من الفتوحات ان من جملة العوالم عالماً على صورنا اذا ابصره العارف يشاهد نفسه فيه، وقد اشار الى ذلك عبد الله بن عباس فيما روى عنه في حديث الكعبة انها بيت واحد من اربعة عشر بيتاً، وان في كل من الارضين السبع خلقاً مثلنا حتى ان فيهم ابن عباس مثلي، وصدقت هذه الرواية عند اهل الكشف وكلما فيه حي ناطق وهو باق لا يتبدل، واذا دخله العارفون فانما يدخلونه بارواحهم لا بأجسامهم فيتركون هياكلهم في هذه الارض ويتجردون، وفيها مدائن لا تحصى وبضها تسمى مدائن النور لا يدخلها من العارفين الا كل مصطفى مختار وكل حديث وآية وردت عنها مما صرفها العقل عن ظاهرها وجدناها على ظاهرها في هذه الارض، انتهى.

وهذ العالم تسميه حكماء الاشراق الاقليم الثامن وعالم المثال وعالم الاشباح قال التفتازاني في شرح المقاصد وعلى هذا بنوا امر المعاد الجسماني فان البدن المثالي الذي تتصرف فيه النفس حكمه حكم البدن الحسي في ان له جميع الحواس الظاهرة والباطنة فتلتذ وتتألم باللذات والالام الجسمانية.

وقال صاحب شرح حكمة الاشراق ان الصور الخيالية لا يكون موجودة في الاذهان لامتناع انطباع الكبير في الصغير، ولا في الاعيان والا لرءاها كل سليم الحس، وليست عدما محضاً والا لما كانت متصورة ولا متميزاً بعضها عن بعض، ولا محكوماً عليها بأحكام مختلفة، واذاً هي موجودة فليست في الاعيان ولا في الاذهان ولا في عالم العقول لكونها صوراً جسمانية لا عقلية فبالضرورة تكون موجودة في صقع، وهو عالم يسمى بالعالم المثالي والخيالي متوسط بين عالمي العقل والحس لكونه بالرتبة فوق عالم الحس ودون عالم العقل لانه اكثر تجرداً من الحس واقل تجرداً من العقل، وفيه جميع الاشكال والصور والمقادير والاجسام وما يتعلق بها من الحركات والسكنات والاوضاع والهيئة وغير ذلك قائمة بذاتها متعلقة لا في مكان ومحل، واليه الاشارة بقوله والحق في صور المرايا والصور الخيالية انها ليست منطبعة، أي في المرأة والخيال لا في غيرهما، بل

هي صياصي أي ابدان معلقة في عالم المثل ليس لها محل لقيامها بذاتها وقد يكون لها أي لهذه الصياصي المعلقة لا في مكان مظاهر ولا يكون فيها لما بينا فصور المرءاة مظهرها المرءاة وهي معلقة لا في مكان ولا في محل، وصور الخيال مظهرها الخيال وهي معلقة لا في محل.

واما الحجب فهي قسمان قسم منها تحت العرش وقسم منها فوقه روى الصدوق (ره) مسند الى وهب قال سئل امير المؤمنين عليه السلام عن الحجب فقال اول الحجب سبعة، غلظ كل حجاب منها مسيرة خمسمائة عام وطوله خمسمائة عام حجبة كل حجاب منها سبعون الف ملك قوة كل لك منها قوة الثقلين، منها ظلمة ومنها نور ومنها دخان ومنها سحاب ومنها رعد ومنها برق ومنها ضوء ومنها رمل، ومنها جبل ومنها عجاج ومنها ماء ومنها انهار، وهي حجب مختلفة غلظ كل حجاب مسيرة سبعين الف عام، ثم سرادقات الجلال وهي ستون سرادقاً في كل سرادق سبعون الف ملك بين كل سرادق وسرادق مسيرة خمسمائة عام، ثم سرداق الفخر ثم سرادق الكبرياء ثم سرادق العظمة ثم سرادق القدس ثم سرادق الجبروت ثم سرادق الفخر ثم سرادق النور الابيض ثم سرادق الوحدانية وهي مسيرة سبعين الف عام، ثم الحجاب الاعلى وانقضى كلامه وسكت عليه السلام ثم قال عمر لا بقيت ليوم لا اراك فيه يا ابا الحسن وقال عليه السلام ان لله سبعين الف حجاب من نور لو كشف منها حجاب واحد لاحرقت سبحات جلاله ما في الكونين، والاخبار الواردة في هذا الباب كثيرة، فدلّ هذا وامثاله على ان العرش ليس هو منتهى المخلوقات بل فوقه ما هو اعظم منه بمراتب غير متناهية فلا تغفل.

نور قمري يتعلق باحوال القمر

اعلم ان الذي بينوه هو ان نور القمر مستفاد من نور الشمس ومستضيء به ويزيد وينقص نوره بالقرب من الشمس والبعد عنها كما هو مذكور في كتب الهيئة، ومن هذا تمت المشابهة في تفسير قوله تعالى والشمس وضحها والقمر اذا تليها، بان المراد من الشمس رسول الله صلى الله عليه وآله ومن القمر امير المؤمنين عليه السلام فان نور علمه مأخوذ من نور علم النبي صلى الله عليه وآله، ولكن سيأتي ان شاء الله تعالى في الاخبار ما يدل على ان للقمر نوراً ذاتياً غير مأخوذ من غيره، ولا منافاة بينهما لجواز اجتماع النورين فيه كما اجتمعا في المشبه الذي هو علي عليه السلام فان الله تعالى قد أتاه من العلم فنوناً كثيرة فأكملها النبي صلى الله عليه وآله في حياته وعند وفاته حيث ادخله تحت ثيابه، ولما خرج قيل له يا علي ما قال لك ابن عمك قال علمني الف باب من العلم ينفتح من كل باب الف باب.

واما مادة القمر واجزاؤه فقد عرفت اجماع الفلاسفة ومتابعيهم على بساطة الكواكب وعدم تركبها واما اخبار اهل البيت عليهم السلام فقد روى الصدوق طاب ثراه باسناده الى ابن

مسلم قال قلت لابي جعفر عليه السلام جعلت فداك لاي شيء صارت الشمس اشد حرارة من القمر، فقال ان الله تبارك وتعالى خلق الشمس من نور النار وصفو الماء طبقاً من هذا وطبقاً من هذا حتى صارت سبعة اطباق البسها لباساً من نار، فمن صارت اشد حرارة من القمر وخلق القمر من نور النار وصفوا الماء طبقاً من هذا وطبقاً من هذا حتى صارت سبعة اطباق البسها لباساً من ماء، فمن ثم صار القمر ابرد من الشمس، ويجوز ان يكون التركيب من الاطباق السبع لاستضائة السموات السبع، واما العرش والكرسي فلهما نور غيرهما هذا كما سيأتي.

فان قلت اذا كان وجه القمر من صافي الماء فما هذا السواد والكلف الذي على وجه القمر قلت قد تحَير ارباب علم الفلك في سببه على اقوال سبعة، الاول ما قيل انه خيال لا حقيقة له، ورد بأنه لو كان كذلك لاختلف الناظرون فيه لاستحالة توافقهم كلهم في خيال واحد، الثاني ما قيل من انه شبح ما ينطبع فيه من السفليات من الجبال والبحار وغيرهما واجيب عنه بأنه يلزم ان تختلف القمر في قربه وبعده وانحرافه عما ينطبع فيه.

الثالث انه السواد الكائن في الوجه الاخر وردَ بأنه يجب على هذا ان لا يرى هذا متفرقاً، الرابع ان سببه التأذي من كرة النار لقرب ما بينهما واجاب عنه ابن سينا في شفائه بأن هذا لا يلائم الاصول الحكمية، فان الاجرام الفلكية لا تفعل عن الاجسام العنصرية وايضاً قالوا ان الفلك غير قابل للتسخنَ عندهم الخامس ان جزء منه لا يتقبل النور كسائر اجزائه القابلة له قلنا فاذن لا يطرد القول ببساطة الفلكيات كما زعمتم اذ القمر حينئذ مركب من اجزاء متخالفة الحقايق، ويبطل على هذا جميع قواعدهم المبينة على بساطتها.

السادس هو وجه القمر فانه مصوّر بصورة انسان أي بصورة وجه الانسان، فله عينان وحاجبان وأنف وفم، وردَ بأه يلزم ان يتعطل فعل الطبيعة عندهم، لان لكل عضو طلب نفع او دفع ضرر، فان الفم لدخول الغذا والانف لفائد الشم والحاجبين لدفع العرض عن العينين، وليس القمر قابلاً لشيء من ذلك فيلزم التعطيل الدائم فيما زعمتم انه أحسن النظام وابلغه، السابع وهو الذي اختاره صاحب التذكرة وكثير من المتأخرين ان هذا الكلف اجسام سماوية مختلفة مععه في تدويره غير قابلة للانارة بالتساوي حافظة لوضعها معه دائماً، فاذا كانوا على هذا النحو من الاختلاف في جزئي من جزئيات الكواكب فكيف اطلعوا على كلياتها واحاطوا بها، ما هذا إلاّ رجم بالغيب وقول مستند الى الريب.

واما سببه من طريق الاخبار فروى الصدوق قدس الله روحه مسنداً الى يزيد بن سلام قال ما بال الشمس والقمر لا يستويان في الضوء والنور، قال لما خلقهما الله عز وجل اطاعا ولم

يعصيا شيئاً فأمر الله عز وجل جبرئيل ان يمحو ضوء القمر فمحاه فأثر المحو في القمر خطوطاً سوداء ولو ان القمر ترك على حاله بمنزلة الشمس لما عرف الليل من النهار ولا النهار من الليل.

وروى القاسم بن معاوية قال قلت لابي عبد الله عليه السلام هؤلاء يروون حديثاً في معراجهم أنه لما اسرى برسول الله صلى الله عليه وآله رأى على العرش لا اله الا الله محمد رسول الله ابو بكر الصديق فقال سبحان الله غيروا كل شيء حتى هذا قلت نعم قال ان الله عز وجل لما خلق العرش كتب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله ولما خلق الماء كتب في مجراه لا اله الا الله محمد رسول الله علي امير المؤمنين ولما خلق الله عز وجل الكرسي كتب على قوائمه لا اله الا الله محمد رسول الله علي امير المؤمنين، ولما خلق الله عز وجل اللوح كتب فيه لا الا الله محمد رسول الله علي امير المؤمنين، ولما خلق اللخ اسرافيل كتب على جبهته لا اله الا الله محمد رسول الله علي امير المؤمنين ولما خلق السموات كتب على اكنافها لا اله الا الله محمد رسول الله علي امير المؤمنين، ولما خلق الله عز وجل الارضين كتب على اطباقها لا اله الا الله محمد رسول الله علي امير المؤمنين، ولما خلق الله عز وجل الجبال كتب على رؤسها لا اله الا الله محمد رسول الله علي امير المؤمنين، ولما خلق الله عز وجل الشمس كتب الله عز وجل عليه لا اله الا الله محمد رسول الله علي امير المؤمنين، ولما خلق الله عز وجل القمر كتب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله علي امير المؤمنين، وهو السواد الذي ترونه في القمر، فاذا قال احدكم لا اله الا الله محمد رسول الله فليقل علي امير المؤمنين ولا منافاة بين هذين الخبرين لجواز ان يكون المحو الواقع في حديث الاول بهذه الكتابة الواقعة في الحديث الثاني، واماعدم مشاهدة هذا السواد في جرم الشمس فلعله باعتبار زيادة نورها لا يرى ما في وجهها كما هو شأن الاجسام المضيئة.

وقد وقع الخلاف بين اهل صناعة الفلك في ان فلك الشمس هو هو فوق فلك الزهرة وعطارد او تحتهما، وذلك لما عرفت من ان الشمس عندهم لا تنكسف الا بالقمر ولا يتصور كسفها بشيء من الكواكب لانها تستتر بشعاعها، ومن هذا ارجعوا الترتيب الى شمسة القلادة لكن قال ابن سينا وجماعة انهم رأوا الزهرة في وجه الشمس كالشامة كاسفة لها، وذهب مؤيد الدين العرضي وصاحب التحفة الى ان فلك الزهرة دون فلك عطارد وفوق فلك الشمس، وكذبوا ابن سينا فيما زعم، وقالا ان في وجه الشمس نقطة سوداء فوق مركزها بقليل كالمحو في وجه القمر، فهذه النقطة هي الشامة واما الشامتان فجاز ان تكون احديهما هذه النقطة والاخرى عطارد هذا كلامهم.

اقول بناء على هذه الاخبار يجوز ان يكون ذلك السواد المشاهد على وجه الشمس هو هذا المكتوب فتارة يشاهد نقطة وتارة يشاهد نقطتان، وهذا المحو الذي في القمر هو احد معاني

قوله عز من قائل فمحونا آية الليل وجعلنا ىية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم، ويستفاد من قوله عليه السلام اذا قال احدكم لا اله الا الله محمد رسول الله فليقل علي امير المؤمنين، عموم استحباب المقارنة بين اسميهما عليهما السلام الا ما اخرجه الدليل كالتشهدات الواجبة في الصلوة لانها وظائف شرعية، واما الاذان فهو وان كان من مقدمات الصلوة الا انه مخالف لها في اكثر الاحكام، فلا يبعد القول من هذا الحديث باستحباب لفظ علي ولي الله أو امير المؤمنين او نحو ذلك في الاذان لان الغرض الاتيان بأسمه كما لا يخفى.

ويؤيد هذا ما رأيته في الطيف ليلة عيد شهر رمضان المبارك والظاهر انها كانت ليلة الجمعة وقد حصل لي في النهار انكسار وخشوع وتضرع، فرأيت كأني في بريّة واسعة واذا فيها بيت واحد الناس تقصده من كل طرف فقصدته معهم فرأيت رجلاً جالساً على باب ذلك البيت وهو يفتي الناس بالمسائل فسألت عنه فقالوا هذا هو رسول الله صلى الله عليه وآله فأستفرجت الناس وتقدمت اليه صلى الله عليه وآله فقلت له يا جدّه انه قد انتهى اليّ دعاء من جنابكم انه يقرأ اول الصلوة، وهو اللهم اني اقدم اليك محمداً بين يدي حاجتي وأتوجه به اليك الدعاء، ولم يذكر مع اسمك المبارك اسم علي بن ابي طالب والفقير يقرن بين اسميكما ويخاف ان يكون قد ابدع في الدعاء حيث انه لم ينقل اليه عنكم الا كما قلت، فقرن بين اصبعيه على ما اظن وقال ان ذكر اسم علي مع اسمي ليس ببدعة، والظاهر انه امرني بما ورد في هذا الحديث من انك اذا ذكرت اسمي فاذكر معه اسم علي فلما تيَقظت رأيت ذلك الدعاء في بعض الكتب وفيه اسم علي عليه السلام والذي يأتي على هذا ان يذكر اسم علي عليه السلام في الاذان وما شابهه نظراً الى استحباب العام ولا يقصد انه وظيفة شرعية في خصوص هذا الموضع، وهكذا الحال في اكثر الاذكار مثلاً قول لا اله الا الله مندوب اليه في كل الاوقات، فلو خصَّ منه عدد في وم معين لكان قد ابدع في الذكر وكذا سائر العبادات المستحبة فتأمل.

بقي الكلام في خسوف القمر فقد قال الرياضيون السبب فيه انه قد يكون القمر مقابلاً للشمس بقرب العقدتين فتكون الارض حينئذ واقعة بينه وبين الشمس فتمنع الارض ضوءها عنه فيرى كماكما هو لونه الاصلي، ولان جرم الارض كثيراً من جرم الشمس وذكروا انه يقابل جرم الارض بثلثمائة مرة فيقع الظل الناشئ من الارض مخروطاً قاعدته دائرة صغيرة على الارض ورأسه على محاذاة جزء من اجزاء فلك البروج مقابلاً لجزء منه حلّ فيه الشمس، فان لم يكن للقمر في حال المقابلة عرض بأن يكون في احدى العقدتين انخسف كله لانه اصغر من الارض، بل من غلظ الظل حيث وصل اليه فيقع كله في داخله ومكث فيه زماناً، وان كان له عرض فان كان ذلك العرض بقدر نصف قطر صفحة القمر ونصف قطر دائرة الظل لم ينخسف، وان كان ذلك

العرض اقلَ من مجموع النصفين انخسف بعضه، وذلك بقدر تقاطع القطرين أي تلاقيهما وتداخلهما، فان فرض ان هذا العرض الاول يساوي فضل نصف قطر الظل على نصف قطر القمر انخسف كله وماسَ سطحه دائرة الظل من داخل ولم يكن له مكث، وان كان اقل من ذلك الفضل انخسف بتمامه ومكث بحسب وقوعه في الظل هذا محصَل ما قالوه في خسوف القمر.

واما كسوف الشمس فقالوا انه عند اجتماع القمر بالشمس في النهار اجتماعاً مرئياً لا حقيقياً، ان لم يكن للقمر عرض مرئي يحجب بيننا وبين الشمس لوقوعه على الخط الخارج من ابصارنا اليها، فلم نر ضوء الشمس بل نرى لون القمر الكمد في وجه الشمس، فنظن ان الشمس ذهب ضوئها وهو الكسوف، ليس الكسوف تغيّر حال في ذات الشمس كالخسوف في ذات القمر، ولذلك امكن ان يقع كسوف بالقياس الى قوم دون قوم ويكون ذلك بقدر صفحة القمر فربما انكسف الشمس كلها، ان كان اصغر منها وذلك لانه اقرب الين-ا فيؤثر قطره الزواية تؤثرها الشمس كملا فتحجب به عنا بتمامها.

وربما يكون الشمس وقت انكسافها في حضيضها فلقربها منا ترى اكبر ويكون القمر حينئذ في اوجه فلبعده عنا يرى اصغر فلا يكسف جميع صفحتها، بل يبقى منها حلقة نور محيط، به وقد قيل ان تلك الحلقة النورانية رأت على وجهها في بعض الكسوفات مع ندرته وان كان للقمر في ذلك الاجتماع عرض مرئي، فان كان ذلك العرض بقدر مجموع نصف قطرهما لم يكسفها، وان كان اكثر منهما فبالطريق الاولى، وان كان اقل منهما كسفها بقدر ذلك، هذا حاصل كلامهم في الكسوفين.

واما الذي ورد في الاخبار عن الائمة عليهم السلام فروى الصدوق طاب ثراه عن زين العابدين عليه السلام انه قال ان من الايات التي قدرّها الله عز وجل للناس مما يحتاجون اليه البحر الذي خلقه الله بين السماء والارض، قال وان الله تعالى قد قدر منها مجاري الشمس والقمر والنجوم وقدّر ذلك على الفلك، ثم وكلّ بالفلك ملكاً معه سبعون الف ملك يديرون الفلك، فاذا اداروه دارت الشمس والقمر والنجوم معه فنزلت منازلها التي قدرها الله تعالى ليومها وليلتها، فاذا كثرت ذنوب العباد واحبَ الله ان يستعتبهم بآية من آياته امر الملك الموكل بالفلك ان يزيل الفلك عن مجاريه، قال فيأمر الملك السبعين الالف الملك ان يزيلوا الفلك عن مجاريه قال فيزيلونه فتصير الشمس في ذلك البحر الذي كان فيه الملك، فيطمس ضوئها ويتغير لونها فاذا اراد الله عز وجل ان يعظم الاية غمست في البحر على ما يحب ان يخوف عباده بالاية قال وذلك عند انكساف الشمس وكذلك يفعل بالقمر، فاذا اراد الله عز وجل ان يجريها ويردّها الى مجريها امر الملك الموكل بالفلك ان يردّ الفلك الى مجراه فيرد الفلك وترجع الشمس الى مجريها، قال فتخرج من الماء

وهي كدرة والقمر مثل ذلك، قال علي بن الحسين عليهما السلام اما انه لا يفزع للايتين ولا يرهب الا من كان من شيعتنا، فاذا كان ذلك منهما فافزعوا الى الله تعالى وراجعوه.

قال الصدوق (ره) ان الذي يخبر به المنجمون من الكسوف فيتفق على ما يذكرونه ليس من هذا الكسوف في شيء وانما يجب الفزع الى المساجد والصلوة عند رؤيته، لانه مثله في المنظر وشبيه له في المشاهدة كما ان الكسوف الواقع مما ذكره سيد العابدين عليه السلام انما وجب الفزع فيه الى المساجد والصلوة لانه آية تشبه آيات الساعات وكذلك الزلازل والرياح والظلم وهي آية تشبه آيات الساعة، فأمرنا بتذكر القيامة عند مشاهدتها والرجوع الى الله تبارك وتعالى بالتوبة والانابة، والفزع الى المساجد التي هي بيوته في الارض، والمستجير بها محفوظ في ذمة الله تعالى ذكره.

اقول قوله عليه السلام البحر الذي خلقه الله بين السموات والارض كما تضمنه هذا الحديث موجود في كثير من الاخبار، وهو ان الله سبحانه خلق بحراً بين السماء والارض وامسكه بقدرته، وهذه الخضرة التي نراها هي خصرة ماء ذلك البحر ولا يحتاج هذا وامثاله الى التأويل حتى ينطبق على مذهب الفلاسفة، لان مثله يحوج الى تأويل الاخبار كلها من غير ضرورة، وتصديق هذا ما رواه صاحب كشف الغمة باسناد الى صفوان الجمال، قال كنت ند ابي عبد الله عليه السلام بالحيرة اذ اقبل الربيع، فقال أجب امير المؤمنين فلم يلبث ان عاد فقلت دعاك فأسرعت الانصراف، فقال انه سألني عن شيء فألق الربيع فاسأله عنه كيف صار الامر الذي سألني عنه قال صفوان وكان بيني وبين الربيع لطيف، فخرجت فأتيت الربيع فسألته عما دعا المنصور ابا عبد الله عليه السلام لاجله، فقال الربيع اخبرك بالعجب ان الاعراب خرجوا يجتنون الكمأة فأصابوا في البدو خلقاً ملقى فأتوا به فأدخلته على المنصور لاعجبه منه، فوضعته بين يديه فلما رآه قال نَحّه وادع لي جعفر بن محمد عليه السلام فدعوته فقال يا ابا عبد الله أخبرني عن الهوى ما فيه، فقال في الهوى موج مكفوف فقال فيه سكان، قال نعم قال وما سكّانه قال خلق ابدانهم خلق الحيتان رؤسهم رؤس الطير ولهم اعراف كأعراف الديكة وبغابغ كبغابغ الديكة، واجنحة كأجنحة الطير في الوان اشد بياضاً من الفضة المجلوة، فقال المنصور هلّم الطشت فجئت بها وفيها ذلك الخلق فاذاً هو والله كما وصف جعفر بن محمد عليهما السلام فلما نظر اليه جعفر عليه السلام قال هذا هو الخلق الذي يسكن الموج المكفوف، فأذن له بالانصراف فلما خرج قال ويلك يا ربيع هذا الشجا المعترض في حلقي من اعلم الناس.

واما قوله عليه السلام ثم وكّل بالفلك ملائكة يديرونه، فهو مما يدل على ان حركته ليست بالارادة والاختيار منه كما قاله الفلاسفة ومتابعوهم من ان الافلاك بأجمعها حيّة ناطقة عاشقة مطيعة لمبدعها وخالقها، واكثرهم على ان غرضها من حركاتها نيل التشبيه بجانبه والتقرّب اليه جلّ شأنه، وبعضهم على ان حركاتها لورود الشوارق القدسية عليها آناً فآناً، فهي من قبيل الطرب

والرقص الحاصل من شدة السرور والفرح، وقال ان البعوضة والنملة فما دونها حيّة فما ظنك بأجرام شريفة تنزل من حركاتها البركات، وهذا الكلام مصادم للاجماع والاخبار.

اما الاول فقال علم الهدى طاب ثراه في كتاب الغرر والدرر لا خلاف بين المسلمين في ارتفاع الحيوة عن الفلك وما يشتمل عليه من الكواكب فأنها مسخرة ومدبرة واما الثاني فالاخبار الدالة عليه مستفيضة بل متواترة، منها ما رواه رئيس المحدثين شيخنا الكليني طاب ثراه في باب حدوث العالم عن الصادق عليه السلام مع الزنديق، قال فيه أما ترى الشمس والقمر والليل والنهار يلجان فلا يشتبهان ويرجعان قد اضطرا ليس لهما مكان الا مكانهما فان كانا يقدران على ان يذهبا فلم يرجعان وان كانا غير مضطرين فلم لا يصير الليل نهاراً والنهار ليلاً إضطرا والله يا أخا اهل مصر الى دوامها والذي اضطرهما احكم منهما واكبر الحديث.

نعم نقول ان الافلاك كغيرها من سائر الجمادات لها شعور التسبيح والذكر والخضوع والانقياد لخالقها بلسان المقال لا بلسان الحال كما قاله المرتضى (ره) وشاهده قوله عز من قائل وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم، وفي الخبر ان تسبيح الماء دويه والرعد صوته والجدار سقوطه، وقد راز عابد عابداً فلما جلس معه في البيت واذا السقف يتقرقع فخاف الضيف، فقال له صاحب المنزل لا تخف فان هذا السقف يسبح الله ويعبده فقال الضيف نعم يا أخي ولكن أخاف أن تدركه الرقة فيسجد ونظر بعض الاعلام الى ظاهر الاية وقال ان تسبيح الحصا في يده صلى الله عليه وآله ليس بمعجزة له، بل المعجزة هنا اسماع الصحابة ذلك التسبيح وكذلك الوحوش والطيور والحيتان على ما روى من ان الطير لا يقع في الحبالة الا عند غفلته عن ذكر الله والتسبيح، وكذلك السمك والوحوش والطيور.

وقوله عليه السلام وذلك عند انكساف الشمس وكذلك يفعل بالقمر فيه دلالة ظاهرة على ان الشمس والقمر في فلك واحد، ولا يعارض هذا سوى أقاويل المنجمين ودلائلهم والا فقد تحققت ان الثوابت انما هي في السماء الاولى ولا نقول كل الكواكب فيها (فيه خ ل) فأنه قد روى في الاخبار ان من الكواكب ما يكون في غيرها روى الصدوق طاب ثراه بأسناده الى ابن مزاحم قال سأل علي عليه السلام عن الطارق، قال هو احسن نجم في السماء وليس تعرفه الناس، وانما سمى الطارق لانه يطرق نوره سماء سماء الى سبع سموات ثم يطرق راجعاً حتى يرجع الى مكانه، وعن الصادق عليه السلام انه قال لليماني ما زحل عندكم في النجوم فقال اليماني نجم نحس، فقال ابو عبد الله عليه السلام لا تقل هذا فأنه نجم امير المؤمنين عليه السلام وهو نجم الاوصياء عليهم السلام وهو نجم الثاقب الذي قال الله في كتابه فقال اليماني فما معنى الثاقب فقال ان مطيعه في السماء السابعة وانه ثقب بضوئه حتى اضاء في السماء الدنيا فمن ثم سماه الله النجم الثاقب.

أقول يمكن ان يكون هذا هو الطارق بعينه ويكون معنى قوله عليه السلام **لا تعرفه الناس انهم لا** يعرفون صفاته وعلاماته وانتهاء انواره وان عرفوا اسمه وبعض احكامه، فان الكواكب التي عرفوها بالارصاد هي السبعة السيارة وعرفوا من الثوابت الفا واثنين وعشرين او خمساً وعشرين ثوابت، رصدوها وعينوا مواضعها طولاً وعرضاً بالنسبة الى منطقة البروج واما غير المرصودة من الثوابت فغير محصورة.

وروى رئيس المحدثين شيخنا الكليني طاب ثراه عن الصادق عليه السلام قال ان الله عز وجل خلق نجماً في الفلك السابع فخلقه من ماء بارد وسائر النجوم الستة الجاريات من ماء حار وهو نجم الانبياء والاوصياء وهو نجم امير المؤمنين عليه السلام يأمر بالخروج من الدنيا والزهد فيها ويأمر بافتراش التراب وتوسد اللبن واكل الجشب وما خلق الله نجماً اقرب الى الله منه وهذا النجم هو زحل، وفيه دلالة على خطاء المنجمين في طبائع الكواكب وفي سعودها ونحوسها، فان زحل عندهم انحس الكواكب كما عرفت.

وام قول الصدوق (ره) ان الذي يخبر به المنجمون من الكسوف فهو غير هذا فلا يخفى ما فيه اذ المنجمون يخبرون بأكثر الكسوفات بل بكلها على ما هو المشاهد منهم في هذه الاعصار، نعم قد يخبرون عنه فلا يقع ولكن كلما يقع يخبرون عنه قبل وقوعه وسيأتي تحقيق الجواب عنه في النور الاتي ان شاء الله تعالى اذا عرفت هذا.

فاعلم ان بعض المحققين ممن قال بمقالة المنجمين واهل الفلسفة من حيوة الافلاك والكواكب وان كل واحد من السيارات السبع مدبر لفلكه كالقلب في بدن الحيوان ان كل كوبك منها ينزل مع افلاكه منزلة حيوان واحد ذي نفس واحدة يتعلق بالكواكب اول تعلقها، وبواسطة الكواكب يتعلق بالافلاك كما يتعلق نفس الحيوان بقلبه وبأعضائه الباقية بعد ذلك، فالقوة المحركة منبعثة عن الكواكب الذي هو كالقلب في افلاكه التي هي كالجوارح والاعضاء الباقية، قد استدل علىحيوة القمر وتصرفه في فلكه بالفقرات المذكورة في اول دعاء الهلال من الصحيفة السجادية، وهي قوله عليه السلام ايها الخلق المطيع الدائب السريع، المتردد في منازل التقدير المتصرف في فلك التدبير، ووجه الاستدلال بأمور.

الاول من جهة الخطاب وتوجيهه اليه وذلك لا يكون الا لصاحب الحيوة الثاني وصفه بالسرعة فان المراد بحركته السريعة اما الحركة اذلاتية التي يدور بها على نفسه كما قال به جمع كثير من محققي الحكماء في كل الكواكب وفرّع عليه المحقق الطوسي طاب ثراه كون المحق المرئي في وجه القمر شيئاً غير ثابت في جرمه والا لتبدّل وضعه واما حركته العرضية التي بتوسط فلكه وهو

الاظهر لان الاولى غير محسوسة ولا معروفة والحمل على المحسوس المتعارف أولى وسرعة حركة القمر بالنسبة الى سائر الكواكب.

اما الثوابت فظاهر لكون حركتها من ابطأ الحركات حتى ان اكثر القدماء لم يدركوها، ومن ادركها من قدمائهم ومتأخريهم قال انها تتمَ الدورة في ثلاثين الف سنة، وقيل انها تتم الدورة في ستة وثلاثين الف سنة بناء على ان بطليموس وجد بالرصد انها تقطع في كل سنة جزء واحداً، وقيل تتم الدورة في ثلاثة وعشرين الف سنة وسبعمائة وستين سنة بناء على ما وجده المتأخرون في زمان المأمون من انها تقطع درجة واحدة في كل ست وستين سنة، وقيل تتمها في خمسة وعشرين الف سنة ومائتي سنة بناء على ان جماعة من محققي المتأخرين وجدوها تقطع جزءً واحداً في كل سبعين سنة وهذا هو الموافق للرصد الجديد الذي بمراغة، واما السيارات فلأن زحل يتم الدورة في ثلاثين سنة، والمشتري في اثنتي عشرة سنة، والمريخ في سنة وعشرة أشهر ونصف وكلاً من الشمس والزهرة وعطارد في قريب من السنة.

واما القمر فيتم الدورة في قريب من ثمانية وعشرين يوماً، وقال شيخنا البهائي (ره) لا يبعد ان يكون وصفه عليه السلام القمر بالسرعة باعتبار حركته المحسوسة على انها ذاتية له بناء على تجويز بعض الحركات للسيارات في افلاكها من قبيل الحيتان في الماء كما ذهب اليه جماعة، ويؤيده ظاهر قوله تعالى والشمس والقمر كل في فلك يسبحون، ودعوى امتناع الخرق على الافلاك لم تقترن بالثبوت وما لفقه الفلاسفة لاثباتها اوهن من بيت العنبكوت لابتنائه على عدم قبول الافلاك بأجزائها الحركة المستقيمة ودون ثبوته خرط القتاد، والتنزيل الالهي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ناطق بانشقاقها، وما ثبت من معراج نبينا صلى الله عليه وآله بجسده المقدس الى السماء السابعة فصاعداً شاهد بانخراقها.

الثالث من قوله عليه السلام المتصرف في فلك التدبير فان ظاهر التصرف الحيوة والادراك كما هو ظاهر والجواب اما عن الاول فبأن الخطاب لا يدل على الحيوة لانه قد تعارف نداء الاطلال والمنازل واما عن الثاني فبأن خالقه ومدبره ومقدره هو الذي يحركه بسرعة وبطوء واما عن الثالث فبأن اضافة الفلك الى التدبير من قبيل اضافة الظ\ظرف الى المظروف أي الفلك الذي هو محل التدبير نظراً الى ان ملائكة سماء الدنيا يدبرون امر العالم السفلي كما ذكره جماعة من المفسرين في قوله فالمدبرات امراً.

نور شمسي

اعلم وفقك الله ان من اعظم نعم الله تعالى على عباده خلق الشمس ضياءً لهم وللسعي الى المعايش ولنضج الاثمار ولمعرفة الاوقات وغير ذلك من الفوائد وهذا النور الذي هو فيها هل هو ذاتي لها أم حصل لها من جسم آخر كالعرش كما حصل للقمر نور منها، ولعل في الاخبار دلالة على الامرين، ووجه الجمع ما تقدم في القمر وقد روى شيخنا الكليني عطر الله مردقه بسند صحيح عن عاصم بن حميم عن ابي عبد الله عليه السلام قال ذاكرت أبا عبد الله عليه السلام فيما يروونه من الرؤية فقال الشمس جزء من سبعين جزء من نور الكرسي والكرسي جزءاً من سبعين جزء من نور العرش، والعرش جزءاً من سبعين جزءاً من نور الحجاب جزء من سبعين جزء من نور الستر، فان كانوا صادقين فليملؤا اعينهم من نور الشمس ليس دونها سحاب، وهذا الحديث يحتمل الامرين لان قوله عليه السلام جزء من سبعين جزءاً يجوز ان يكون المراد في المقابلة والمعادلة، ويجوز ان يكون في الاكتساب والاستفاضة منه.

وروى الصدوق (ره) باسناده الى ابي ذر الغفاري (رض) قال كنت آخذاً بيد النبي صلى الله عليه وآله ونحن نتماشى جميعاً، فما زلنا ننظر الى الشمس حتى غابت فقلت يا رسول الله أين تغيب قال في السماء، ثم ترفع من سماء الى سماء حتى ترفع الى السابعة العليا حتى تكون تحت العرش فتخرّ ساجدة معها الملائكة الموكلون بها، ثم تقول يا رب من اين تأمرني ان اطلع من مغربي أو من مطلعي، فذلك قوله عز وجل والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم، يعني بذلك صنع الرب العزيز في ملكه بخلقه، قال فيأتيها جبرئيل عليه السلام بحلّة ضوء من نور العرش على مقادير لساعات النهار في طوله في الصيف أو قصره في الشتاء أو ما بين ذلك في الخريف والربيع، قال فتلبس تلك الحالة كما يلبس أحدكم ثيابه ثم تنطلق بها في جو السماء حتى تطلع من مطلعها، قال النبي صلى الله عليه وآله فكأني بها قد حبست مقدار ثلاث ليال ثم لا تكسى ضوء وتؤمر ان تطلع من مغربها، فذلك قوله عز وجل اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت، والقمر كذلك من مطلعه ومجراه في افق السماء ومغربه وارتفاعه الى السماء السابعة ويسجد تحت العرش وجبرئيل يأتيه بالحلّة من نور الكرسي، فذلك قوله عز وجل وجعل الشمس ضياء والقمر نورا، قال ابو ذر (ره) ثم اعتزلنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله فصلينا المغرب.

واما حركة الشمس فقد عرفت انها بالجبر والاضطرار لا بالشعور والاختيار كما قاله الحكماء والمنجمون، روى الصدوق (ره) عن محمد بن مسلم أنه سئل ابا جعفر عليه السلام عن ركود الشمس فقال يا محمد ما اصغر جثتك واعضل مسألتك وانك لاهل الجواب، ان الشمس اذا

طلعت جذبها سبعون الف ملك بعد ان أخذ بكل شعبة منها خمسة الاف من الملائكة من بين جاذب دافع حتى اذا بلغت الجو وجازت الكوّة قلّبها ملك النور ظهر البطن فصار ما يلي الارض الى السماء وبلغ شعاعها تخوم العرش، فعند ذلك نادت الملائكة سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والحمد لله الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليّ من الذل وكبره تكبيرا، فقلت له جعلت فداك أحافظ على هذا الكلام عند زوال الشمس فقال نعم حافظ عليه كما تحافظ على عينيك، فاذا زالت الشمس صارت الملائكة من ورائها يسبحون الله في ذلك الجو الى ان تغيب.

اقول يستفاد من هذا الحديث اسرار، الاول ان نور الشمس اذا زالت يشرع في النقصان الى ان تغيب، فظهر ان السبب فيه قلب ملك النهار لها وكون قفاها صار الينا وضوئها اقلّ من ضوء وجهها، الثاني ان حركة الشمس من ابتداء الزوال يكون اسرع من حركتها اول النهار كما هو المشاهد فظهر سببه ايضاً وهو أنها في اول النهار كانت صاعدة ومن الزوال صارت هابطة، وحركة الهبوط اسرع من حركة الصعود كما لا يخفى، وقد لحظ الشارع هذا فجعل لفريضة الظهر قدمين وللعصر اربعة، وذلك ان الجسم الاخذ في الهبوط كلما توغل فيه اسرع في الحركة فيكون اربعة أقدام للعصر موازية لقدمي الظهر في الزمان.

الثالث ان هذا الركود هو زمان قلب ملك النور لها ظهر البطن، وقد سئل الصادق عليه السلام عن الشمس كيف تركد كل يوم ولا يكون لها يوم جمعة ركود، قال لان الله عز وجل جعل يوم الجمعة أضيق الايام قال لانه لا يعذب المشركون في ذلك اليوم لحرمته عنده وعلّة أخرى رواها حريز بن عبد الله قال كنت عند ابي عبد الله عليه السلام فسأله رجل فقال له جعلت فداك ان الشمس تنقض ثم تركد ساعة من قبل ان تزول فقال انها تؤامر أتزول أم لا تزول فهذه ثلاث علل لركود الشمس، وتفصيل العلة الثانية ما رواه محمد بن اسماعيل بن بزيع عن الرضا عليه السلام قال قلت له بلغني ان يوم الجمعة أقصر الايام قال كذلك هو قلت جعلت فداك كيف ذلك، قال قال ابو عبد الله عليه السلام ان الله يجمع ارواح المشركين تحت عين الشمس، وعذبت ارواح المشركين بركود الشمس فاذا كان يوم الجمعة لا يكون ركود، ورفع عنهم العذاب لفضل يوم الجمعة فلا يكون للشمس ركود.

بقي كلام في تحقيق الركود هنا لما يرد على ظاهره من ان كل نقطة من مدار الشمس محاذية لسمت رأس أفق من الافاق، فيلزم سكون الشمس دائماً لو سكنت حقيقة عند الزوال، وتخصيص الركود بأفق خاص كمكة أو المدينة مع بعده يستلزم سكونها في البلاد الاخر بحسبها في اوقات آخر، فان ظهر مكة مثلاً يكون وقت الضحى في بلاد أفق آخر فيلزم ركودها في ضحى

ذلك الافق ولا يلتزمه أحد ومن ثم قال بعض محققي مشائخنا رحمهم الله تعالى الوجه ركود الشمس قبل الزوال تزايد شعاعها آناً فآناً وانتقاص الظل الى حد ما ثم انتقاص الشعاع وتزايد الظل.

وقد ثبت في محله ان كل حركتين مختلفتين لا بد بينهما من يكون فبعد بلوغ نقصان الظل الى الغاية وقبل أخذه في الازدياد لا بدّ وان يركد شعاع الشمس في الارض ساعة، ثم يزيد وهذا ركودها في الارض من حيث شعاعها بحسب الواقع وقد حصل بتبعية الظلال، والحاصل ان المراد بركود الشمس حين الزوال عدم ظهور حركتها بقدر يعتّد بها عند الزوال وعدم ظهور تزايد الظل حينئذ بخلاف الساعات السابقة واللاحقة وعبّر عن ذلك بالركود بناء على الظاهر وفهم العوام، هذا كلامهم قدس الله ارواحهم.

ويمكن ان يقال انك قد تحققت العلة في ركود الشمس وهو تعذيب ارواح الكفار وأرواح الكفار انما تعذب في نار الدنيا وهي وادي برهوت في حضرموت اليمن كما ان ارواح المؤمنين تنعم في وادي السلام الواقع في ظهر الكوفة، وتعذيب ارواح الكفار في ساعة ركود الشمس في حرارتها انما هو نوع خاص من العذاب، وحينئذ فينبغي ان يكون منطا الركود هو بلاد التعذيب وما شابهها وهو اليمن ومكة والمدينة والعراق وما والاه وكون هذا السكون في ضحى بلاد أفق آخر مما نلتزمه ونقول به، مع ان مبنى هذا كله انما هو على كروية الارض ودونه خرط القتاد كما سيأتي ان شاء الله تعالى، فظهر من هذا ان الفلك ليس منتظم الحركة لا يخرج عن وضعه كما قاله الفلاسفة، وسيأتي لهذا مزيد تحقيق اذا وصلت التنوبة الى انوار الارض ان شاء الله تعالى، وحيث انتهى الحال بنا الى هذا المقال فلا بأس بذكر العلم المتعلق بالنجوم وحقيقته او ابطاله.

نور نجومي

في بيان العلم الذي انكبَّ عليه الناس في هذه الاعصار في اكثر بلاد الاسلام وأخذوا ساعات سعودهم ونحوسهم منه وهو علم النجوم، وتحقيق الكلام فيه لا يتم الا بنقل كلام اعيان الاصحاب والاخبار الواردة فيه عن الائمة الطاهرين عليهم السلام حتى يظهر ان اتفاق الاصحاب انما جاء من قبل اتفاق الاخبار فنقول قال شيخنا المفيد نور الله ضريحه في كتاب المقالات اقول ان الشمس والقمر وسائر النجوم أجسام نارية لا حيوة لها، ولا موت ولا تميز خلقها الله تعالى لينتفع بها عباده، وجعلها زينة لسمواته وآيات من آياته، كما قال سبحانه هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدرّه منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق نفصل الايات لقوم يعلمون، وقال تعالى هو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في

ظلمات البر والبحر قد فصلنا الايات لقوم يعلمون، وعلامات وبالنجم هم يهتدون، وقال تعالى انا زينا السماء الدنيا بمصابيح، فاما الاحكام على الكائنات بدلائلها والكلام على مدلول حركاتها فان العقل لا يمنع منه ولسنا ندفع ان يكون الله تعالى أعلمه بعض انبيائه وجعله علماً له على صدقه، غير انا لا نقطع عليه ولا نعتقد استمراره في الناس الى هذه الغاية، واما ما نجده من احكام المنجمين في هذا الوقت واصابة بعضهم فيها فانا لا ننكر ان يكون ذلك بضرب من التجربة وبدليل عادة، وقد يختلف احياناً ويخطي المعتمد عليه كثيراً ولا يصح اصابته فيه ابداً لانه ليس بجار مجرى دلائل العقول ولا براهين الكتاب واخبار الرسول وهذا مذهب جمهور متكلمي اهل العدل واليه ذهب بنو نوبخت رحمهم الله تعالى من الامامية، وابو القاسم وابو علي من المعتزلة هذا كلامه طاب ثراه.

وقال سيدنا المرتضى اعلى الله مقامه في دار المقامة في جواب المسائل السلارية بعد ما ابطل كون النجوم مؤثرة بدلائل وبراهين واما الوجه الاخر وهو ان يكون تعالى اجرى العادة بان يفعل افعالاً مخصوصة عند طلوع كوكب او غروبه او اتصال ما او مفارقته فقد بينا ان ذلك ليس بمذهب المنجمين البتة وانما يتحملون الان باظهاره وانه قد كان جائزاً ان يجري الله العادة بذلك لكن لا طريق الى العلم بان ذلك قد ثبت ووقع ومن اين لنا طريق ان الله تعالى اجرى العادة بأن يكون زحل او المريخ اذا كان في درجة الطالع كانا نحساً، وان المشتري اذا كان كذلك كان سعداً واي شيء خبر به واستفيد من جهته، فان عوّلوا في ذلك الى التجربة وانا جربنا ذلك ومن كان قبلنا فوجدناها على هذه الصفة، واذا لم يكن موجباً فيجب ان يكون معتاداً.

قلنا ومن سلّم لكم صحة هذه التجربة وانتظامها واطرادها وقد رأينا خطائكم فيها اكثر من صوابكم وصدقكم اقل من كذبكم، فان نسبتم الصحة اذا اتفقت منكم الى الاتفاق الذي يقع من التخمين والرجم فقد رأينا من يصيب من هؤلاء اكثر مما يخطئ وهو على غير اصل معتمد ولا قاعدة صحيحة، فان قلتم سبب خطاء المنجم زلل دخل عليه في اخذ الطالع او في سير الكواكب قلنا ولم لا كانت اصابته سببها الاتفاق والتخمين وانما كان يصح لكم هذا التأويل والتخريج لو كان على صحة احكام النجوم دليل قاطع هو وغير اصابة المنجم فاما اذا كان دليل صحة الاحكام الاصابة فقد كان دليل فسادها الخطأ.

ومما افحم به القائلون بصحة الاحكام ولم يحصل عنه منهم جواب ان قيل لهم في شيء بعينه خذوا الطالع واحكموا هل يؤخذ او يترك، فان حكموا إمّا بالاخذ أو الترك خولفوا وفعل خلاف ما اخبروا به وقد اعضلتهم هذا المسألة.

ثم قال ان من معجزات الانبياء عليهم السلام إخبارهم بالغيوب فكيف يقدر عليها غيرهم فيصير ذلك مانعاً من ان يكون ذلك معجزاً لهم، ثم قال والفرق بين ذلك وبين سائر ما يخبرون به من تأثيرات الكواكب في اجسامنا، فالفرق بين الامرين ان الكسوفات واقترانات الكواكب وانفصالها طريقة الحساب وسير الكواكب، وله اصول صحيحة وقواعد سديدة وليس كذلك ما يدعونه من تأثيرات الكواكب الخير والشر والنفع والضرر ولو لم يكن من الفرق بين الامرين الا الاصابة الدائمة المتصلة في الكسوفات وما يجري مجراها ولا يكاد يتفق خطاء البتة فان الخطأ المعهود الدائم انما هو في الاحكام الباقية حتى ان الصواب هو العزيز فيها وما يتفق بقلة فيها من اصابة فقد يتفق من المنجمين اكثر منه فحمل احد الامرين على الاخر قلّة دين وحياء انتهى.

وقال في الغرر والدرر قد اجمع المسلمون قديماً وحديثاً على تكذيب المنجمين والشهادة بفساد مذاهبهم وبطلان احكامهم ومعلوم من دين الاسلام ودين الرسول ﷺ ضرورة التكذيب لما يدعيه المنجمون والازراء عليهم والتعجيز لهم وفي الروايات عنه ﷺ ما لا يحصى كثرة وكذا من علماء اهل بيته عليهم السلام وخيار اصحابه فما زالوا يتبرأون من مذاهب المنجمين ويعدونها ظلالاً ومحالاً هذا كلامه طاب ثراه.

وقال العلامة قدس الله روحه في المنتهى التنجيم حرام، وكذلك تعلّم النجوم مع اعتقاد انها مؤثرة او ان لها مدخلاً في التاثير في النفع والضرر، وبالجملة كل من يعتقد ربط الحركات النفسانية والطبيعية بالحركات الفلكية والاتصالات الكوكبية كافر. وأخذ الاجرة على ذلك حرام، واما من يتعلم النجوم ليعرف قدر سير الكواكب وبعده واحواله منم التربيع والكسوف وغيرهما فانه لا باس به انتهى.

وقال شيخنا الشهيد (ره) في قواعده كل من اعتقد في الكواكب انها مدبّرة لهذا العالم وموجدة ما فيه فلا ريب انه كافر، وان اعتقد انها تفعل الاثارة المنسوبة اليها والله سبحانه هو المؤثر الاعظم كما يقوله اهل العدل فهو مخطئ اذ لا حيوة لهذه الكواكب ثابتو بدليل عقلي ولا نقلي وبعض الاشعرية يكفرون هذا كما يكفرون الاول، واوردوا على انفسهم عدم إكفار المعتزلة وكل من قال بفعل العبد، وفرقوا بأن الانسان وغيره من الحيوان يوجد فعله من ان التذلل ظاهر عليه فلا يحصل منه اهتضام بجانب الربوبية بخلاف الكواكب فانها غاية عنّا فربما ادلّ ذلك الى اعتقاد استقلالها وفتح باب الفكر.

واما ما يقال من ان استناد الافعال اليها كاستناد الاحراق الى النار وغيرهما من العاديات بمعنى ان الله تعالى اجرى عادته انها اذا كانت على شكل مخصوص او وضع مخصوص يفعل بما ينسب اليها ويكون ربط المسببات بها كربط مسببات الادوية والاغذية بها مجازا باعتبار الربط

العادات الفعلي الحقيقي فهذا لا يكفر معتقده ولكنه مخطئ ايضاً وان كان اقلَ خطأً من الاول، لان وقوع هذه الاثار عندها ليس بدائم ولا اكثري.

وقال في الدروس ويحرم اعتقاد تأثير النجوم مستقلة او بالشركة والاخبار عن الكائنات بسببها اما لو اخبر بجريان العادة ان الله تعالى يفعل كذا عند كذا لم يحرم وان كره، على ان العادة فيها لا تطرد الا فيما قلَ، واما علم النجوم فقد حرمه بعض الاصحاب ولعله لما فيه من التعرض للمحظور من اعتقاد التأثير، أو لان احكامه تخميناً واما علم هيئة الافلاك فليس حراماً بل ربما كان مستحباً لما فيه من الاطلاع على حكم الله وعظم قدرته.

وقال شيخنا الشيخ علي قدس الله روحه التنجيم الإخبار عن احكام النجوم باعتبار الحركات الفلكية والاتصالات الكوكبية التي مرجعها الى القياس والتخمين الى ان قل وقد ورى عن صاحب الشرع النهي عن تعلم النجوم بابلغ وجوهه، حتى قال امير المؤمنين صلوات الله عليه غياكم وتعلم النجوم الا ما يهتدى في بر أو بحر، فانها تدعوا الى الكهانة والمنجم كالكاهن والكاهن كالساحر والساحر كالكافر والكافر في النار.

اذا تمهد (تقرر خ ل) ذلك فاعلم ان التنجيم مع اعتقاد ان للنجوم تاثيراً في الموجودات السفلية ولو على جهة المدخلية حرام، وكذا تعلم النجوم على هذا الوجه بل هذا الاعتقاد كفر في نفسه نعوذ بالله منه، اما التنجيم لا على هذا الوجه مع التحرز عن الكذب فانه جائز فقد ثبت كراهية التزويج وسفر الحج في العقرب وذلك من هذا القبيل نعم هو مكروه لئلا ينجر الى الاعتقاد الفاسد وقد ورد النهي مطلقاً حسماً للمادة.

وقال شيخنا البهائي عطر الله مرقده ما يدعيه المنجمون من ارتباط بعض الحوادث السفلية بالاجرام العلوية ان زعموا ان تلك الاجرام هي العلة المؤثرة في تلك الحوادث بالاستقلال وانها شريكة في التأثير فهذا لا يحل للمسلم اعتقاده، وعلم النجوم المبتني على هذا كفر والعياذ بالله، وعلى هذا حمل ما ورد في الحديث من التحذير عن علم النجوم والنهي عن اعتقاد صحته، وان قالوا ان اتصالات تلك الاجرام وما يعرض لها من الاوضاع علامات على بعض حوادث هذا العالم مما يوجده الله تعالى بقدرته وارادته كما ان حركات النبض واختلاف اوضاعه علامات يستدَل بها الطبيب على ما يعترض للبدن من قرب الصحة او اشتداد المرض ونحو ذلك، وكما يستدل باختلاج بعض الاعضاء على بعض الاحوال المستقبلة فهذا لا مانع منه ولا حرج في اعتقاده وما روى من صحة علم النجوم وجواز تعلمه محمول على هذا المعنى واما السيد الاجل ابن طاووس طاب ثراه فقد صنّف رسالة نفي فيها تأثيرات الكواكب واثبت فيها كونها علامات ودلائل على الحوادث، وجوّز تعليمهاوتعلمها والنظر فيها اذا عرفت هذا.

فاعلم ان محصل كلام الاصحاب هو هذا وهو ان المفيد طاب ثراه اثبت كون الاصابة في علم النجوم انما هي مبني على التجربة، واما المرتضى طاب ثراه فقد نفاه حتى التجارب فهو قد نفى علم النجوم اصلاً ورأساً، نعم اثبت الكسوفات ونحوها بالحساب وليس هو من علم النجوم في شيء، واما العلامة ومن تأخر عنه فقد قالوا بأنه علم لكن يحرم تعلمه الا لمعرفة قدر سير الكواكب وبعده وبعضهم حرمه مطلقاً واما السيد ابن طاوس وشيخنا البهائي فقد جوزا تعلمه وتعليمه على وجه خاص وهو كون النجوم علامات والذي دلت عليه الاخبار هو ان هذا العلم علم شريف وان النجوم علامات على الكائنات، ولكن قد ورد النهي من الشارع عن هذا العلم فهيهنا ثلث مقامات.

المقام الاول في ان علم النجوم علم شريف من اشرف العلوم وقج علمه الله تعالى لانبيائه والاوصياء منهم وتصديقه ما رواه السيد ابن طاوس باسناده الى قيس بن سعد قال كنت كثيراً ما اساير امير المؤمنين صلوات الله عليه اذا سار الىة وجه من الوجوه فلما قصد اهل النهروان وصرنا بالمدائن وكنت يومئذ مسايراً له اذ خرج اليه قوم من اهل المدائن ودهاقينهم معهم برازين قد جاؤا بها هدية اليه فقبلها، وكان فيمن تلقاه دهقان من دهاقين المدائن يدعى سرسقيل[٤٦] وكانت الفرس تحكم برأيه فيما مضى وترجع الى قوله فيما سلف فلما بصر بأمير المؤمنين عليه السلام قال يا امير المؤمنين لترجع عما قصدت، قال ولمَ ذاك يا دهقان قال يا امير المؤمنين تناحست النجوم الطوالع، فنحس اصحاب السعود وسعد اصحاب النحوس ولزم الحكيم في مثل هذا اليوم الاستخفاء والجلوس، وان يومك هذا يوم مميت قد اقترن فيه كوكبان قتّالان، وشرق فيه بهرام في برج الميزان، وانقدح من برجك النيران وليس الحرب لك مكان فتبسم امير المؤمنين صلوات الله عليه ثم قال ايها الدهقان المنبئ بالاخبار والمحذر من الاقدار ما نزل البارحة في آخر الميزان واي نجم حلَ في السرطان، قال سأنظر ذلك وأخرج من مكه اصطرلاباً وتقويماً، قال له امير المؤمنين صلوات الله عليه انت مسير الجاريات قال لا قال فأنت تقضي على الثابتات قال لا قال فأخبرني عن حلول (طول خ ل) الاسد وتباعده عن الطالع والمراجع، واما الزهرة من التوابع والجوامع، قال لا علم لي بذلك قال فما بين السواري الى الداري وبين الساعات الى المعجزات، وكم قدر شعاع المبدرات، وكم يحصل العجز في الغدوات، قال لا علم لي بذلك قال فهل علمت يا دهقان ان الملك اليوم انتقل من بيت الى بيت بلصين،وانقلب ببرج ما جين واحترقت دور بالزنج وطفح جبَ سرانديب وتهدّم حصن الاندلس وهاج نمل الشح وانهزم مراق الهندي، وفقد ديدان اليهود

---

(٤٦) وفي رواية عن الاصبغ بن نباته ان اسمه سرسفيل سوار وفي آخرها قال لأمير المؤمنين (عليه السلام) مديدك فانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له وان محمدا عبده وسروله وانك الامام الوصي المفترض الطاعة.

بايله، وهدم بطريك الروم برومية وعمى راهب عمودية، وسقطت شرافات القسطنطنية أفعالم أنت بهذه الحوادث وما الحوادث وما الذي أحدثها شرقيها أو غربيها من الفلك، قال لا علم لي بذلك قال فهل علمت انه سعد اليوم اثنان وسبعون عالماً في كل عالم سبعون عالماً منهم في البر وبعض في الجبال وبعض في العمران وما الذي اسعدهم، قال لا علم لي بذلك قال يا دهقان اظنك قد حكمت على اقتران المشتري وزحل لما استتارا لك في الغسق وظهر تلألؤ شعاع المريخ وتشريفه في السحر وقد سار فأتصل جرمه بجرم تربيع القمر، وذلك دليل على استحقاق اللف الف من البشر كلهم يولدون اليوم والليلة، ويموت مثلهم واشار بيده الى جاسوس في عسكره لمعاوية فقال ويموت هذا فأنه منهم، فلما قال ذلك ظن الرجل انه قال خذوه فأخذه شيء بقلبه وتكسرت نفسه في صدره فمات لوقته، فقال عليه السلام يا دهقان الم ازل عين التقدير في غاية التصوير، قال بلى يا امير المؤمنين قال يا دهقات انا خبرك اني وصحبي هؤلاء لا شرقيون ولا غربيون انما نحن ناشية القطب وما زعمت انه البارحة انقدح من برجي النيران فقد كان يجب ان تحكم معه لان نوره وضياءه عندي ولهبه ذاهب عني، يا دهقان هذه قصبة عيس فاحسبها وولدها ان كنت عالماً بالاكوار والادوار قال لو علمت ذلك لعلمت انك تحصي عقود القصب في هذه الاجمة ومضى امير المؤمنين عليه السلام فهزم اهل النهروان وقتلهم وعاد بالغنيمة والظفر، فقال الدهقان ليس هذا العلم بما في ايدي اهل زماننا هذا علم مادته من السماء.

وروى شيخنا الطبرسي قدس الله روحه في كتاب الاحتجاج عن ابان بن تغلب قال كنت عند ابي عبد الله عليه السلام اذ دخل رجل من اهل اليمن فسلّم عليه فرَد عليه ابو عبد الله عليه السلام فقال ما صناعتك يا سعد، فقال جعلت فداك انا من اهل بيت ننظر في النجوم لا يقال ان باليمن احداً أعلم بالنجوم منّا، فقال ابو عبد الله عليه السلام ما اسم النجم الذي اذا طلع هاجت الابل، فقال اليماني لا ادري، فقال ابو عبد الله عليه السلام صدقت فما اسم النجم الذي اذا طلع هاجت البقر، فقال اليماني لا ادري،فقال ابو عبد الله عليه السلام صدقت فما اسم النجم الذي اذا طلع هاجت الكلاب، فقال اليماني لا ادري والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة وهو الدلالة على ان النجوم من اشرف العلوم، ويستفاد منه ايضاً ان النجوم علامات على ما في هذا العالم.

وروى ابن طاوس باسناده الى ابي جعفر عليه السلام قال قد كان علم نبوة نوح عليه السلام بالنجوم وروى ايضاً باسناده الى عطا قال قيل لعلي بن ابي طالب عليه السلام هل كان للنجوم اصل قال نعم نبي من الانبياء قال له قومه لا نؤمن لك حتى تعلمنا بدؤ الخلق وآجاله فأوحى الله عز وجل الى غمامة فأمطرتهم واستنقع حول الجبل ماءاً صافياً، ثم اوحى الله الى الشمس والقمر والنجوم ان تجري في ذلك الماء، ثم اوحى الله الى ذلك النبي ان يرتقي هو وقومه على الجبل فارتقوا الجبل فقاموا

على الماء حتى عرفوا بدؤ الخلق وآجاله بمجاري الشمس والقمر والنجوم وساعات الليل والنهار كان احدهم يعلم من يموت ومتى يمرض ومن ذا الذي يولد له ومن ذا الذي لا يولد له، فبقوا كذلك برهة من دهرهم ثم ان داود عليه السلام قاتلهم على الكفر فأخرجوا الى داود عليه السلام في القتال من لم يحضر اجله ومن حضر اجله خلّفوه في بيوتهم وكان يقتل من اصحاب داود عليه السلام ولا يقتل من هؤلاء أحد فأوحى الله عز وجل اليه اني كنت علمتهم بدؤ الخلق وآجاله انما أخرجوا اليك من لم يحضر اجله ومن حضر اجله خلّفوه في بيوتهم فمن ثم يقتل من اصحابك ولا يقتل منهم احداً قال داود عليه السلام يا رب على ماذا علّمتهم، قال على مجاري الشمس والقمر والنجوم وساعات الليل والنهار، قال فدعى الله فحبس الشمس عليهم فزاد في النهار واختلطت الزيادة بالليل والنهار فلم يعرفوا قدر الزيادة فاختلط حسابهم وقال عليه السلام فمن ثمَ كره النظر في علم النجوم.

وروى ايضاً باسناده الى يونس بن عبد الرحمن قال قلت لابي عبد الله عليه السلام جعلت فداك أخبرني عن علم النجوم ما هو، قال هو علم من علم الانبياء قال فقلت كان علي بن ابي طالب عليه السلام يعلمه، فقال كان اعلم الناس، وروى ايضاً في كتاب مسائل الصباح باسناده الى الريان بن الصلت ان الصباح سأل الرضا عليه السلام عن علم النجوم، فقال هو علم من اصل صحيح وذكروا ان اول من تكلم بالنجوم ادريس عليه السلام وكان ذو القرنين بها ماهراً وأصل هذا العلم من عند الله عز وجل، ويقال ان الله بعث النجم الذي يقال له المشتري الى الارض في صورة رجل، فأتى بلد العجم فعلمهم في حديث طويل فلم يستكملوا ذلك، فأتى بلد الهند فعلّم رجلاً منهم فمن هناك صار علم النجوم بها، وقال قوم هو علم من علم الانبياء خصّوا به لاسباب شتى فلم يستدرك المنجمون فيها فشابوا الحق بالكذب.

وروى ايضاً عن الصادق عليه السلام قال في السماء الرابعة نجوم لا يعلمها الا اهل بيت من العرب واله بيت من الهند يعرفون منها نجماً واحداً فبذلك قام حسابهم، أقول المراد بالعرب اوصياء محمد صلى الله عليه وآله كما ان المراد بيت الهند اوصياء ادريس عليه السلام او الذي علمه المشتري من اهل الهند، وروى ايضاً باسناده الى الصادق عليه السلام في قوله تعالى يوم نحس مستمر قال كان القمر منحوساً بزحل فهذا جملة من الاخبار الدالة على كونه علماً وعلى استمرار بعض احكامه ووقوعه في ايدي المنجمين، وان النجوم علامات على آثار القادر المختار لكن لا يعرفها على الاطراد والتحقيق الا من كان كاملاً في العلوم، وليس هو الا الانبياء والائمة عليهم السلام، وقد كان دانيال له معرفة عظيمة فيه وكان منجم بخت نصر وكان له كتاب في النجوم بقى الى هذا الان وليس هذا العلم الا كباقي العلوم الحقة كالحديث والفقه فانه لا يعرفها كما هو الا من أتاه الله الحكم وفصل الخطاب.

واما هؤلاء المنجمون فقد وقع بأيديهم منه احكام قليلة قد شيب صدقها بكذبها كما اشير اليه سابقاً، فمن هذا قصرت معرفتهم عن الاحاطة بما احاط به الائمة عليهم السلام ووقع الخلاف في اكثر اخباراتهم فهي ليست اتفاقية او بالتجارب كما قاله شيخنا المفيد طاب ثراه.

المقام الثاني قد تحقّقت ان السيد بن طاوس وشيخنا البهائي قدس الله روحيهما ذهبا الى جواز تعلّمه وتعليمه اذا كان الاعتقاد على كونه علامة، ولكن ظاهر الاخبار النهي عنه مطلقاً وتحريمه وان كان على سبيل كونه علامة، روى الصدوق قدس الله روحه باسناده الى عبد الله بن عوف قال لما اراد امير المؤمنين عليه السلام المسير الى النهروان أتاه منجم فقال له يا امير المؤمنين لا تسر في هذه الساعة سر في ثلاث ساعات يمضين من النهار، فقال امير المؤمنين عليه السلام ولمَ ذاك؟، قال لانك ان سرت هذه الساعة اصابك واصاب اصحابك اذىً وضرّ شديد، وان سرت في الساعة التي امرتك بها ظفرت وظهرت واصبت كما طلبت، فقال امير المؤمنين عليه السلام أتدري ما في بطن هذه الدابة أذكر أم انثى قال ان حسبت علمت قال له امير المؤمنين عليه السلام من صدقّك على هذا القول كذّب بالقرآن ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت ان الله عليم خبير، ما كان محمد صلى الله عليه وآله يدّعي ما أدعيت أتزعم انك تهدي الى الساعة التي من سار فيها صرف عنه السوء، والساعة التي من سار فيها حاق به الضرّ، من صدقك بهذا استغنى بقولك عن الاستعانة بالله عز وجل في ذلك الوجه واحوج الى الرغبة اليك ودفع المكروه عنه، وينبغي له ان يوليك الحمد دون ربه عز وجل فمن آمن لك بهذا فقد أتخذك من دون الله، نداً وضداً ثم قال اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك بل نكذبك ونخالفك ونسير في الساعة التي نهيت عنها.

وروى السيد الرضي في نهج البلاغة قال ومن كلام له عليه السلام ايها الناس اياكم وتعلم النجوم الا ما يهتدى به في بر او بحر فانها تدعو الى الكهانة، المنجم كالكاهن والكاهن كالساحر والساحر كالكافر والكافر في الناس سيروا على اسم الله وعونه والحديث طويل، وفي الاحتجاج عن هشام بن الحكم في خبر النزديق الذي سأل ابا عبد الله عليه السلام من مسائل وكان فيما سأله ما تقول في علم النجوم، قال هو علم قلّت منافعه وكثرت مضراته لانه لا يدفع به المقدور ولا يتقي به المحذور، وان اخبر المنجم بالبلا لم ينجع التحرز من القضا وان اخبر هو بخير لم يستطع تعجيله، وان حدث به سوء لم يمكنه صرفه، والمنجم يضاد الله في علمه بزعمه انه يردّ قضاء الله عن خلقه.

وفي الخصال عن ابي الحصين قال سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول سأل رسول الله صلى الله عليه وآله عن الساعة فقال عند ايمان بالنجوم وتكذيب بالقدر، وروى فيه باسناد آخر عن الباقر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن خصال وساق الحديث الى ان قال وعن النظر في

النجوم، وروى ابن طاوس (ره) في كتاب فتح الابواب قال ذكر الشيخ الفاضل محمد بن علي بن محمد في كتاب له في العمل ما هذا لفظه جعاء الاستخارة عن الصادق عليه السلام تقوله بعد فراغك من صلوة الاستخارة تقول اللهم انك قد خلقت اقواماً يلجأون الى مطالع النجوم لاوقات حركاتهم وسكوتهم وتصرفهم وعقدهم، وخلقتني ابرأ اليك من اللجاء اليها ومن طلب الاختيارات بها، وتيقن انك لم تطلع احداً على غيبك في مواقعك ولم تسهل له السبيل الى تحصيل افاعيلها، وانك قادر على نقلها في مداراتها في سيرها عن السعود العامة والخاصة الى النحوس ومن النحوس الشاملة والمفردة الى السعود لانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك ام الكتاب ولانها خلق من خلقك وصنعة من صنعك وما اسعدت من اعتمد على مخلوق مثله استمد الاختيار لنفسه وهم اؤلئك ولا اشقيت من اعتمد على الخالق الذي لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك الدعاء، ويظهر من هذا الخبر ومن غيره ايضاً ان التطيّر والتفأل بالنجوم انما هو لمن يعتمد ويتوكل على الله سبحانه فان من تطيّر من شيء وقع في ضرره ولا يخلصه الى التوكل والصدقة، روى الصدوق (ره) بسند صحيح عن ابن ابي عمير انه قال كنت أنظر في النجوم واعرفها واعرف الطالع فيدخلني من ذلك شيء فشكوت ذلك الى ابي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام فقال اذا وقع في نفسك شيء فتصدّق على اول مسكين ثم امض فان الله عز وجل يدفع.

وروى رئيس المحدثين شيخنا ابن يعقوب الكليني عن الصادق عليه السلام قال كان بيني وبين رجل قسمة أرض وكان الرجل صاحب نجوم وكان يتوخى ساعة السعود فيخرج فيها وأخرج انا في ساعة النحوس فاقتسمنا فخرج لي خير القسمين فضرب الرجل يده اليمنى على اليسرى، ثم قال ما رأيت كاليوم قطّ ويل لك ما ذاك، قال اني صاحب نجوم اخرجتك في ساعة النحوس وخرجت انا في ساعة السعود، ثم قسمنا فخرج لك خير القسمين فقلت الا احدثك بحديث حدثني به ابي عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من سرّه ان يدفع الله عنه نحس يوم فليفتتح يومه بصدقة يذهب الله بها عنه نحس يومه ومن أحب ان يذهب الله عنه نحس ليلته فليفتتح ليلته بصدقة يدفع الله عنه نحس ليلته، فقلت اني افتتحت خروجي بصدقة فهذا خير لك من النجوم والاخبار الواردة بهذا المضمون ست وعشرون نقلناها في كتاب نوادر الاخبار.

المقام الثالث فيما استدل به ابن طاوس (ره) على جواز تعلّمه وتعليمه روى من كتاب التجمّل عن محمد وهارون ابني ابي سهل انهما كتبا الى ابي عبد الله عليه السلام ان ابانا وجدناه كان ينظر في النجوم فهل يحلّ النظر فيها، قال نعم الحديث، والجواب انه خبر مرسل ومجهول فلا يعارض الاخبار النقية مع ان النظر فيه لا يستلزم جواز تعلمه والعمل بما فيه كما لا يخفى.

بقي الكلام في الكسوفات يخبر بها المنجمون وان سببها اما حيلولة القمر أو حيولة الارض ويتفق على ما يقولون وقد عرفت ان المرتضى (ره) مع كونه قد ذهب الى انكار علم النجوم وانها لا حقيقة له كالسحر، قال بحقيّة قولهم في الكسوفات لكنه اخرجها من قواعد النجوم وادخلها في طريقة الحساب، وهذا لا اشكال فيه انما الاشكال في ان الوارد عن الائمة عليهم السلام في سبب الكسوفات هو ادخال الشمس والقمر ورميهما في ذلك البحر تبعاً لرمي الفلك فيه عند معاصي العباد وارادة الله تعالى ان يهدهم ويستعتبهم ويمكن التوفيق بما عرفت من ان النجوم واوضاعها علامات على الافعال الصادرة من القادر المختار فيجوز ان يكون وقت هذه الحيلولة هو علامة الغضب وارادة تهديد العباد، فيقارنه القاء الفلك في ذلك البحر لان بعض علامات غضب الله سبحانه معلومة من الشرع فلتكن هذه مستندة الى العقل والحدس، والله اعلم بحقائق غيبه.

بقي الكلام في بيان ان علم النجوم اذا كان من اشرف العلوم فلم ورد النهي البليغ من صاحب الشرع بالخوض فيه وعن تعلمه وتعليمه وتصديق العالم به حتى قال من صدّق منجماً فقد كذّب بما انزل الله على محمد قلت الحكم والمصالح موجودة قطعاً وان خفى اكثرها عنا ولعل ما ندركه بهذه العقول القاصرة أمور.

احدها ان من أعظم معجزات الانبياء عليهم السلام هو الإخبار بالمغيبات، فاذا فتحنا باب جواز تعلّم النجوم وأخبر المنجم بما هو غائب عن الحواس مستقبل المجيء في الاوقات صغرت معجزات الانبياء والائمة عليهم السلام في الانظار خصوصاً عند عوام الناس، وثانيها ان الخوض في هذا العلم يؤل الى اعتقاد التأثير كما مرّ تحقيقه في كلام الاصحاب لان النجوم عندهم ناطقة حية يرون هذه الاثار تترتب على اوضاعها فينجرّ بهم الحال الى تأثيرها، وقد عرفت أنه كفر ولا ريب ان ما يؤدي الى الكفر حرام قطعاً.

وثالثها انك قد عرفت أنه علم شريف ولا تحتمله عقول اكثر الناس ولا حواصلهم فربما ذهبوا الى دعوى الامور الفاسدة من النبوة والامامة كما اتفق لبعض المنجمين من ذوي العقول الناقصة بسبب تلك الاخبارات ونحوها، ورابعها انه يرفع التوكل على جناب الحق ويؤل الى ابطال قضاء الله وقدره ومحوه وإثباته مع انه كل يوم في شأن وخامسها ان الذي وقع الى ايدي الناس من علم النجوم انما هو الحثالة[٤٧] منه التي لا ينتفع منها بشيء، وهذه الحثالة كثيراً ما يغلط المنجمون فيها وقد شاهدنا جماعات كثيرة من المنجمين ومن يعمل باحكامهم في تعب عظيم

---

(٤٧) الحثالة بالضم: ما يسقط من قشر الشعير والارز والتمر وكل ذي قشارة اذا نقى وحثالة الدهن ثفله فكأنه الردئ من كل شيء.

ومشقة شديدة من ملاحظات الساعات والاوقات للخروج والدخول والاقامة والسفر والاكل والشرب ولبس الثياب والكلام ونحو ذلك، ومع هذه المشاق الدنيوية لم تبلغ اعمارهم الا نصف الاعمار المتعارفة او اقل منه وجماعة منهم قد خلَدوا في سجن الملوك والسلاطين اكثر اعمارهم فلم يقدروا على الاهتداء الى تخليص انفسهم من عذاب الدنيا، وعذاب الاخرة أشد وابقى لو كانوا يعلمون.

وقد كان بعض مشائخنا رحمهم الله تعالى اذا أتى بثوب جديد يقول للخادم أخره حتى تأتي الساعة المنحوسة عند المنجمين فأتني به البسه، فيؤخره الخادم الى أنحس ساعاتها فيلبسه فيكون عليه مباركاً الى ان يصير خلقاً، وبلغ من العمر اضعاف اعمار المنجمين قدس الله روحه في جنات النعم، نعم قد رخَص من علم النجوم معرفة ما يهتدي به المسافرون وهذا يعرفه اكثر عوام الناس، وكذلك ورد في اخبار غير نقيّة السند ملاحظة برج العقرب عند ارادة التزويج والسفر الى مكة، فمعرفة مثل هذا لا بأس به مع أنه يمكن دفع نحوسة مثل هذا بالصدقة برغيف وفلس من الفلوس، مع ان صدقة الرغيف أولى في نظر الشارع من ملاحظة برج العقرب، فليأت به وليترك الخوض في ذلك العلم أو الذهاب الى أهله لسؤالهم عن تلك الساعة المستلزم لزيارة المنجَم، والاتيان اليه مع ما روى عن امير المؤمنين عليه السلام أنه قال ونهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن اتيان العرّاف وقال ان من أتاه وصدَقه فقد برئ مما انزل الله على محمد، وقد نص أهل اللغة على ان العرّاف المنجَم وبالجملة فعلم يكون الرغيف خيراً منه لا يكون الخوض فيه الا لداعي الخسّة واضرابه.

نور في بعض الامور التابعة للكواكب

منها المجرة وهي الدايرة المسماة عند العوام بسبيل التبانين، وعند الاخرين بمجر الكبش، وسببه على ما قاله الحكماء احتراق حدث من الشمس في تلك الدايرة في بعض الازمان السالفة، وأجاب عنه بعضهم بأنه انما يصح اذا كانت الشمس موصوفة بالحرارة والاحراق، وكان الفلك قابلاً للتأثر والاحتراق وقال بعضهم ان السبب فيه هو انه بخار دخاني واقع في الهواء، ويرد عليه انه يلزم منه اختلافها في الصيف والشتا لقلّة المدد في احدهما وكثرته في الاخر، وقيل أنه كواكب صغار متقاربة متشابكة لا تتمايز حساً بل هي لشدة تكاثفها وصغرها صرت كأنها لطخات سحابية قال الامدي بعض نقل هذ الاقوال والغرض من نقل هذه الاختلافات ابداء ما ذكروه من الخرافات ليتحقق ويتبين للعاقل الفطن أنه لا حجة لهم فيما يقولونه ويتعقدونه ولا معوَل على ما ينقلونه من اوايلهم ويعتمدونه وانما هي خيالات فاسدة وتمويهات باردة يظهر ضعفها بأوائل النظر ثم البعض بالبعض يعتبر.

واما اخبار الائمة الطاهرين عليهم السلام فقد ورد في الرواية عن الصادق عليه السلام ان وقت الطوفات في ايام نوح عليه السلام لما امر الله سبحانه السماء بماء منهمر انشقت السماء ونزل الماء منها دفعة لا قطرة قطرة، فلما بلغ الطوفان كمال حدّه امر الله السماء فأمسكت مائها، فتلايمت واندملت فهذه المجرة هي اثر ذلك الاندمال، كالجرح الذي يندمل ويبقى أثره.

ومنها قوس الله وتسميه عامة الناس قوس قزح تبعاً للحكماء والمنجمين، وهو وان كان عندهم من كائنات الجو لا تعلق له بالسماء لكن لما كان في الشرع قد ذكر من السماويات ذكرناها هنا وسببه على ما قالوه انه اذا وجد في خلاف جهة الشمس اجزاء مائية شفافة صافية وكان وراءها جسم كثيف اما جبل او سحاب مظلم، ثم كانت الشمس في افق الاخر فاذا ادبرنا على الشمس ونظرنا الى تلك الاجزاء وانعكس شعاع البصر عنها الى الشمس فيرى في كل من تلك الاجزاء ضوءها دون شكلها، لانا نعلم بالتجربة ان الصقيل الذي ينعكس منه شعاع البصر اذا صغر جداً ادَى الضوء واللون دون الشكل فكانت تلك الاجزاء على هيئة قوس مستضيئة اقلّ من نصف الدائرة، وبحسب ارتفاع الشمس ينتقص هذا القوس لانتقاص الاجزاء التي تنعكس منها الاشعة البصرية الى الشمس من الطرفين واما اختلاف الوانها فقيل ان السبب فيه ان الناحية العليا منها لما قربت من الشمس قوى فيها الاشراق فيرى احمر ناصعاً واما الناحية السفلى فلما بعدت عنها كانت اقلَ اشراقاً فيرى فيها حمرة الى سواد، وهو الارجواني وما توسط بينهما فان لونه متولد من ذينك اللونين وهو الكراسي هذا ما قالوه.

واما الاخبار الواردة فيه فهو من ان الصاد ق عليه السلام سأل وقيل ما تقول في قوس قزح فقال عليه السلام لا تقل قوس قزح فان قزح اسم الشيطان بل قل قوس الله، ولم يكن قبل نوح عليه السلام في السماء وذلك انه لما ذهب الطوفان خاف نوح عليه السلام من طوفان آخر فأوحى الله عز وجل اليه يا نوح اني خلقت خلقي لعبادتي وامرتهم بطاعتي فقد عصوني وعبدوا غيري واستوجبوا بذلك غضبي فغرقتهم، واني جعلت قوساً اماناً لعبادي وبلادي وموثقاً مني بيني وبين خلقي يأمنون به الى يوم القيامة من الغرق، ومن أوفى بعهده مني ففرح نوح عليه السلام بذلك وتباشر وكانت القوس فيها سهم ووتر فنزع الله عز وجل السهم والوتر من القوس وجعل اماناً لعباده وبلاده من الغرق، قال ابن الاثير في الحديث لا تقولوا قوس قزح فأن قزح من اسماء الشيطان قيل سميَ به لتسويله الناس وتحسينه اليهم من المعاصي من التقزيح وهو التحسين، وقيل من القزح وهي الطرايق والالوان التي في القوس، الواحدة قزحة او من قزح الشيء اذا ارتفع كأنه كرة ما كانوا عليه من عادات الجاهلية، وان يقال قوس الله فيرفع قدرها كما يقال بيت الله وقولوا قوس وامان من الغرق.

نور ملكي يكشف عن بعض احوال الملائكة

قال الله سبحانه الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلاً أولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير، قال بعض المفسرين المراد بقوله يزيد في الخلق أي في خلق اجنحتهم كما روى ان رسول الله ﷺ رأى ليلة المعراج لجبرئيل عليه السلام ستمائة جناح، وسيأتي تحقيقه ان شاء الله تعالى والملائكة اجسام نورانية أي مخلوقة من النور، وقيل انها مخلوقة من الريح مادية لا مجردة اقدرها الله تعالى التشكل بالاشكال المختلفة وان كان لها شكل واحد في ابتداء الخلق، كما روى ان جبرئيل عليه السلام كان يأتي النبي ﷺ بصورة دحية الكلبي، فقال له ﷺ يا جبرئيل احبّ ان اراك بصورتك الاولية فقال لا تطيق يا رسول الله فقال بلى فقال نعم آتيك غداً فلما ان كان الغدا أى جبرئيل عليه السلام فنظر رسول الله ﷺ فاذا هو قد نزل من السماء ونشر جناحين له جناح في المشرق وجناح في المغرب وملأ ما بين الخافقين ببدنه فلم يتمكن من النظر اليه حتى غشى عليه، فتصوّر بصورة أخرى ثم افاق النبي ﷺ من غشيته وقد كان امير المؤمنين عليه السلام يعجب من كثرة الملائكة وعظم خلقتهم، وبديع صنايع الله فيهم وقال عليه السلام منهم سجود لا يركعون وركوع لا يتتصبون وصافّون لا يتزايلون ومسبحون لا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقول، ولا فترة الابدان ولا غفلة النسيان، ومنهم امناء الله على وحيه والسنته الى رسله ومختلفون بقضائه وامره، وفيهم الحفظة لعباده والسدنة لابواب جناحه، ومنهم الثابتة في الارضين السفلى اقدامهم والمارقة من السماء العليا اعناقهم والخارجة من الاقطار اركانهم والمناسبة لقوائم العرش اكتافهم، ناكسة دونه ابصارهم ملتفعون تحته بأجنحتهم، مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزّة وأستار القدرة الحديث.

وقال عليه السلام ايضاً ان لله تبارك وتعالى ملائكة لو ان ملكاً منهم هبط الى الارض ما وسعته لعظم خلقه وكثرة اجنحته ومنهم من لو كلّفت الانس والجنس ان يصفوه ما وصفوه لبعد ما بين مفاصله وحسن تركيب صورته، وكيف يوصف من ملائكته من سبع مأة عام ما بين منكبيه وشحمة أذنيه، ومنهم من يسدّ الافق بجناح من اجنحته دون عظم بدنه، ومنهم من السموات الى حجزته، ومنهم من قدمه على غير قرار في جوّ الهوى الاسفل والارضون الى ركبته ومنهم من لو ألقى في نقرة ابهامه جميع المياه لوسعته، ومنهم من لو القيت السفن في دموع عينيه لجرت، دهر الداهرين فتبارك الله أحسن الخالقين.

فان قلت قوله عليه السلام لا يغشاهم نوم العيون، لعلك تقول انه بظاهره ينافي قوله تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم، فأنه سبحانه قد تمدّح بهذه الحالة فلا ينبغي ان يشارك فيها وأجاب بعض

المحققين بأن حالة السنة وهو أول النعاس يأخذ الملائكة، والتمدّح انما هو بمجموع الامرين لا بكل واحد والذي أظن ان الجواب التحقيقي هذا، وهو ان مثل هذه الحالات لا تأخذه معناه انها ليست لها عليه تصرف ولا تسلط ولا هي قابلة ان تكون من حالاته فلا يتصف هو بقبولها ولا تتصف بأنها من الحالات القابلة، لان من تداولت عليه حالات الغفلة لا يكون رباً وهو ظاهر بخلاف انواع الملائكة فان حالة النوم من الاحوال القابلة لاتصافهم بها بالنظر الى الامكان والمخلوقية، ولو لحقتهم لم يكن ذلك الاختلال اللازم هناك لازماً لكن خالقهم كلّفهم بهذه الحالة فقبلوا تكليفه وامتثلوا امره فأقدرهم على القيام بهذه الحالة بخلاف البشر فان ابدانهم لا تقدر على القيام بها ولم يكن المصلحة الالهية موجودة بأقدارهم عليها فمن كانت حالته من غيره كيف يكون حالته معارضة لمن كانت حالته من نفسه، وليس هذا الاّ من قبيل ما تمدّح الله بها من بعض نعوته كقوله تعالى ليس بظلام للعباد، فنقول ان الله ليس بظلام والانبياء والائمة لهم هذه الصفة ايضاً فقد شاركوه فيما تمدح به، والجواب عن هذا كله واحد بما عرفت فتحفظ على هذا فأنه ينفعك في مواطن كثيرة تأتي ان شاء الله تعالى في تضاعيف هذا الكتاب.

وقد ورد في الاخبار جواب آخر رويناه باسنادنا الى الصدوق (ره) قال حدثني ابي رضي الله عنه، قال حدثنا سعد بن عبد الله باسناده الى داود العطار قال قال لي بعض اصحابنا اخبرني عن الملائكة أينامون فقلت لا أدري، فقال يقول الله عز وجل يسبحون الليل والنهار لا يفترون، ثم قال الا اطرفك عن ابي عبد الله عليه السلام فيه بشيء فقلت بلى فقال سأل عن ذلك فقال ما من حي الا وهو ينام خلا الله وحده عز وجل والملائكة ينامون، فقلت يقول الله عز وجل يسبحون الليل والنهار لا يفترون فقال انفاسهم تسبيح، فالفترة هي الكف عن اظهار الامر والنهي واللغة تدلَ على ذلك كما قاله الصدوق يقال فتر فلان عن طلب فلان وفتر عن حاجته وانما ذلك تراخ عنه وكفَ لا بطلان الشخص والعين، ومنه قول الرجل اصبتني فترة أي ضعف، وحيئنذ قوله عليه السلام لا يغشاهم نوم العين، انه لا يغشاهم النوم كما يغشى غيرهم بأن يشغلهم عن التسبيح والتقديس، وهذا من باب ما روى في باب صفات النبي صلى الله عليه وآله وخواصه منان عينه تنام وقلبه لا ينام انتظاراً للوحي الالهي، فالنوم وان اعتراه لكن لا يعطله عن مراقبة ربه سبحانه كم ا يعطل غيره.

فان قلت ما فائدة تعدد الاجنحة في الملائكة وزيادتها على المعتاد وهو الجناحين قلت يجوز ان يكون لزيادة القدرة والقوة على الطيران والمسارعة الى قطع المسافات السماوية، فان الوحي الذي يتلقاه جبرئيل من العرش وحواليه فيسعى به الى النبي صلى الله عليه وآله فيما هو اسرع من ارتداد طرف العين وغلظ كل سماء مسيرة خمسمائة ام وبين كل سمائين مسيرة خمسمائة عام على ما تقدم، ويجوز ان يكون فايدة التعدد ما روى ان صنفاً من الملائكة لهم ستة اجنحة فجناحان يلقون

بهما اجسادهم، وجناحان يطيرون بهما في الامر من امور الله وجناحان مرخيان على وجوههم حياء من الله، وحينئذ فكل جناحين لفائدة من الفوائد، وبهذا يظهر فائدة الجناح الثالث في قوله أولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع فيكون الثالث لفائدة أخرى غير الطيران، واما محلَه فيجوز ان يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدها قوة.

واما في جانب الكثرة فلا يعلم عددهم سواه وفي الخبر عن الصادق عليه السلام وقد سأل عن الملائكة أكثر بنوا آدم، فقال والذي نفسي بيده لملائكة الله في السموات اكثر من عدد التراب في الارض، وما في السماء موضع قدم الا وفيها ملك يسبحه ويقدسه، ولا في الارض شجر ولا مدر الا وفيها ملك موكَل يأتي الله كل يوم بعملها وما منهم احد الا ويقرّ كل يوم بولايتنا اهل البيت ويستغفر لمحبينا، ويلعن اعدائنا ويسأل الله تعالى ان ينزل عليهم العذاب، ويكفي بهم كثرة ان مع كل قطرة مطر ملكاً يضعها الموضع المأمون به ولا يصعد الى السماء الى يوم القيامة، بل يبقون في الارض يسبحون الله ويقدسونه وثوابه لشيعة اهل البيت، وفي الروايات ان اكثر اماكنهم المساجد.

واعلم ان الملائكة على كثرتهم لا يخلو احد منهم من خدمة خاصة، وكل منهم له مقام معلوم كما حكاه تعالى عنهم، وما منّا الا له مقام معلوم، وهو مقام في السموات فان كل جماعة منهم له مكان خاص وعبادة خاصة والمثل ولله الامثال العليا، كما ان السلطان له اتباع وكل صنف منهم قد وكَل بخدمة فمنهم من اولاه على رعيته للحماية والحراسة والاطلاع على ما يأتون ويذرون، وجماعة نسبهم اليه لكن على طريق التشريك بخدمة رعيته كالوزير واضرابه، وجماعة منهم اختصهم به من غير شركة، وذلك كاصحاب السلطان المخصوصين لديه، ومن ذلك انقسمت الملائكة الى ملائكة كروبيين أي مقربين لديه، ذوي قوة على امتثال اوامره من التقديس مأخوذ من الكرب وهو القوة او من الكرب وهو الحزن لشدة خوفهم من جنابه تعالى، وذلك انه كلما زيد في قرب الوزير زيد في خوفه من السلطان لاطلاعه على حقايق بطشه، والى ملائكة روحانيين أي انهم يشبهون الارواح في اللطافة فهم الطف من باقي الملائكة، وهؤلاء النوعان هما سادات الملائكة وهما المشار اليهم في الحديث الصحيح عن الصادق عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله مررنا ليلة المعراج بملائكة من ملائكة الله عز وجل خلقهم الله كيف شاء ووضع وجوههم كيف شاء ليس شيء من اطباق وجوههم الا وهو يسبح الله ويحمده من كل ناحية بأصوات مختلفة اصواتهم مرتفعة بالتسبيح والبكاء من خشية الله فسألت جبرئيل عنهم فقال كما ترى خلقوا، ان الملك منهم الى جنب صاحبه ما كلمه قطَ، ولا رفعوا رؤسهم الى ما فوقهم ولا خفضوها الى ما تحتهم خوفاً من الله وخشوعاً فسلَمت عليهم فردوا عليَ ايماء برؤسهم لا ينظرون اليَ من الخشوع، فقال لهم جبرئيل هذا محمد نبي الرحمة ارسله الله الى العباد رسولاً ونبياً وهو خاتم النبيين

وسيدهم أفلا تكلمونه قال فلما سمعوا ذلك من جبرئيل أقبلوا عليَ بالسلام وبشروني واكرموني بالخير لي ولامتي.

واما سبب تفاوت مراتبهم في القرب والبعد فقد ورد في الروايات عن الصادق عليه السلام ان الله سبحانه عرض ولايتنا على الملائكة فمن بادر اليها وعقد قلبه عليها صار من المقربين وسيأتي ان انواع المخلوقات انما صارت نوعين لهذا، ومن هذا قال جبرئيل عليه السلام أقرب الخلق الى الله انا واسرافيل، وقسم منهم قد شركوا في الخدمات، فمنهم ملائكة العرش قال سبحانه الذين حملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به يستغفرون للذين آمنوا، ومنهم جبرئيل عليه السلام فأنه السفير بين الله وانبيائه وهي الساعي في تبليغ الوحي.

فان قلت اخبرني كيف يتلقى جبرئيل الوحي الالهي وكيف يبلغه قلت قد ورد في الاخبار على وجوه:

الاول ما روى ان جبرئيل عليه السلام قال لرسول الله عليه السلام في وصف اسرافيل هذا حاجب الرب وأقرب خلق الله منه، واللوح بين عينيه من ياقوتة حمراء، فاذا تكلم الرب تبارك وتعالى بالوحي ضرب اللوح جبينه فنظر فيه، ثم القى الينا نسعى به في السموات والارض، والثاني ما روى ايضاً أنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله لجبرئيل عليه السلام من أين تأخذ الوحي قال آخذه من اسرافيل، قال ومن أين يأخذه اسرافيل قال يأخذه من ملك فوقه من الروحانيين، قل ومن اين يأخذه ذلك الملك، قال يقذف في قلبه قذفاً.

الثالث ما ورد في الاسانيد النقية حدَث به الصادق عليه السلام عن ابيه عن جده عن علي بن الحسين عن الحسين بن علي عن علي بن ابي طالب عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عن ميكائيل عن اسرافيل عن اللوح عن القلم عن الله تبارك وتعالى قال ولاية علي بن ابي طالب حصني من دخله أمن من عذابي، وهذا الاختلاف منزّل على تعدد الكيفيات وينبغي ان يراد باللوح والقلم في هذا السند الملكان فأنه قد ورد لهما في الاخبار معان متعددة وثم ذهب الصدوق طاب ثراه في اعتقاداته الى ان اللوح والقلم ملكان، والحق ان هذا من جملة معانيهما وقوله عليه السلام في الحديث السابق من ياقوتة حمراء من جملة معانيه ايضاً ومن هذا النوع الملكي الروح، وهو المراد من قوله سبحانه يسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا، على ما في الروايات الصحيحة.

منها ما رواه الصفار عن هشام بن سالم قال سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول يسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي،قال خلق اعظم من جبرئي وميكائيل لم يكن مع احد ممن مضى غير محمد صلى الله عليه وآله وهو مع الائمة عليهم السلام يرفقهم ويسددهم وليس كلما طلب وجد، وعن امير

المؤمنين عليه السلام ان له سبعين الف وجه لكل وجه سبعون الف لسان لكل لسان سبعون الف لغة يسبح الله تعالى بتلك اللغات كلها يخلق الله تعالى بكل تسبيحة ملكاً يطير مع الملائكة الى يوم القيامة، ولم يخلق الله خلقاً اعظم من الروح غير العرش ولو شاء ان يبلغ السموات السبع والارضين السبع بلقمة واحدة لفعل، وعن الصادق عليه السلام ان الملائكة تقف كلها في صف واحد يوم القيامة ويقف هو في صف وهذا النوع يجوز ان يكون منحصراً في فرد ويجوز ان يكون متعدد الافراد وكل فرد منه متعبد بنوع خاص من التعبدات ومن هذا النوع ميكائيل عليه السلام سمي به لانه يكيل السحاب من ماء البحر ويرسل معه جماعة من الملائكة الى الموضع الذي امر فيه.

وروى الصدوق طاب ثراه عن جعفر بن البختري عن الصادق عليه السلام قال ان الله تبارك وتعالى اذا اراد ان ينفع بالمطر امر السحاب ان يأخذ الماء من تحت العرش، واذا لم يرد النبات امر السحاب فأخذ الماء من البحر، قيل ان ماء البحر مالح، قال ان السحاب يعذبه فهذا الحديث دالّ على ان مار المطر يأتي من اماكن مختلفة لمصالح كثيرة، وقد تقدم ان المطر الذي يكون اوائل المطر يجيء من تحت العرس، وقال النبي صلى الله عليه وآله ما اتى على أهل الدنيا يوم واحد منذ خلقها الله عز وجل الا والسماء فيها تمطر فيجعل الله ذلك حيث يشاء وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ما خرجت ريح قطّ الا بمكيال الا زمن عاد، فانها عتت على خزّانها فخرجت في مثل خرق الابرة فأهلكت قوم عاد، وما نزل مطر قطّ الا بوزن الا زمن نوح عليه السلام فانه عتى على خزّانه فخرج مقل خرق الابرة فأغرق الله فيه قوم نوح.

اقول هذا العتو منهما انما هو غضب الله سبحانه فان قلت كيف يكون مثل خرق الابرة من الماء والهوى باعثاً لغرق آلاف من الناس واهلاكهم، قلت يجوز ان يكون الضمير في قوله فأغرق الله فيه راجعاً الى الماء الذي قد خرج من الخزّان لاجل الغرق لا الى الماء العاتي وحده الذي هو خرق الابرة، ويجوز ان يكون المراد بخرق الابرة موضع خروج الماء العاتي لا قدر الماء الخارج وحينئذ فيكون قد خرج من مثل هذا المكان الضيق ماء كثير وهواء كثير في مدّة كثيرة، فكان بانضمامه الى ذلك الماء والهوى باعثاً لاهلاكهم وغرقهم، مع ان الله سبحانه قد أهلك العظيم بالحقير والكثير بالقليل فسبحان من هو قادر على ان يدخل الدنيا في بيضة من غير ترقيق الدنيا ولا تعظيم للبيضة وجواب آخر في الهوى رواه الكليني طاب ثراه في الروضة عن الباقر عليه السلام في حديث قال فيه واما الريح العقيم فانها ريح عذاب تخرج من تحت الارضين السبع، وما خرجت منها ريح قطّ الا على قوم عاد حين غضب الله عليهم فأمر الخزّان ان يخرجوا منها على قدر سعة الخاتم، قال فعتت على الخزّان فخرج منها على مقدار منخر الثور تغيظاً منها على قوم عاد فضجّ الخزان الى الله عز وجل من ذلك فقالوا ربنا انها قد عتت عن امرنا انا نخاف ان تهلك

من لم يعصك من خلقك وعمّار بلادك فبعث الله عز وجل اليها جبرئيل فأستقبلها بجناحه فردها الى موضعها، وقال لها اخرجي على ما امرت به واهلكي قوم عاد ومن كان بحضرتهم وحينئذ فيجوز ان يكون في الماء مثل ذلك كما لا يخفى.

وقال امير المؤمنين عليه السلام السحاب غربال المطر لولا ذلك لافسد كل شيء وقع عليه وسأل ابو بصير ابا عبد الله عليه السلام عن الرعد أي شيء يقول، قال انه بمنزلة الرجل يكون في الابل فيزجرها هاي هاي (هاهي هاهي خ ل) كهيئة ذلك قال قلت جعلت فداك فما حال البرق قال مخاريق الملائكة تضرب السحاب فتسوقه الى الموضع الذي قضى الله عز وجل فيه المطر، وقال عليه السلام الرعد صوت الملك والبرق سوطه وروى ان الرعد صوت ملك اكبر من الذباب واصغر من الزنبور فينبغي لمن سمع صوت الرعد ان يقول سبحان من سبّح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وقد ذكر الحكماء للامطار والرعد والبرق اسباباً أخرى سيأتي ان شاء الله تعالى، ومن الملائكة كتّاب الاعمال فأنه سبحانه بمقتضى حكمته لضبط اعمال الخلايق وافعالهم واقوالهم وكّل على كلّ واحد ملكين يكتبان اعماله كما قال سبحانه ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد، فرقيب كاتب الحسنات على يمين المكلّف وعتيد كاتب السيآت معه على يساره وسيأتي تمام الكلام فيهما ان شاء الله تعالى عند انوار المكلفين.

ومن انواع الملائكة ملائكة قد وكّل الله كل واحد منهم بحراسة ابن آدم من التردي في الابار او مواضع الهلاك او السباع، فاذا جاء الاجل بعَدوا عنه وقالوا أنت وهو ومنهم من وكّله الله سبحانه بحراسة ثمر الاشجاء وحمل النخيل عن الدواب والافات ولذا كره البول والغايط تحت الاشجار المثمرة لمكان الملائكة، ومن ثم قال الصادق عليه السلام الا ترى ان للشجرة إنسا وقت الثمرة، وهذا الانس بالملائكة ومنهم من يسكن الهوى ومن ثم ورد النهي من صاحب الشرع بكراهة تطميح البول في الهوى، ومنهم من يسكن المياه، ومن ثم كره البول في الماء مطلقاً، وكره ايضاً دخول المياه بغير ازار لمكان سكانه من الملائكة، ومنهم جماعة ملازمون الابواب والمساجد يكتبون اوّل داخل وآخر خارج، ومنهم جماعة ورد في الروايات ان الانسان اذا اراد زيارة مولانا الحسين عليه السلام بعث الله اليه جماعة من الملائكة لاعانته على قضاء حوائجه ويشيعونه ذهاباً واياباً، ويلازمون عتبة بابه اذا رجع وثواب تقديسهم له، فاذا مات لازموه في قبره للانس وخرجوا معه من قبره الى ارض القيامة.

ومنهم من هو بصورة الديك روى الصدوق طاب ثراه باسناده الى ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان لله تبارك وتعالى ديكاً رجلاه في تخوج الارض السابعة ورأسه عند العرش ثاني عنقه تحت العرش وملك من ملائكة الله عز وجل خلقه الله تبارك وتعالى رجلاه في تخوم الارض

السابعة السفلى مضى مصعداً فيها مدى الارضين حتى خرج منها الى افق السماء ثم مضى فيها مصعداً حتى انتهى قرنه الى العرش، وهو يقول سبحانك ربي، ولذلك الديك جناحان اذا نشرهما جاوز المشرق والمغرب، فاذا كان في آخر الليل نشر جناحيه وخفق بهما وصرخ بالتسبيح يقول سبحان الملك القدوس الكبير المتعال القدوس لا اله الا هو الحي القيوم، فاذا فعل ذلك سبحت ديكة الارض كلها وخفقت باجنحتها وأخذت في الصراخ، فاذا سكن ذلك الديك في السماء سكنت الديكة في الارض فاذا كان في بعض السحر نشر جناحيه فجاوز المشرق والمغرب، وخفق بهما وصرخ بالتسبيح فيقول سبحان الله العظيم سبحان الله العزيز القهار، سبحان رب العرش المجيد سبحان رب العرش الرفيع، فاذا فعل ذلك سبّحت ديكة الارض فاذا هاج هاجت الديكة في الارض تجاوبه بالتسبيح والتقديس لله عز وجل ولذلك الديك ريش ابيض كأشد بياض ما رأيته قط، وله زغب اخضر تحت ريشه الابيض كأشد خضرة ما رأيتها قط، فما زلت مشتاقاً الى ان انظر الى ريش ذلك الديك.

وروى عن النبي ﷺ قال ان لله تبارك وتعالى ملكاً من الملائكة نصف جسده الاعلى نار ونصفه الاسفل ثلج، فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفئ النار، وهو قائم ينادي بصوت له رفيع سبحان الله الذي كفَ حرّ هذه النار فلا تذيب هذا الثلج، وكفَ برد هذا الثلج فلا يطفئ حر النار، اللهم مؤلفاً بين الثلج والنار ألّف بين قلوب عبادك المؤمنين على طاعتك.

وروى ايضاً باسناده الى ابن نباته قال جاء ابن الكوا الى امير المؤمنين عليه السلام فقال يا امير المؤمنين والله ان في كتاب الله عز وجل لآية قد افسدت عليّ قلبي وشككتني في ديني فقال له عليه السلام ثكلتك امك وعدمتك وما تلك الاية قال قول الله عز وجل والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه فقال له امير المؤمنين عليه السلام يا ابن الكوا ان الله تبارك وتعالى خلق الملائكة في صور شتى، ان لله تبارك وتعالى ملكاً في صورة الديك ابح اشهب براثنه في الارض السابعة السفلى،وعرفه مثنى تحت العرش له جناحان جناح في المشرق وجناح في المغرب، واحد من نار والاخر من ثلج فاذا حضرت وقت الصلوة قام على براثنه ثم رفع عنقه من تحت العرش ثم صفق بجناحيه كما تصفق الديوك في منازلكم فلا الذي من النار يذيب الثلج ولا الذي من الثلج يطفي النار فينادي اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمداً سيد النبيين وان وصيه سيد الوصيين، وان الله سبَوح قدوس رب الملائكة والروح، قال فتخفق الديكة بأجنحتها في منازلكم فتجيبه على قوله وهو قوله عز وجل والطير صافات كل قد علم صلوته وتسبيحه من الديكة في الارض وبالجملة فهم مما لا تتناهى انواعهم وسيأتي بعض انواعهم ان شاء الله تعالى في تضاعيف هذا الكتاب.

والحاصل ان لكل نوع منهم مقاماً من التكليف واما حدّهم في عالم الملكوت الذي لا يتعدونه ففي الروايات عن ابن عباس ان رسول الله ﷺ لما اسرى به الى السماء انتهى به جبرئيل الى نهر يقال له النور، وهو قول الله عز وجل وخلق الظلمات والنور فلما انتهى به الى ذلك النهر فقال له جبرئيل اعبر يا محمد على بركة الله فقد نوّر الله لك بصرك ومدّ لك املك، فأن هذا نهر لم يعبره أحد لا ملك مقرّب ولا نبي مرسل غير ان لي في كل يوم اغتماسة فيه ثم أخرج منه فأنفض اجنحتي، فليس من قطرة تقطر من اجنحتي الا خلق الله تبارك وتعالى منها ملكاً مقرباً له عشرون الف وجه واربعون الف لسان في كل لسان يلفظ بلغة لا يفققها اللسان الاخر، فبر برسول الله ﷺ حتى انتهى الى الحجب والحجب خمسمائة جحاب، من حجاب الى حجاب مسيرة خمسمائة عام، ثم قال تقدّم يا محمد فقال له جبرئيل ولم لا تكون معي، قال ليس لي ان اجوز هذا المكان فتقدم رسول الله ﷺ ما شاء الله ان يتقدم حتى سمع ما قال الرب تبارك وتعالى انا المحمود وانت محمد شققت اسمك من اسمي فمن وصلك وصلته ومن قطعك بتكته انزل على عبادي فأخبرهم بكرامتي اياك، واني لم ابعث نبياً الا جعلت له وزيراً وانك رسولي وان علياً وزيرك فهبط رسول الله ﷺ وكره ان يحدّث الناس بشيء كراهة ان يتهموه لانهم كانوا حديثي عهد والجاهلية والخبر طويل.

اقول هذا النهر انما هو فوق العرش، وايضاً قد سأل الصادق عليه السلام ما فضل جدَك على سليمان بن داود الذي سخر له الريح غدوّها شهر ورواحها شهر، فقال عليه السلام ان سليمان كان يقطع الشهرين بيوم واحد واما جدي فقد قطع مسير خمسين الف سنة بساعة واحدة، ولما رجع الى لحافه كان حاراً لم يبرد لقصر زمان سفره، ومن العرش الى الارض لا يبلغ هذه المسافة اذا عرفت هذا كله.

فاعلم ان الاخبار قد تظافرت بأن الملائكة طعامهم التحميد وشرابهم التقديس، وليس لهم شهوة الحيوان ولا ميل الى انواع اللذات الدنيوية، فاذا كان الله قد خلقهم على هذا المنوال فما لهم من الفضل في انفسهم حتى يفضلوا غيرهم من صلحاء المؤمنين على ان المعتزلة وابا عبد الله الحليمي والقاضي ابا بكر من الاشاعرة ذهبوا الى تفضيل الملائكة العلويين على الانبياء عليهم السلام، واما الملائكة السفلية فلا خلاف في تفضيل الانبياء عليهم.

قلت قد اشكل هذا المعنى على جماعة من الاصحاب حتى ان شيخنا المعاصر ادام الله ايامه ذهب الى ان الملائكة لهم نوع من الميل الى اللذات الحسية لكنهم يجاهدون انفسهم ويمنعونها عن الارادات البشرية حتى يكون لهم جزيل من الثواب ويستحقوا محامد الثنا والتفضيل، والجواب التحقيقي عند هذا القاصر غير هذا، وحاصله ان الله سبحانه قد اقدر الملائكة على انواع

العبادات كما اقدر البشر عليها وان كان قوة الملائكة على العبادات اشدَ واكثر، والبشر مع قدرتهم على اكثر انواع العبادات من الواجبات والسنن قد فتروا عنها واقبلوا على تركها، واما الملائكة فقد اقبلوا على فعلها، والاتيان بما وصلت اليه قدرتهم، ومع هذا قد صارت العبادات مستلذة عندهم كاستلذاذ الاكل والشرب عندنا، فهم يأتون بكل ما يقدرون من انواع العبادات على وجه الاستلذاذ ونحن انما نأتي ببعض ما نقدر على وجه التكليف والمشقة والخوف من العقاب فهم فضلونا باتيانهم بافعال يمكنهم تركها فلم يتركوها، ومن ثم قد وقع من بعضهم الترك حتى عوقب عليه فاحترقت اجنحته وسقط من مقامه كما وقع الملك الذي وقع من السماء في زمن ادريس عليه السلام حتى لجاء الى ادريس عليه السلام فدعى له فرجع الى مقامه، وكالملك الذي فتر عن العبادة في عصر النبي صلى الله عليه وآله فسقط ايضاً من عالم الملكوت ولجأ الى الحسين عليه السلام فتمسح به ورجع ببركة الحسين عليه السلام الى مقامه.

واما الانبياء والائمة عليهم السلام فهم قد فعلوا افعال الملائكة مع اتصافهم بالقوى الحيوانية، فهم افضل من الملائكة كما انعقد عليه اجماعنا، ومن ثم كان العامل منا بما يطيق من انواع العبادات افضل من الملائكة كما ذهب اليه بعض الاصحاب ودلّت عليه بعض الاخبار.

نور ملوكتي

في بعض ما في عالم الملكوت

فنقول روى الصدوق (ره) باسناده الى الرضا عليه السلام عن علي عليه السلام قال دخلت انا وفاطمة على رسول الله صلى الله عليه وآله فوجدناه يبكي بكاءً شديداً فقلت فداك ابي وامي يا رسول الله ما الذي أبكاك فقال يا علي ليلة اسري بي الى السماء رأيت نساء امتي في عذاب شديد فأنكرت شأنهنَ، فبكيت لما رأيت من شدة عذابهن، رأيت امرأة معلقة بشعرها يغلي دماغ رأسها، ورأيت امرأة معلقة بلسانها والحميم يصبّ في حلقها ورأيت امرأة معلقة بثدييها ورأيت امرأة تأكل لحم جسدها والنار توقد من تحتها، ورأيت امرأة قد شدّت رجلاها الى يديها وقد سلّط عليها الحيّات والعقارب، ورأيت امرأة صمّاء عمياء خرساء في تابوت من نار يخرج دماغ راسها من منخرها وبدنها منقطع من الجذام والبرص ورأيت امرأة يقرض لحمها بالمقاريض ورأيت امرأة معلقة برجليها في تنور من نار ورأيت امرأة يحرق وجهها ويداها وهي تأكل امعاءها ورأيت امرأة رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار وعليها الف الف لون من العذاب، ورأيت امرأة على صورة الكلب والنار تدخل في دبرها وتخرج من فيها، والملائكة يضربون راسها ويديها بمقامع من نار،

فقالت فاطمة ﴿عليها السلام﴾ حبيب وقرّة عيني اخبرني ما كان عملهنَ حتى وضع الله عليهنَ العذاب فقال يا بنيتي:

اما المعلقة بشعرها فانها كانت لا تغطي شعرها من الرجال، واما المعلقة بلسانها فانها كانت تؤذي زوجها، واما المعلقة بثدييها فانها كانت تمتنع من فراش زوجها، واما التي علقت برجلها فانها كانت تخرج من بيتها بغير اذن زوجها، واما التي كانت تأكل لحم جسدها فانها كانت تزيّن بدنها للناس، واما التي شدّت يداها الى رجليها وسلّط عليها الحيات والعقارب فانها كانت قذرة الوضوء قذرة الثياب وكانت لا تغتسل من الجنابة والحيض ولا تتنظف وكانت تستهين بالصلوة، واما العمياء الصماء الخرساء فانها كانت تلد من الزنا فتعلقه في عنق زوجها، واما التي تقرض لحمها بالمقاريض فانها كانت تعرض نفسها على الرجال، واما التي كانت يحرق وجهها ويداها وهي تأكل امعائها فأنها كانت قوّادة واما التي كانت رأسها راس الخنزير وبدنها بدن الحمار فانها كانت نمامة كذابة، واما التي على صورة الكلب والنار تدخل في دبرها وتخرج من فيها فأنها كانت قينة[٤٨] نواحة حاسدة ثم قال ويل لامرأة أغضبت زوجها وطوبى لامرأة رضي عنها زوجها.

فان قلت اكشف لنا عن حقيقة هؤلاء المعذبات أهنّ في الارض أم في السماء واذا كنّ في السموات ما حقيقة هذا المرئى منهنّ، قلت اما ما وقع في هذا الحديث وفي كل ما روى في معناه من قوله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ رأيت ليلة اسري بي ولم يقيّده في مكان فالظاهر انه ﴿صلى الله عليه وآله﴾ انما رآه في الارض قبل صعوده السموات بل يكون في عرض الطريق، فقد نقل في الاخبار انه رأى اعاجيب كثيرة واحوالاً غريزة، ويؤيده ما رواه صاحب روضة الواعظين في كلام طويل في صفة المعراج، قال فيه ثم مضى مع جبرئيل ﴿عليه السلام﴾ فمر على قوم معلقين بعراقيبهم بكلاليب[٤٩] من نار، فقال ما هؤلاء يا جبرئيل،فقال هؤلاء الذين اغناهم الله بالحلال فيبتغون الحرام، قال قال ثم مرّ على قوم تخاط جلودهم بمخائط من نار فقال ما هؤلاء يا جبرئيل فقال هؤلاء الذين يأخذون عذرة النساء بغير حلّ ثم مضى، فمرّ على رجل يرفع خرمة من حطب كلما لم يستطع ان يرفعها زاد فيها، فقال من هذا يا جبرئيل فقال هذا صاحب الدين يريد ان يقضي فاذا لم يستطع زاد عليه، ثم مضى حتى اذا كان بالجبل الشرقي من بيت المقدس وجد ريحاً حارة وسمع صوتاً، فقال ما هذه الريح يا جبرئيل التي اجد وما هذا الصوت الذي اسمع، قال هذه جهنم فقال النبي ﴿صلى الله عليه وآله﴾ اعوذ بالله من جهنم ثم وجد ريحاً عن يمينه طيبة وسمع صوتاً، فقال ما هذه الريح التي اجد وما هذا الصوت

---

(٤٨) الاقينة الامة مغنية كانت او غير مغنية.

(٤٩) الكلاليب من الكلاب بالضم كتفاح خشبة او حديدة معوجة الرأس.

الذي اسمع، قال هذه الجنة فقال اسأل الله الجنة، قال ثم مضى حتى انتهى الى باب مدينة بيت المقدس، وفيها هرقل الحديث، فان في هذا تصريحاً بكون ما رآه قبل الصعود.

واما الذي وقع التصريح برؤيته في السموات وهو كثير، كما نقل في ذلك الكتاب من قوله فلما انتهى الى باب السماء استفتح جبرئيل عليه السلام فقالوا من هذا قال محمد قالوا نعم المجيء جاء فدخل فما مرّ على ملاء من الملائكة الا سلموا عليه ودعوا له ثم مضى فمر على شيخ قاعد تحت شجرة وحوله اطفال، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله من هذا الشيخ يا جبرئيل قال هذا ابوك ابراهيم فقال ما هؤلاء الاطفال، فقال هؤلاء اطفال المؤمنين حوله يغذوهم ثم مضى فمرَ على شيخ قاعد على كرسي اذا نظر عن يمينه ضحك وفرح واذا نظر عن يساره حزن وبكى فقال من هذا يا جبرئيل قال هذا ابو آدم اذا رأى من يدخل الجنة من ذريته ضحك وفرح، واذا رأى من يدخل النار من ذريته حزن وبكى ثم مضى فمرَ على ملك قاعد على كرسي فسلّم عليه فلم يرَ منه من البشر ما رأى من الملائكة فقال يا جبرئيل ما مررت بأحد من الملائكة الا رأيت منه ما احب الا هذا فمن هذا الملك، قال هذا الملك خازن النار اما انه قد كان من احسن الملائكة بشراً واطلقهم وجهاً فلما جعل خازن النار إطلّع فيها اطلاعة فرأى ما اعدّ الله فيها لاهلها فلم يضحك بعد ذلك ونقل غير هذا ايضاً.

والجواب عن الكل واحد لكنه على وجوه احدها ما روى عنه صلى الله عليه وآله انه قال ان الله جلَ اسمه لما عرج بي اليه مثّل لي امتي في الطين من اولها الى آخرها حتى انا اعرف بهم من احدهم بأخيه وعلمني الاسماء كلها فيكون هذا الذي رآه صلى الله عليه وآله من التمثيلات الطينية باعتبار ما يأول اليه حالهم، فان علمه صلى الله عليه وآله مأخوذ من علم الله سبحانه وعلمه بالاشياء قبل وجودها كعلمه بها بعد وجودها فمثلت له الاشياء قبل وجودها وشاهدها بعين العيان.

وثانيها انه قد روى عن الصادق عليه السلام في تفسير قوله عليه السلام يا من اظهر الجميل وستر القبيح ان الله سبحانه خلق تمثالاً في السماء لكل انسان في الارض يعمل مثل عمله فاذا عمل الانسان في الارض عمر خير عمل تمثاله مثل عمله فأظهر الله تعالى ذلك التمثال لاهل السموات يرونه فيعلمون ان ذلك الانسان يعمل ذلك العمل الحسن فشكرته الملائكة واستغفرت له ومن هذا قال في الحديث القدسي اشكرني ابن آدم في ملائك اشكرك في ملاءٍ خير منه اشكرك في الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين وهو عبارة عن شكر الملائكة والانبياء وفي بعض الروايات انه سبحانه يخلق صوتاً في عالم الملكوت يشكر به ذلك الشاكر وقيل المراد بشكر الله سبحانه للعبد المجازات له على الشكر وكل هذا حق لما ورد في الحديث القدسي ايضاً من تقرب اليّ شبراً تقربت اليه ذراعاً ومن تقرب اليّ ذراعاً تقربت اليه باعاً، وهو يسبق من اراد السبق اليه واذا شغل الانسان في الارض بالمساوي والاعمال القبيحة عمل ذلك التمثال ذلك العمل فيأمر الله سبحانه بملك يرخى

على ذلك التمثال ستراً حتى لا تراه الملائكة فهذا معنى يا من اظهر الجميل وستر القبيح وحينئذ فيكون ﷺ قد كشف له عن تلك التمثالات ليلة المعراج فرأى التمثال على ما هو عليه من الاحوال المطابقة لذوي التمثال لان ذلك المعراج قد كان بعد مبعثه ﷺ بخمس سنين فعملت نساء امته ورجالها ما رآه في عالم الملكوت.

وثالثها ان يكون حكمته تعالى قد اقتضت ان بعض هذه الامة ينتقلون بعد الموت اما بهذه الابدان الجسمانية او القوالب المثالية الى جنة السموات ونارها وهما جنة الاخرة ونارها واما جنة الدنيا ونارها فهما في الارض كما سيأتي بيانها ان شاء الله تعالى كما ان آدم وابراهيم وموسى وادريس قد انتقلوا الى السموات والجنان بهذه الابدان فيكون ﷺ قد شاهد المعذبين في نار السموات وهي نار الاخرة كما روى انه ﷺ قال لجبرئيل في ليلة المعراج وهو في السموات يا جبرئيل اطّلعني على النار اراها، فقال يا رسول الله لا تطيق النظر اليها فستأذن مالك خازن النار فكشف له الغطا عن تنور منها فثار منه دخان احاط بالسموات كلها سواده فغشي على النبي ﷺ فوضع الغطا على التنور فأفاق وما تضمنه الحديث السابق من قوله يرفع خرمة الحطب الحديث فينبغي ان يحمل على من لم يكن له عزم على اداء الدين كما ورد في حديث آخر، ويجوز حمله على من اسدان ولم يكن له وجه مال لادائه فان جماعة من الاصحاب ذهبوا الى عدم جواز الاستدانة لمثل هذا وقدموا عليه السؤال بالكفَ وان لم يكن من اهله لقوله عليه السلام الدين مفكَرة بالليل مذَلة بالنهار، قضاء في الدنيا وقضاء في الاخرة لانه يؤخذ من حسنات المديون لصاحب الدين وان لم يكن له حسنات أخذ من ذنوب صاحب الدين ووضعت في عنق المديون وهو احد معاني قوله سبحانه يحملون اثقالهم واثقالاً مع اثقالهم ومن جملة ما في السموات الانبياء عليهم السلام اما ارواحهم بناء على عدم تجرد الارواح كما هو القول الاظهر، او مع الاجساد المثالية او هذه الاجسام بعينها فان الارض لا تأكل لحوم الانبياء ولا اوصياءهم عليهم السلام.

روى الصدوق عن الصادق عليه السلام ان رسول الله ﷺ لما اسرى به امره ربه بخمسين صلوة فمرَ على النبيين نبي نبي لا يسألونه عن شيء حتى انتهى الى موسى بن عمران عليه السلام فقال بأي شيء امرك ربك فقال بخمسين صلوة فقال موسى سل ربك التخفيف فان امتك لا تطيق ذلك فسأل ربه فحطَ عنه عشراً ثم مرَ بالنبيين نب ينبي لا يسألونه عن شيء حتى مرَ بموسى بن عمران عليه السلام فقال بأي شيء امرك ربك فقال بأربعين صلوة فقال سل ربك التخفيف فان امتك لا تطيق ذلك، فسأل ربه فحطَ عنه عشراً ثم مرَ بالنبيين نبي نبي لا يسألونه عن شيء حتى مرَ بموسى بن عمران عليه السلام فقال بأي شيء امرك ربك فقال بثلاثين صلوة، فقال سل ربك التخفيف فان امتك لا تطيق ذلك، فسأل ربه عز وجل فحطَ عنه عشراً ثم مر بالنبيين نبي نبي لا يسألونه عن شيء حتى مرَ بموسى بن

عمران عليه السلام فقال بأي شيء امرك ربك فقال بعشرين صلوة فقال سل ربك التخفيف فان امتك لا تطيق ذلك، فسأل ربه عز وجل فحطّ عنه عشراً ثم مرّ بالنبيين نبي نبي لا يسألونه عن شيء حتى مرَ بموسى عليه السلام فقال بأي شيء امرك ربك فقال بعشر صلوات، فقال سل ربك التخفيف فان امتك لا تطيق ذلك فاني جئت الى بني اسرائيل بما افترض الله عز وجل عليهم فلم يأخذوا به ولم يقرّوا عليه فسأل النبي صلى الله عليه وآله ربه عز وجل فخفف عنها فجعلها خمساً ثم مرّ بالنبيين نبي نبي لا يسألونه حتى مر بموسى عليه السلام فقال له بأي شيء امرك ربك فقال بخمس صلوات فقال اسئل ربك التخفيف عن امتك فان امتك لا تطيق ذلك فقال اني لاستحي ان اعود الى ربي فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله بخمس صلوات وقال رسول الله صلوات الله عليه وىله جزء الله موسى بن عمران عن امتي خيراً فلما هبط الى الارض نزل عليه جبرئيل فقال يا محمد ان ربك يقرئك السلام فيقول انها خمس بخمسين ما يبدّل القول لدي وما انا بظلام للعبيد اقول وجه كونها بخمسين ان الحسنة بعشر فخمس بخمسين.

ومن السماويات البيت المعموم وهو بيت في السماء الرابعة بحيال الكعبة تعمره الملائكة بالطواف مثل الكعبة وهو المروي عن امير المؤمنين عليه السلام وفي الصحيح عن الصادق عليه السلام انه في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه ابداً، وروى عن النبي صلى الله عليه وآله انه في السماء الدنيا وفي السماء الرابعة نهر يقال له الحيوان يدخل فيه جبرئيل عليه السلام كل يوم طلعت فيه الشمس واذا خرج انتفض انتفاضة جرت منه سبعون الف قطرة فيخلق الله من كل قطرة ملكاً يؤمرون ان يؤتوا البيت المعمور فيصلّون فيه ثم لا يعودون اليه ابداً وهو اول مسجد وضع للعبادة في الارض فلما خلقت الكعبة شرّفها الله تعالى رفع الى حيالها، ويجوز ان يكون وجه حمل البيت المعمور على الجنس فيكون في كل واحدة من السموات المذكورة بيت للطواف مثل الكعبة بالنسبة الى اهل الارض يسمى البيت المعمور، ولشرفه عند خالقه اقسم به فقال والبيت المعمور والسقف المرفوع ويؤيده ما روى عن الرضا عليه السلام ان الله سبحانه وضع في السماء الرابعة بيتاً بحذاء العرش، يسمى الصراخ ثم وضع في السماء الدنيا بيتاً يسمى المعمور بحذا الصراخ ثم وضع هذا البيت بحذاء البيت المعمور الحديث.

ومنها البحار روى شيخنا الصدوق (ره) باسناده الى ابن درّاج قال سألت ابا عبد الله عليه السلام هل في السماء بحار قال نعم اخبرني ابي عن ابيه عن جدّه عليهم السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان في السموات السبع لبحاراً عمق احدها مسيرة خمسمائة عام، فيها ملائكة قيام منذ خلقهم الله عز وجل والماء الى ركبهم ليس فيهم ملك الا وله الف واربعمائة جناح في كل جناح اربعة وجوه في كل وجه اربعة افواه في كل فم اربعة السن ليس فيها جناح ولا وجه ولا لسان ولا فم الا

وهو يسبح الله عز وجل بتسبيح لا يشبه نوع منه صاحبه، اقول واحد منها فسر البحر المسجور أي الممتلئ ماءً او حرارة او غضباً على اهل المعاصي.

نور يكشف عن مكان الجنة والنار الاخرويتان

اعلم ان الامامية رضوان الله عليهم قد اجمعوا استناداً الى ظاهر الايات والاخبار المتواترة على كون الجنة والنار مخلوقتين الان[٥٠] وقصة آدم وحواً واسكانهما الجنة واخراجهما عنها وقوله تعالى اعدت للمتقين واعدت للكافرين وغير ذلك من الايات شواهد صدق عليه.

وام جمهور مخالفينا فذهب الاشاعرة وابو علي الجبائي وبشر بن المعتمر وابو الحسين البصري من المعتزلة الى انهما مخلوقتان الان كما قلنا، وانكره اكثر المعتزلة كابي هاشم وعبد الجبار وعباد الصمري وضرار بن عمرو تعويلاً على العقل والنقل اما الاول فمبناه على امتناع الخرق والالتيام على الافلاك وهو اضعف من غزل العنكبوت واما الثاني فقوله تعالى عرضها السموات والارض وهذا يقتضي ان لا يوجد الا بعد فناء السموات والارض في القيامة والجواب عن هذا قد روى عن الرضا عليه السلام وذلك انه قد سأل عن هذا بان عرضها اذا كان كعرض السموات والارض فالان اين تكون فقال عليه السلام انها ليست في السموات ولا في الارض ولكن فوق السموات وسقفها العرش فعلى هذا يكون ارضها محدّب الكرسي، فتكون تحت العرش وفوق الكرسي وقد دخلها النبي صلى الله عليه وآله ليلة المعراج واكل منها تفاحة، ولما أتى منزله قارب خديجة فحملت بفاطمة فكانت النطفة من تلك التفاحة ومنها كان حمرة وجوه الائمة عليهم السلام وكان النبي صلى الله عليه وآله اذا اراد ان يشمَ رائحة الجنة وتفاحها أتى الى فاطمة وشمها وقبلها، ومن ثم حسدتها عائشة على هذا المعنى واضمرت لها عداوتها وعداوة زوجها واولادها ولما مضى النبي صلى الله عليه وآله اظهرت نار نفاقها فجهزت العساكر وجمعت الجموع حتى خذلت وغلبت وظفر الله المسلمين على عساكرها كما سمعت.

---

(٥٠) وخالف عن الامامية في هذا الاعتقاد سيدنا الاعظم السيد الشريف الرضي جامع نهج البلاغة المتوفى سنة(٤٠٦) هـ قال في الجزء الخامس من كتابه حقائق التاويل في متشابه التنزيل ماهذا لفظه(فصل في ذكر الجنة والنار هل هما مخلوقتان الان ام تخلقان بعد فناء العباد وقد اختلف العلماء في ذلك فمنهم من قال هما الان مخلوقتان وقال بعضهم: ان الجنة خاصة مخلوقة والصحيح انهما تخلقان بعد الخ ص ٢٤٥ط نجف والى هذا القول مال اخيه رئيس المذهب السيد الشريف المرتضى علم الهدى قدس سره ولكن القول الحق مال اخيه رئيس المذهب السيد الشريف المرتضى علم الهدى قدس سره ولكن القول الحق هو ما ذهب اليه المصنف ره.

واما نار الاخرة فهي في السماء ايضاً وقد استفاضت الاخبار بالدلالة عليه وقد شاهدها النبي ﷺ ليلة المعراج، وقد حصل له فزع عظيم من هول ما شاهده منها كما تقدم الا انها تحت الجنة وظاهر الاخبار انها في السماء الرابعة وقد رآها ادريس النبي عليه السلام ودخلها لحظة، وكانت عليه برداً وسلاماً، وسيأتي تمامه في مكانه ان شاء الله وهذه الجنة والنار السماويتان غير الجنة والنار المخلوقتين في الارض لعالم البرزخ لعذاب الفاسقين ولنعيم المؤمنين، فان جنة الدنيا وادي السلام في ظهر الكوفة ونار البرزخ برهوت وهو واد في حضرموت اليمن، وتفصيلهما يذكر في محله ان شاء الله تعالى، فاذا كان يوم القيامة وطوى الله سبحانه بقدرته السموات كطيّ السجل واعدمها وكذلك بدّل الارض كما قال يوم تبدل الارض غير الارض والسموات مطويات فيومئذ ينزل الجنة والنار من مكانهما فتمون الجنة في موضع السموات تتفاوت درجات اهلها بتفاوت اعمالهم فمسافة ارتفاع السموات كلها تكون من بعض درجات الجنة فتكون هذه الارض اسفل قيعان الجنة ودرجاتها، وتنتهى في العلو والارتفاع الى ما فوق العرش فان الله سبحانه كما روى عن الصادقين عليهما السلام يعطى المؤمن في الجنة ما يقابل الدنيا مرةً، وروى سبعين مرة هذا الاقل، واما الاكثر فلا يعلم مقداره الا هو.

واما النار فاذا نزلت يوم القيامة مكانها طبقات الارض وتتفاوت طبقاتها في العمق على قدر تفاوت المعاصي فيكون اسفل الجنة اعلى النار، لانه قد روى ان اهل الجنة لهم غرف تفتح بعض ابوابها الى النار، حتى يشاهدوا عذاب اهلها فتعظم نعمت الله في اعينهم، فعند تلك المشاهدة يقول لهم اهل النار افيضوا علينا مما افاض الله عليكم فيقول لهم اهل الجنة ان طعام الجنة وشرابها محرم على الكافرين.

نور آدمي

في ابتداء خلق ابينا آدم وامنا حوى عليهما السلام

وما يتبع ذلك روى القطب الراوندي وهو من اعظم محدثي الشيعة في كتاب قصص الانبياء عليهم السلام باسناده الى الباقر عليه السلام قال سأل امير المؤمنين عليه السلام هل كان في الارض خلق من خلق الله تعالى يعبدون الله قبل آدم عليه السلام وذريته؟ فقال نعم قد كان في السموات والارض خلق من خلق الله تعالى يعبدون الله تعالى قبل آدم عليه السلام وذريته يقدسون الله ويسبحونه ويعظمونه بالليل والنهار، ولا يفترون فان الله عز وجل لما خلق الارضين خلقها قبل السموات ثم خلق الملائكة

روحانيين لهم اجنحة يطيرون بها حيث شاء الله فأسكنهم فيما بين اطباق السموات يقدسونه الليل والنهار واصطفى منهم اسرافيل وميكائيل وجبرئيل.

ثم خلق عز وجل في الارض الجن روحانيين لهم اجنحة فخلقهم دون خلق الملائكة وخفضهم ان يبلغوا مبلغ الملائكة في الطيران وغير ذلك فاسكنهم فيما بين اطباق الارضين السبع وفوقهن، يقدسون الله بالليل والنهار لا يفترون، ثم خلق خلقاً دونهم لهم ابدان وارواح بغير اجنحة يأكلون ويشربون[1]سناس اشباه خلقهم الله وليسوا بأنس واسكنهم اوساط الارض على ظهر الارض مع الجن يقدسون الله بالليل والنهار لا يفترون قال وكان الجن تطير في السماء فتلقى الملائكة في السموات فيسلمون عليهم فيزورونهم ويستريحون اليهم ويتعلمون منهم الخبر ثم ان طائفة من الجن والنسناس الذين خلقهم الله واسكنهم اوساط الارض تمردوا وعتوا عن امر الله فمرحوا وبغوا في الارض بغير الحق وعلا بعضهم على بعض في العتو على الله تعالى حتى سفكوا الدماء فيما بينهم واظهروا الفساد وجحدوا ربوبية الله تعالى، قال وأقامت الطائفة المطيعون من الجن على رضوان الله وطاعته وباينوا الطائفتين من الجن والنسناس الذي عتوا عن امر الله تعالى قال فحطَ الله اجنحة الطائفة من الجن الذيت عتوا عن امر الله تعالى وتمردوا وكانوا لا يقدرون على الطيران الى السماء والى ملاقاة الملائكة لما ارتكبوا من الذنوب والمعاصي قال وكانت الطائفة المطيعة امر الله من الجن تطير الى السماء في الليل والنهار على ما كانت عليه، وكان ابليس واسمه الحارث يظهر للملائكة انه من الطائفة المطيعة.

ثم خلق الله خلقاً على خلاف الملائكة وعلى خلاف خلق الجن وعلى خلاف خلق النسناس يدّبون كما تدبَ الهوام في الارض يأكلون ويشربون كما تأكل الانعام من مراعي الارض كلهم ذكران ليس فيهم اناث لم يجعل الله فيهم شهوة النساء ولا حبَ الاولاد ولا الحرص ولا طول الامل ولا لذة العيش لا يلبسهم الليل ولا يغشاهم النهار، ليسوا ببهائهم ولا هوام لباسهم ورق الشجر وشربهم من العيون الغزار والاودية الكبار ثم اراد الله ان يفرقهم فرقتين فجعل فرقة خلف مطلع الشمس من وراء البحر فكوّن لهم مدينة انشاءها لهم تسمى جابرسا طولها اثنى عشر الف فرسخ في اثنى عشر الف فرسخ وكوّن عليها سوراً من حديد يقطع الارض الى السماء ثم اسكنهم فيها واسكن الفرقة الاخرى خلف مغرب الشمس من وراء البحر وكوّن لهم مدينة انشأها تسمى جابلقا طولها اثنى عشر الف فرسخ في اثنى عشر الف فرسخ، وكوّن لهم سوراً من حديد يقطع الى السماء فاسكن الفرقة الاخرى فيها لا يعلم اهل جابرسا بموضع اهل

(١) ثم خلق النسناس ـ كذا في النسخة المخطوطة.

جابلقا، ولا اهل جابلقا بموضع اهل جابرسا ولا يعلم بهم اهل اوساط الارض من الجن والنسناس فكانت الشمس تطلع على اهل اوساط الارضين من الجن والنسناس فينتفعون بحرّها ويستضيئون بنورها ثم تغرب في عين حمئة فلا يعلم بها اهل جابلقا اذا غربت ولا يعلم بها اهل جابرسا اذا طلعت لانها تطلع من دون جابرسا وتغرب من دون جابلقا.

فقيل يا امير المؤمنين فكيف يبصرون ويجيئون ويأكلون ويشربون وليس تطلع الشمس فقال صلوات الله عليه انهم يستضيئون بنور الله فهم في اشد ضوء من نور الشمس ولا يرون ان الله تعالى خلق شمساً ولا قمراً ولا نجوماً ولا كواكب لا يعرفون شيئاً غيره فقيل يا امير المؤمنين فاين ابليس عنهم قال لا يعرفون ابليس ولا سمعوا بذكره ولا يعرفون الا الله وحده لا شريك له لم يكسب احد منهم قطّ خطيئة ولم يقترف اثماً لا يسقمون ولا يهرمون الى يوم القيامة يعبدون الله لا يفترون الليل والنهار عندهم سواء، قال ان الله احبّ ان يخلق خلقاً وذلك بعد ما مضى للجن والنسناس سبعة الاف سنة فلما كان من خلق الله ان يخلق آدم للذي اراد من التدبير والتقدير فيما هو مكوّنه في السموات والارضين كشط عن اطباق السموات ثم قال للملائكة انظروا الى اهل الارض من خلقي من الجن والنسناس هل ترضون اعمالهم وطاعتهم لي فاطلعت ورأوا ما يعملون من المعاصي وسفك الدماء والفساد في الارض بغير الحق اعظموا ذلك وغضبوا لله واسفوا على اهل الارض ولم يملكوا غضبهم.

وقالوا يا ربنا انت العزيز الجبار الظاهر العظيم الشأن وهؤلاء كلهم خلقك الضعيف الذليل في ارضك كلهم يتقلبون في قبضتك ويعيشون في رزقك ويتمتعون بعافيتك وهم يعصونك بمثل هذه الذنوب العظام لا تغضب ولا تنتقم منهم لنفسك بما تسمع منهم وترى وقد عظم ذلك واكبرناه فيك فلما سمع الله تعالى مقالة الملائكة قال اني جاعل في الارض خليفة فيكون حجتي على خلقي في ارضي، فقالت الملائكة سبحانك ربنا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فقال الله تعالى يا ملائكتي اني اعلم ما لا تعلمون اني اخلق خلقاً بيدي أجعل خلفائي على خلقي في ارضي ينهونهم عن معصيتي وينذرونهم ويهدونهم الى طاعتي ويسلكون بهم طريق سبيلي اجعلهم حجة لي عذراً أو نذراً وأنفي الشياطين من ارضي واطهرها منهم فاسكنهم في الهوى واقطار الارض وفي الفيافي فلا يراهم خلق ولا يرون شخصهم ولا يجالسونهم ولا يخالطونهم ولا يؤاكلونهم ولا يشاربونهم وانفرد مردة الجن العصاة من نسل بريتي وخلقي وخيرتي فلا يجاورون خلقي واجعل بين خلقي وبين الجانّ حجاباً فلا يروا خلقي شخص الجن ولا يجالسونهم ولا يشاربونهم ولا ينهجون نهجهم.

ومن عصاني من نسل خلقي الذي عظمته واصطفيته اسكنهم مساكن العصاة واوردهم موردهم ولا ابالي فقالت الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العزيز الحكيم، فقال الملائكة اني خالق بشراً منم صلصال من حماء مسنون، فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين، قال وكان ذلك من الله تقدمة للملائكة قبل لمن يخلقه احتجاجاً منه عليهم وما كان الله ليغَير ما بقوم الا بعد الحجة عذراً أو نذراً، فأمر تبارك وتعالى ملكاً من الملائكة فاغترف غرفة بيمينه فصلصلها في كفَه فجمدت فقال الله تبارك منك أخلق .

وروى عن امير المؤمنين عليه السلام قال ان الله تعالى خلق آدم من اديم الارض[١]منه السباخ والمالح والطيب، ومن ذريته الصالح والطالح، وقال ان الله تعالى لما خلق آدم ونفخ فيه من روحه نهض ليقوم فقال الله وخلق الانسان عجولا، وهذا علامة الملائكة ان من اولاد آدم عليه السلام يكون من يصير بفعله صالحاً ومنهم من يكون طالحاً بفعله لا ان من خلق من الطيِّب لا يقدر على القبيح ولا ان من خلق من السبخة لا يقدر على الفعل الحسن.

وقال الصادق عليه السلام كانت الملائكة تمر بآدم عليه السلام أي بصورته وهو ملقى في الجنة من طين فتقول لامر ما خلقت وقال عليه السلام ان القبضة التي قبضها الله تعالى من الطين الذي خلق آدم عليه السلام منه ارسل اليها جبرئيل ان يأخذ منها ان شاء فقالت الارض اعوذ بالله ان تأخذ مني شيئاً، فرجع فقال يا رب تعوَذت بك، فارسل اليها اسرافيل وخيَره فقالت مثل ذلك ورجع فارسل اليها ميكائيل وخيَره ايضاً، فقالت مثل ذلك فرجع فارسل الله تعالى اليها ملك الموت فأمره على الحتم فتعوَذت بالله ان يأخذ منها فقال ملك الموت وانا اعوذ بالله ان ارجع اليه حتى آخذ منك قبضة، وانما سمى آدم لأنه أخذ من اديم الارض وقال ان الله تعالى خلق آدم من الطين وخلق حوى من آدم فهَمة الرجال الارض وهمّة النساء الرجال، وقيل اديم الارض الرابعة الى اعتدال لانه خلق وسطا من الملائكة.

وروى مسنداً عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لما ان خلق الله تعالى آدم اوقفه بين يديه فعطس فالهمه الله تعالى ان حمده فقال يا آدم حمدتني فوعزتي وجلالي لولا عبدان اريد ان اخلقهما في آخر الزمان ما خلقتك قال آدم يا رب بقدرهم عندك ما اسمهم فقال تعالى يا آدم انظر نحو العرش فاذاً بسطرين من نور السطر الاول لا اله الا الله محمد نبي الرحمة، وعلي مفتاح الجنة، والسطر الثاني آليت على نفسي ان ارحمن من والاهما وأعذَب من عاداهما، وتفصيل مقدمات آدم وحوى عليهما السلام قد ذكر في القرآن والاخبار.

---

(١) اديم السماء او الارض: ما ظهر منهما.

اما القرآن فقال سبحانه في سورة البقرة واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خلفية قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون، وفيها ايضاً واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين، وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين، فأزلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه، وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم.

وقال سبحانه في سورة الاعراف ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين قال ما منعك الا تسجد اذ امرتك قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين، قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين قال فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد اكثرهم شاكرين، قال اخرج منها مذموماً مدحوراً لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما وقال نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقاسمهما اني لكما من الناصحين فدليهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفات عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين، وقال تعالى في سورة ﷺ اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشراً من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين، قال يا ابليس ما معنك ان تسجد لما خلقت بيديّ أستكبرت ام كنت من العالين قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين، قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك لعنتي الى يوم الدين، قال رب فأنظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم، قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين.

ونحو ذلك من الايات التي كرر فيها قصتهما ناعياً عليهما زلتهما اشارة الى ان من خالف الاوامر يكون مصداق بطون هذه الايات، وذلك الشيطان هو هذا بعينه وابونا آدم عليه السلام فعل زلّة واحدة فاخرج من جوار الله فكيف يكون حالنا نحن مع فعل الالاف من الذنوب كل يوم ومع هذا

نطمع في جنة الخلد ما هذا الا من سخافة عقولنا، لكن بالنظر الى رحمته تعالى لا يكون بعيداً، وما احسن قول شيخنا البهائي طاب ثراه في الشعر الفارسي

جدّ تو آدم بهشتش	قدسيان كردند بهر او
يك كنه جون كرد	مذنبي مذنب بروبيرون
تو طمع داري كه	داخل جنت شوى اى

اما الاخبار فحيث انها لم تجتمع في خبر واحد، فلا بأس بأخذ القصة من مجموع الاخبار موافقاً لمضمون (لمفهوم خ ل)الايات فنقول ان الله سبحانه قد اقتضت حكمته ان يخلق آدم، ويجعله خليفة له في الارض موضع الجان بن الجان وتلك المخلوقات التي مرّ ذكرها وانها كانت تفسد في الارض فان قلت اذا كان سبحانه قد اخبر الملائكة قبل خلق آدم بأن الغرض من خلقه خلافة الارض لا الخلود في الجنة فآدم على كل حال ينبغي اخراجه من الجنة الى الارض لاجل المقصود من خلقته فكيف نعى عليه سبب الخروج من الجنة الى الارض وهو انما خلق له قلت كان بنغي ان لا يخرج بسبب المعصية بل بسبب الارسال ونحوه من ايجاد النسل، وعمارة الارض ونحو ذلك كما أنه سبحانه لما علّم النبي صلى الله عليه وآله من ايام طفوليته حتى بلغ الاربعين واستكمل كمالاته حتى صار منه قاب قوسين او ادنى نزّله من هذه المراتب العليّة الى تلك المراتب السفلية لانقاذ عباده من الغرق ببحار الهلاك الى ساحل النجاة وامره بمخالطتهم ومعاشرتهم ومكالمتهم على قدر عقولهم واحتمال الاذى منهم وكان تحمّل هذه المشّاق عليه أشد واصعب مما لاقى من اهوال الرسالة للطافة روحانية بسبب تعليم ذلك المعلم لك المدة الكثيرة، وهذا التنزيل المعنوي له في مراتبه صلى الله عليه وآله هو المراد من قوله عز من قائل انا انزلنا اليكم ذكرا رسولا فانه صلى الله عليه وآله لم يكن في مكان مرتفع في الحس حتى نزل عنه، كما كان لابينا آدم عليه السلام قد نزل من حسي ومعنوي الى حسي ومعنوي ونبينا صلى الله عليه وآله قد نزل من مكان معنوي الى مكان حسي، ومكان معنوي ولكن فرق كثير بين النزولين مع ان ترك الخوض في حكاية هذا الاعتراض اولى من التعرض له، وذلك لما روى من ان آدم وموسى عليهما السلام قد التقيا في السموات فقال موسى يا آدم انت الذي اشقيت الناس واخرجتهم من الجنة فقال له آدم انت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه وانزل عليك التورية قال نعم قال فوجدته قدّره لي قبل ان يخلقني، قال نعم قال فحج آدم موسى، وهذا الخبر لصعوبة معناه قد ردّه صاحب الطرايف (ره) ولكن هذا المضمون وامثاله قد روى في اخبارنا بطرق متكثرة وهو راجع الى العلم وانه ليس علة في وجود المعلوم وحصوله وسيجيء تحقيق هذه المسألة ان شاء الله تعالى.

واما قول الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء، فهو قياس منهم لادم على من تقدمه من الجان والمخلوقات، يعني ان الخليفة مثل من تقدمه ويجوز هذا القول منهم على جهة

العلم من الالواح السماوية، كما قاله جماعة من المفسرين فلما اراد خلقه ارسل جماعة من الملائكة الى الارض ليأخذوا من ترابها كما تقدم فلم يقدم على ذلك الفعل الا ملك الموت فأخذ قبضة من أديم الارض أي من وجهها وبه سمى آدم وتلك القبضة من حلو الارض ومالحها وسهلها وجبلها وخيرها وشرها وذلك ليكون مواد مختلفة لانواع المختلفين (المخلوقين) من اولاد آدم فقال سبحانه لعزرائيل لما أجترأت على أخذ قبضة التراب من الارض فلتكن انت الذي تقبض ارواح آدم واولاده الذين يخلقون من هذه التربة فأمر الملائكة ووضعوا ذلك التراب في المنخل ونخلوه فما كان لباباً صافياً أخذ لطينة آدم عليه السلام وما بقي في المنخل خلق الله منه النخلة، وبه سميت لانها خلقت من تراب بدن آدم عليه السلام وهي العجوة[1]

ومن ثم قال النبي صلى الله عليه وآله اكرموا عماتكم النخل لانها اخت الاب وقد شابهت الانسان في اكثر الاحوال وقد كان آدم عليه السلام يأنس بها في الجنة ولما نزل الى الارض واستوحش بمفارقة الجنة طلب من الله سبحانه ان ينزل النخلة التي كان يأنس بها فأنزلها عليه فغرسها في الارض وكان يأنس بها في حيوته، ولما قرب وفاته اوصى الى ولده ان يضع معه في قبره جريدة منها ليأنس بها في قبره فصارت سنة فيما بين الانبياء عليهم السلام الى زمان عيسى عليه السلام فندرست في زمن الفترة واحياها النبي صلى الله عليه وآله وقال انها ترفع عذاب القبر ما دامت خضراء، فاستعملها شيعة اهل البيت عليهم السلام من ائمتهم ورواه الجمهور عن النبي صلى الله عليه وآله بطرق كثيرة منها:

انه قال صلى الله عليه وآله للأنصار خضَروا صاحبكم فما اقلَ المخضرين يوم القيامة قالوا وما التخضير قال جريدة خضراء توضع من اصل اليدين الى اصل الترقوة[2]ا رأوا استعمال الشيعة له اقبلوا على انكاره وعلى كونه بدعة لانه صار شعار الروافض، ومما خلق من طينة آدم عليه السلام الحمام ومن ثم سنَ الشرع تربيته في البيوت وانه يطرد الشياطين وتدخل الملائكة الى ذلك المنزل وصارت تستعمل في حمل الرسائل فلما نخل ذلك التراب امر الله سبحانه فأمطر عليه الماء المالح اربعين صباحاً ثم امطر عليه الماء الحلو اربعين صباحاً حتى امتزج الطين والماء الحلو والمالح فخمَر طينة آدم عليه السلام تخميراً، حتى بقيت اربعين صباحاً بين الطين والماء الى هذا الوقت الخاص اشار النبي صلى الله عليه وآله بقوله كنت نبياً وآدم بين الطين والماء ثم لما اكمل خلقه من الطين بقي شبحاً ملقى في السموات بغير روح ولكن عزازيل الذي صار اسمه الشيطان بعد العصيان كان يمر على ذلك الشبح كل يوم

---

(١) في الحديث العجوة من الجنة قيل هي ضرب من اجود التمر يضرب الى السواد من غرس النبي ص بالمدينة ونخلها تسمى اللينة قيل اراد بذلك مشاركتهما ثمار الجنة في بعض ماجعل فيها من الشفاء والبركة بدعائه ص ولم يرد ثمار الجنة نفسها.

(٢) الترقوة مقدم الحلق في اعلى الصدر حيثما يرتقي فيه النفس.

ويقول لامر ما خلقت ثم انه دخل يوماً الى جوفه فغوط فيه ومن ثم صار الغائط نجساً ومنتناً لمكان غايط الشيطان في جوف آدم عليه السلام .

فأمر الله سبحانه روح آدم ان تدخل في بدنه،فابت وقالت يا رب كيف ادخل هذا البدن، واغفل عن طاعتك وتعتريني معاصي الابدان، ولعلها انما قالت هذا لعملها السابق بالجان الذين كانوا في الارض فان الارواح مخلوقة قبل الابدان بالفي عام وروى اكثر من هذا فلطف بها سبحانه وقال انه سأخرج من هذا البدن اقواماً لا يعصوني طرفة عين وهم حججي على عبادي فدخلت الروح فلما استقرت في البدن عطس آدم فقال الحمد لله رب العالمين فقال له الله تعالى رحمك الله يا آدم وهذا معنى ما جاء من قوله يا من سبقت رحمته غضبه، فأن اول خطاب كان مع نبينا آدم عليه السلام هذه الرحمة فقد ابتدأ العالم بحمده وختم به كما سيأتي من ان اهل الجنة اذا دخلوا الجنة، واهل النار اذا دخلوا النار قال اهل الجنة اذا خرجوا من هذه الدنيا الى الجنة الحمد لله رب العالمين كما حكاه الله سبحانه بقوله وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين.

وبالجملة فقد خلق الله سبحانه آدم عليه السلام على تلك الصورة التي خلقه عليها، من غير ان يتخلق عليه الصور نطفة وعلقة ومضغة وعظاماً كما تداولت على اولاده وهذا هو احد معاني قوله صلى الله عليه وآله ان الله خلق آدم على صورته وقد اجبت بهذا الجواب لما سألني بعض الافاضل في مجلس بعض الملوك وجواب آخر ايضاً خطر بالبال ذلك الوقت وحاصله انه قد روى ان ملائكة التصوير اذا ارادوا تصوير النطفة ذكراً او انثى يقولون يا رب على أي صورة نصوره فان كان ذكراً قال سبحانه احضروا صور ابيه آدم وصوروه مثل واحدة منها، وان كان انثى قال احضروا صور امهاته الى حوى فصوروه على صورة واحدة منها ومن ثم قال عليه السلام لا ينبغي لاحد ان يطعن في نسب ولده لاجل انه لا شبهه في الصورة فعله انما صوّر مثل واحد من آبائه، وهذا في غير ابينا آدم عليه السلام واما هو فليس له آباء ولا امهات حتى يتصور مثل واحدة منها بل خلق على تلك الصورة التي خلق عليها وقال المحقق صاحب عوالي اللئالئ المراد بالصورة الصورة المعنوية، كما قال عليه السلام تخلقوا بأخلاق الله فيكون الضمير حينئذ راجعاً الى الله سبحانه يعني على صورة الله المعنوية ومصداقه الحديث القدسي قال فيه اذا تقرب عبدي اليّ بالنوافل كنت سمعه الذي يسمع ويده التي بها يبطش[1]رجله التي بها يمشي الحديث.

وقال سيدنا المرتضى نوّر الله مضجعه ان على بمعنى مع يعني انه سبحانه خلق مادته مع صورته فيكون رداً على ما زعمه الطبيعيون من ان المادة مخلوقة والصورة من مقتضياتها، والذي

---

(١) البطش الاخذ بشرعة والاخذ بعنف وسطوة.

ورد في تفسير هذا الحديث من الاخبار حديثان، احدهما ما رواه رئيس المحدثين شيخنا الكليني قدس الله روحه باسناده الى محمد بن مسلم قال سألت ابا جعفر عليه السلام عما يروون ان الله خلق آدم على صورته فقال هي صورة محدثة مخلوقة اصطفاها الله واختارها على ساير الصور المختلفة فاضافها الى نفسه كما اضاف الكعبة الى نفسه والروح الى نفسه، فقال بيتي ونفخت فيه من روحي.

وثانيهما ما رواه شيخنا الصدوق (ره) باسناده الى الحسين بن خالد، قال قلت الرضا عليه السلام يا ابن رسول الله ان الناس يروون ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال ان الله خلق آدم على صورته فقال قاتلهم الله لقد حذفوا اول الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وآله مرّ برجلين يتسابان فسمع احدهما يقول لصاحبه قبَح الله وجهك ووجه من يشبهك فقال عليه السلام يا عبد الله لا تقل هذا لأخيك فان الله خلق آدم على صورته، وكان المرتضى طاب ثراه انما تكلم على معنى الحديث بما سمعت من جهة ان هذين الخبرين لم يثبتا عنده بناء على اصله من عدم الاعتماد على العمل باخبار الاحاد، ولما خلق الله آدم عليه السلام اسجد له الملائكة وأبى عزازيل وقال ان مادتي وجوهري الناري خير من جوهر آدم الطيني فلا أسجد له لان السجود انما هو لمكان شرف الجوهر وجوهر النار يقتضي الصعود وجوهر التراب يقتضي التسفل والانحطاط، ومن هذا قال الصادق عليه السلام يا ابا حنيفة بلغني انك تقيس قال نعم قال لا تقس فإن اول من قاس ابليس حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين فقاس ما بين النار والطين ولو قاس نورية آدم بنورية النار لعرف فضل ما بين النورين وصفاء احدهما على الاخر، وعن الصادق عليه السلام قال موسى عليه السلام الهي كيف استطاع آدم ان يؤدي شكر ما اجريت عليه من نعمك خلقته بيديك واسجدت له ملائكتك واسكنته جنتك فاوحى الله تعالى اليه ان آدم علم ان ذلك كله مني فذلك شكره.

واعلم ان هذا القياس الذي قاسه ابليس وابطله الصادق عليه السلام هو قياس الاولوية واما اصحابنا رضوان الله عليهم فهم وان ابطلوا العمل بالقياس الا ان اكثرهم قال بصحة العمل بقياس الالووية، وكذا منصوص العلة ومثلوا للأول بقوله تعالى ولا تقل لهما افٍ، حيث قاسوا تحريم الضرب على تحريم التأفيف، وللثاني بقوله صلى الله عليه وآله وقد سأل عن جواز بيع الرطب مثلاً بمثل قال أينقص اذا جف، فقيل نعم فقال فلا آذن فيكون العلة في المنع النقصان عند الجفاف فيقاس عليه كل ما وجدت فيه هذه العلة والانصاف يقتضي المنع من العمل بهذا النوعين ايضاً لوجوه احدها استفاضة الاخبار عن الطاهرين عليهم السلام بنفي القياس مطلقاً من غير تقييد بأحد افراده رداً على ابي حنيفة واهل الرأي، وقد كانوا يعملون بكل انواع القياس، وحمل العام على احد افراده من غير مخصص، مع امكان حمله على جميع الافراد لا يجوز عند اهل الاصول.

وثانيها ان مبنى الشرع على اختلاف احكام المتفقات واتفاق احكام المختلفات كما يظهر من حكاية نزح البئر بورود الاعيان النجسة عليه لعل غرض الشارع من مثله سدّ باب العقل، حتى لا يدخل في الاحكام الشرعية فاذا كان الحال على هذا لم يحصل لنا الظنّ بثبوت الحكم في المحل الخارج عن النص وان اقتضاه القياس.

وثالثها ما رواه الصدوق وغيره من اهل الاصول في باب الديات عن ابان بن تغلب قال قلت لابي عبد الله عليه السلام ما تقول في رجل قطع اصبعاً من اصابع المرأة كم فيها قال عشرة من الابل قال قلت قطع اثنين فقال عشرون قطع ثلثا قال ثلثون، قلت قطع اربعا قال عشرون، قلت سبحان الله يقطع ثلاثاً فيكون عليه ثلاثون فيقطع اربعاً فيكون عليه عشرون ان كان هذا يبلغنا ونحن بالعراق فنبرأ ممن قاله، ونقول الذي قاله شيطان فقال مهلاً يا بان هذا حكم رسول الله صلى الله عليه وآله ان المرأة تعاقل الرجل الى ثلث الدية، فاذا بلغت الثلث رجعت المرأة الى النصف يا ابان انك اخذتني بالقياس والسنَة اذا قيست محق الدين وهذا في ابطال قياس الاولوية.

ورابعها قول الصادق عليه السلام لابي حنيفة لو كان الدين يؤخذ بالقياس لوجب على الحايض ان تقضي الصلوة لانها افضل من الصوم، وبالجملة فالاخبار الدالة على نفي مطلق القياس وخصوص قياس الاولوية كثيرة جداً.

وخامسهاً ما قاله المرتضى (ره) حيث ابطل قياس منصوص العلة بأن علل الشرع انما تبتنئ عن الدواعي الى الفعل او عن وجه المصلحة وقد يشترك الشيئان في صفة واحدة ويكون في احدهما داعي الى فعله دون الاخر، مع ثبوتهما فيه وقد يكون مثل المصلحة مفسدة وقد يدعو الشيء الى غيره في حال دون حال ووقت دون وقت وعلى وجه منه دون وجه وقدر منه دون قدر، ثم قال واذا صحَت هذه الجملة لم يكن في النص على العلة ما يوجب التخطي والقياس وجرى النص على العلة مجرى النص على الحكم في قصره على موضعه فان قلت اذا بطلت قياس الاولوية فكيف يمكنك استفادة تحريم الضرب وباقي انواع الاذى من الاية، قلت ان القرآن انما أنزله الله سبحانه بلغة العرب، واجراءه على مقتضى محاوراتهم واصطلاحاتهم، وكل أحد يعلم من تتبع كلامهم ان فيه الدلالة اللغوية والعرفية والمطابقة والتضمن والالتزام، وحينئذ فمثل قوله تعالى ولا تقل لهما اف اذا صدر من آحاد العرب لا يكون الغرض منه في الاصطلاح الا شمول جميع انواع الاذى من الضرب وغيره فالضرب داخل في مفهوم الكلام عرفا، وهذا معنى قول المحقق قدس الله روحه لما نفى قياس الاولوية قال ان قوله تعالى ولا تقل لهما أف منقول عن موضوعه اللغوي الى المنع من جميع انواع الاذى لاستفادة ذلك المعنى من اللفظ من غير توقف على استحضار القياس.

واما قياس منصوص العلة فقد تكون القرآن الحالية قائمة على دخول الفرد الغير المذكور في الحكم المذكور ويكون المذكور من قبيل اللفظ العام المتناول لغير المذكور وحينئذ فدلالته عليه كالاول وقد لا يكون كذلك فلا يدلَ عليه بهذا الدليل، بل يحتاج الى دليل خاص والا رجع فيه الى الاصل اذا عرفت هذا ظهر ان الشيطان قد غلط في هذا القياس من اصله، وجعله قياس اولوية وذلك لان جوهر النار وان كان في طبعه طلب المحيط وجهة العلو الا ان علوه غير دائم وذلك ان النور انما تشبَ في الحوى لحظة ثم تجمد بخلاف التراب، فانه وان كان فب طبعه طلب الهبوط، الا ان الله تعالى بسبب هذا التواضع منه اودعه اسرار حكمته وجعله مادة لخلق انبيائه وحججه ومعدناً للمعادن ومحلاً للنبات والرياحين وحلاّه حلية لم يحل بها غيره من العناصر.

فان قلت الشيطان مع طول عبادته وكثرتها في السموات حتى أنه روى انه عبد الله ستة آلاف سنة إما من سني الدنيا أو من سني الاخرة فكيف ابى عن هذا التكليف الخاص مع قبوله لغيره وكيف خلاّه الله ونفسه ولم يمنحه الالطاف الالهية، التي تمنعه عن ارتكاب المعصية كما عصم غيره من الملائكة مع ان العبادة التي صدرت منه قبل العصيان ازيد من عبادة الملائكة، حتى انه صار من رؤساء الملائكة وطاووسهم وكان يجلس على كرسي في السموات والملائكة تقف امامه تعظيماً فكيف لم يعصمه الله تعالى عن ارتكاب مثل هذا .

قلت قد خاجلتني هذه الشبهة برهة من الزمان حتى اطلعني شيخنا صاحب بحار الانوار على اخبار تحلَ هذه الشبهة وحاصلها ان الشيطان كما تحققت قد كان من جملة الجان الذين كانوا في الارض فلما ارسل الله سبحانه الملائكة اليهم بالسيوف قتلوهم ونفوهم من الارض، فبقى هذا الملعون فأظهر للملائكة انه من الطائفة المؤمنين، فقال للملائكة قتلتم اهلي وطوائفي وانا بقيت وحيداً فخذوني معكم الى السموات لاعبد الله تعالى معكم فأستأذنوا في هذا فأذن لهم فلما بلغ السموات وطاف بها إطّلع على الالواح السماوية والدفاتر الالهية، فقرأ في بعضها ان الله سبحانه لا يضيع عمل عامل بل من عمل واراد الدنيا اعطاه الله منها، ومن عمل واراد الاخرة بلّغه الله مناه كما قال سبحانه ومن يرد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن يرد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الاخرة من خلاق، فاضمر في نفسه الخبيثة ان الاخرة مؤخرة والدنيا معجلة فقصد حرث الدنيا من تلك العبادة الكثيرة ولما علم انه قد استتم نصيبه من الدنيا بادر الى اظهار ما قصده فأظهره في الاستكبار عن السجود ولو انه قصد الله سبحانه بتلك العبادة، بل واقلّ منها لما خلّى ونفسه بل كان قد تداركته الالطاف الالهية، وقد كان له مرتبة في العلم لا يدانى فيها لان علمه كان من الملكوت.

روى ان واحداً من قوم فرعون اعطاه[١] نقود عنب وقال اريد ان تخلق هذا جواهر كبارا لانك رب قادر، فأخذه فرعون فلما جنّ عليه الليل سد ابواب بيته وقال لا يدخل عليَ أحد فبقي متفكراً في حال العنب فأتاه الشيطان فدَق عليه الباب فقال فرعون من في الباب فقال ابليس ضرطتي في لحية رب لا يدري من في الباب فعرفه فرعون فقال ادخل يا ملعون، فقال ابليس ملعون يدخل على ملعون فلما دخل عليه رأى عنقود العنب بين يديه وهو حيران فقال ناولني هذا العنقود فقرأ عليه اسماً فاذا هو احسن ما يكون من اللئالئ، فقال له الشيطان انصف يا عديم الانصاف انا في مثل هذا العلم والكمال اردت ان اكون عبداً من جملة العبيد، فما قبلوني عبداً لباب هذا السلطان وانت مع جهلك هذا وحماقتك اردت ان تكون رباً وادعيت هذه المرتبة العظيمة فقال له فرعون يا ابليس لأي شيء ما سجدت لادم لما امرت فقال لاني علمت ان طينتك هذه الخبيثة في صلبه ومن هذا امتنعن من السجود له.

ولما صنع نوح عليه السلام السفينة واركب فيها انواع الحيوانات بقي الحمار خارج السفينة، وخاف عليه نوح من الغرق وكلما امره بالركوب امتنع، فغضب عليه نوح وقال اركب يا شيطان مخاطباً للحمار فسمع الشيطان كلام نوح فتعلق في ذنب الحمار وركب في السفينة ونوح عليه السلام كان يظن انه لم يركب ولم يرخص له فلما اخذت السفينة مأخذها وطافت على الماء نظر نوح فرأى ابليس جالساً صدر السفينة، فقال له من رخصك فقال انت الم تقل اركب يا شيطان، ثم انه قال يا نوح ان لك عندي يدا ونعمة اريد ان اكافيك عليها فقال نوح وما هي قال انك دعوت على قومك فاغرقتهم بساعة واحدة، ولو بقوا لكنت متحيراً في اضلالهم وايرادهم مورد الهلاك فلما علم نوح ان الشيطان قد شمت به بكى وناح بعد الطوفان خمسمائة عام، فسمى نوحاً وقد كان من قبل اسمه عبد الجبار فأوحى الله سبحانه الى نوح ان اسمع ما يقول لك الشيطان، واقبل كلامه فقال ما تقول يا ابليس فقال يا نوح انهاك عن خصال.

اولها الكبر والعجب فإنّ اول ما عصى الله به التكبر وذلك انه امرني بالسجود لابيك آدم ولو سجدت لما اخرجوني من عالم الملكوت، وثانيها الحرص، فان الله تعالى قد اباح الجنة كلها لابيك آدم ونهاه عن شجرة واحدة، فدعاه حرصه الى الاكل منها فأكل فصار عليه ما صار.

وثالثها ان لا تخلو بامرأة اجنبية الا ويكون معكما ثالث فانك ان خلوت بها من غير ثالث كنت انا الثالث، فأسوّل لك الامور حتى اوقعك في الزنا، فأوحى الله اليه بقبول قول الشيطان، ومن هنا قال عليه السلام الحكمة ضالة المؤمن وذلك انه يدورها اينما كانت وفي يد من كانت حتى

---

(١) ظاهر المصنف (ره) ان هذا النقل ليس من المعصوم عليه السلام واظنة مطابقة من الاساطير.

يحصلها، ومعنى آخر وهو ان الحكمة لما كانت ضالة المؤمن فيجب على كل من وجدها ان يدفعها اليه لانها ضالته وقد وقع الخلاف في سجود الملائكة لآدم عليه السلام على أي وجه كان، فذهب اكثر المفسرين الى انه على وجه التكرمة لادم والتعظيم لشأنه وتقديمه عليهم ولذا جعل اصحابنا رضي الله عنهم هذه الاية دالة على ان الانبياء عليهم السلام افضل من الملائكة وقال الجبائي وابو القاسم البلخي وجماعة انه جعله قبلة لهم فأمرهم بالسجود الى قبلتهم وفيه ضرب من التعظيم.

وردّه شيخنا الطوسي (ره) بأنه لو كان على هذا الوجه لما امتنع ابليس من ذلك ولما استعظمته الملائكة، وقد نطق القرآن بأن امتناع ابليس من السجود انما هو لاعتقاده تفضيله به وتكرمته مثل قوله ارأيتك هذا الذي كرمّت عليّ لئن اخرتني الاية ولو لم يكن الا (الامر خ ل) على هذا الوجه لوجب ان يعلمه الله تعالى بأنه لم يأمره بالسجود على جهة تعظيمه وتفضيله عليه وانما امره على الوجه الاخر الذي لا تفضيل فيه، ولم يجز اغفال ذلك فانه سبب معصية ابليس وضلالته فلما لم يقع ذلك علمنا ان الامر بالسجود انما كان على وجه التعظيم لادم هذا والذي ورد في الاخبار عن الائمة الاطهار عليهم السلام ان الامر بالسجود للملائكة انما كان لمكان نور النبي صلى الله عليه وآله واهل بيته فانه كان في صلب آدم فالسجود انما هو لتعظيم ذلك النور، ومن ثم كان النور اولاً في ظهر آدم وكانت الملائكة تأتيه من قفاه وتسجد لذلك النور، فقال آدم يا رب ما هذا النور الذي في ظهري وتعظمه الملائكة فقال هذا نور حججي على خلقي ولولاهم لم اخلقك يا آدم ولم اخلق سماء ولا ارضاً، فقال يا رب حوّل النور الى وجهي حتى تستقبلني الملائكة فكان ذلك النور في جبهة آدم فما زال ينتقل من صلب الطاهرين الى ارحام الطاهرات حتى وافى صلب عبد المطلب فافترق فرقتين فصار فرقة في جبين عبد الله والاخرى كانت في جبين ابي طالب فمن هناك كانت الاخوة بينهما عليهما افضل الصلوات وعلى آلهما اكمل التحيات هذا خلق آدم وكيفيته.

واما خلق حوا وكيفيته فقد روى عن زرارة بن اعين انه قال سأل ابو عبد الله عليه السلام عن خلق حوى وقيل له اناساً عندنا يقولون ان الله عز وجل خلق حوا من ضلع آدم الايسر الاقصى فقال سبحان الله وتالى عن ذلك علواً كبيراً عما يقولون من يقول هذا ان الله تبارك وتعالى لم يكن له القدرة ما يخلق لادم زوجة من غير ضلعه، ويجعل للمتكلم من اهل التشنيع سبيلاً الى الكلام ان يقول ان آدم كان ينكح بعضه بعضاً اذا كانت من ضلعه ما لهؤلاء حكم الله بيننا وبينهم، ثم قال ان الله تبارك وتعالى لما خلق آدم من الطين وامر الملائكة بالسجود له والقى عليه (عينيه خ ل) النوم ثم ابتدع له حوى فجعلها في موضع النقرة التي بين وركيه وذلك لكي تكون المرأة تبعاً (تابعة خ ل) للرجل فأقبلت تتحرك فانتبه لتحركها، فلما انتبه نوديت ان تنحي عنه فلما

نظر الى خلق حسن يشبه صورته غير انها انثى فكلمها فكلمته بلغته، فقال لها من أنت قالت له خلق خلقني الله كما ترى فقال آدم عليه السلام عند ذلك يا رب ما هذا الخلق الحسن الذي قد آنسني قربه والنظر اليه فقال الله تعالى يا آدم هذه امتي حوى أفتحب ان تكون معك تونسك وتحدثك وتكون تبعاً لامرك فقال نعم يا رب وذلك بذلك عليَّ الحمد والشكر ما بقيت، فقال له عز وجل فاخطبها اليَّ فانها امتي فقد تصلح لك ايضاً زوجة للشهوة والقى الله عليه الشهوة وقد علمه قبل ذلك المعرفة بكل شيء فقال يا رب فأني اخطبها اليك ما رضاك بذلك، فقال عز وجل رضاي ان تعلمها معالم ديني فقال ذلك لك يا رب عليَّ ان شئت ذلك لي فقال عز وجل وقد شئت ذلك وقد زوجتكها فضمها اليك، فقال لها آدم عليه السلام فاقبلي فقالت له بل انت فاقبل اليَّ فأمر الله عز وجل آدم ان يقوم اليها ولولا ذلك لكان النساء هنَ يذهبن الى الرجال حتى يخطبنَ على انفسهنَ فهذه قصة حوى صلوات الله عليها.

واما قوله عز وجل يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثَ منهما رجالاً كثيراً ونساء، فأنه روى انه عز وجل خلق من طينتها زوجها وبث منها رجالاً كثيراً ونساء قال الصدوق طاب ثراه والخبر الذي روي ان حوى خلقت من ضلع آدم الايسر صحيح معناه من الطينة التي خلقت من ضلعه الايسر فلذلك صارت اضلاع الرجل انقص من اضلاع النساء بضلع، اقول كأن الصدوق (ره) قصد وجهاً لجمع الاخبار الدال اكثرها على ان حوى لم تخلق من ضلع آدم الايسر الاقصى كما قاله جمهور مخالفينا من ان حوى خلقت من ضلع آدم بعد حيوته ومنه سميت حوى عندهم لانها خلقت من حيَ وبين الاخبار الدالة على انها خلقت من ضلعه وحاصل وجه الجمع انه سبحانه قد قرر لكل عضو من اعضاء آدم عليه السلام طينة منفردة وركبَ الطينات كما تركب العضاء والاجزاء في المركبات وتلك الطينة التي قررت وعزلت لضلع آدم الايسر لم تدخل في تركيب اعضاء آدم بل ابقيت لخلق حوى فخلقت منها حوى لا انها خلقت من آدم بعد الحيوة كما قاله الجمهور، حتى يتوجه علينا تشنيع اهل الاديان والمجوس بأن آدم كيف ينكح بعضه بعضاً، وحينئذ فوجه التسمية كونها اما للاحيا كما قيل، وعلى التقديرين صارت اضلاع الرجل ناقصة عن اضلاع المرأة بواحدة.

روى محمد بن قيس عن الباقر عليه السلام قال ان شريحاً القاضي بينما هو في مجلس القضا اذ أتته امرأة فقالت ايها القاضي اقضِ بيني وبين خصمي، قال لها من خصمك قالت انت قال افرجوا لها فافرجوا لها فدخلت، فقال لها وما ظلامتك فقالت ان لي ما للرجال وما للنساء قال شريح فان امير المؤمنين عليه السلام يقضي على المبال، قالت فاني ابول بهما جميعاً ويسكنان معاً، قال شريح والله ما سمعت بأعجب من هذا قالت ساورد عليك من امري ما هو اعجب من هذا قال وما هو

قالت جامعني زوجي فولدت منه وجامعت جاريتي فولدت مني فضرب شريح احدى يديه على الاخرى متعجباً ثم جاء الى امير المؤمنين عليه السلام فقال يا امير المؤمنين لقد ورد عليّ شيء ما سمعت بأعجب منه ثم قصَّ عليه قصة المرأة فسألها امير المؤمنين عليه السلام عن ذلك فقالت هو كما ذكر فقال عليه السلام لها ومن زوجك قالت فلان فبعث اليه فدعاه، قال أتعرف هذه قال نعم هي زوجتي فسأله عمار قالت قال هو كذلك فقال عليه السلام لأنت اجرأ من خاصي الاسد[1] حيث تقدم عليها بهذه الحال، ثم قال يا قنبر ادخلها بيتاً مع امرأة تعدّ اضلاعها، فقال زوجها يا امير المؤمنين لا امن عليها رجلاً ولا ائتمن عليها امرأة فقال علي عليه السلام عليّ بدينار الخصي، وكان من صالحي اهل الكوفة وكان يثق به فقال له يا دينار ادخلها بيتاً، وعرّها من ثيابها ومرها ان تشدّ ميزراً وعدّ اضلاعها، ففعل دينار ذلك وكان اضلاعها سبعة عشر، تسعة في اليمين وثمانية في اليسار فالبسها عليه السلام ثياب الرجال والقلنسوة والنعلين والقى عليه الرداء والحلقه بالرجال، فقال زوجها يا امير المؤمنين بنت عمي قد ولدت مني تلحقها بالرجال، فقال اني حكمت عليها بحكم الله ان الله تبارك وتعالى خلق حوى من ضلع آدم الايسر الاقصى، واضلاع الرجال تنقص واضلاع النساء تمام.

وبالجملة لما خلق حوى تولّى تزويجها من آدم، وفي الحديث ان الله تعالى لم يتولّ تزويج أحد من النساء سوى حوى من آدم وزينب بنت جحش من رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها، وفاطمة من علي بن ابي طالب عليه السلام كما تقدم فاسكنهما الجنة واخرج عنهما عزازيل وسمّاه الشيطان، فنونه ان كانت اصلية كان من الشطن أي البعد لانه بعد عن الخير الذي كان فيه أو من الحبل الطويل، كأنه طال في الشروان جعلتها زائدة كان من شاط يشيط اذا هلك، أو من استشاط غضباً اذا التهب في غضبه وسمّاه ايضاً ابليس من الابلاس وهو التحيّر والدهشة، لتحيّره في امره فأخرجه الملائكة من الجنة وبقى آدم وزوجته فأباح لهما كل الجنة الا شجرة واحدة، اما بالنوع او الشخص فقيل هي الحنطة وقيل التين وقيل العنب الى غير ذلك وقال الصادق عليه السلام كل هذا حقّ لان شجرة الجنة لثمارها الف طعم ففيها من كل نوع طعم وفي حديث آخر ان شجرة الجنة تحمل انواعاً كثيرة، فالتعدد يكون باعتبار الحمل لا باعتبار الطعم.

روى الصدوق في عيون الاخبار مسنداً الى الهروي قال قلت للرضا عليه السلام يا ابن رسول الله اخبرني عن الشجرة التي اكل منها آدم وحوى، ما كانت فقد اختلف الناس فيها فمنهم من يروي انها الحنطة ومنهم من يروي انها العنب ومنهم من يروي انها شجرة الحسد فقال كل ذلك حق فقلت فما معنى هذه الوجوه على اختلافها، فقال يا ابا الصلت ان شجرة الجنة تحمل انواعاً

---

(١) في اكثر نسخ الحديث: لانت اجرا من راكب الاسد.

وكانت شجرة الحنطة وفيها وليست كشجرة الدنيا وان آدم عليه السلام لما اكرمه الله تعالى ذكره باسجاد الملائكة له وبادخال الجنة قال في نفسه هل خلق الله بشراً افضل مني، فعلم الله عز وجل ما وقع في نفسه فناداه ارفع رأسك يا آدم فانظر الى ساق العرش، فرفع آدم رأسه فنظر الى ساق العرش فوجد عليه مكتوباً لا اله الا الله محمد رسول الله علي بن ابي طالب امير المؤمنين وزوجته فاطمة سيدة نساء العالمين والحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة من الخلق اجمعين، فقال آدم يا رب من هؤلاء فقال عز وجل هؤلاء من ذريتك وهم خير منك ومن جميع خلقي ولولاهم ما خلقتك ولا خلقت الجنة ولا النار ولا السماء والارض فأياك ان تنظر اليهم بعين الحسد وتمني منزلتهم فنظر اليهم بعين الحسد وتمنى منزلتهم فتسلط عليه الشيطان حتى أكل من الشجرة التي نهى عنها وتسلط على حوى لنظرها الى فاطمة بعين الحسد حتى اكلت من الشجرة كما أكل آدم فأخرجهما الله عز وجل من جنته واهبطهما من جواره الى الارض.

فان قلت ما وجه الحكمة في نهي آدم عليه السلام عن الشجرة قلت قد ورد في حديث معتبر ان هذه الشجرة شجرة غرسها الله تعالى بيد قدرته لما خلق الجنة، وجعلها لعلي بن ابي طالب عليه السلام وشيعته، بأن لا يأكل احد قبله منها كما هو المتعارف في بعض الاقطار من ان احداً اذا احدث بستاناً وغرس فيه الشجر يغرس شجرة واحدة من احسن الشجر ثمراً ويخصها باسم حبيب له، ويقول هذه لفلان لا يأكل احد منها الا هو وينهى المتردين الى ذلك البستان عن تناول شيء منها ومن ثم قال بعض الاصوليين ان آدم عليه السلام لم يصدر منه الخطأ وانما صدر منه الغلط فسماه الله تعالى خطاء اذ كان اللازم عليه الفحص والسؤال عن حال الاكل (الكل خ ل)وذلك انه تعالى قال لهما ولا تقربا هذه الشجرة، فظنا انه تعالى انما اراد الشجرة المشار اليها لا نوعها فأكلا من ذلك النوع ولكن غير الشجرة المشار اليها، ويبعد هذا قول الشيطان لهما ان الله لم ينهكما عن هذه الشجرة الا لان كل من اكل منها كان ملكاً خالداً في الجنة وهو لا يريد لكما الخلود فتوصل الشيطان الى ايقاعهما فيما نهيا عنه وذلك بسبب الحية كما في بعض الروايات.

وذلك ان الشيطان لما اخرج من الجنة لم يقدر على الدخول اليها فأتى الى جدار الجنة ورأى الحية على أعلى الجدار، فقال لها ادخليني الجنة واعلمك الاسم الاعظم فقالت له ان الملائكة تحرس الجنة فيرونك فقال لها ادخل في فمك واطبقي عليَ حتى ادخل ففعلت ومن ثم صار السم في انيابها وفمها لمكان جلوس الشيطان فيه، فلما ادخلته قالت له اين الاسم الاعظم فقال لو كنت اعلمه لما احتجت اليك في الدخول فأتى آدم فوسوس له وأقسم له بالنصيحة فلم يطعه وأتى الى حوى وقال لها هذه شجرة الخلد، واقسم لهما ولم يعهدا قبل ان احداً يقدر على ان يقسم بالله كاذباً، فأتت حوى الى آدم فصارت عوناً للشيطان عليه فقام آدم عليه السلام معها الى الاكل

من الشجرة فكانت اول قدم مشت الى الخطيئة فلما مدّا ايديهما اليها تطاير ما عليهما من الحلي والحلل وبقيا عريانيين فأخذا من ورق التين فوضعها على عورتيهما فتطاير الورق فوضع آدم احدى يديه على عورته والاخر على رأسه كما هو شأن العراة ومن ثم امر بالوضوء على هذه الهيئة.

روى الصدوق طاب ثراه انه جاء نفر من اليهود الى رسول الله ﷺ فسألوه عن مسائل فكان فيما سألوه اخبرنا يا محمد لاي علّة توضئ هذه الجوارح الاربع وهي انظف المواضع في الجسد قال النبي ﷺ لما ان وسوس الشيطان الى آدم عليه السلام دنى من الشجرة فنظر اليها فذهب ماء وجهه ثم قام ومشى اليها وهي اول قدم مشت الى الخطيئة ثم تناول بيده منها ما عليها فأكل فطار الحلي والحلل عن جسده فوضع آدم يده على أم رأسه وبكى فلما تاب الله عز وجل عليه فرض عليه وعلى ذريته تطهير هذه الجوارح الاربع فأمره الله عز وجل بغسل الوجه لما نظر الى الشجرة وامره بغسل اليدين الى المرفقين لما تناول بهما وامره بمسح الرأس لما وضع يده على ام رأسه وامره بمسح القدمين لما مشى بهما الى الخطيئة.

وهذه العلة لا تنافي ما روى عن الرضا عليه السلام من ان العلة في توضئ هذه الجوارح هو كونها الاعضاء الظاهرة التي يواجه بها الله سبحانه حال الصلوة ويلاقي بها الكرام الكاتبين لان علل الشرع معرفات لا مؤثرات فيجوز اجتماعها على المدلول الواحد ثم ان آدم عليه السلام وحوى انزلا من السموات على جبل في شرقي الهند يقال له ياسم، وفي رواية أخرى سرانديب وهو في الاقليم الاول مما يلي معدّل النهار، وقد كانت حوى ضفرت رأسها فقالت ما اصنع بهذه الضفرة وانا مغضوب عليَ ثم انها حلّت ضفرتها، وفي خبر آخر انها حلّت عقيصة واحدة فأطارت الريح ذلك الطيب في بلاد الهند فمن ثم كان اكثر الطيب منه ثم أتى جبرئيل عليه السلام فأخذ آدم الى مكة ليعلمه المناسك فطوى له الارض فصار موضع قدميه عمران وما بينهما خراب، فأهبط آدم على الصفا وبه سمي لهبوط صفي الله عليه، وحوى على المروة وبه سميت لنزول المرأة وهي حوى عليه، فبكى آدم على ما وقع منه وعلى فراق الجنة ثلثمائة سنة من ايام الدنيا، وفي ايام الاخرة يوم كألف سنة ما بين العصر الى العشا وبكى حتى صار على خدّيه كالنهرين فخرج من عينه اليمنى دموع مثل دجلة ومن عينه اليسرى مثل الفرات ثم ان آدم وحوى يوم الثامن من شهر ذي الحجة فلم يعرفها ذلك اليوم لشعث احوالهما ولطول حزنهما فتروّى وتفكر ذلك اليوم ثم أنه عرفها يوم التاسع فمن ثم سميَ اليوم الثامن يوم التروية والتاسع يوم عرفة، ولا ينافي هذا الوجه ما روى من ان الوجه فيه هو ان ابراهيم عليه السلام رأى في تلك الليلة التي رأى فيها ذبح الولد رؤياه فأصبح يروي

في نفسه هو حلم أم من الله تعالى فسمي يوم التروية فلما كان يوم عرفة رأى ذلك ايضاً فعرف أنه من الله فسمى يوم عرفة.

وعن الصادق عليه السلام قال معاوية بن عمار سألته لم سمي عرفات فقال ان جبرئيل خرج بابراهيم عليهما السلام يوم عرفة فلما زالت الشمس قال له جبرئيل عليه السلام يا ابراهيم اعترف بذنبك واعرف مناسكك فسميت عرفات لقول جبرئيل عليه السلام اعترف وفي رواية أخرى ان آدم عليه السلام لما كان في الجنة نظر يوماً الى ساق العرش وكان اليوم الثامن فرأى سطوراً من نور فيها اسم محمد وأهل بيته صلوات الله عليهم فتروى ليعرفهم فلما كان الغد وهو اليوم التاسع عرّفه الله مراتبهم وانه لولاهم لم يخلقه ولا غيره فسميَ يوم عرفة ولما لم تقبل توبته في تلك السنين والاعوام أتى اليه جبرئيل عليه السلام فقال يا آدم ادع الله بالاسماء التي رأيتها مكتوبة على ساق العرش بسطور النور، وقل اللهم بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والائمة ان تقبل توبتي، وهنَ الكلمات المرادة من قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه، كما هو في روايات العامة والخاصة، فأوحى الله اليه يا آدم لو لم تدعني بهذه الاسماء لما قبلت توبتك وأقسمت انه لم يدعني مذنب بها الا قبلت توبته، ووجه عدم المنافات ظاهرة مما عرفت من ان علل الشرع معرّفات.

وقيل سمي عرفة لارتفاعه على الارض مأخوذ من عرف الديك ويوم التروية لقولهم ترويتم ترويتم من الماء لان عرفات لم يكن بها ماء في تلك الاوقات ثم ان آدم عليه السلام لما نزل من الجنة ظهرت به شامة سوداء في وجهه من قرنه الى قدمه فطال حزنه وبكاؤه على ما ظهر به فأتى اليه جبرئيل عليه السلام فقال ما يبكيك يا آدم فقال من هذه الشامة التي ظهرت بي قال يا آدم قم فصلّ فهذا وقت الصلوة الاولى أي الظهر فصلاها فانحطت الشامة الى عنقه وجاء في وقت صلاة العصر فأمره فصلاها فانحطت الى سرته، وفي وقت الثالثة امره بها فانحطت الشامة الى ركبته وفي الرابعة صلاها فانحطت الى قدميه فصلّى الخامسة فخرج منها فحمد الله وأثنى عليه فقال جبرئيل عليه السلام يا آدم مثل ولدك في هذه الصلوات كمثلك في هذه الشامة من صلّى من ولدك في كل يوم وليلة خمس صلوات خرج من ذنوبه كما خرجت من هذه الشامة، ولما تاب في وقت المغرب امر بصلوة ثلاث ركعات لخطيئته وركعة لخطيئة حوى وركعة لتوبته ومن ثم فرضت صلاة المغرب كفّارة للذنوب وباعثا لقبول التوبة.

واما صلاة العصر فقد عرفت ان ذلك الوقت وقت معصية ابينا آدم فتكون صلوة ذلك الوقت كفّارة ايضاً لذنوبنا وذنب ابينا آدم عليه السلام ثم ان الله سبحانه لما قبل توبته اتاه جبرئيل بخيمة من خيام الجنة فوضعها له بمكة في موضع الكعبة، وتلك الخيمة من ياقوتة حمراء لها بابان شرقي وغربي من ذهب منصوبات معلّق فيها ثلاث قناديل من تبر الجنة تلتهب نوراً ونزل الركن وهو

ياقوتة بيضاء من ياقوت الجنة وكان كرسياً لآدم عليه السلام يجلس عليه وان خيمة آدم لم تزل في مكانها حتى قبضه الله تعالى ثم رفعه اليه وبنى بنو آدم في موضعها بيتاً من الطين والحجارة ولم يزل معموراً وأعتق من الغرق ولم يخر به (يجربه خ) حتى ان بعث الله تعالى ابراهيم عليه السلام، كذا في بعض الروايات اقول ولعل هذا هو البيت المعمور الذي رفعه الله سبحانه الى السماء الرابعة ثم بنى الكعبة موضعه .

وفي الروايات الخاصة ان الله سبحانه ارسل سحابة سوداء فظللت موضع البيت فأمر آدم ان يخط موضعها في الارض وهو الكعبة وكذلك مسجد منى، واما قبل آدم فقد حجّه الملائكة بألفي عام، واما الحرم ومقداره فقد روى عن المفضل انه سأل ابا عبد الله عليه السلام عن التحريف لاصحابنا ذات اليسار عن القبلة وعن السبب فيه، فقال ان الحجر الاسود لمّا انزل به من الجنة ووضع في موضعه جعلوا نصاب الحرم[1] من حيث يلحقه النور نور الحجر فهي عن يمين الكعبة اربعة اميال، وعن يساره ثمانية اميال كله اثنى عشر ميلاً فاذا انحرف الانسان ذات اليمين خرج عن حدَ القبلة لقلَة انصاب الحرم واذا انحرف ذات اليسار لم يكن خارجاً عن حدّ القبلة، وسيأتي تحقيق الحجر في بعض الانوار السماوية ان شاء الله تعالى.

واما طول آدم عليه السلام لما نزل من الجنة فروى مسنداً الى مقاتل بن سليمان قال قلت لابي عبد الله عليه السلام كم طول ابينا آدم صلوات الله عليه حين أهبط الى الارض وكم كان طول حوى عليها السلام فقال وجدنا في كتاب علي عليه السلام ان الله تعالى لما اهبط آدم صلوات الله عليه وزوجته عليهما السلام الى الارض كان رجلاه على ثنية الصفا ورأسه دون افق السماء وانه شكى الى الله تعالى مما يصيبه من حر الشمس فصيَر طوله سبعين ذراعاً بذارعه وجعل طول حوى خمسة وثلاثين ذراعاً بذراعها والثنية على ما في النهاية العقبة أو الطريق العالي، وقيل اعلى المسيل في رأسه وقوله دون افق السماء أي قريباً منه ودونه والافاق النواحي.

واعلم ان المحققين من اصحابنا المتأخرين قد اوردوا الاشكال على هذا الحديث من وجهين، ومن هذاعدَ عندهم من مشكلات الاخبار وحاصل الاشكال الاول هو انه قد تقرر في علم الهيئة والفلك ان حرارة الشمس انما هو بسبب الانعكاس من الاجرام الارضية وقد ذكروا ان الانعكاس يبلغ في الهوى الى مقدار اربعة فراسخ، وكلما ارتفعت الاجرام من الارض ازدادت برودة كما هو المشاهد في الجبال الشاهقة فكيف يصير قصر القامة سبباً في رفع التأذي من جهة

---

(١) النصب بضمتين حجر كانوا ينصبونه في الجاهلية ويتخذونه صنما ويعبدونه والجمع انصاب وقيل هو حجر كانوا ينصبونه ويذبحونه عليه فيحمر بالدم انظر مجمع البحرين مادة (نصب).

الحر بل يكون الامر بالعكس واما الاشكال الثاني فهو ان كون آدم عليه السلام سبعين ذراعاً بذراعه يستلزم عدم استواء الخلقة منه كما هو المشاهد في اولاده لان تناسب الاعضاء شرط في استوائها.

والجواب عن الاشكال الاول من وجهين احدهما انه يجوز ان سلّمنا القاعدة الرياضية ان يكون للشمس حرارة بالانعكاس وأخرى بالذات فوق الطبقة الزمهريرية ويكون طول قامة آدم عليه السلام متجاوزاً تلك الطبقة كما رواه الصدوق (ره) بسند صحيح عن الصادق عليه السلام قال لما بكى آدم صلوات الله عليه على الجنة وكان رأسه في باب من ابواب السماء وكان يتأذى بالشمس فحطّ من قامته، ويؤيده ما روى من ان عوج بن عنق كان يضرب يده فيأخذ الحوت من اسفل البحر ثم يرفعه الى الشمس فيشويه في حر الشمس فيأكله وكان عمره ثلاثة آلاف وستة مأة سنة، وروى انه لما اراد نوح ان يركب السفينة جاء اليه عوج فقال له احملني معك، فقال نوح اني لم اومر بذلك فبلغ الماء اليه وما جاوز ركبتيه وبقى الى ايام موسى عليه السلام فقتله موسى ويؤكد ما نحن فيه ما روى ان الشمس يوم القيامة تنزل حتى تسامت رؤس الخلائق فيكون حرارة القيامة منها، ويحتاج الخلائق الى الظ، ويكون الحرارة م قرصها كما هو الظاهر من تلك الاخبار الوجه الثاني ان تأذيه يجوز ان يكون السبب فيه انه مع ما كان عليه من الطول ما كان يمكنه ان يستظل ببناء ولا جبل ولا غير ذلك فلما قصر امكنه الاستظلال بالاظلة وهو ظاهر.

واما الجواب عن الاشكال الثاني فمن وجوه: الاول وهو الاولى ان استواء الخلقة وعدمه ليس منحصراً فيما هو معهود في هذه الاعصار بل استواء الخلقة في كل عصر بما يليق بذلك العصر وآدم عليه السلام لم يكن في مثل هذه الاعصار حتى نحل تقصيره باستواء خلقته بل لو كنا نحن في عصره على هذه الخلقة لظهر عدم استواء خلقتنا نحن وكذلك فيما بعده من الاعصار التي كانت الخلائق فيها اطول واجسم وأقوى، كما روى ان موسى عليه السلام أرسل الى العمالقة اثنى عشر نقيباً للفحص عن حالهم فظفر بهم واحد من العمالقة وادخل الاثنى عشر في ناحية من ردن[1] ثوبه وأتى به الى ملكهم فلم يقتلهم بل ارسلهم الى موسى عليه السلام فأمر لهم بزاد للطريق وهو رمانة واحدة نصفها خال من الحب والاخر فيه حب وذاك الخالي كالغطا فوق النصف الاخر فكان الاثنى عشر رجلاً ينامون الليل في النصف الخالي وفي النهار يجعلونه فوق النصف الذي يأكلون من حبّه وتحمله البقر معهم وكذا يدلّ على هذا المعنى ما استفاض في الاخبار من صفات حور العين من ان لبعضهن سبعين الف ذوابة كل ذوابة تحملها سبعون الف خادمة، وكذا في جانب عظم البدن والاعظاء مع ان اهل الجنة على اكمل الاوصاف في كل باب.

---

(١) الردن اصل الكم وطرفه الواسع وكانت العرب تضع فيه الدراهم والدنانير ومنه ثقل ردنه أي كثر ماله جمع ارادن.

الوجه الثاني ان الباء في قوله بذارعها وبذراعه باء المصاحبة ومعناه انه كما قصر طوله قصر ذراعه ايضاً وخصّ الذراع لان الاعضاء داخله في تقصير البدن بخلاف الذراع وحينئذ فالمراد بالذراع في قوله سبعين ذراعاً إما ذراع من كان في عصر آدم أو ذراع من كان في زمان من صدر عنه الخبر الثالث ان في الكلام استخداماً بأن يكون المراد بآدم حين ارجاع الضمير اليه آدم ذلك الزمان من اولاده عليه السلام وقد نقل هذا عن شيخنا البهائي طاب ثراه وقد قيل وجوه أخرى كثيرة لكنها تشتمل على انواع من البعد والتعسف وقد حررناها في كتاب نوادر الاخبار.

فان قلت مذهبكم ايها الامامية هو عدم جواز الذنب على الانبياء صغائرها وكبائرها قبل البعثة وبعدها فكيف صدر من آدم عليه السلام مخالفة الامر وكيف نعت عليه هذه الزلّة (الذلة خ ل) في آيات من القرآن قلنا قد صنّف اصحابنا رضوان الله عليهم في هذا الباب كتباً كثيرة ومن جملتهم سيدنا المرتضى في كتاب تنزيه الانبياء ولكن كشف الغطاء عن مثل هذه الغوامض لا يقع بمحلّ من القبول الا اذا صدر عن الائمة عليهم السلام وقد روى هذا الكشف عن الرضا عليه السلام رواه الصدوق (ره) باسناده الى الهروي قال لما جمع المأمون لعلي بن موسى الرضا عليه السلام أهل المقالات من اهل الاسلام والديانات من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين وسائر اهل المقالات فلم يقدم احد الا وقد الزمه حجته كأنه قد القم حجراً فقام اليه علي بن الجهم فقال له يا ابن رسول الله أتقول بعضمة الانبياء قال بلى قال فما تقول في قوله عز وجل وعصى آدم ربه فغوى وقوله عز وجل وذا النون اذ ذهب مغاضباً فظن ان لن نقدر عليه وقوله في يوسف ولقد همّت له وهمّ بها لولا ان رأى برهان ربه وقوله عز وجل في داود وظن داود انما فتناه، وقوله في نبيه صلى الله عليه وآله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه، فقال مولانا الرضا عليه السلام ويحك يا علي اتقّ الله ولا تنسب الى انبياء الله الفواحش ولا تتأول كتاب الله برأيك فان الله عز وجل يقول وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم.

واما قوله عز وجل في آدم وعصى آدم ربه فغوى، فأن الله عز وجل خلق آدم حجة في ارضه وخليفة في بلاده لم يخلقه للجنة وكانت المعصية من آدم في الجنة لا في الارض لتتم مقادير الله عز وجل فلما اهبط الى الارض وجعل حجة وخليفة عصم بقوله عز وجل ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين، واما قوله عز وجل وذا النون اذ ذهب مغاضباً فظن ان لن نقدر عليه، انما ظن ان الله عز وجل لا يضيق عليه رزقه الا تسمع قول الله عز وجل واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه أي ضيّق عليه ولو ظن ان الله تبارك وتعالى لا يقدر عليه لكان قد كفر، واما قوله عز وجل في يوسف ولقد همّت به وهم بها، فأنها همّت بالمعصية وهمّ يوسف

بقتلها ان جبرته لعظم ما داخله فصرف الله عنه قتلها والفاحشة وهو قول الله عز وجل كذلك لنصرف عنه السوء يعني القتل والفحشاء يعني الزنا.

واما داود فما يقول من قبلكم فيه فقال علي بن الجهم يقولون ان داود كان في محرابه يصلي اذ تصوّر له ابليس على صورة طير احسن ما يكون من الطيور فقطع صلوته فقام ليأخذ الطير فخرج الطير الى الدار فخرج في اثره فطار الطير الى السطح فصعد في طلبه فسقط الطير في دار اوريا بن حنان فطلع داود في اثر الطير فاذا امرأة اوريا تغتسل فلما نظر اليها هواها وكان اوريا قد اخرجه داود في بعض غزواته فكتب الى صاحبه ان قدّم اوريا امام الحرب فقدّم فظفر اوريا بالمشركين فصعب ذلك على داود، فكتب الثانية ان قدّمه امام التابوت فقدمه فقتل اوريا وتزوج داود بامرأته قال فضرب الرضا عليه السلام بيده جبهته وقال انا لله وانا اليه راجعون لقد نسبتم نبياً من انبياء الله تعالى الى التهاون بصلوته حتى خرج في اثر الطير ثم بالفاحشة ثم بالقتل فقال يا ابن رسول الله ما كانت خطيئته فقال ويحك ان داود انما ظن ان ما خلق الله عز وجل خلقاً هو اعظم منه فبعث الله عز وجل اليه ملكين فتسوّرا المحراب فقالا خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط، ان هذا اخي له تسع وتسعين نعجة ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب، فعجّل داود عليه السلام بالمدعى عليه فقال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه ولم يسأل المدعي البينة على ذلك ولم يقبل على المدعي عليه فيقول ما تقول فهذا خطيئة حكمه لا ما ذهبتم اما تسمع قول الله عز وجل يقول يا داود انا جعلناك خليفة في الارض الاية. فقلت يا ابن رسول الله فما قصته مع اوريا فقال الرضا عليه السلام ان المرأة في ايام داود كانت اذا مات بعلها او قتل لا تتزوج بعده ابداً واول من اباح الله عز وجل له ان يتزوج بامرأة قتل بعلها داود فذلك الذي شقّ على اوريا.

واما محمد نبيه صلى الله عليه وآله وقوله عز وجل وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه فان الله عز وجل اعلم نبيه صلى الله عليه وآله اسماء ازواجه في دار الدنيا واسماء ازواجه في الاخرة وانهن امهات المؤمنين واحدى من سمّى له زينب بنت جحش وهي يومئذ تحت زيد بن حارثة فأخفى صلى الله عليه وآله اسمها في نفسه ولم يبدها لهم كي لا يقول احد من المنافقين انه قال في امرأة في بيت رجل انها احدى ازواجه من امهات المؤمنين، وخشى قول المنافقين فقال الله عز وجل والله احق ان تخشاه في نفسك، قال فبكى علي بن الجهم وقال يا ابن رسول الله انا تائب الى عز وجل ان انطق في انبياء الله بعد يومي هذا الا بما ذكرته.

اقول لعلك تقول أنه قد ورد في احاديث الشيعة ما تقوله المخالفون في الانبياء عليهم السلام من وقوع المعاصي ومثل هذه الامور التي نفاها الرضا عليه السلام في هذا الحديث والجواب ان كل

ما ورد من ذلك فسبيله الحمل على التقية وقد روى علي بن الجهم حديثاً طويلاً عن الرضا عليه السلام ايضاً وفيه نوع مغايرة لهذه الاجوبة وزيادات في السؤال والجواب، منها قول المأمون فأخبرني عن قول الله تعالى ولقد همت به وهمّ بها لولا ان رأى برهان ربه، فقال الرضا عليه السلام لقد همت به ولولا ان رأى برهان ربه لهمّ بها كما همت به لكنه كان معصوماً والمعصوم لا يهمّ بذنب ولا يأتيه، فقال المأمون لله درك يا ابا الحسن فأخبرني عن قول الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال الرضا عليه السلام لم يكن أحد عند مشكري مكة اعظم ذنباً من رسول الله صلى الله عليه وآله لانهم كانوا يعبدون من دون الله ثلثمائة وستين صنماً، فلما جائهم صلى الله عليه وآله بالدعوة الى كلمة الاخلاص كبر ذلك عليهم وعظم، وقالوا أجعل الالهة إلهاً واحداً ان هذا لشيء عجاب فلما فتح الله على نبيه صلى الله عليه وآله مكةَ قال يا محمد إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر عند مشركي اهل مكة بدعائك الى توحيد الله فيما تقدم وما تأخر، فقال المأمون لقد شفيت صدري يا ابن رسول الله واوضحت لي ما كان ملتبساً فجزاك الله عن انبيائه وعن الاسلام خيراً.

وحاصل جوابه عليه السلام هيهنا عن حكاية يوسف جواب الشرط محذوف، والتقدير لولا ان رأى برهان ربه لهمَ بها كما همَت به لكنه رأى البرهان فلم يهمَ بها والبرهان هو الالطاف الالهية والتوفيقات السبحانية، ويجوز ان يكون كلامه عليه السلام اشارة الى ان الجواب مقدّم على الجزاء كما ذهب اليه بعضهم لكن المحققون على عدم جوازه فمن ثمّ كان الاول هو الاولى، وحاصل الجواب عن مقدمة كون فتح مكة سبباً لغفران الذنب ما ذكره اصحاب السير انّ المشركين كانوا يقولون ان مكن الله محمداً من بيته وحكمّه في حرمه تبيّنا انه نبي حق، فلما يسّر له فتح مكة دخلوا في دين الله افواجا واذعنوا بنبوته كما نطق به الكتاب العزيز، وزال انكارهم عليه في الدعوة الى ترك عبادة الاصنام، وصار ذنبه مغفوراً كما قررّه الامام عليه السلام وقد اجاب المفسرون عن هذه الشبهات بأجوبة لا يخلو بعضها من تكلّف لكن الجواب الاصح هو ما صدر عن ارباب العصمة عليهم السلام وقد يظهر من تعمق النظر في الاخبار وتتبع كتب خواص الائمة الاطهار عليهم السلام جواب عن هذه الشبهات كلها، ولكن فيه نوع دقة.

وحاصله ان الله سبحانه قد اسمع الشيطان اولاً ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكذا اعترف الشيطان ايضاً بتصديق هذا المعنى، حيث قال لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين وآدم ومن تلاه من الانبياء عباد مخلصون مطهَرون منزَهون فالشيطان ليس له عليهم تسلط، ولكن الله سبحانه يحب تضرع العباد اليه وبكائهم من خشيته، وهذه المحبة تتفاوت بتفاوت مراتب العباد واكملهم الانبياء عليهم السلام، وكلّ امر يحتاج الى سبب وداع حتى يكمل ذلك السبب فهو سبحانه قد يترك احدهم مع نفسه البشرية لحظة واحدة فيحصل معه بمقتضى الطبيعة البشرية فعل

الى الله سبحانه لاشتغالك بالملك فاشتق لك اسم من السلامة من التودد والمداواة وارجوا ان تلحق بأبيك في التوبة والفراغ لعبادة الله سبحانه.

كما روى ان سليمان عليه السلام رأى عصفوراً يقول لعصفورته لم تمنعيني نفسك ولو شئت أخذت قبَة سليمان بمنقاري فألقيتها في البحر، فتبسَم سليمان من كلامه ثم دعا بها فقال للعصفور أتطيق أن تفعل ذلك فقال لا يا رسول الله ولكن المرء قد يزيّن نفسه ويعظمها عند زوجته، والمحبَ لا يلام على ما يقول، فقال سليمان للعصفورة لم تمنعينه من نفسك وهو يحبّك فقال يا نبي الله انه ليس محباً ولكنه محب مدّع لانه يحب معي غيري فأثر كلام العصفور في قلب سليمان وبكى بكاء شديداً واحتجب عن الناس اربعين يوماً يدعو الله ان يفرغ قلبه بمحبته وان لا يخالطها بحبة غيره .

وروى ايضاً انه عليه السلام مرّ يوماً بعصفور يقول لزوجته ادني مني حتى اجامعك لعل الله يرزقنا ولداً يذكر الله تعالى فإنّا قد كبرنا فتعجب سليمان عليه السلام وقال هذه النيّة خير من مملكتي، ويجوز ان يكون معناه على هذا التقدير ان الحرف الزايد في اسمك للدلالة على الجرح الزائد في قلبك، فان الذنب في القلب كالاصبع الزايدة فهذه الزيادة اللفظية دالة على تلك الزيادة المعنوية.

التوجيه الثاني ان يكون المعنى على ذلك الى قوله وانت سليمان وحاصله ان داود صدرت منه زلَة داواها بالتودد والتوبة فاشتق له منها اسم وانت سليمان أي سليم انت من ذلك الذنب فلهذا سميت به اشتقاقاً من السلامة وان زيادة ذلك الحرف يدلّ على زيادة معنى فيك وهو السلامة من الذنب فقولها وارجوا ان تلحق بابيك أي في الجلالة وعظم الشأن فانه بالتوبة عرج معارج السابقين وسليمان عليه السلام بسبب الاشتغال بالملك قد قصر عنه.

والحاصل ان صدور مثل هذا من الانبياء عليهم السلام انما هو لنيل الكرامات الحاصلة بسبب التوبة فانه قد روى ان من علامات المؤمن انه مفتن تواب وروى انه لو لم يصدر منكم الذنب فالتوبة لاماتكم الله وخلق بدلكم اقواماً يذنبون ثم يتوبون وفي الحديث ان الله افرح بتوبة المؤمن من رجل كان في مفازة مع رفقة في ليل اظلم، فلما اقاموا للركوب ضلَ بعيره في ذلك الليل فطلبه فلم يجده وارتحل عنه رفقاؤه، وبقى في تلك المفازة وحده في ذلك الليل والمفازة ليس فيها زاد ولا ماء فلما ايس من البعير اتى الى محله وجلس واضعاً رأسه بين ركبتيه منتظراً للسبع او الموت، فما لبث الا وقد اتى اليه رجل بذلك البعير فقال له اركب حتى ابلغك الى رفقائك فيدخله ذلك الوقت من السرور ما لا يحصى فالله سبحانه افرح بتوبة المؤمن من ذلك الرجل، وفي عرف العوام ليس صحبة الا من بعد عتبه وهذا جار في التجارب كما لا يخفى على المتتبع اذا عرفت هذا.

فأعلم انه قد بقى الكلام في ادعية الائمة عليهم السلام واطوارهم واعترافهم بالذنوب وكثرة بكائهم عليها خصوصاً سيد الساجدين عليه السلام فان صحيفته الشريفة قد تضمنت استقالته من الذنوب وحزنه عليها ونحن قد تقرر باجماعنا ان الائمة عليهم السلام منزهون عن انواع الذنوب فكيف صدر منهم هذه المقالات مع انه لم ينقل احد من المخالفين مع تكثرهم في كل الاعصار وتفحصهم على طعن عليهم بوجه من الوجوه يتعلقون به في التشنيع على مذهبنا وعلى الائمة عليهم الطاهرين الاسلام فلم يظفروا به فلم تنع عليهم زلة ولا ذكر فيهم من المساوئ شيء، وحينئذ فما وجه هذه الاعترافات منهم.

فنقول قد ذكرنا في شرحنا على الصحيفة وجوها كثيرة بعضها من محققي اصحابنا وبعضها من سوانح البال فلنذكر هنا بعضاً منها، الاول ما قاله بعض اهل العرفان من انّ مثل هذا انما هو تعليم منهم للامة كيف يتضرعون ويبكون على ذنوبهم وكيف يعترفون فان الانبياء عليهم السلام قبلهم كان مناط تبليغهم الرسالة على التنزل الى مكالمات البشر بمقتضى عقولهم، حتى انه صلى الله عليه وآله قال للحسين عليه السلام وهو طفل كخ كخ يا حسين لَمّا أخذ تمر من تمر الصدقة، ولا يخفى من هذا لمن تتبع اطوارهم عليهم السلام فان مدلول كلامهم في مناجاتهم انما هو صدره عن نار حزن كامنة في القلوب، وخوف قد احاط بمجامع اعضائهم مع امكان تعليم الامة مثل هذه التضرعات بالقول دون الفعل، وهذا الوجه هو الذي اختاره الغزالي في كتاب الاحياء بالنسبة الى ما صدر عن الانبياء عليهم السلام من الاعتراف بالذنب وكثرة البكاء والتضرع، وقد عرفت ما يرد عليه.

الوجه الثاني انهم عليهم السلام لما كانوا في هذه النشأة والانسان لا يخلو فيها اما من فعل مكروه أو ترك مستحب، وذلك كالصلوة في الثياب السود وكالنوم على جانب اليسار ونحو ذلك، فهم عليهم السلام قد عدّوا هذه ذنوباً وانقطعوا الى الله سبحانه من تبعاتها، والظاهر ان هذا ايضاً غير تامّ لانهم عليهم السلام اهل الشرع الانور، وقد كانوا يرتكبون مثل هذه الامور تعليماً للامة بجواز تلك الافعال، حيث انه قد ورد النهي عن فعل ذلك المكروه بذلك الفعل المستحب فربما ادّى فعل ذلك المكروه الى الوجوب عليهم كما لا يخفى.

الثالث ما ذهب اليه شيخنا المعاصر[1] ايده الله تعالى منان صدور هذا وامثاله منهم عليهم السلام ليس هو من باب الاخبار عن فعل سابق بل هو من قبيل التواضع الانشائي كقول علي بن الحسين عليهما السلام انا مثل الذرة او دونها، وكا يقال في العرف عند التواضع انا مقصر في خدمتك يا فلان وانا عبدك، وهذا الوجه له وجه في الجملة، وربما كان في الاخبار دلالة عليه.

---

(١) هو العلامة المجلسي المولى محمد باقر الاصفهاني الشهير صاحب بحار الانوار.

الرابع وهو الذي قاله صاحب كشف الغمة وتلقته الاصحاب بالقبول وحاصله انهم عليهم السلام اوقاتهم مستغرقة بذكره تعالى وخواطرهم متعلقة بالملك الاعلى وهم ابداً في المراقبة كما قال عليه السلام اعبد الله كأنك تراه فان لم تره (فان لم تكن ترا خ ل) فأنه يراك، فهم ابداً متوجهون اليه منقلبون بكليتهم عليه، فمتى انحطوا عن تلك المرتبة العالية والمنزلة الرفيعة الى الاشتغال بالمأكل والمشرب والتفرغ للنكاح وغيره من المباحات عدّوه ذنباً واستغفروا منه، الا ترى ان بعض عبيد ابناء الدنيا لو قعد يأكل ويشرب وينكح وهو يعلم انه بمرئ من سيده ومسمع لكان ملوماً عند الناس ومقصراً فيما يجب عليه من خدمة سيده ومالكهن فما ظنك بسيد السادات ومالك الاملاك والى هذا اشار صلى الله عليه وآله بقوله انه ليران على قلبي واني لاستغفر الله بالنهار سبعين مرة، وقوله حسنات الابرار سيئات المقربين فان قلوبهم عليهم السلام اتمّ القلوب صفاءاً واكثرها ضياءً واعرفها عرفانا وكانوا مع ذلك قد عيّنوا لترشيع الملّة فلم يكن لهم بدّ من النزول الى الرخص والالتفات الى حظوظ النفس مع ما كانوا ممتحنين به من الاحكام البشرية فكانوا اذا تعاطوا شيئاً من ذلك اسرعت كدورة ما الى قلوبهم لكمال رقّتها وفرط نورانيتها فان الشيء كلما كان ارق واصفى كان كدورات المكدرات عليه أبين وأهدى وكانوا عليهم السلام اذا أحسوا بشيء من ذلك عدّوه على النفس ذنباً واستغفروا منه وهذا الوجه جيّد.

الخامس ان مراتبهم عليهم السلام بالنسبة الى المعارف اليقينية والحقائق الالهية كانت تزداد يوماً بعد يوم، مثل جدهم صلى الله عليه وآله فانه سبحانه قد جمع له جميع الكمالات البشرية عند آخر عمره الشريف، وفي مدّة عمره كانت المعرفة والوحي يتجدد عليه فاذا ترقّوا من درجة الى درجة أعلى منها عدّوا تلك السابقة ذنباً الى هذه اللاحقة، وهذا سرّ لطيف يدرك بالتأمل.

السادس ان العبد الممكن المتلوث بشوائب العجز والتقصير قابل للتلبّس بجميع المعاصي لولا الالطاف الالهية وحينئذ فالاعتراف بالذنب انما بالنسبة الى المادة البشرية لا بالنظر الى العصمة الالهية فانها من غيرهم فهم على حدّ الذنب (المذنب خ ل) ولكن المانع من الغير وقد اشير الى هذا في قول الصديق عليه السلام ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي وما حكاه سبحانه (من خ) في شأن حبيبه صلى الله عليه وآله ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً، وقوله صلى الله عليه وآله اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين، فقالت له بعض زوجاته لو وكلّلك الى نفسك ما كنت تفعل يا رسول الله، قال كنت فاعلاً ما فعله اخي يونس بن متى.

وروى شيخنا الكليني طاب ثراه باسناده الى الباقر عليه السلام قال ان الله عز وجل اوحى الى داود عليه السلام ان آت عبدي دانيال، فقل له انك عصيتني فغفرت لك وعصيتني فغفرت لك وعصيتني فغفرت لك فان عصيتني الرابعة لم اغفر لك، فأتاه داود عليه السلام فقال يا دنيال انني رسول الله اليك،

وهو يقول انك عصيتني فغفرت لك وعصيتني فغفرت لك وعصيتني فغفرت لك فان عصيتني الرابعة لم اغفر لك، فقال له دانيال قد بلّغت يا نبي الله فلما كان في السحر قام دانيال فناجى ربه، فقال يا رب ان داود نبيك اخبرني عنك انني قد عصيتك فغفرت لي وعصيتك فغفرت لي وعصيتك فغفرت لي، واخبرني عنك اني ان عصيتك الرابعة لم تغفر لي فوعزتك وجلالك لئن لم تعصمني لاعصينك ثم لاعصينك ثم لاعصينك قالها خمساً، فهذا اعتراف من دانيال النبي عليه السلام بان المنع عن المعاصي انما هو من جهة الالطاف الالهية والعصمة الربانية، وقد كان بعض مشائخي ادام الله ايامه يعدَ هذا الوجه من الالهامات الربانية.

الوجه السابع وهو من الوجوه التي خطرت بالبال ان نعم الله سبحانه على العبد كلما كانت اكمل كان تكليفه اشد وهذا ظاهر ولا شك انه سبحانه قد اعطاهم من النعم ما لا يحدّ بحدَ، ومن ذلك انه اوجب طاعتهم على سائر مخلوقاته، وخلق لاجلهم الجنان والنيران كما قال عليه السلام لو اجتمع الناس على حب علي بن ابي طالب لما خلق الله النار فهم عليهم السلام يريدون ان يشكروا الله سبحانه الشكر اللائق به الموازي لانعامه عليهم فلا يقدرون عليه فيعدّون عدم القدرة ذنباً، كما روى ان النبي صلى الله عليه وآله بكى ذات ليلة بكاءاً كثيراً، فقالت زوجته ما يبكيك يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال صلى الله عليه وآله أفلا أكون عبداً شكورا، ولم لا افعل وقد انزل الله عليَ ان في خلق السموات الاية، ونظيره ما روى انه مرَ بعض الانبياء عليهم السلام بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب فانطقه الله تعالى فقال منذ سمعت قوله تعالى وقودها الناس والحجارة انا ابكي من خوفه فسأله ان يجيره من النار فأجاره، ثم رآه بعد مدة مثل ذلك، فقال لم تبكي الان فقال ان ذاك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور.

الثامن انهم عليهم السلام ملوك الامة وساسة العباد والذنب الذي يصدر من الرعية ينسب الى كبيرهم والعامل عليهم فهم عليهم السلام قد عدّوا ذنوبنا ذنباً لهم كما روى في تفسير قوله تعالى ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ان المراد ذنب امتك وبقيت وجوه اخرى حررناها في الشرح المذكور من ارادها فليطلبها من هناك، وهذا كلام وقع في البين فلنرجع الى ما نحن فيه من مقدمات ابينا آدم عليه السلام .

وهو انه علمه جبرئيل عليه السلام مناسك الحج وطاف طواف النساء هو وزوجته قال له جبرئيل عليه السلام قد حلّت لك زوجتك يا آدم فضُمها اليك فضَمها اليه واما كيفية ابتداء النسل فرواه الصدوق (ره) باسناده الى زرارة قال سأل ابو عبد الله عليه السلام عن بدأ النسل من آدم صلوات الله عليه كيف كان وعن بدأ النسل من ذرية آدم فان اناساً عندنا يقولون ان الله تعالى اوحى الى آدم ان يزوج بناته من بنيه وان هذا الخلق كله اصله من الاخوة والاخوات، فمنع ابو عبد الله عليه السلام من ذلك

مكروه وترك مستحب حتى يكون منشاءاً لتحصيل الدرجات العليّة والتوفيقات الالهية كما جرى لادم عليه السلام حيث بكى على خطيئته ثلثمائة سنة فاصطفاه الله بسبب هذا وجعله صفيه، وكذا داود عليه السلام فقد ورد في الرواية ان داود عليه السلام بكى اربعين يوماً ساجداً لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموعه حتى غطى رأسه، فنودي يا داود أجائع أنت فتطعم أم ظمأن فتسقى، أم عريان فتكسى، فنحب نحبة هاج العود فاحترق من خوفه ثم انزل الله التوبة والمغفرة، فقال يا رب أجعل خطيئتي في كفي فصارت خطيئته في يده مكتوبة وكان لا يسط كفّه لطعام ولا شراب ولا لغيرهما الا رأها فأبكته قال وكان يؤتى بالقدح ثلثاه ماء فاذا تناوله ابصر خطيئته فما يضعه على شفته حتى يفيض من دموعه.

وروى انه ما رفع رأسه الى السماء حتى مات حياءاً من الله تعالى، وكان يقول في مناجاته اذا ذكرت خطيئتي ضاقت عليَ الارض برحبها واذا تذكرت رحمتك ارتدت اليَ روحي سبحانك الهي اتيت اطباء عبادك ليداووا خطيئتي فكلهم يدلوني عليك فبؤساً للقانطين من رحمتك وكان اذا اراد ان ينوح مكث قبل ذلك سبعاً لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب، ولا يقرب النساء فاذا كان قبل ذلك بيوم أخرج له منبر الى البر فيأمر سليمان عليه السلام ان ينادي بصوت فيستقري البلاد ومن حولها من الغياض والاكام والجبال والبراري والصوامع والبيع فينادي فيها الا من اراد ان يسمع نوح داود فليأت فتأتي الوحوش من البراري والاكام وتأتي السباع من الغيايض وتأتي الهوَام من الجبال وتأتي الطير من الاوكار وتأتي العذارى من خدورهم حتى يرقى المنبر وكلَ صنف على حدته يحيطون به وسليمان عليه السلام قائم على رأسه فيأخذ في الثناء على ربه فيضجون بالبكاء والصراخ ثم يأخذ في ذكر الجنة فيموت الهوَام وطائفة من الوحوش والسباع والناس ثم يأخذ في اهوال القيامة وفي النياحة على نفسه فيموت من كل نوع طائفة فاذا رأى سليمان عليه السلام كثرة الموتى، قال يا ابتاه قد مزقت المستمعين كل ممزق وماتت طوائف من بني اسرائيل ومن الوحوش والهوَام فيأخذ في الدعاء فبينا هو كذلك اذ ناداه عبّاد بني اسرائيل يا داود عجّلت بطلب الجزاء على ربك، قال فخَر داود مغشياً عليه فلما نظر سليمان الى صاحبه وما اصابه اتى بسرير له فحمله عليه ثم امر منادياً ينادي الا من كان له مع داود حميم فليأت بسريره يحمله عليه فان الذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الجنة والنار ثم اذا افاق داود دخل بيت عبادته.

وروى عن الصادق عليه السلام قال ان داود خرج ذات يوم يقرأ الزبور وكان اذا قرأ الزبور لا يبقى جبل ولا حجر ولا طائر ولا سبع الا جاوبه، فما زال يمرَ حتى انتهى الى جبل فاذا على ذلك الجبل نبي عابد يقال له حزقيل عليه السلام فلما سمع دوي الجبال واصوات السباع والطير علم انه داود عليه السلام، فقال صوت مذنب، فقال الله يا حزقيل لا تعيّر داود سلني العافية، فقام حزقيل فأخذ بيد

داود فرفعه اليه، فقال داود يا حزقيل هل هممت بخطيئة قطّ، قال لا قال فهل دخل العجب فيما انت فيه من عبادة الله قال لا قال فهل ركنت الى الدنيا فأحببت ان تأخذ بشهوتها ولذتها، قال بلى ربما عرض بقلبي قال فماذا تصنع اذا كان قال ادخل هذا الشعب فاتبر مما فيه قال فدخل داود النبي عليه السلام الشعب فاذا بسرير من حديد عليه جمجمة بالية، وعظام فانية فاذا لوح من حديد فيه كتابة فقرأها داود عليه السلام فاذا هي انا اروى شلم ملكت الف سنة وبنيت الف مدينة وافتضضت الف بكر فكان آخر عمري ان صار التراب فراشي والحجارة وسادتي والديدان والحيات جيراني فمن رأني فلا يغتر بالدنيا.

وكان الخليل عليه السلام اذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا في ميل فيأتيه جبرئيل عليه السلام فيقول له الجبار يقرئك السلام ويقول هل رأيت خليلاً يخاف خليله فيقول يا جبرئيل اني اذا ذكرت خطيئتي نسيت خلّتي، ونحو هذا من اطوارهم عليهم السلام فهو سبحانه قد كان يحبَ ان يسمع مثل هذا منهم وعلى ما ذكر في توبة آدم ينزّل ما رواه الصدوق طاب ثراه في كتاب العلل في قول النملة لسليمان عليه السلام انت اكبر ام ابو قال سليمان عليه السلام بل ابي داود قالت النملة فلم زيد في حرف اسمك حرف على اسم ابيك قال سليمان ما لي بهذا علم، قالت النملة لان اباك داود داوى جرحه بودَ وأنت سليمان ارجوا ان تلحق بأبيك.

اقول هذا الحديث وهو حديث النملة عدَ من مشكلات الاخبار وقد تصدى لبيان معناه محققوا الاصحاب بوجوه كثيرة والذي يخطر بالبال في ايضاحه وجهان احدهما ان يكون المراد من قولها انت اكبر أم ابوك المراد بالكبر العظمة والشأن وكانت النملة عالمة بهذا لكن سألت عنه تمهيداً للجواب الاتي، فقال سليمان ان ابي اعظم مني فقالت ذا كان اعظم منك فلم زيد في حروف اسمك حرف مع ان زيادة المباني مما يدلَ على زيادة المعاني واسماء الانبياء عليهم السلام كلها مأخوذة من الوحي الالهي فيكون زيادة الحروف ونقصانها لا يخلو من حكمة وفايدة فقال سليمان عليه السلام لا ادري فقالت لان اباك داود لما صدرت منه الزلة التي نعيت عليه تاب الى الله وتودد اليه فاشتق له اسم من مجموع داوى جرحه بودّ فصار اسمه على ما ترى، واما أنت فقد نعيت عليك زلَة وهي ما حكاه في القرآن من قوله اني احببت حبّ الخير عن ذكر ربي حتى تواريت بالحجاب ردوها عليَ فطفق مسحاً بالسوق والاعناق، وحاصله ان الخيل وهي المراد من الخير قد عرضت علي سليمان ليراها فما استتم رؤيتها حتى توارت الشمس تحت حجابها فدعى سليمان عليه السلام ان يرد الله سبحانه الشمس له ليصلي فردّت الشمس عليه فشرع في الوضوء ومسح ساقه وعنقه كما هو الوضوء المأمور به في الشرع القديم فلم تداوها بالتوبة والتفزع (التفرّغ خ ل)

وقال نبئت ان بعض البهائم تنكرت له اخته فلما نزى عليها ونزل ثم علم انها اخته قبض على غرموله أي ذكره باسنانه حتى قطعه فخرَ ميتاً، وآخر تنكرت له امه ففعل هذا بعينه، فكيف الانسان في فضله وعلمه غير ان جيلاً من هذه الامة الذين يرون انهم رغبوا عن علم اهل بيوتات انبيائهم فأخذوه من حيث لم يؤمروا بأخذه فصاروا الى ما ترون من الضلال، وحقاً أقول ما اراد من يقول هذا وشبهه الا تقوية لحجج المجوس.

ثم أنشأ يحدثنا كيف كان بدء النسل فقال ان آدم صلوات الله عليه ولد له سبعون بطناً فلما قتل قابيل هابيل جزع جزعاً قطعه عن اتيان النساء فبقى لا يستطيع ان يغشى حوى خمسمائة سنة، ثم وهب الله له شيئاً وهو هبة الله وه اول وصي اولى اليه من بني آدم في الارض، ثم رواه بعد يافث فلما ادركا واراد الله ان يبلغ بالنسل ما ترون أنزل الله بعد العصر في يوم الخميس حوراء من الجنة اسمها نزلة فأمره الله ان يزوجها من شيث ثم انزل الله بعد العصر من الغد حوراء من الجنة اسمها منزلة فأمر الله عز وجل آدم ان يزوجها يافث فزوجها منه فولد لشيث غلام وولدت ليافث جارية فأمر الله عز وجل آدم عليه السلام حين ادركا ان يزوج ابنة يافث من اين شيث ففعل فولد الصفوة من النبيين والمرسلين نسلهما، ومعاذ الله ان يكون لك على ما قالوه من الاخوة والاخوات ومناكحتهما والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة وما تضمنّه اول الحديث من قوله فان اناساً عندنا يقولون المراد بهم جمهور المخالفين فانهم قالوا ان حوى امرأة آدم كانت تلد في كل بطن غلاماً وجارية فولدت اول بطن قابيل وتوأمته اقليميا، والبطن الثاني هابيل وتوأمته ليوذا فلما ادركوا جميعاً امر الله تعالى ان يكنح قابيل اخت هابيل وهابيل اخت قابيل فرضى هابيل وابى قابيل لان اخته كانت حسناء، وقال ما امر الله سبحانه بهذا ولكن هذا من رأيك فأمرهما آدم ان يقربا قربانا فرضيا فانطلق هابيل الى افضل كبش في غنمه فقربه التماساً لوجه الله تعالى ومرضاة ابيه واما قابيل فانه قرّب الزوان الذي يبقى في البيدر الذي لا يستطيع البقر ان تدوسه فقرب ضغثا منه لا يريد به وجه الله تعالى ولا رضا ابيه فقبل الله قربان هابيل وأتت نار بيضاء من السماء فأخذته وردَ على قابيل قربانه فقال ابليس لقابيل انه يكون لهذا عقب يفتخرون على عقبك بان قبل قربان ابيهم فاقتله حتى لا يكون له عقب فقتله.

وهذه مقالة المخالفين وهي موافقة لمذاهب المجوس، فان المجوس كان لهم ملك فسكر ليلة فوقع على اخته وامه فلما أفاق ندم وشقّ ذلك عليه فقال للناس هذا حلال فامتنعوا عليه فجعل يقتلهم وحفر لهم الاخدود، وفي خبر آخر انه احتج لهم على جوازه باولاد آدم من انهم قد كانوا ينكحون اخواتهم فقبله جماعة وبقوا عليه الى الان ومن لم يقبله قتله، والعجب من صاحب روضة الشهداء كيف عوّل على هذا النقل من تزويج الاخوة الاخوات مع ورود الاخبار بخلافه،

واعجب منه شيخنا الطبرسي (ره) في كتاب مجمع البيان لم يذكر سوى مقالة المخالفين ولم يتعرض لهذه الاخبار بوجه مع انها من مرويات الصدوق (ره) وهو من المتقدمين، نعم روى هذا المعنى عن الباقر عليه السلام لكن الرواية محمولة على التقية قطعاً.

واما حكاية القربان فقد حكاه الله سبحانه في سورة المائدة حيث قال واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخبر قال لاقتلنك قال انما يتقبل اله من المتقين، وذلك لان الصدقة اذا لم يكن صاحبها ممن اتقى في تحصيلها او لم يخلص لله سبحانه حال دفعها لا تقع من محل القبول بشيء، كما روى (في الاحتجاج خ ل) عن الصادق عليه السلام انه قال ان اتبع هواه واعجب برأيه كان كرجل سمعت غثاء العامة تعظمه وتصفه فاحببت لقاءه من حيث لا يعرفني لانظر مقداره ومحله فرأيته في موضع قد احدق به خلق من غثاء العامة منتبذاً عنهم متلثماً انظر اليه واليهم فما زال يراوغهم حتى خالف طريقهم وفارقهم ولم يقرّ فتفرقت العوام عنه لحوائجهم وتبعته اقتفى اثره، فلم يلبث اذ مرّ بخباز فتغفله فأخذ من دكانه رغيفين مسارقة فعجبت منه، ثم قلت في نفسي لعله معاملة ثم مرّ بصاحب رمان فما زال به حتى تغفله فأخذ من عنده رمانتين مسارقة، فعجبت منه ثم قلت في نفسي لعله معاملة ثم اقول وما حاجته اذاً الى المسارقة ثم لم أزل ابتعه حتى مرّ بمريض فوضع الرغيفين والرمانتين بين يديه ومشى فتبعته حتى استقر في بقعة من الصحراء، فقلت له يا عبد الله لقد سمعت بك فأحببت لقاءك فلقيتك لكني رأيت منك ما شغل قلبي، قال وما هو قال رأيتك مررت بخباز وسرقت منه رغيفين ثم بصاحب الرمان وسرقت منه رمانتين، قال فقال لي قبل كل شيء حدثني من انت قلت رجل من اهل بيت رسول الله، قال اين بلدك قلت المدينة، قال لعلك جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب قلت بلى قال فما ينفعك شرف اصلك مع جهلك بما شرفت به وتركك علم جدك وابيك، قلت ما هو قال القرآن كتاب الله قلت وما الذي جهلت منه، قال قول الله عز وجل من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها، واني سرقت الرغيفين كانت سيئتين ولما سرقت الرمانتين كانت سيئتين فهذه اربع سيئات فلما تصدقت بكل واحدة منها كانت اربعين حسنة فانقص من اربعين حسنة اربع سيئات يبقى لي ستة وثلاثون، قلت ثكلتك امك أنت الجاهل بكتاب الله اما سمعت الله عز وجل يقول انما يتقبل الله من المتقين، انك لما سرقت الرغيفين كانت سيئتين فلما دفعتهما الى غير صاحبهما بغير امر صاحبهما كنت انما اضفت اربع سيئات الى اربع سيئات، فجعل يلاحظني فانصرفت وتركته قال الصادق عليه السلام بمثل هذا التأويل القبيح المستنكر يُضلّون ويَضلّون.

وهذا نحو تأويل معاوية لعنه الله لما قتل عمار بن ياسر فارتعجت فرائص خلق كثير وقالوا قال رسول الله صلى الله عليه وآله عمار تقتله الفئة الباغية، فدخل عمرو على معاوية وقال يا امير المؤمنين قد هاج الناس واضطربوا، قال لماذا؟ قال قتل عمار قال معاوية قتل عمار فماذا، قال أليس قال رسول الله صلى الله عليه وآله عمار تقتله الفئة الباغية؟ فقال له معاوية دحضت[1] في قولك أنحن قتلناه انما قتله علي بن ابي طالب لما القاه بين رماحنا فاتصل ذلك بعلي بن ابي طالب عليه السلام فقال فاذاً رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي قتل حمزة لما القاه بين رماح المشركين.

وبالجملة فابتداء النسل على ما عرفته، نعم روى الصدوق طاب ثراه قال ان الله تبارك وتعالى انزل على آدم حوراء من الجنة فزوجها احد ابنيه وتزوج الاخر ابنة الجان فما كان في الناس من جمال كثير أو حسن خلق فهو من الحوراء وما كان منهم (فيهم) من سوء خلق فهو من ابنة الجان، ووجه الجمع بين هذا وما تقدم اما حمل هذين الولدين على غير يافث وشيث لكن لما اختلط النسل في المراتب اللاحقة سرى اخلاق ابنة الجان في ذراري آدم عليه السلام واما بأن يكون كل واحد من يافث وشيث قد زوج زوجتين وعلى التقادير كلها يستلزم بقاء بنات آدم بلا زواج الا ان يجوز تزويج العمات دون الاخوات، هذا حال الخليفة الاول وهو آدم عليه السلام وقد بقى له احوال سماوية وكذا لذريته فلنرجع الى احوال السماء حتى اذا فرغنا منها انتلقنا الى احوال الارض واهلها.

فان قلت ما معنى قولك ان آدم هو الخليفة الاول وكم الخلفاء بعده، قلت قد روى ان علياً عليه السلام كان يمشي مع النبي صلى الله عليه وآله في بعض شوارع المدينة واذا برجل اعرابي له لحية طويلة فسلّم وقال السلام عليك يا امير المؤمنين السلام عليك يا رابع الخلفاء ثم انه غاب عن اعينهم فقال النبي صلى الله عليه وآله أتدري يا علي معنى ما قال، هذا هو اخوك الخضر قال قال لا قال اما الخليفة الاول فهو ابوك آدم حيث قال تعالى واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة، واما الثاني فهو هارون حين قال له موسى فاخلفني في قومي واما الثالث فهو داود حيث قال تعالى يا داود انا جعلنا خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق واما الرابع فهو أنت يا علي فانك خليفتي من بعدي وقاضي ديني.

وسأل الصادق عليه السلام عن آدم وعلي عليهما السلام ايهما افضل فقال ان الله تعالى اباح الحنطة لعلي عليه السلام فلم يأكل منها تواضعاً لله تعالى حتى قبض، واما آدم فقد نهاه عنها فما لبث حتى أكل منها فاين علي من آدم ومن جهة خلق هذه الابدان من التراب السابق روى انه سأل جعفر بن محمد

---

(١) دحضت الحجة بطلت.

عليه السلام لمَ صار الناس يكلبون ايام الغلا على الطعام ويزيد جوعهم على العادة في الرخص، قال لانهم بنوا من الارض فاذا قحطت قحطوا واذا خصبت خصبوا وحيث انّا نريد بيان عالم الذر واخذ الميثاق في عالمي الارواح والذر وكيفية احاديث الطينة وهذا كله مما يتوقف على الروح كما سيأتي فلا بأس بالكلام فيها والله الموفق للصواب.

نور روحاني

يكشف عن الروح وتوابعها

الروح جوهر درّاك يتعلق بالبدن لتدبيره، واعلم ان ارباب العلل قد اتفقوا على حدوث النفوس الناطقة اذ لا قديم عندهم الا الله لكنهم اختلفوا في انها هل تحدث مع حدوث البدن او قبله فقال بعضهم تحدث معه لقوله تعالى بعد تعداد اطوار البدن ثم انشأناه خلقا آخر، وقال بعضهم بل قبله لقوله صلى الله عليه وآله خلق الارواح قبل الاجساد بألفي عام، اقول الاخبار الدالة على ان الروح مخلوقة قبل البدن بالفي عام أو اكثر ما وردت به الاخبار مستفيضة بل متواترة حتى لا يبقى الريب في تقدمها.

وقوله صلى الله عليه وآله بألفي عام المراد به تقدمها على نوع البدن وان كان واحداً، وهو بدن ابينا آدم عليه السلام ول فكل روح بالنظر الى البدن التي خلقت له متقدمة عليه بآلاف من السنين كما لا يخفى، وقوله تعالى ثم انشأناه خلقا آخر المراد به افاضة النفس على البدن كما هو المصرح به في كلام الصادقين عليهم السلام.

واما الحكماء فانهم قد اختلفوا في حدوثها فقال به ارسطو ومن تبعه ومنعه من قبله وقالوا بقدمها، واما حقيقتها فلم تظهر لنا ولذا قال تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا، فان المنقول عن ابن عباس وابن مسعود والجبائي وجماعة انهم سأله عن هذه الروح التي في البدن فعدل عن جوابهم لعلمه بأنه الاصلح، وقيل ان اليهود قالت لكفار قريش سلوا محمداً عن الروح فان اجابكم فليس بنبي وان لم يجبكم فهو نبي فانا نجد في كتبنا ذلك، فأمره سبحانه بالعدول عن جوابهم، وهذا يدل على ان الانبياء المتقدمين لم يتكلموا في حقيقة الروح للامة لانه الاصلح بحالهم، والمذاهب المنقولة فيها بين اهل العلم متكثرة وقد ضبطها شيخنا البهائي نور الله ضريحه في كتاب الكشكول حيث قال المذاهب في حقيقة النفس اعني ما يشير كل أحد يقوله انا كثيرة والدائرة منها على الالسنة والمذكورة في الكتب المشهورة اربعة عشر مذهباً.

احد هذا الهيكل المحسوس المعبّر عنه بالبدن وثانيها انها القلب اعني العضو الصنوبري، اللحماني المخصوص، وثالثها انه الدماغ، ورابعها انها اجزاء لا تتجزئ في القلب وهو مذهل النظّام ومتابعيه، وخامساً انها الاعضاء الاصلية المتولدة من المني وسادسها انها المزاج، وسابعها انها الروح الحيواني ويقرب منه ما قيل انها جسم لطيف سار في البدن كسريان الماء في الورد والدهن في السمسم وثامنها انها الماء وتاسعها انها النار والحرارة الغريزية، وعاشرها انها النفس وحاي عشرها انها هي الواجب تعالى عما يقولون علواً كبيراً، وثاني عشرها انها هي الاركان الاربعة، وثالث عشرها انها صورة نوعية قائمة بمادة البدن وهو مذهب الطبيعين.

ورابع عشرها انها جوهر مجرد عن المادة الجسمانية وعوارض الجسمانيات لها تعلَق بالبدن تعلق التدبير والتصرف والموت هو قطع هذا التعلق، وهذا هو مذاهب الحكماء الالهيين واكابر الصوفية والاشراقيين وعليه استقر رأي المحققين من المتكلمين كالامام الرازي والغزالي والمحقق الطوسي وغيرهم من الاعلام وهو الذي اشارت اليه الكتب سماوية وانطوت عليه الانباء النبوية وانقادت اليه الامارات الحسية والمكاشفات الذوقية انتهى كلامه والانصاف ان الروح وان طوى عنّا الاطلاع على حقيقتها ولذا قال الاكثر المراد من قوله ﷺ من عرف نفسه فقد عرف ربه انه لا يمكن معرفة النفس كما لا يمكن معرفة الرب، لكن الذي اشارت اليه الكتب والاخبار هو ما قيل انه يتقرب من المذهب السابع وهو انها جسم لطيف سار في البدن وليست مجردة.

قال في مجمع البيان اختلف العلماء في ماهية الروح فقيل انه جسم رقيق هوائي متردد في مخارق الحيوان وهو مذهب اكثر المتكلمين واختاره الاجلَ المرتضى علم الهدى وقيل هو جسم هوائي على بنية حيوانية في كل جزء منه حيوة، عن علي بن عيسى قال لكل حيوان روح وبدن الا ان فيهم من الاغلب عليه الروح، ومنهم من الاغلب عليه البدن، وقيل ان الروح عرض ثم اختلف فيه فقيل هو الحيوة التي يتهيأ بها المحلّ لوجود القدرة والعلم والاختيار، وهو مذهب الشيخ المفيد ابي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان رضي الله عنه والبلخي وجماعة من المعتزلة البغدايين وقي هو معنى في القلب عن الاسواري وقال بعض العلماء ان الله تعالى قد خلق الروح من ستة اشياء من جوهر النور والطيب والبقاء والحيوة والعلم والعلو الا ترى انه ما دام في الجسد كان الجسد نورانياً يبصر بالعينين ويسمع بالاذنين ويكون طيباً فاذا خرج من الجسد نتن ويكون باقياً فاذا فارقه الروح بلى وفنى، ويكون حياً وبخروجه يكون ميتاً، ويكون عالماً فاذا خرج منه الروح لم يكن شيئاً ويكون علوياً لطيفا توجد به الحيوة بدلالة قوله تعالى في صفة الشهداء بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله واجسامهم قد بليت في التراب ولا يخفى ان اكثر هذه المذاهب التي نقلها الشيخ الطبرسي (ره) لم يتعرض لنقلها شيخنا الشيخ بهاء الدين قدس الله

روحه مع انه في مقام حصر المذاهب المنقولة في الكتب وما نقل عن الاجل علم الهدى طاب ثراه وان لم يكن عين المذهب الذي نقل انه قريب من السابع لكنه يول اليه، والايات والاخبار كما عرفت انما اشارت اليه، وذلك لان المجرد على تفسيرهم انه الموصوف بلا مكان فهو مجرد عن المكان والالات وغيرها ولا ريب ان الاخبار قد اشتملت على اتصاف الروح باوصاف الاجسام من الصعود والهبوط والطيران وزيارة العرش والجلوس حلقا.

روى عن الصادق عليه السلام انه قال ارواحنا تزور العرش في كل ليلة جمعة وتستفيد منه العلوم، ولولاه لنفد ما عندنا، وكما رواه الكليني قدس الله روحه باسناده الى العرني قال خرجت مع امير المؤمنين عليه السلام الى الظهر بوادي السلام كأنه يخاطب الاقوام فقمت لقيامه حتى عييت ثم جلست حتى مللت وفعل (فعلت خ) ذلك غير مرة ثم عرضت على امير المؤمنين عليه السلام الجلوس، فقال يا حبة ان هو الا محادثة مؤمن او موانسة، ولو كشف لك لرايتهم حلقا حلقا يتحادثون، فقلت اجسام او ارواح فقال ارواح، وما من مؤمن يموت في بقعة من بقاع الارض الا قيل لروحه الحقي بوادي السلام، وانها لبقعة من جنة عدن، وفي سؤال الزنديق عن الصادق عليه السلام اخبرني الروح أغير الدم، قال نعم الروح على ما وصفت لك، مادتها من الدم فاذا جمد فارق الروح البدن، قال فهل توصف بخفة وثقل ووزن، قال الروح بمنزلة الريح في الزق فاذا نفخت فيه امتلاء الزق منها فلا يزيد في وزن الزق ولوجها فيه ولا ينقصه خروجها منه، كذلك الروح ليس لها ثقل ولا وزن، وهذا الحديث كما لا يخفى ظاهر في عدم تجردها.

وروى ايضاً عن الصادق عليه السلام ان ارواح المؤمنين لفي شجرة في الجنة يأكلون من طعامها ويشربون من شرابها، وعنه ايضاً انه عليه السلام قال ان الارواح في صفة الاجساد في شجر في الجنة يأكلون من طعامها ويشربون من شرابها، فاذا قدمت الروح (روح ظ) عليهم يقولون دعوها فانها أقبلت من هو عظيم ثم يسألونها الى غير ذلك من الاخبار المتضمنة لتنعم الروح وتعذيبها وسيرها من مكان الى مكان واقامتها وترفرفها فوق تابوت الميت حتى يجعل في القبر فتدخل فيه، وتأويل هذا بارادة البدن المثالي الذي تحلَ فيه في وقت ما في كل هذه الاوقات خلاف الظاهر ونقل عن شيخنا المفيد (ره) أنه كان يقول بتجرد النفس فتاب الى الله سبحانه وقال قد ظهر لنا انه لا مجرد في الوجود الا الله.

واما تعلقها بالبدن فقال الحكماء والمتكلمون ليس هو تعلقاً ضعيفاً يسهل زواله بادنى سبب مع بقاء المتعلق بحاله كتعلق الجسم بمكانه والا لتمكنت النفس من مفارقة البدن بمجرد المشية من غير حاجة الى امر آخر، وليس ايضاً تعلقاً في غاية القوة بحيث اذا زال التعلق بطل المتعلق مثل تعلق الاعراض والصور المادية بمحالها لما ذهبوا اليه من انها مجردة بذواتها غنية عما تحل فيه، بل

هو تعلق متوسط بين بين كتعلق الصانع بالالات التي يحتاج اليها في افعاله المختلفة وكتعلق العاشق بالمعشوق عشقاً جبليًا الهامياً فلا ينقطع ما دام لبدن صالحاً لان يتعلق به النفس، الا ترى انها تحبه ولا تمله مع طول الصحبة وتكره مفارقته، وذلك لتوقف كمالاتها ولذاتها العقلية والحسية عليه، فانها في مبدأ خلقتها خالية عن الصفات الفاضلة كلها فاحتاجت الى آلات تعينها على تلك الكمالات وتحتاج الى ان تكون تلك الالات مختلفة فيكون لها بحسب كل آلة فعل خاص حتى اذا حاولت فعلاً خاصاً كالابصار مثلاً التفت الى العين فتقوى على الابصار التام، وكذا الحال في سائر الافعال، ولو اتحدت الالات لاختلطت الافعال ولم يحصل لها شيء منها على الكمال فاذا حصلت لها الاحساسات توصلت منها الى الادراكات الكلية ونالت حظها من العلوم والاخلاق المرضية، وترفت الى لذاتها العقلية بعد احتظائها باللذات الحسية فتعلقها بالبدن على وجه التصرف والتدبير كتعلق العاشق في القوة بل اقوى بكثير.

اقول وبناءاً على ما قاله الاجل علم الهدى وهو الاولى يكون تعلقها بالبدن من باب تعلق الاحوال بمحالها.

واعلم انه قد ورد في اخبار اهل البيت عليهم السلام تعدد الارواح، رواه جابر عن الباقر عليه السلام قال خمسة ارواح في المقربين، روح القدس وبه علموا جميع الاشياء وروح الايمان وبه عبدوا الله، وروح القوة وبه جاهدوا العدو وعالجوا المعاش، وروح الشهوة وبه اصابوا لذة الطعام والنكاح وروح البدن وبه يدبّون ويدرجون، واربعة لاصحاب اليمين لفقد روح القدس منهم، وثلاثة لاصحاب الشمال لفقد روح الايمان منهم، وعلى هذا نزّل ما روى عنه عليه السلام لا يزني الزاني وهو مؤمن وذلك ان روح الايمان تخرج من بدنه الى ان يفرغ فان عاد الى التوبة عادت تلك الروح الى بدنه والا فارقته، وكذا معنى لا يسرق السارق وهو مؤمن، وما روى من ان المؤمن لا يكذب كله منزَل على هذا فان روح الايمان تفارقه حال صدور الذنب منه واذا رجع رجعت كما ورد في الروايات واذا نام لم تفارقه روح الحيوة وان فارقه غيرها، كما سيأتي تحقيقه ان شاء الله تعالى في نور المنام اذا عرفت هذا.

فاعلم ان قدماء الحكماء قالوا ان للحيوانات نفوساً ناطقة مجردة، وهو مذهب الشيخ المقتول، وقد صرَح الشيخ الرئيس في جواب اسؤلة بهمنبار ان الفرق بين الانسان والحيوانات في هذا الحكم مشكل، وقال القيصري في شرح فصوص الحكم ما قال المتأخرون من ان المراد بالنطق ادراك الكليات لا التكلم، مع كونه مخالفاً لوضع اللغة لا يقيدهم لانه موقوف على ان النفس الناطقة المجردة للانسان ولا دليل لهم على ذلك ولا شعور لهم بأن الحيوانات ليس لها ادراك الكليات والجهل بالشيء لا ينافي وجوده، وامعان النظر فيما يصدر عنها من العجائب يوجب ان

يكون لها ادراك الكليات انتهى، وكلام القيصري يعطي ان مراد المتقدمين بالنطق هو المعنى اللغوي وبذلك صرح ابو علي بن سينا.

نور ميثاقي يشتمل على التكليف الاول

اعلم ان الاخبار قد استفاضت بل تواترت بأن هذه الارواح قبل دخولها في هذه الاجسام قد حصل لها نوع من التكليف الالهي لما كانت في عالم الملكوت، وقد أخذ الله سبحانه عليها العهود المكررة والمواثيق المغلظة بأنه رب وواحد لا شريك له فأقروا عموماً، واما الاقرار بالولاية لعلي عليه السلام واهل بيته ففي أحد المواثيق، ولعله الميثاق الاول وهي ارواح خالصة قبل ان تباشر الذرات قد اقرت واذعنت، ومن ثم قال عليه السلام قد اخذ الله ولاية الائمة عليهم السلام على الناس من يوم العهد والميثاق، وفي احد المواثيق قد انكرت ولم تبادر الى القبول فمن ثم كانت السعادة والشقاوة من هناك، ومن هذا قال سيد الموحدين عليه السلام ان لله سبحانه قد كتب اسامي شيعتنا واسامي آبائهم وامهاتهم من وجد منهم ومن لم يوجد الى يوم القيامة بصحيفة، وتلك الصحيفة عندنا، وكانت الكتابة في ذلك الميثاق وهذه الصحيفة الان بعد ما توارثها الائمة عليهم السلام انتهت نوبتها الى مولانا صاحب الزمان عليه السلام فهي الان عنده، وكان اذا اتى رجل الى علي عليه السلام وقال انا شعيتك كذبه علي عليه السلام وقال لست ارى لك اسماً في صحيفة الشيعة، فيكون ذلك الرجل مدعياً وكان بعض خواص الشيعة اذا دخل على الصادق عليه السلام رآه يتصفح كتاباً فسأله عنه فيقول هذا الكتاب الذي اسماء شيعتي الى يوم القيامة، فيقول عليه السلام أحب ان ترى اسمك واسم ابيك فيقول نعم، فيطلعه عليه وهذا لا يكون من الارواح الا من بعد ما اعطاه الله سبحانه نوعاً من الفهم والشعور تفهم به معنى التكليف والثواب والعقاب، لانه صار ذلك التكليف الاولى مناطاً لاكثر احكام هذا التكليف الاخرى.

روى الصدوق طاب ثراه باسناده الى ابن اذينة عن ابي عبد الله عليه السلام قال كنّا جلوساً عنده فذكرنا رجلاً من اصحابنا فقلنا فيه حدة فقال من علامة المؤمن ان يكون فيه حدة، قال قلنا له ان عامّة اصحابنا فيهم حدة فقال ان الله تبارك وتعالى في وقت ما ذرأهم امر اصحاب اليمين وانتم هم ان يدخلوا النار فدخلوها فاصابهم وهج فالحدة من ذلك الوهج، وامر اصحاب الشمل وهم مخالفونا ان يدخلوا النار فلم يفعلوا فمن ثم لهم سمت ولهم وقار والايات والاخبار دالة على أخذ الميثاق في العالم الاول.

اما الايات فقال عز من قائل واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين، او يقولوا

انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون، قال اكثر المفسرين معناه ان الله تعالى أخرج ذرية آدم من صلبه كهيئة الذر فعرضهم على آدم فقال اني آخذ على ذريتك ميثاقهم ان يعبدوني ولا يشركون بي شيئاً وعليّ ارزاقهم، ثم قال ألست بربكم قالوا بلى شهدنا انك ربنا فقال للملائكة اشهدوا فقالوا شهدنا وقيل ان الله تعالى جعلهم فهماء عقلاء يسمعون خطابه ويفهمونه، ثم ردهم الى صلب آدم والناس محبوسون باجمعهم حتى يخرج كل من أخرجه في ذلك الوقت وكل من ثبت على الاسلام فهو على الفطرة الاولى ومن كفر وجحد فقد تغيّر عن الفطرة الاولى، وفي بعض الاخبار المعتبرة ان الخطاب هكذا ألست بربكم ومحمد نبيكم وعلي امامكم قالوا بلى فحذفوا تمام الاية كما تصرفوا في غيره من الايات فيكون هذا الميثاق مما اقروا فيه ايضاً بولاية الائمة عليهم السلام فيكون عدم القبول لها في ميثاق آخر جمعاً بين الاخبار.

واعلم ان تأويل الاية على هذا المذكور مما دلّت عليه الاخبار النقية السند وذهب اليه جمع اكثير من المفسرين، وقد ردّه المرتضى طاب ثراه وشيخنا الطبرسي (ره) قالوا ان الله سبحانه قال واذ أخذ ربك من بني آدم ولم يقل من آدم، وقال من ظهورهم ولم يقل من ظهره، وقال ذريتهم ولم يقل ذريته، ثم اخبر تعالى بأنه فعل ذلك لئلا يقولوا انهم كانوا عن ذلك غافلين او يعتذروا بشرك آبائهم وانهم نشأوا على دينهم وهذا يقتضي ان يكون لهم آباء مشركون فلا يتناول ولد آدم لصلبه وايضاً فان هذه الذرية المستخرجةمن صلب آدم لا يخلو إما ان يكون قد جعلهم الله عقلاء او لم يجعلهم كذلك فان لم يجعلهم عقلاء فلا يصح ان يعرفوا التوحيد وان يفهموا خطاب الله تعالى، وان جعلهم عقلاء وأخذ عليهم الميثاق فيجب ان يتذكروا ذلك ولا ينسوه،لان أخذ الميثاق لا يكون حجة على المأخوذ عليه الا ان يكون ذاكراً له فيجب ان نذكر نحن الميثاق، ولانه لا يجوز ان ينسى الجمع الكثير من العقلاء شيئاً كانوا عرفوه وميّزوه حتى لا يذكره واحد منهم الى غير ذلك من الاعتراضات الظاهرة الدفع التي لا ينبغي ان تذكر في معارضة خبر من الاخبار فارتكبوا في تأويل الاية معنى آخر، وهو انه سبحانه أخرج بني آدم مناصلاب آبائهم الى ارحام امهاتهم ثم رقاها درجة درجة علقة ثم مضغة ثم انشأ كلاً منهم بشراً سوياً ثم حياً مكلفاً واراهم آثار صنعته ومكنَهم من معرفة دلائل حتى كأنه اشهدهم وقال لهم ألست بربكم قالوا بلى، فعلى هذا يكون معنى اشهدهم على انفسهم دلّهم بخلقه على توحيده وانما اشهدهم على انفسهم بذلك لما جعلهم في عقولهم من الادلة على وحدانيته وركّب فيهم من عاجئب خلقته وغرائب صنعته وفي غيرهم فكأنه سبحانه بمنزلة المشهد لهم على انفسهم وكانوا في مشاهدة ذلك وظهوره فيهم على الوجه الذي اراده الله وتعذّر امتناعهم منه بمنزلة المعترف المقرّ وان لم يكن هناك اشهاد صورة وحقيقة، والعجب ان هذا المعنى مع احتياجه الى التأويل في كل ظواهر لفظ

الاية ومع عدم اعتضاده بخبر يدل عليه كيف خرّجوا عليه واهملوا ذلك المعنى الاول مع تظافر دلالة الاخبار عليه وكلام المفسرين، ومن هذا ذهب ابو الهذيل في كتاب الحجة ان الحسن البصري واصحابه كانوا يذهبون الى ان نعيم الاطفال في الجنة ثواب عن ايمانهم في الذر واما الاخبار.

فمنها ما رواه شيخنا الكليني طاب ثراه بسند صحيح عن حبيب السجستاني قال سمعت ابا جعفر عليه السلام يقول ان الله عز وجل لما اخرج ذرية آدم من ظهره ليأخذ عليهم الميثاق بالربوبية له وبالنبوة لكل نبي فكان اول من أخذ عليهم الميثاق بنبوته محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، ثم قال الله عز وجل لآدم انظر ما ترى قال فنظر آدم عليه السلام الى ذريته وهم ذر قد ملأوا السماء، قال آدم عليه السلام يا رب ما أكثر ذريتي ولامر ما خلقتهم فما تريد منهم بأخذك الميثاق عليهم، قال الله عز وجل يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ويؤمنون برسلي ويتبعونهم، قال آدم يا رب فما لي أرى بعض الذر أعظم من بعض وبعضهم له نور كثير وبعضهم له نور قليل وبعضهم ليس له نور، فقال الله عز وجل كذلك خلقتهم لأبلوهم في كل حالاتهم قال آدم يا رب أفتأذن لي في الكلام فأتكلم قال الله عز وجل تكلم فان روحك من روحي وطبيعتك خلاف كينونتي، قال آدم يا رب فلو كنت خلقتهم على مثال واحد وطبيعة واحدة وجبلّة واحدة والوان واحدة واعمار واحدة وارزاق سواء لم يبغ بعضهم على بعض ولم يكن بينهم تحاسد ولا تباغض ولا اختلاف في شيء من الاشياء.

قال الله تعالى يا آدم برحي نطقت ويضعف قوتك تكلفت ما لا علم لك به وانا الخالق العليم وبعلمي خالفت بين خلقهم وبمشيئتي يمضي فيهم امري والى تدبيري وتقديري صائرون ولا تبديل لخلقي، انما خلقت الجن والانس ليعبدوني وخلقت الجنة لمن عبدني واطاعني منهم واتبع رسلي ولا ابالي، وخلقت النار لمن كفر بي وعصاني ولم يتبع رسلي ولا ابالي، وخلقتك وخلقت ذريتك من غير حاجة بي اليك واليهم وانما خلقتك وخلقتهم لابلوك وابلوهم ايّم احسن عملاً في دار الدنيا في حياتكم وقبل مماتكم، فلذلك خلقت الدنيا والاخرة والحيوة والموت والطاعة والمعصية والجنة والنار، وكذلك اردت في تقديري وتدبيري وبعلمي النافذ فيهم خالفت بين صورهم واجسامهم والوانهم واعمارهم وارزاقهم وطاعتهم ومعصيتهم، فجعلت منهم الشقي والسعيد والبصير والاعمى والقصير والطويل والجميل والذميم والعالم والجاهل والغني والفقير والمطيع والصحيح والسقيم ومن لا عاهة له، فينظر الصحيح الى الذي به العاهة فيحمدني على عافية وينظر الذي به العاهة الى الصحيح فيدعوني ويسألني ان اعافيه ويصبر على بلائي فأثيبه جزيل عطائي، وينظر الغني الى الفقير فيحمدني ويشكرني، وينظر الفقير الى الغني فيدعوني ويسألني وينظر المؤمن الى الكافر فيحمدني على ما هديته فلذلك خلقتهم لابلوهم في السراء

والضراء وفيما اعافيهم وفيما ابتليهم وفيما اعطيهم وفيما امنعهم، وان الله الملك القادر ولي ان امضي جميع ما قدرت على ما دبّرت ولي ان اغير من ذلك ما شئت، واقدّم من ذلك ما أخرّت وأؤخر ما قدمت من ذلك وأنا الله الفعال لما أيريد لا أسأل عما أفعل وأنا أسأل خلقي عما يفعلون .

وفي قوله سبحانه ولي ان أغير من ذلك ما أشئت أشارة الى أنه لايجوز لك ان تقول ان الأمر قد فزع منه كما قالت اليهود وتابعهم جمهور المخالفين من حيث لايشعرون فانه سبحانه خلقهم على ما رءاه آدم عليه السلام ولكن الله يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وسيأتي تحقيقه إن شاء الله تعالى في نور الاجال والأعمار، وفي الروايات أن تكليف اهل الشمال بدخول النار قد وقع مراراً كثيرة، قال الصادق عليه السلام في حديث طويل لما اراد ان يخلق آدم خلق (تلك خ) تينك الطينتين ثم فرقهما فرقتين، فقا لاصحاب اليمين كونوا خلقا بأذني فكانوا خلقا بمنزلة الذر يسعى، وقال لاهل الشمال كونوا خلقا فكانوا خلقا بمنزلة الذر يدرج، ثم رفع لهم نارا فقال لهم ادخلوها باذني فكان اول من دخلها محمد صلى الله عليه وآله ثم اتبعه اولوا العزم من الرسل واوصيائهم واتباعهم، ثم قال لاصحاب الشمال ادخلوها باذني فقالوا ربنا خلقتنا لتحرقنا فعصوا فقال لاصحاب اليمين اخرجوا باذني من النار فخرجوا لم تكلم النار منهم كلماً ولم يؤثر فيهم اثراً، فلما رآهم اصحاب الشمال قالوا ربنا نرى اصحابنا قد سلموا فاقلنا ومرنا بالدخول، قال قد اقلتكم فادخلوها فلما دنوا واصابهم الوهج رجعوا فقالوا يا ربنا لا صبر لنا على الاحتراق فعصوا فأمرهم بالدخول ثلاثاً كل ذلك يعصون ويرجعون، وأمر اولئك ثلاثاً كل ذلك يطيعون ويدخلون ويخرجون فقال لهم كونوا طيناً باذني فخلق منه آدم، قال فمن كان من هؤلاء لا يكون من هؤلاء ومن كان من هؤلاء لا يكون من هؤلاء الحديث، وفيه دلالة على ان هذا التكليف للارواح المتعلقة بالذرات قبل ان يخلق الله آدم، فلما كلّفها وتبين حالها جمعها وخلق منها آدم وطينته.

واما أخذ العهد والميثاق عليهم بقوله ألست بربكم فالذي يظهر من الحديث السابق انه قد وقع بعد هذا التكليف وبعد ان خلق آدم وصوره فأخرج تلك الذرات من ظهوره وعلّق بها الارواح فأخذ عليها العهد والميثاق، ولا تستبعد مثل هذا بأن بدن آدم عليه السلام وحده كيف صار معدنا لكل ذرات ذراريه، لانك قد تحققت كبر بدنه المبارك وعظمته وان رجليه كانتا على الصفا ورأسه في باب من ابواب السماء مع ان الذرات في غاية الصغر والحقارة وفي هذا اشارة لطيفة الى ان من كان اعظم احواله واحسنها كونه ذرة لم يحسن منه التجبر والكبرياء وعدم امتثال الاوامر والنواهي، فكيف تسئل عن احواله الاخرى وهي كونه تارة منياً وأخرى دماً ولحماً ثم يتدرج من النجاسة ويترقى الى ان يكون ظرفها ومعدنها ثم يصير الى حالة نجاسته الاولى ويجب على كل من

مسَه ولاقاه ان يغتسل عن مباشرته فهو اسوء حالاً من الكلب، ومن هذا قال عليه السلام يا بن آدم انَى لك والكبر والفخر فان اولك جيفة وآخرك جيفة وفيما بينهما حامل الجيف، والاقرار بالربوبية لما استسهلوه لعدم النار والتكليف فيه اقروا به ولما اراد سبحانه امتحانهم بما فيه كلفة فصاروا من هناك فرقتين بالاختيار والعلم والعقل والتكليف كما في احوال هذه النشأة، وهذه العهود التي اخذت على الخلائق قد اودعها الله سبحانه الحجر الاسود.

وفي الروايات عن الطاهرين عليهم السلام ان الله عز وجل لما أخذ الميثاق له بالربوبية ولمحمد صلى الله عليه وآله بالنبوة ولعلي عليه السلام بالوصية اصطكت فرائص الملائكة وأول من اسرع الى الاقرار بذلك الحجر فلذلك اختاره الله عز وجل والقمه الميثاق، وهو يجيء يوم القيامة وله لسان ناطق وعين ناظرة يشهد لكل من وافاه الى ذلك المكان وحفظ الميثاق، وانما اخرج الحجر من الجنة ليذكر آدم عليه السلام ما نسى من العهد والميثاق وفي الرواية ايضاً انه انما يقبَل الحجر ويستلم ليؤدى الى الله عز وجل العهد الذي أخذ عليهم في الميثاق، وانما وضع الله عز وجل الحجر في الركن الذي هو فيه ولم يضعه في غيره لانه تبارك وتعالى حين أخذ الميثاق أخذه في ذلك المكان.

اقول معنى هذا والله العالم انه قد ورد في الروايات السابقة ان الركن كان كرسياً لادم عليه السلام في الجنة يجلس عليه والحجر قد كان فيه وهو في الجنة وفي وقت أخذ الميثاق فلما انزلهما الله سبحانه الى بيته بقيا على ما كانا عليه وهما في الجنة، وكان عمر اذا قبَل الحجر قال، اني لاعلم انك حجر لا تضرَ ولا تنفع، ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله قبَلك فأقبلك لتقبيله اياك، فلما بلغ كلامه الى علي عليه السلام كذَبه، وقال ان هذا الحجر ملك عظيم المحل يشهد يوم القيامة لمن صافحه، ومن هنا ورد انه اذا استلم الحجر قال امانتي اديتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة الدعاء.

وفي الرواية ايضاً انما يستلم الحجر لان مواثيق الخلائق فيه، وكان اشدَ بياضاً من اللبن فاسودَ من خطايا بني آدم، ولولا ما مسَه من ارجاس الجاهلية ما مسه ذو عاهة الا برأ، وأما التنافر والالفة في هذا العالم فهما مسببان عنهما في ذلك العالم، ومن هذا قال الصادق عليه السلام لم تتواخوا على هذا الامر وانما تعارفتم عليه يعني به كما قال المحدثون رضوان الله عليهم انكم لم تتواخوا على امر الدين ايها الشيعة في هذا العالم بل الله سبحانه هو الذي آخا بينكم في عالم الارواح، وانتم في هذا العالم تجددون تلك الاخوة والمحبة وتتعارفون وقد روى انه سأل الصادق عليه السلام فقيل له يا ابن رسول الله اني أرى الرجل في النظرة الاولى لم اره قبل ذلك فيميل قلبي اليه واحبه من تلك الساعة، واظنَ اني رأيته قبل ذلك واقول لا ادري اني رأيت هذا الرجل، وبعض الناس اعاشره، واجاوره مدَة مديدة من العمر وكلما رأيته كأني غريب منه وهو غريب مني لعدم الالفة.

فأجاب عليه السلام بما حاصله ان الارواح قد توافقت وائتفلت في العالم الاول وتناكرت واختلفت فيه ايضاً، ونسيت احوال ذلك العالم بما حصل لها من الاشتغال، بعلائق هذه الابدان لكن اذا نظرت الى من الفته في العالم القديم تشوقت اليه وعرفته معرفة ما ومالت بالالفة اليه، واذا رأيت من تناكرت معه في ذلك العالم لم تنعطف عليه في هذا العالم، ولم خالطته المخالطة التامة والمعاشرة الطويلة، ومن هذا ما وقع في الاخبار الخاصة في سبب الحزن والفرح من غير سبب يعرفه الانسان وحاصله كما قال عليه السلام ان الانسان يكون له أخ ومحب بعيد عنه ويصل اليه اسباب الحزن والفرح على بعده والروح من هيهنا يصير لها نوع من الاطلاع على حزن ذلك الاخ البعيد وفرحه فتفرح وتحزن في مكانها والسبب غير معروف في الظاهر، ومن ثَمّ اذا كان لبعض الارواح علاقة شديدة مع البعض الاخر يكون الحزن والموت الذي يحيط بتلك النفس البعيدة معلوماً بالمنام او غيره لهذه النفس فاذا ضبط التاريخ كان وقت الاطلاع هنا موافقاً لوقت الوقوع هناك، وله اسباب اخرى ايضاً يأتي بيانها في نور الفرح والسرور ان شاء الله تعالى والدالّ على ذلك كلّه قوله صلى الله عليه وآله الارواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وهذا حديث مستفيض رواه العامة والخاصة وجعلوه هو المراد من هذه المقالة.

قال ابن الاثير مجنّدة أي مجموعة كما يقال الوف مؤلفة ومعناه الإخبار عن مبدأ كون الارواح وتقدمها على الاجساد انها خلقت اول خلقها على قسمين من ائتلاف واختلاف كالجنود المجموعة اذا تقابلت وتواجهت، ومعنى تقابل الارواح ما جعلها الله من السعادة والشقاوة والاخلاق في مبدأ الخلق، يقول ان الاجساد التي فيها الارواح تلتقي في الدنيا وتأتلف وتختلف على حسب ما خلقت عليه، ولهذا ترى الخيّر يحبّ الاخيار ويميل اليهم، والشرير يحبّ الاشرار ويميل اليهم.

وروى عن الباقر عليه السلام قال ان العباد اذا ناموا خرجت ارواحهم الى السماء فما رأت الارواح في السماء فهو الحق وما رأت في الهوى فهو الاضغاث الا وان الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف فاذا كانت الروح في السماء تعارفت وتباغضت فاذا تعارفت في السماء تعارفت في الارض، واذا تباغضت في السماء تباغضت في الارض وحيث عرفت مثل هذا فلا بأس بمعرفة احوال الطينة لانها مناط فوائد كثيرة.

نور طيني

يكشف عن احوال طينة المؤمن وغيره

اعلم ان الله سبحانه بمقتضى حكمته خلق طينة المؤمن من اعلى عليين وهو اعلى مكان في الجنة وطينة الكافر وهو غير المؤمن من سجيل وهي اسفل مكان في النار لكنه خلط بين الطينتين لمصالح كثيرة، روى الصدوق قدس الله روحه في آخر كتاب علل الشرائع مسنداً الى ابي اسحاق الليثي قال قلت لابي جعفر عليه السلام يا ابن رسول الله اخبرني عن المؤمن المستبصر اذا بلغ في المعرفة وكمل هل يزني، قال اللهم لا قلت فيلوط، قال اللهم لا قلت فيسرق قال اللهم لا قلت فيشرب الخمر قال اللهم لا قلت فيأتي كبيرة من هذه الكبائر او فاحشة من هذه الفواحش قال لا قلت فيذنب ذنباً قال نعم هو مؤمن مذنب ملّم قلت ما معنى ملمّ قال الملمّ بالذنب الذي لا يلزمه ولا يصرّ عليه، قال فقلت سبحان الله ما اعجب هذا لا ينزني ولا يلوط ولا يسرق ولا يشرب الخمر ولا يأتي كبيرة من الكبائر ولا فاحشة فقال لا عجب من امر الله ان الله عز وجل يفعل ما يشاء ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون فممَ عجبت يا ابا ابراهيم سل ولا تستحسر ولا تستنكف، فان هذا العلم لا يتعمله مستكبر ولا مستحسر قلت يا ابن رسول الله اني اجد من شيعتكم من يشرب ويقطع الطريق ويخيف السبيل ويزني ويلوط ويأكل الربى ويرتكب الفواحش ويتهاون بالصلاة والصيام والزكوة ويقطع الرحم ويأتي بالكبائر فكيف هذا ولم ذاك؟ فقال يا ابا ابراهيم وهل يختلج في صدرك شيء غير هذا قلت نعم يا ابن رسول الله أخرى اعظم من ذلك، فقال ما هي يا ابا اسحاق، قال فقلت يا ابن رسول الله وأجد من اعدائكم ومن ناصبيكم من يكثر من الصلوة ومن الصيام ويخرج الزكوة ويتابع بين الحج والعمرة، ويحرص على الجهاد ويصل الارحام ويقضي حقوق اخوانه ويواسيهم من ماله، ويتجنب شرب الخمر والزنا واللواط وسائر الفواحش فممَ ذاك فسّره لي يا ابن رسول الله، وبرهنه وبينه فقد والله كثر فكري واسهر ليلي وضاق ذرعي، فتبسّم الباقر عليه السلام ثم قال خذ اليك يا ابا ابراهيم بياناً شافياً فيما سألت، وعلماً مكنوناً من خزائن علم الله وسره، اخبرني يا ابا ابراهيم كيف تجد اعتقادهما قلت يا ابن رسول الله اجد محبيكم وشيعتكم على ما هم فيه مما وصفته من افعالهم لو اعطى احدهم ما بين المشرق والمغرب ذهباً وفضة لان يزول عن ولايتكم ومحبتكم الى موالات غيركم والى محبتهم ما زال ولو ضربت خيائيمه بالسيوف فيكم ولو قتل فيكم ولا ارتدع ولا رجع عن محبتكم وولايتكم وارى الناصب على ما هو عليه مما وصفته من افعالهم لو اعطى احدهم ما بين المشرق والمغرب ذهباً وفضة ان يزول عن محبة الطواغيت وموالاتهم الى مولاتكم ما فعل ولا زال ولو ضربت خياشيمه بالسيوف فيهم ولو قتل

فيهم ما ارتدع ولا رجع، واذا سمع احدهم منقبة لكم وفضلاً اشمأز من ذلك وتغير لونه ويرى كراهية ذلك في وجهه بغضاً لكم ومحبة لهم، قال فتبسم الباقر عليه السلام ثم قال يا ابا ابراهيم من هيهنا هلكن العاملة الناصبة تصلى ناراً حامية تسقى من عين آنية، ومن اجل ذلك قال الله عز وجل وقجمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورا، ويحك يا ابا ابراهيم أتدري ما السبب والقصة في ذلك وما الذي قد خفى على الناس منه، قلت يا ابن رسول الله فبينه لي واشرحه وبرهنه، قال يا ابا ابراهيم ان الله تبارك وتعالى لم يزل عالماً قديماً خلق الاشياء لا من شيء، ومن زعم ان الله عز وجل خلق الاشياء من شيء فقد كفر لانه لو كان ذلك الشيء الذي خلق منه الاشياء قديماً معه في ازليته وهويته كان ذلك الشيء ازلياً، بل خلق عز وجل الاشياء كلها لا من شيء ومما خلق الله عز وجل ارضاً طيبة ثم فجر منها ماءاً عذباً زلالا فعرض عليها ولايتنا اهل البيت فقبلتها فأجرىذلك الماء عليها سبعة ايام ثم طبقها وعمها ثم نصب ذلك الماء عنها فأخذ من صفوة ذلك الطين طيناً فجعله طين الائمة عليهم السلام ثم أخذ من ذلك الطين فخلق منه شيعتنا ولو ترك طينكم يا ابا ابراهيم على حاله كما ترك طيننا لكنتم انتم ونحن شيئاً واحداً، قلت يا ابن رسول الله فما فعل بطيننا، قال اخبرك يا ابا ابراهيم خلق الله عز وجل بعد ذلك ارضاً سبخة خبيثة منتنة ثم فجر منها ماءاً اجاجاً آسناً مالحاً فعرض عليها ولايتنا اهل البيت فلم تقبلها فأجرى ذلك الماء عليها سبعة ايام حتى طبقها وعمها، ثم نصب الماء عنها ثم أخذ عصارة ذلك الطين فخلق منه الطغاة وائمتهم، ثم مزجه بثفل طينتكم ولو ترك طينهم على حاله ولم يمزجه بطينكم لم يشهدوا الشهادتين ولا صلّوا ولا صاموا ولا زكوا ولا حجّوا ولا ادوّا امانة ولا اشبهوكم في الصور وليس على المؤمن اكره من ان يرى صورة عدوه مثل صورته، قلت يا ابن رسول الله فما صنع بالطينتين، قال مزج بينهما بالماء الاول والماء الثاني ثم عركها عرك الاديم.

ثم أخذ من ذلك قبضة فقال هذه الى الجنة ولا ابالي، وأخذ قبضة أخرى وقال هذه الى النار ولا ابالي، ثم خلط بينها فوقع من سنخ المؤمن وطينته على سنخ الكافر وطينته، ووقع من سنخ الكافر وطينته على سنخ المؤمن وطينته، فما رايته من شيعتنا من زنا ولواط وترك الصلوة، او صيام او حج أو جهاد او خيانة، او كبيرة من هذه الكبائر فهو من طينة الناصب وعنصره الذي قد مزج فيه لان من سنخ الناصب وعنصره وطينته اكتساب المآثم والفواحش والكبائر، وما رأيت من الناصب ومواظبته على الصلوة والصيام والزكوة والحج والجهاد، وابواب البر فهو من طينة المؤمن وسنخه الذي قد مزج فيه، لان سنخ المؤمن وعنصره وطينته اكتساب الحسنات، واستعمال الخير واجتناب المآثم فاذا عرضت هذه الاعمال كلها على الله عز وجل قال انا عدل لا اجور ومنصف لا اظلم وحكم لا احيف ولا اميل ولا اشطط الحقوا الاعمال السيئة التي اجترحها

المؤمن لسنخ الناصب وطينته، والحقوا الاعمال الحسنة التي اكتسبها الناصب بسنخ المؤمن وطينته، ردوها كلها الى اصلها فاني انا الله لا اله الا انا عالم السر وأخفى، وانا المطلع على قلوب عبادي لا احيف ولا اظلم ولا الزم اححداً الا ما عرفته منه قبل ان اخلقه، ثم قال الباقر عليه السلام إقرأ هذه الاية قلت يا ابن رسول الله أية آية، قال قوله تعالى قال معاذ الله ان نأخذ إلاّ من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون، هو في الظاهر ما تفهمونه وهو في الباطن هذا بعينه يا ابا ابراهيم ان للقرآن ظاهراً وباطناً ومحكماً ومتشابهاً وناسخاً ومنسوخاً ثم قال اخبرني يا ابا ابراهيم عن الشمس اذا طلعت وبدا شعاعها في البلدان أهو باين من القرص، قلت في حال طلوعه باين قال أليس اذا غابت الشمس اتصل ذلك الشعاع بالقرص حتى يعود اليه قلت نعم قال كذلك يعود كل شيء الى سنخه وجوهره واصله فاذا كان يوم القيامة نزع الله سنخ الناصب وطينته مع ثقله واوزاره من المؤمن، فيلحقها بالناصب وينزع سنخ المؤمن وطينته مع حسناته وابواب بره واجتهاده من الناصب، فيلحقها كلها بالمؤمن أفترى هيهنا ظلماً أو عدواناً، قلت لا يا ابن رسول الله قال هذا والله القضاء الفاصل، والحكم القاطع، والعدل البيّن لا يسأل عما يفعل، وهم يسألون هذا يا ابا ابراهيم الحق من ربك فلا تكن من الممترين.

قال الليثي فقلت يا ابن رسول الله ما اعجب هذا حسنات اعدائكم فتردّ على شيعتكم وتأخذ سيئات محبيكم فترد على مبغضيكم، قال أي والله الذي لا اله الا هو فالق الحبة وبارئ النسمة وفاطر الارض والسماء، ما اخبرتك الا بالحق ولا انبأتك الا بالصدق وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد وان ما اخبرتك به لموجود في القرآن كله، قلت هذا بعينه يوجد في القرآن، قال نعم يوجد في اكثر من ثلاثين موضعاً، في القرآن أتحب ان اقرأ ذلك عليك قلت بلى يا ابن رسول الله فقال قال الله عز وجل قال الذين كفروا للذين آمنوا تبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون وليحملنَ اثقالهم واثقالاً مه اثقالهم الاية، قال ازيدك يا ابا ابراهيم قلت بلى يا ابن رسول الله قال ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون أتحب ان ازيدك قلت بلى يا ابن رسول الله قال فاولئك يبدَل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً، يبدّل الله سيئات شيعتنا حسنات ويبدَل الله حسنات اعدائنا سيئات وجلال الله ووجه الله ان هذا لمن عدله وانصافه لا رادّ لقضائه ولا معقّب لحكمه وهو السميع العليم.

الم أبين لك امر المزج والطينتين من القرآن قلت بلى يا ابن رسول الله قال اقرأ يا ابا ابراهيم الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة هو اعلم بكم اذ انشأكم من الارض، يعني من الارض الطيبة والارض المنتنة فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى

يقول لا يفتخر احدكم بكثرة صلوته وصيامه وزكوته ونسكه لان الله عز وجل اعلم بمن اتقى منكم فان ذلك اللمم وهو المزج ازيدك يا ابا ابراهيم قلت بلى يا ابن رسول الله قال كما بدأوكم تعودون فريقاً هدى وفريقاً حقّ عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله يعني ائمة دون ائمة الحق، ويحسبون انهم مهتدون خذها اليك يا ابا اسحق فوالله انه لم عزيز احاديثنا، وباطن سرائرنا ومكنون خزائنا وانصرف ولا تطلع على سرّنا أحداً الا مؤمناً مستبصراً فانك ان اذعت سرنا بليت في نفسك ومالك واهلك وولدك.

وعن علي بن الحسين عليهما السلام قال ان الله تعالى خلق النبيين من طينة عليين قلوبهم وابدانهم وخلق قلوب المؤمنين من تلك الطينة، وجعل ابدان المؤمنين من دون ذلك وخلق الكفار من طينة سجين قلوبهم وابدانهم فخلط بين الطينتين فمن هذا يلد المؤمن الكافر ويلد الكافر المؤمن، ومن هنا يصيب المؤمن السيئة، ومن هنا يصيب الكافر الحسنة فقلوب المؤمنين تحنّ الى ما خلقوا منه وقلوب الكافرين تحنّ الى ما خلقوا منه، وقال الصادق عليه السلام الطينات ثلاث طينة الانبياء، والمؤمن من تلك الطينة الا ان الانبياء هم من صفوتها هم الاصل، ولهم فضلهم والمؤمنون الفرع من طين لازب كذلك لا يفرّق الله عز وجل بينهم وبين شيعتهم.

وقال طينة الناصب من حماء مسنون، وام المستضعفون فمن تراب لا يتحوّل لمؤمن عن ايمانه ولا ناصب عن نصبه ولله فيهم المشيئة وفي آخر عن الصادق عليه السلام قال الله عز وجل لما اراد ان يخلق آدم عليه السلام بعث جبرئيل عليه السلام في اول ساعة من يوم الجمعة فقبض بيمينه قبضة من السماء السابعة الى السماء الدنيا وأخذ من كل سماء تربة وقبض قبضة أخرى من الارض السابعة العليا الى الارض السابعة القصوى، فأمر الله عز وجل كلمته فأمسك القبضة الاولى بيمينه والقبضة الاخرى بشماله، ففلق الطين فلقتين فذرأ من الارض ذروا ومن السموات ذرواً فقال للذي بيمينه منك الرسل والانبياء والاوصياء الصديقون والمؤمنون والسعداء ومن اريد كرامته فوجب لهم ما قال كما قال وقال للذي بشماله منك الجبارون والمشركون والكافرون والطواغيت ومن اريد هوانه وشقوته، فوجب لهم ما قال كما قال.

ثم ان الطينتين اختلطتا جميعاً، وذلك قول الله عز وجل فالق الحب والنوى فالحب طينة المؤمنين التي القىالله تعالى عليها محبته، والنوى طينة الكافرين الذين نأوا عن كل خير وانما سمّى النوى من اجل انه نئا عن كل خير وتابعد منه، وقال الله عز وجل يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، فالحي الذي يخرج من الميت هو المؤمن الذي تخرج طينته من طينة الكافر والميت الذي يخرج من الحي هو الكافر الذي يخرج من طينة المؤمن فالحي المؤمن والميت الكافر وذلك قوله عز وجل أومن كان ميتاً فأحييناه فكان موته اختلاط طينته مع طينة الكافر وكان حيوته حين

فرَق الله عز وجل كذلك يخرج الله عز وجل المؤمن في الميلاد من الظلمة بعد دخوله فيها الى النور ويخرِج الكافر من النور الى الظلمة بعد دخوله الى النور وذلك قوله عز وجل لينذر من كان حياً ويحقَ القول الكافرين.

وقال الصادق عليه السلام ان الله خلقنا من عليين وخلق ارواحنا من فوق ذلك وخلق ارواح شيعتنا من عليين، وخلق اجسادهم من دون ذلك فمن اجل ذلك القرابة بيننا وبينهم وقلوبهم تحنَ الينا، وعن الصادق عليه السلام ان الله خلقنا من نور عظمته ثم صوّر خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش فاسكن ذلك النور فيه فكنّا نحن خلقاً وبشراً نورانيين، لم يجعل لاحد في مثل الذي خلقنا منه نصيباً، وخلق ارواح شيعتنا من طينتنا وابدانهم من طينة مخزونة مكنونة اسفل من ذلك الطينة، ولم يجعل الله لاحد في مثل الذي خلقنا منه نصيباً، الا للانبياء ولذلك صرنا نحن وهم الناس وسائر الناس همج الناس والى النار.

اقول هذا بعض احاديث الطينة، وقد روى في هذا المعنى اخبار كثيرة باسانيد متعددة، تركنا نقلها حذراً من التطويل، ولانها في المعنى راجعة الى ما ذكرناه، ولا بدَ من الكلام على هذه الاخبار والكشف عن معناها، لان ظاهرها ان يكون الانسان في هذا العالم مجبوراً على كل افعاله وليس له اختيار اذ افعاله بمقتضى الطينة، فيخرج هو عن حالة الاختيار ويكون هذه الاخبار دليلاً لمن قال بأن العبد مجبور على افعاله، كالاشاعرة ومن حذى حذوهم فنقول الكلام فيها يتمَ ببيان امرين الاول في تصحيح الفاظها فنقول قول ابي اسحاق الليثي المؤمن المستبصر المراد به من يكون له بصيرة تامة في امور الدين واما قوله عليه السلام اللهم لا في الزنا وما بعده ونفيه هذه الكبائر فهو اشارة الى ما يحققه عليه السلام بعيد هذا من ان سبب ارتكاب المؤمن هذه الكبائر هو مزج الطينتين فهذه الذنوب وان صدرت منه ظاهراً وهو آلة لها لكنها في الحقيقة قد كان مصدرها غيره وهو الماء الذي دخل في طينته حال المزج بطينة الكافر، فالكافر في الحقيقة هو الفاعل لهذه الافعال.

وقوله عليه السلام ملمَ وما ذكره في تفسيره اشارة الى قوله سبحانه في صفة المؤمنين ويجزي الذين احسنوا بالحسنى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم، فالزنا وما ذكر بعده من كبائر الذنوب وفواحشها، واللمم ما قل من الذنب وصغر، ومن قولهم المَ بالمكان اذا قلَ فيه لبثه والمَ بالطعام قلَ منه اكله كالنظرة والغمزة والقبلة وقيل المراد باللمم كل ذنب لم يذكر الله عليه حداً ولا عقاباً، وقوله عليه السلام ولا تستحسر معناه، ولا تمل استفعال من حسر اذا اعيا وتعب، وقوله فكيف هذا ولم ذاك أي كيف صدرت منه هذه الذنوب ولم نفيها عنه سابقاً مع وقوعها منه ظاهراً، ويجوز ان يكون قوله عليه السلام ولم ذاك تأكيداً لسابقه بقرينة ما سيأتي وقوله وضاق ذرعى معناه اني عجزت عن البلوغ اليه من قولهم مددت ذرعي اليه، فبلغت ذراعي، ومددت اليه فقصر عنه

ذراعي، لان تناول المحسوسات انما يكون باليد غالباً واتسع فيه فاستعمل في تناول المعقولات والطواغيت هم فلان وفلان ومن حذى حذوهم.

وقوله عليه السلام العاملة الناصبة اشارة الى الاية، وهي هل اتيك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية تسقى من عين آنية، وفسِّرت تارة بأنها عاملة في النار عملا تتعب فيه، وهو جرَها السلاسل والاغلال وارتقاؤها دائبة في صعودها وهبوطها، وأخرى بأنها عملت ونصب في الدنيا في اعمال لا يجديها نفعاً في الاخرة وهذا يؤال الى ما اراده عليه السلام هنا فان المراد هنا انها عاملة لاعمال الخير ظاهراً، ولكنها نصبت العداوة لاهل بيت نبيها ولمحبيهم فلا ينفعها ما عملت والانية الحارة التي بلغت منتهاها، وقوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل الاية، فالمراد بها اعمالهم الحسنة كصلة الرحم والعبادات، والهباء ما يخرج من الكوّة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار، وفي الاخبار ان الله سبحانه في القيامة يأمر لجماعة باعمالهم الحسنة فتؤتى اليهم وهم ينظرون اليها من بعيد بيضاء نقية كالثياب القبطية، فيفرحون بها فيكونون في اشد ما يكون من الحاجة اليها، فاذا قربت اليهم ارسل الله اليها ريحاً عاصفة، ففرقتها في الهواء وجعلتها هباءاً منثوراً، وهذا هو احد معاني قوله سبحانه ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين.

وقوله عليه السلام فعرض عليها ولايتنا اهل البيت، يدلّ على ما قدّمناه من ان الله سبحانه قد اعطى الجمادات نوعاً من الشعور، والفهم تعرف به خالقها ومبدعها، وتسبحه وتعرف به اولياءه الحجج على الخلق وبه قبلت بعضها ولاية الائمة عليهم السلام فمن قبلتها كانت ارضاً حلوة محلاً للنماء والزرع، ومن لم يقبلها من الارض كانت مالحة منتنة سبخة ليس فيها مدخل للخير بوجه من الوجوه وقد عرضت على الحيتان فمن قبلها صار مباركاً حلال الاكل ومن لم يقبلها كان خبيثاً حرام الاكل لا يأكله الا المخالفون كالجري واشباهه وكذلك الطيور فانه قد روى ان العصفور يحب فلاناً وفلاناً، وهو سني فينبغي قتله بكل وجه واعدامه واكله وكذا ضروب المخلوقات والثمار الحلوة والمرة والبقول.

وقوله اجاجاً آسناً الاجاج المالح الشديد المملوحة، والاسن المتغير الريح والسنخ الاصل من كل شيء واما قوله واوزار الذين يضلونهم بغير علم الاية، فانطباقه على ما هنا مشكل، وذلك لان مخالفينا لم يضلونا ويمكن ان يراد اما اضلال علمائهم لجهالنا فانه قد يقع وان كان نادراً، واما ان يكون تشبيهاً وتمثيلاً لحمل الاوزار، وفايدته نفي الاستبعاد من ان يكون الانسان في القيامة يحمل اوزار غيره وآثامه ولعل هذا هو الاولى، والاصوب في الجواب ان يقال المراد ان ما يقع من المؤمنين من الذنوب والمعاصي انما هو سبب مزج الطينة وسراية ماء طينة الكافر، فكان الذي اضلَ

المؤمن حتى ارتكب الفواحش هو الكافر، فالكافر قد اضل المؤمن وهو لا يعلم، لان مناطه ما وقع في العالم الاول وكل منها قد نسيه.

واما قول علي بن الحسين عليهما السلام من طينة عليين فالمراد بالعليين اما السماء السابعة، واما اعلى مكان في الجنة كما قاله اهل اللغة وسجين اسل مكان في النار وقوله عليه السلام قلوبهم وابدانهم الظاهر ان المراد بالقلوب هنا الارواح بقرينة ما سيأتي اطلق عليها لشدة العلاقة بينهما فان اهل المعقول من الحكماء والاطباء قالوا ان الروح انما تتعلق اولاً بالقلب وتنبعث منه الى الاعضاء.

وقوله لازب قال في القاموس لزب الطين ككرم لزق وصلب، وقوله من حماء مسنون الحمأ الطين الاسود المنتن، والمسنون المنتن، واما قوله واما المستضعفون الظاهر ان المراد منهم مستضعفوا المخالفين، وهم من لم يعاند على الحق ولم يتعصب عليه ولم يبغض احداً من المؤمنين على الدين، وهم طائفة من جهال اهل الخلاف وقول الصادق عليه السلام بعث جبرئيل عليه السلام (ا ه) لا ينافي متقدم، من ان الملك الذي اخذ الطينة هو ملك الموت، واما جبرئيل فقد رجع عن اخذ التربة، لان التي رجع عن اخذها جبرئيل عليه السلام هي طينة ابينا آدم وحدها وهذه المأخوذة هي طينة كل المخلوقات من آدم واولاده ويحتمل العكس.

الامر الثاني في الكشف عن معناها فنقول قد سلك الاصحاب رضوان الله عليهم فيها مسالك مختلفة اولها ما صار اليه سيدنا الاجل علم الهدى طاب ثراه من انها اخبار آحاد مخالفة للكتاب والاجماع فوجب ردها، فلذلك طرحها كما هو مذهبه في اخبار الاحاد اينما وردت، وذلك لان الكتاب والاجماع قد دلاّ على ان صدور الحسنة والسيئة انما هو باختيار العبد وليس فيه مدخل للطينة بوجه من الوجوه.

والجواب ان اصحابنا قد رووا هذه الاخبار بالاسانيد المتكثرة في الاصول وغيرها فلم يبق مجال في انكارها، والحكم عليها بانها اخبار آحاد بل صارت اخباراً مستفيضة بل متواترة، واما مخالفتها للكتاب والاجماع فسيأتي الجواب عنه.

وثانيها ما ذهب اليه ابن ادريس (ره) من انها اخبار متشابهة يجب الوقوف عندها وتسليم امرها اليهم عليهم السلام فان كلامهم متنوع كالقرآن الى محكم ومتشابه ونحو ذلك، وهذا اقرب من الاول واسلم عاقبة منه لكن يرد عليه ان هذه الاخبار قد القاها الائمة عليهم السلام الى آحاد الشيعة، للتفهم والتعليم وان يعتقدوا معانيها كما القيت اليهم ولعلهم قد فهموا معانيها بقرائن الحال والمقال.

وثالثها ما صار اليه بعض المحدثين من حملها على المجاز والكناية كما يقال في العرف لمن اصدى خيره الى عباد الله وحسن خلقه، هذا رجل قد عجنت طينته بفعل الخير وحب الكرم

والتقوى، وهذا في غاية البعد بل حمل هذه الاخبار خصوصاً الخبر الاول على مثل هذا غير محتمل بوجه من الوجوه، وان احتمله بعض اخبار هذا الباب.

ورابعها وهو المشهور في تأويل هذه الاخبار وما ضاهاها مما ظاهره الجبر ونفي الاختيار الوارد في كل الاخبار من انه منزّل على العلم الالهي، فانه سبحانه قد علم الاشياء قبل وجودها كعلمه بها بعد وجودها، وقد علم في الازل احوال الخلق في الابد وما يأتونه وما يذرونه بالاختيار منهم، فلما علم منهم هذه الاحوال وانها تقع باختيارهم عاملهم هذه المعاملة كالخلق من الطينة الخبيثة المنتنة، والاحوال السابقة روى الصدوق طاب ثراه باسناده الى ابن ابي عمير، قال سألت ابا الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله الشقي من شقى في طبن امه، والسعيد من سعد في بطن امه، فقال الشقيي من علم الله عز وجل وهو في بطن امه انه سيعمل اعمال الاشقياء والسعيد من علم الله عز وجل وهو في بطن امه انه سيعمل اعمال السعداء، قلت فما معنى قوله صلى الله عليه وآله اعملوا فكلّ مسيّر لما خلق له فقال ان الله عز وجل خلق الجن والانس ليعبدوه ولم يخلقهم ليعصوه وذلك قوله عز وجل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فيسّر كلاً لما خلق فالويل لمن استحب العمى على الهدى، وهذا الحديث الشريف يكشف عن فرد واحد من افراد هذه المقالة، ولكن الظاهر ان حكم ما عداه حكمه لاتحاد الطريق.

وخامسها ما خطر بالبال ولكن اخذا من الطاهرين عليهم السلام وحاصله انه قد تحققت من الانوار السابقة ان خلق الارواح قد كان قبل خلق عالم الذر، وقد اججَ سبحانه ناراً وكلّف تلك الارواح بالدخول، فمنهم من بادر الى الامتثال ومنهم من تأخر عنه ولم يأت له، فمن هناك جاء الايمان والكفر ولكن بالاختيار فلما اراد سبحانه ان يخلق لتلك الارواح ابدانا تتعلق بها لكل نوع من الارواح مناسباً له من الابدان كان جعل للارواح الطيبة ابدانا مثلها، وكذا للارواح الخبيثة، فيكون ما صنع بها سبحانه جزاءاً لذلك التكليف السابق، نعم لما مزج الطينتين اثر ذلك المزج في قبولا الاعمال الحسنة وضدّها، فان قلت اذا كان الحال على هذا المنوال فلأي شيء قال الصادق عليه السلام لابي اسحاق الليثي لا تطلع على سرنا احداً الا مؤمنا وان اطلعت غيره على هذا ابتليت في نفسك ومالك واهلك، وما معنى هذه التقية ومن أي فريق يكون.

قلت يجوز ان يكون هذه التقية من المخالفين فانهم اذا فهموا هذا العلم علموا من القرائن ان ليس المراد باهل الشمال المذكورين في الخبر الا همّ ومثل هذا مما يتقي فيه قطعاً، ويجوز ان يكون تقية او اتقاءاً على الشيعة فانّ عوامهم اذا سمعوا بمثل هذا اقبلوا على الاتيان بانواع المحارم والذنوب، فيكونون قد اتوا ذنوباً تزيد على ما يقتضيه مزج الطينتين، لانك قد تحققت ان اللمم وهي الصغائر القليلة قد يفعل المؤمن بمقتضى مادته وطبيعته، واما الكبائر كالزنا واللواط ونحو

ذلك فهو انما يفعلها بمقتضى ما وصل اليه من خلط الطينات، فاذا اطلع على مثل هذا الحديث، وتعمّد افعال الكبائر لحصول اللذة الدنيوية، ولعلمه بأن وبالها الاخروي انما هو على غيره، فقد أتى بفعل من مادته وطبيعته، وزاد على ما اتى اليه من خبث المزج، لان معاصي المزج هي المعاصي المتعارفة الوقوع في كل الاعصار بمقتضى الدواعي، واما اذا كان الداعي ما عرفت من انها ذنوب على الغير وان فعلها هو فلا يكون فعلها من المعاصي المتعارفة، فيكون انما اتى بها منه ومن مادته لا من قضية المزج، فتأمل وتفكّر في هذا المقام وقد بقى هيهنا ابحاث شريفة وشّحنا بها شرحنا على الصحيفة.

نور علمي تقديري

نور يكشف عن بعض احوال علمه القديم وتقديره الازلي سبحانه وتعالى

اعلم ان المليين قد ذهبوا الى ان علمه تعالى يعمّ المفهومات كلها، الممكنة والواجبة والممتنعة ويحيط بالكليات على الوجه الكلي، وبلجزئيات على الوجه الجزئي، وقد خالف في هذا الدهرية وقدماء الفلاسفة، وافترقوا ستَ فرق.

الفرقة الاولى من الدهرية ذهبوا الى انه لا يعلم نفسه قالوا لان العلم نسبة والنسبة لا تكون الا بين شيئين متغايرين، ولا تغاير بين الشيء ونفسه، والجواب منع كون العلم نسبة بل هو اما عين الذات او صفة حقيقية ذات نسبة الى المعلوم، ونسبة الصفة الى الذات ممكنة سلّمنا كونه نسبة لكن لا نسلّم ان الشيء لا ينسب الى ذاته نسبة علمية، فان التغاير الاعتباري كاف لتحقق هذه النسبة، وكيف لا يكون كذلك وأحدنا يعلم نفسه مع عدم التغاير بالذات.

الفرقة الثانية من قدماء الفلاسفة من قال أنه لا يعلم شيئاً أصلا تعالى عما يقول الكافرون علواً كبيرا، ودليلهم أنه لو علم لعلم نفسه، اذ على تقدير كونه عالماً بشيء يعلم أنه يعلمه وذلك يتضمن علمه بنفسه، وقد بينا امتناعه في مذهب الفرقة الاولى، والجواب ان مبنى هذا القول على قول الفرقة الاولى، وقد عرفت الجواب عنه.

الفرقة الثالثة قالوا انه عالم بذاته ولكن ليس عالماً بغيره، واستدلوا عليه بان العلم بالشيء غير العلم بغيره من الاشياء الاخر والا يلزم ان من علم شيئاً علم جميع الاشياء لان العلم به عين العلم بها وهو باطل، واذا كان العلم بهذا الشيء مغايراً للعلم بذلك الشيء فيكون له بحسب كل معلوم علم على حدحة، فيكون في ذاته كثرة متحققة غير متناهية وهي العلوم بالمعلومات التي لا

تتناهى، وذلك محال والجواب ان العلم واحد والتكثر انما هو واقع في الاضافات بالنسبة الى المعلومات والعلم واحد لكنه كثير الاضافات والتعلقات.

الفرقة الرابعة قالوا انه لا يعقل غير المتناهي، اذ المقول متميز عن غيره وغير المتناهي لا يتميز عن غيره بوجه من الوجوه، والا كان له حدّ وطرف يتميز به عن الغير واذا كان كذلك فهو غير متناه، والجواب انه معقول له حيث عدم التناهي يعني ان المجموع من حيث هو مجموع متميز عن غيره بوصف اللاتناهي، ومعقول بحسبه او نقول ان المعقول، هو كل واحد واحد من غير المتناهي، وهو متميز عن غيره من تلك الاحاد ومن غيرها، ولا يضر في تميز كل واحد واحد عدم تميَز الكل من حيث هو كل او نقول لانسلّم ان المعقول المتميز يجب ان يكون له حدّ ونهاية يمتاز بهما عن غيره وانما يكون كذلك ان لو كان تعقله بتميزه منم غيره منحصراً في الحد والنهاية، وهو ممنوع لان وجوه التمييز لا تنحصر فيه.

الفرقة الخامسة وهم جمهو رالفلاسفة قالوا انه سبحانه لا يعلم الجزئيات المتغيرة واستدلوا عليه بأنه اذا علم مثلاً ان زيداً في الدار الان ثم خرج زيد عنها فاما ان يزول ذلك العلم ويعلم أنه ليس في الدار، او يبقى ذلك العلم بحاله، والاول يوجب التغيّر في ذاته من صفة الى اخرى والثاني يوجب الجهل وكلاهما نقص يجب تنزيهه تعالى عنه، وقالوا وكذلك لا يعلم الجزئيات المتشكلة وان لم يكن متغيَرة، كأجرام الافلاك الثابتة على اشكالها، لان ادراكهما إنما يكون بآلات جسمانية وكذا الحال في الجزئيات المتشكلة المتغيّرة اذ قد اجتمع فيها المانعان، بخلاف الجزئيات التي ليست متشكلة ولا متغيرة فانه يعلمها بلا محذور كذاته تعالى وذوات العقول، والجواب منع لزوم التغيَر فيه فان التغير إنما هو في الاضافات لان العلم اما اضافة مخصوصة او صفة حقيقية ذات اضافة، فاللازم انما هو تغيَر الاضافات فقط، فلا يلزم التغيّر في صفة موجودة، بل في امر اعتيادي وهو جايز وادراك التشكل انما يحتاج الى آلة جسمانية اذا كان العلم حصول الصورة، واما اذا كانت اضافة محضة او صفة حقيقية ذات اضافة بدون الصورة فلا حاجة اليها.

الفرقة السادسة منهم قالوا ان الله سبحانه لا يعلم الجميع بمعنى سلب الكل، أي رفع الايجاب الكلي لا بمعنى السلب الكلي كما زعمته الفرقة الثانية، قالوا انه لو علم كل شيء فاذا علم شيئاً علم ايضاً علمه به، لان هذا العلم شيء من الاشياء ومفهوم من المفهومات وكذا علم علمه بعلمه لانه شيء آخر ويلزم التسلسل في العلوم والجواب انه تسلسل في الاضافات لا في امور موجودة، والتسلسل في الاضافات غير ممتنع، هذا محصّل مقالاتهم مجملاً، وهو تعالى علواً كبيراً عن هذه المقالات واشباهها، وسبحان من يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة السوداء في الليلة السوداء، وما ذهبوا الى هذه السخيفة الا لعدم اعتقادهم بأن الرازق على الاطلاق هو

الباري سبحانه اذ لو صاروا اليه لما وسعهم القول بهذه المزخرفات لانه سبحانه قد ضمن ارزاق مخلوقاته في كل احوالها جزئية وكليّة وايصال الرزق في كل الاحوال فرع على العلم فيها كما لا يخفى .

وفي الرواية ان موسى عليه السلام قال يوماً يا رب اريد ان اطلع على رزاقك للعباد، فقال له اذا كان غداً فأمض الى ساحل البحر وانظر ما ترى، فلما كان من الغد أقبل الى الساحل فرأى حيواناً صغيراً يعدو من البر وفي فمه طعمة، فأقبل حتى وصل الى جرف البحر فطلعت ضفدع من البحر وأخذت تلك الطعمة من فيه فغاصت تحت الماء، فقال الله تعالى لموسى عليه السلام إضرب البحر حتى يصير لك في طريق واتبع الضفدع فتبعها في بطن البحر وهي تسعى حتى بلغت بطن البحر واذا فيه صخرة سوداء مربعة وفيها ثقب فخرجت نملة من ذلك الثقب وأخذت الطعمة من فم الضفدع ودخلت، فأمر موسى بفلق الصخرة فلما فلقها نصفين رأى في بطنها دودة عمياء ورأى تلك الطعمة في فم تلك الدودة تأكل منها، فقال موسى سبحانك عجباً لمن عرفك كيف يهتم لرزقه.

وحكى في بعض السير والتواريخ ان ملكاً من الملوك كان جالساً يتغذّى وفوق طعامه دجاجة مطبوخة فلم يشعر الا وقد انكبت عليه حداة من الهوى فأخذت تلك الدجاجة من فوق فغضب لهذا وركب فرسه مع جماعة منعسكره فطلب الحداة حتى امعنوا في طلبها، فوصلت الى جبل عالٍ ومضت الى خلف الجبل فنزلوا عن خيولهم ورقَوا ذلك الجبل فلما صعدوا الى قلّته ونظروا الى خلف الجبل رأوا تلك الحداة قد أتت ونزلت على رجل مضروبة بالاوتاد يداه ورجلاه وملقى على قفاه، فقربت اليه الحداة وجعلت تقطع لحم تلك الدجاجة بمنقارها ومخالبيها وتضعه في فم ذلك الرجل حتى يأكله، فلما فرغت من هذا طارت الى عين الماء في ذلك الجبل وحملت اليه ماءاً في حوصلتها وأتت اليه وسقته اياه ثم طارت فأتى اليه ذلك السلطان مع اصحابه وحلَوا اوتاده واجلسوه وسألوه عن قصته فقال اني تاجر وقد قطع اللصوص عليَ هذا الطريق فأخذوا مالي واتفقوا على ان يحبسوني فوق هذا الجبل بهذه الاوتاد، فلما مضوا عني وبقيت يوماً على هذه الحال أتت اليَ هذه الحداة مع طعمة وماء وصارت تتعاهدني في كل يوم مرتين كما شاهدتم، فلما رأى السلطان كيف يوصل الله سبحانه روقه الى عباده قال لعن من يهتّم للرزق فترك الملك واشتغل بالعبادة حتى مات، ومن هذا النحو كثير لا نطول بذكره الكتاب ولنرجع الى ما نحن بصدده فنقول.

قد ذهب الاشاعرة وهم اكثر المخالفين الى ان عمله سبحانه بالاشياء في الازل على لوقوعها في الابد، فكل ما يقع في هذا العالم من الفسوق والمعاصي فهو مستند ومعلول لذلك العلم القديم، وحتى ان بعضهم ربما لاط او زنى ولما عنّف اجاب بان الله سبحانه قد علم مني

ذلك في الازل فلو لم افعله لكان قد انقلب علمه سبحانه جهلاً، فهو على عيانه يرى ان له الاجر والاحسان على الله تعالى حيث انه لم يخالف علمه سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً، ومن هذا الاصل ذهبوا الى ذلك الفرع الذي امتازوا به عن جميع الملل والاديان، وهو القول بأن العبد ليس له قدرة ولا اختيار على افعاله بل المؤثر فيها والموجد لها هو الله سبحانه، فهو الذي جبَر عبده على الكبائر والمعاصي ومع هذا عاقبه عليها لانه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

والتحقيق ان علمه سبحانه تابع للمعلوم والمعلوم كاشف عنه فعلى أي نحو وقع المعلوم يكون كاشفاً عن ان الله سبحانه قد علمه على هذا النحو، لان علمه الازلي غير معلوم لنا وانما نعلمه بوقوع المعلومات، والاشاعرة قالوا ان المعلوم تابع للعلم ونحن نقول ان العلم تابع للمعلوم، وسيأتي تحقيقه ان شاء الله تعالى في نور افعال العباد.

واما القدرة ومساوقه وهو القضا فالكلام فيهما مشكل ومع ذلك فقد ورد النهي عنه عن مولانا امير المؤمنين عليه السلام روى الصدوق باسنادع الى الاصبغ بن نباتة قال قال امير المؤمنين عليه السلام في القدر الا ان القدر سرّ من سر الله وحرز من حرز الله مرفوع في حجاب الله مطوي عن خلق الله مختوم بختام الله سابق في علم الله وضع الله العباد عن علمه، ورفعه فوق شهاداتهم ومبلغ عقولهم، لانهم لا ينالونه بحقيقة الربانية ولا بقدرة الصمدانية ولا بعظمة النورانية ولا بغرة الوحدانية لانه بحرز آخر خالص لله عز وجل، عمقه ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب اسود كالليل الدامس كثير الحيّات والحيتان يعلو مرة ويسفل أخرى في قعرها شمس تضيء، لا ينبغي ان يطلّع عليها الا الله الواحد الفرد فمن تطلّع عليها فقد ضادَ الله عز وجل في حكمه ونازعه في سلطانه وكشف عن ستره وسرَه وباء بغضب من الله ومأويه جهنم وبئس المصير.

فهذا مما يدلّك على ان تحقيق هذا المقام مما حجب عن ابصار العقول فلا ينبغي التفكّر فيه لانه يؤل الى مكان دقيق فيرجع العقل عنه متلبساً بمذهب اهل الحبر، ولكن لا بدّ لنا من الكلام في نوعين من انواع الاحاديث.

النوع الاول الاخبار الدالة على أنه سبحانه قد قضى وفعل ما كان وما يكون ولم يبق شيء من افعاله الابدية تحتاج الى صنع جديد فهو قد فرغ من الامر، منها ما رواه علي بن ابراهيم عن ابيه عن ابن ابي عمير عن هشام عن ابي عبد الله عليه السلام قال اوّل ما خلق الله القلم فقال له اكتب فكتب ما كان وما هو كائن الى يوم القيامة، رواه ايضاً باسناده الى عبد الرحيم القصير عن ابي عبد الله عليه السلام قال سألته عن نون والقلم، قال ان الله تعالى خلق القلم من شجرة في الجنة يقال لها الخلد ثم قال لنهر في الجنة كن مداداً فجمد النهر وكان اشدّ بياضاً من الثلج وأحلى من الشهد

ثم قال للقلم اكتب قال يا رب وما اكتب، قال اكتب ما كان وما هو كائن الى يوم القيامة، فكتب القلم في رقَ اشد بياضاً من الفضة واصفى من الياقوت، ثم طواه فجعله في ركن العرش ثم ختم على فم القلم فلم ينطق بعد ولا ينطق ابداً، فهو الكتاب المكنون الذي منه النسخ كلها اولستم عرباً فكيف لا تعرفون معنى الكلام واحدكم يقول لصاحبه انسخ ذلك الكتاب أوليس بنسخ من كاب آخر من الاصل وهو قوله انا كنّا نستنسخ ما كنتم تعملون.

وروى الصدوق طاب ثراه هذا المضمون باسانيد متعددة وكذا رواه العياشي ايضاً وروى الصدوق طاب ثراه انه هبط جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله في قباء اسود ومنطقة فيها خنجر، فقال يا جبرئيل ما هذا الزي فقال زي ولد عمك العباس، يا محمد ويل لولدك من ولد عمك العباس فخرج النبي صلى الله عليه وآله فقال يا عمّ ويل لولدي من ولدك، قال رسول الله أفأجاب نفسي قال جرى القلم بما فيه، ومن هذا الحديث اوحى الله الى نبي من انبيائه قل للمؤمنين لا يلبسوا لباس اعدائي ولا يطعموا مطاعم اعدائي ولا يسلكوا مسالك اعدائي فيكونوا اعدائي كما هم اعدائي قال الصدوق (ره) في عيون اخبار الرضا عليه السلام لباس الاعداء هو السواد ومطاعم الاعداء النبيذ والمشكر والفقاع والطين والجري والمامرماهي والزمار والطافي[1] وكل ما ليس له فلوس من السمك والارنب والضبَ والثعلب، وما لم يدّف من الطير وما استوى طرفاه من البيض والدبا بالدال من الجواد وهو الذي لا يستقلّ بالطيران والطحال ومسالك الاعداء مواضع التهمة ومجالس شرب الخمر والمجالس التي فيها الملاهي ومجالس الذين لا يقضون بالحق، والمجالس التي يعاب فيها الائمة عليهم السلام والمؤمنون ومجالس اهل المعاصي والظلم والفساد..

فاما لبس السواد للتقية فلا بأس فيه كما رواه حذيفة انه قال كنت عند ابي عبد الله عليه السلام بالحيرة فأتاه رسول ابي العباس الخليفة يدعوه، فدعا بممطر أحد وجهيه اسود والاخر ابيض فلبسه ثم قال عليه السلام اما اني البسه وانا اعلم انه لباس اهل النار، فاذا صحّت هذه الروايات من قوله جرى القلم بما فيه، فقد صح مذهب من قال ان الله سبحانه قد فرغ من الامر موافقاً لما قالته اليهود، فانهم قالوا انه تعالى خلق ما خلق وصنع وقدّر يوم الاثنين والثلاثا والاربعا والخميس والجمعة وفرغ يوم السبت منكل شيء فمن هذا اتخذوه عيداً لانه وقت فراغه سبحانه من جميع اشغاله حتى ردّ الله عليهن باللعن وانه ليس كما يقولون بل هو كل يوم في شأن وحال يقضى ويحكم ويعزل وينصب ويمحو ويثبت.

---

(١) الطافي السمك الذي يموت في الماء يعلو فوق وجهه يقال طفأ الشيء فوق الماء يطفو طفواً اذا علا ولم يرسب ورسب الشيء في الماء رسوباً سفل فيه.

قلت هذه الاخبار مجملة، وقد روى في هذا المعنى اخبار مفصلة منها ما روى في تفسير قوله تعالى، ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الاية ان الولد اذا كمل له اربعة اشهر في بطن امه بعث الله ملكين خلاّقين فيقتحمان في بطن امه من فمها فيصلان الى الرحم، وفيها الروح القديمة المنقولة في اصلاب الرجال وارحام النساء، فينفخان فيها روح الحيوة والبقاء ويشتقان له السمع والبصر وسائر الجوارح، ثم يوحي الى الملكين اكتبا عليه قضائي وقدري واشترطا لي البداء فيما تكتبان فيرفعان رؤوسهما فاذا اللوح يقرع جبهته وفيه صورته ورؤيته واجله وميثاقه شقيّا أو سعيدا وجميع شأنه، فيملى احدهما على صاحبه فيكتبان جميع ما في اللوح ويختمان الكتاب ويجعلانه بين عينيه والحديث طويل اخذنا منه موضع الحاجة.

ومنها ما رواه شيخنا الكليني طاب ثراه عن الباقر عليه السلام قال أن الله تبارك وتعالى عالم بما غاب عن خلقه فما يقدّر من شيء ويقضيه في علمه قبل ان يخلقه وقبل ان يقضيه الى ملائكته فذلك علم موقوف عنده اليه فيه المشيئة فيقضيه اذا اراد ويبدو له فلا يقضيه فأمّا العلم الذي يقدّره الله عز وجل ويقضيه ويمضيه فهو العلم الذي انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وآله ثم الينا ونحو ذلك من الاخبار الدالة على ان علمه سبحانه نوعان منه، ما علّمه ملائكته ورسله لتسعى به في ما بين السموات والارض فذلك لا يكون فيه محو ولا اثبات ولا تغيير ولا تبديل، وعلم استأثر به في أم الكتاب وهو اللوح المحفوظ الذي تدخل فيه انواع التغييرات والمحو والاثبات.

فان قلت اذا كان ذلك العلم مما يتغير لزم التغير في علمه القديم فيلزم التغير في الذات لانها عين العلم، قلت ذلك المتغير هو العلم الذي ابرزه الى القلم واللوح المحفوظ وكتبا فيه لا العلم الذي هو عين الذات، بل انما يقع التغيير والتبديل في العلوم المكتوبة في الدفاتر الالهية بسبب العلم القديم الذي علم به الاشياء قبل وجودها، واما العلم القديم الذاتي فلا يقال له تقدير ولا حكم ولا مكتوب، نعم اذا برز الى الوجود الخارجي اتصف بهذه الصفات، كما ان السلطان اذا علم انه يصنع غداً في ملكه الفعل الفلاني فقبل امره به وابرازه الى الوجود لا يتصف بالقضاء والحكم والامر نعم يتصف بالتقدير لمكان التروي والتفكر في حقه لا في حق الله سبحانه.

فصار الحاصل ان الذي كتبه القلم وختم عليه وقوله جرى القلم بما فيه علوم تداخلها المشيئة والتغيير لمكان المصالح بل وبما وقع المحو والاثبات في العلوم الخارجة الى الانبياء كما قال امير المؤمنين عليه السلام لولا آية في كتاب الله لاخبرتكم بما كان وما يكون الى يوم القيامة وهي قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب وكما وقه في شأن الذي اخبر عيسى عليه السلام بموته فلما كان الغد ولم يمت، قال له الحواريون يا روح الله لم يمت فقام معهم اليه فرأى الرجل حاملاً حزمة حطب، فقال له ضعها في الارض فلما وضعها قال له حلّها فحلها فرأى فيها حية سوداء عاضة

على حجر صلب فقال له يا عبد الله هذا قد ارسل اليك ليقتلك فما فعلت في يومك حتى كفَ الله عنك فقال يا روح الله كان عندي رغيف فتصدقت به على فقير، فقال نعم هذا الحجر الذي في فم هذا الثعبان هو الرغيف الذي تصدقت به، وقد وقع مثله في اخبارات محمد ﷺ وهذا لا يلزم منه تكذيب الانبياء عليهم السلام لاشتماله على تصديقهم في الاخبار وظهور معجزة على يديهم وان المحو والاثبات انما كان لهذا السبب الخاص.

النوع الثاني في اخبار القضاء الدالة على انه تعالى قضى كل شيء الخير والشر وافعال العباد كلها، روى الصدوق (ره) باسناده الى الحسن (الحسين خ) بن علي عليهما السلام قال سمعت ابي علي بن ابي طالب عليه السلام يقول الاعمال على ثلثة احوال فرائض وفضائل ومعاص، فاما الفرائض فبأمر الله عز وجل وبرضاء الله وبقضاء الله وتقديره ومشيته وعلمه، واما الفضائل فليست بأمر الله ولكن برضاء الله وبقضاء الله وبقدر الله ومبشية الله، واما المعاصي، فليست بأمر الله ولكن بقضاء الله وبقدره وبمشيته وبعلمه ثم يعاقب عليها، وعن الصادق عليه السلام انه جاء اليه رجل فقال له بأبي أنت وأمي عظني موعظة، فقال عليه السلام ان الله تبارك وتعالى تكفل الرزق فاهتمامك لماذا وان كان الرزق مقسوماً فالحرص لماذا، وان كان الحساب حقاً فالجمع لماذا، وان كان الخلف من الله عز وجل حقاً فالبخل لماذا وان كان العقوبة من الله عز وجل النار فالمعصية لماذا، وان كان الموت حقاً فالفرح لماذا وان كان العرض على الله عز وجل حقاً فالمكر لماذا، وان كان الشياطان عدواً فالغفلة لماذا، وان كان المر على الصراط فالعجب لماذا، وان كان كل شيء بقضاء وقدر فالحزن لماذا، وان كان الدنيا فانية فالطمأنينة فيها لماذا، الى غير ذلك من الاخبار الدالة على انه تعالى قد قضى الخير والشر وقضى جميع افعال العباد وقدّرها قبل خلق العالم بألفي عام وظاهرها يوافق مذهب الاشاعرة القائلين بأن افعال العباد مخلوقة لله تعالى، والعبد محل للفعل وليس لقدرة العبد مدخل في افعاله، قلت الجواب عن هذا هو انه قد ذكر جماعة من قدماء المحدثين ان القضاء يقال على عشرة معان:

اولها العلم ومنه قوله تعالى الا حاجة في نفس يعقوب قضيها يعني علمها،وثانيها الاعلام ومنه قوله عز وجل وقضينا الى بني اسرائيل، وقوله قضينا اليه الامر أي اعلمناه، وثالثها الحكم ومنه قوله تعالى يوم يقضي بالحق يعني يحكم، وروى يزيد بن معاوية الشاميّ قال دخلت على الرضا عليه السلام بمرو، فقت له يا ابن رسول الله روى لنا عن الصادق عليه السلام انه قال لا جبر ولا تفويض ولكن امر بين امرين فما كعناه فقال عليه السلام من زعم ان الله عز وجل فعل افعالنا ثم يعذبنا عليها فقد قال بالجبر، ومن زعم ان الله فوّض امر الخلق والرزق الى حججه فقال قال بالتفويض، فالقائل بالجبر كافر والقائل بالتفويض مشرك فقلت له يا ابن رسول الله فما امر بين امرين؟ قال وجود

السبيل الى اتيان ما امروا به وترك ما نهوا عنه، فقلت فهل لله مشيئة وارادة في ذلك، فقال اما الطاعات فارادة الله ومشيئته فيها الامر بها والرضا لها والمعاونة عليها، وارادته ومشيئته في المعاصي النهي عنها والسخط لها والعقوبة عليها والخذلان لها، فقلت فلله فيه القضا، قال نعم ما من فعل فعله العباد من خير او شرّ الا ولله فيه القضا، فقلت فما معنى هذا القضا، قال الحكم عليهم بما يستحقونه على افعالهم من الثواب والعقاب في الدنيا والاخرة.

ورابعها القول ومنه قوله تعالى يقضي بالحق أي يقول بالحق، وخامسها الحتم كما قال فلما قضينا عليه الموت يعني حتمناه فهو القضاء الحتم.

سادسها الامر ومنه قوله وقضى ربك الا تعبدوا إلا اياه يعني امر ربك، وسابعها الخلق كما قال وقضيهنَ سبع سموات في يومين يعني خلقهنَ، وثامنها الفعل ومنه فاقض ما انت قاض أي افعل ما انت فاعل، وتاسعها الاتمام نحو فلما قضى موسى الاجل أي اتمه وقوله ايّما الاجلين قضيت أي اتممت، العاشر الفراغ من الشيء ومنه قوله عز وجل قضى الامر الذي تستفتيان، وقول القائل قد قضيت لك حاجتك اذا تحققت هذا.

فاعلم ان القضاء في كل خبر ينزل على معنى من المعاني الماسبة له فما وقع في الروايات من قولهم عليهم السلام ان الاشياء كلها بقضاء الله وبقدره تبارك وتعالى بمعنى ان الله عز وجل قد علمها وعلم مقاديرها، وله عز وجل في جميعها حكم من خير او شر فما كان من خير فقد قضاه بمعنى انه امر به وحتمه وجعله حقاً وعلم مبلغه ومقداره، وما كان من شر فلم يأمر به ولم يرضه ولكنه عز وجل قضاه وقدره بمعنى انه علم بمقداره ومبلغه وحكم فيه بحكمه واما المعاصي فقضاء الله عز وجل فيها حكمه فيها ومشيئته فيها نهيه عنها، وقدره فيها علمه بمقاديرها ومبالغها، وهذا كله مأخوذ من كلام قدماء المحدّثين الذين لا يتكلمون الا عن الاخبار الواضحة، ومن الاخبار الواردة بظواهر مثل ما تقدّم من ايهامها كون الضلال والاضلال عنه تعالى لفظ الفتنة فانه قد نسب في الايات والاخبار اليه سبحانه والجواب ايضاً ان الفتنة كما يستفاد من الاحاديث والمحدثين يقال على عشرة اوجه.

اولها الضلال وهو ظاهر، وثانيها الاختبار ومنه وفتّناك فتونا، وقوله ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، وثالثها الحجة نحو ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ما كنا مشركين ورابعها الشرك نحو قوله تعالى والفتنة اشد من القتل، وخامسها الكفر ومنه الا في الفتنة سقطوا يعني في الكفر، وسادسها الاحراق بالنار نحو ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات الاية، يعني احرقوا في الكفر، وسابعها العذاب ومنه يوم هم على النار يفتنون يعني يعذبون وقوله ذوقوا فتنتكم هذا يعني عذابكم وقوله ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً وثامنها القتل نحو ان خفتم ان يفتنكم

الذين كفروا وقوله فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملأه ان يفتنهم، وتاسعها الصد نحو وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك يعني ليصدونك.

وعاشرها شدَة المحنة نحو ربنا لا يجعلنا فتنة للذين كفروا، وقوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين أي محنة فيفتنوا بذلك ويقولوا في انفسهم لم نقتلهم والا ودينهم الباطل وديننا الحق فيكون داعياً لهم الى النار على ما هم عليه من الكفر والظلم، وزاد علي بن ابراهيم على هذه الوجوه وجهاً آخر وهو المحبة نحو قوله عز وجل انما اموالكم واولادكم فتنة أي محبة، والذي روى في ذلك ان وجوه الفتنة عشرة على ما قاله الصدوق (ره) وان الفتنة في هذا الموضع ايضاً المحنة بالنون لا المحبة بالباء، وتصديق ذلك قول النبي ﷺ الولد مجهلة محنة منجلة رواه الصدوق قدس الله روحه.

واما قول الصادق عليع السلام ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ففيه وجوه اربعة الاول ما قاله شيخنا المفيد نور الله ضريحه من ان هذا مخصوص بافعاله تعالى دون افعال المكلفين يشهد بذلك قوله والله لا يحب الفساد وما الله يريد ظلماً للعباد، ويكون حاصل معناه ان كل فعل يريد الله وقوعه فانه يقع وكذا ما لم يرد وقوعه فانه لا يقع بخلاف العباد فان كل ما يريدون فعله لا يدخل تحت قدرتهم، الثاني القول بعمومه وشموله لافعال المكلفين لكن المشيئة فيه بمعنى العلم كما هو الوارد في بعض الروايات مثل المشيئة في قوله تعالى وما تشاؤون الا ان يشاء الله أي ما تريدون شيئاً الا ان الله سبحانه قد علمه في الازل لكن قد تحققت ان علمه تعالى ليس علة للمعلول كما لا يصير علمنا بان الشمس تطلع غداً علة في طلوعها.

الثالث ان يكون المشيئة في كل فقرة قد استعملت بواحد من معانيها ففي قوله عليه السلام ما شاء الله كان بمعنى الارادة، وفي قوله ما لم يشأل لم يكن بمعنى العلم جمعاً بين العقل والنقل، الرابع ان يكون المشيئة في اللفظين بمعنى الارادة لكنها في الثاني مجاز عن عدم الحليلولة ومنع الالطاف الربانية الحاجزة عن افعال المساوى والذنوب، فيكون من قبيل قوله تعالى يدي من يشاء ويضلُ من يشاء فان الاضلال كما توافق عليه العقل والنقل لا يريده الله سبحانه ولا يأمر به لكنه عبارة عن تخلية المرء ونفسه، وقد تقدَم في دعائه ﷺ رب لا تكلني الى نفسي طرفة عين، وحكاية دانيال وداود قد تقدمت ايضاً وعلى هذا يحمل كل ما ورد في القرآن الشريف والسنة من الالفاظ الموهمة لنسبة الاضلال اليه سبحانه.

فان قلت كيف جاز الخطاب منه سبحانه للعباد بمثل هذه الالفاظ الموهمة حتى تمسّك بها اهل الجبر في صحة مذهبهم السخيف واعتمدوا عليها وجعلوها دلائلهم على ان العبد ليس له اختيار في فعل من افعاله مقل قوله تعالى وما تشاؤون الا ان يشاء الله ومثل قوله تعالى قل كل من عند الله، ومثل قوله يهدي من يشاء ويضلَ من يشاء الى غير ذلك من الايات والاخبار.

قلت ان القرآن بحر واسع ظاهره انيق وباطنه عميق قد اشتمل على انحاء الكلام والتعبيرات الواقعة في كلام العرب المتداولة فيما بينهم من المجاز والكناية والاستعارة وإطلاق السبب على المسبب وعكسه ولا يميز مواقع كلامه تعالى بعضها عن بعض الا منم خاطبه الله به واطلعه على جميع معانيه، وليس هو الا النبي ﷺ وامره الله سبحانه بان يعلّمه اهل بيته المعصومين عليهم السلام ويجب على الناس ان يرجعوا اليهم في اخذ علوم القرآن، فهذه الالفاظ الموهمة انما هي موهمة عندنا وليس نحن مما خوطبنا به حتى يلزم الاغراء بما له ظاهر واريد خلاف ظاهره، والذين خوطبوا به قد فهموا معانيه منه تعالى من غير ابهام،ولذا سمّاهم تراجمة وحيه، وليس هذا الا من باب ان يكون سلطان له رعية لا يفهمون كلامه فيجعل بينهم وبيه مترجماً في تفهيم كلام ذلك السلطان للرعية فهو يخاطب المترجم ويفهمه ما اراد والمترجم يفهم الرعية معنى كلام السلطان، فليس للرعية ان يعترضوا ويقولوا ان هذا السلطان قد خاطبنا بما لا نفهم لانه لم يخاطبهم بل خاطب المترجم، وليس لهم ايضاً ان يأتوا الى كلام الملك ويحاولوا فهم معناه لعدم قابليتهم لفهمه لانه رموز وكنايات بينه وبين من وجه الخطاب اليهم فربما فهموا من كلامه غير ما اراد كما اتفق في تفاسير الجمهور من حمل كلام الباري سبحانه على المحامل التي ارادوها بآراعهم الفاسدة.

ومن هذا ذهب بعض مشائخنا المحققين الى ان القرآن كله متشابه بالنسبة الينا لا يجوز لنا ان نتكلم في محكمه على ما هو الظاهر منه، حتى انه قد سأله بعض الافاضل وانا كنت من الحاضرين في مسجد الجامع من شيراز فقال له ما تقول في قل هو الله احد فانها آية محكمة ظاهرة الدلالة على معناها، فأجابه بأنَ الاحد ما معناه وما مبدء اشتقاقه وما الفرق بينه وبين الواحد، واطال الكلام في مثل هذا وطبق عليه ما روى من قوله عليه السلام من فسّر القرآن برأيه فقد كفر، فان ظاهره شمول كلَ آياته ولما انتهى بنا الحال الى هنا فلا بأس بتحقيق هذا المقام ولم نر من حققه سوى شيخنا شيخ الطائفة طاب ثراه في تفسير التبيان وهذا كلامه.

واعلم ان الرواية ظاهرة في اخبار اصحابنا في ان تفسير القرآن لا يجوز الا بالاثر الصحيح عن النبي ﷺ او عن الائمة عليهم السلام الذين قولهم حجة كقول النبي ﷺ وان القول فيه بالرأي لا يجوز، وروت العامة ايضاً عن النبي ﷺ انه قال من فسّر القرآن برأيه فأصاب الحق فقد اخطأ وكره جماعة من التابعين وفقهاء المدينة القول في القرآن بالرأي كسعيد بن المسيب وعبيدة السلماني ونافع بن محمد بن القسم وسالم بن عبد الله وغيرهم ورووا عن عائشة انها قالت لم يكن النبي ﷺ يفسّر القرآن الا ان يأتي به جبرئيل عليه السلام والذي نقوله في ذلك انه لا يجوز ان يكون في كلام الله تعالى وكلام نبيه ﷺ تناقض وتضادّ وقد قال تعالى انا جعلناه قرآناً عربياً، وقال بلسان

عربي، وقال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه، وقال فيه تبيان كل شيء، وقال وما فرطنا في الكتاب من شيء فكيف يجوز ان يصفه بأنه عربي وانه بلسان قومه وانه بيان للناس ولا يفهم من ظاهره شيء وهل ذلك الا وصف له باللغز والمعمى الذي لا يفهم المراد به الا بعد تفسيره وذلك منزَه عن القرآن.

وقد مدح الله تعالى اقواماً على استخراج معاني القرآن فقال لعلمه الذين يستنبطونه منهم، وقال تعالى في قوم يذمهم حيث لم يتدبروا القرآن أفلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها، وقال النبي ﷺ اني ﷺ اني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي فبين ان القرآن حجة كما ان العترة حجة وكيف يكون حجة ما لا يفهم منه شيء وروى عنه عليه السلام قال اذا جاءكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافق كتاب الله فاقبلوه وما خالفه فاضربوا به عرض الحائط، وروى مثل ذلك عن ائمتنا عليهم السلام وكيف يكون العرض على كتاب الله وهو لا يفهم منه شيء وكلّ ذلك يدلّ على ان ظاهر هذه الاخبار متروك والذي نقول ان معاني القرآن على اربعة اقسام.

احدها ما اختص الله تعالى بالعلم به فلا يجوز لاحد تكَلف القول فيه ولا تعاطى معرفته وذلك مثل قوله تعالى يسألونك عن الساعة ايان مرساها قل انما علمها عن ربي لا يجليها لوقتها الا هو، ومثل قوله ان الله عنده علم الساعة الاية، فتعاطى معرفة ما اختصّ العلم به خطأ، وثانيها ما يكون ظاهره مطابقاً لمعناه فكل من عرف اللغة التي خوطب بها عرف معناه، مثل قوله تعالى ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق، ومثل قوله قل هو الله أحد، وغير ذلك، وثالثها ما هو مجمل لا ينبئ ظاهره عن المراد به مفصلاً مثل قوله تعالى اقيموا الصلوة واتوا الزكاة، وقوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا، وقوله تعالى وآتوا حقَه يوم حصاده، وقوله وفي اموالهم حقّ معلوم، وما اشبه ذلك فأن تفاصيل اعداد الصلاة وعدد ركعاتها وتفصيل مناسك الحج وشروطه ومقادير النصاب في الزكوة لا يمكن استخراجه الا ببيان النبي ﷺ ووحي من جهة الله تعالى فتكلف القول في ذلك خطأ ممنوع ويمكن ان يكون الاخبار متناولة له.

ورابعها ما كان اللفظ مشتركاً بين معنيين فما زاد عليهما، ويمكن ان يكون كل واحد منها مرادا فأنه لا ينبغي ان يقدم أحد فيقول ان مراد الله منه بعض ما يحتمل الا بقول نبي أو امام معصوم، بل ينبغي ان يقول ان الظاهر يحتمل الامور وكل واحد يجوز ان يكون مراداً على التفصيل والله اعلم بما اراد، ومتى كان اللفظ مشتركاً بين شيئين او ما زاد عليهما ودلّ الدليل على أنه لا يجوز ان يريد الا وجهاً واحداً جاز ان يقال انه هو المراد، ومتى قسمنا هذه الاقسام نكون قد قبلنا هذه الاخبار ولم نردها على وجه يوحش نقلتها والمتمسكين بها، ولا منعنا بذلك

من الكلام في تأويل الاي جملة، ولا ينبغي لاحد ينظر في تفسير آية لا ينبئ ظاهرها عن المراد مفصلاً ان يقلد احداً من المفسرين الا ان يكون التأويل مجمعاً عليه فيجب اتباعه لمكان الاجماع لان من المفسرين من حمدت طرائقه ومدحت مذاهبه كابن عباس والحسن وقتادة وغيرهم، وفيهم من ذمت مذاهبه كأبي صالح والسدي والكلبي وغيرهم هذا في الطبقة الاولى.

واما المتأخرون فكلَ واحد منهم نصر مذهبه وتأوّل على ما يطابق اصله فلايجوز لاحد ان يقلد احداً منهم بل ينبغي ان يرجع الى الادلة الصحيحة، اما العقلية او الشرعية من اجماع عليه او نقل متواتر به عمّن يجب اتباع قوله،ولا يقبل في ذلك خبر واحد وخاصة اذا كان مما طريقه العلم، ومتى كان التأويل مما يحتاج الى شاهد من اللغة فلا يقبل من الشاهد الا ما كان معلوماً بين اهل اللغة شايعاً فيما بينهم، فأما ما طريقه الاحاد من الابيات النادرة فأنه لا يقطع بذلك ولا يجعل شاهداً على كتاب الله وينبغي ان يتوقف فيه، ويذكر ما يحتمله ولا يقطع على المراد منه بعينه، فانه متى قطع على المراد كان مخطئاً وان اصاب الحق، كما روى عنه ﷺ قال ذلك تخميناً وحدساً ولم يصدر ذلك عن حجة قاطعة وذلك باطل بالاتفاق انتهى. وهو كلام رشيق انيق، ويستفاد من آخره ان القول فيما يدرك من القرآن بقواعد لعربية تخميناً وتشهياً خطأ ايضاً وان اصاب وقد اشار الى هذا المحقق الشريف في حاشية الكشاف ويظهر من كلام الشيخ (ره) انَ اللفظ اذا احتمل وجوها ولم يذكر المتقدمون الا وجهاً واحداً منها لم يجز للمتأخر ان يحمل الاية على غيره.

وذهب الاجل المرتضى (ره) في الذريعة الى جوازه وهذه عبارته والذي يوضح ما ذكرناه انا اذا تأولنا قوله تعالى وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة على ان المراد بها الانتظار لا الرؤية، وفرضنا انه لم ينقل عن المتقدمين الا هذا الوجه دون غيره جاز للمتأخر ان يزيد على هذا التأويل ويذهب الى ان المراد أنهم ينظرون الى نعم الله لان الغرض في التأويل جميعاً انما هو ابطال ان يكون الله تعالى في نفسه مرئياً والتأويلان مشتركان في دفع ذلك، وقد قام كل واحد مقام صاحبه في الغرض المقصود وجرى التأويلان مجرى الادلة في انه يغني بعضها عن بعض، ثم قال وقد خالفت في هذا المذاهب انتهى. ولا بأس به غير ان مراده بالمذاهب بعضها فان المخالف في ذلك بعض العامة واما اكثرهم فمعترفون بان استنباط المعاني على قوانين اللغة العربية مما لا قصور فيه بل يعدونه فضلاً وكمالاً كما يعلم من تتبع كلامهم وما ذكره من جواز التأويل لا يخلو من قوة وقد بقى من عالم الملكوت احوال كثيرة كالاجال والارزاق نذكرها ان شاء الله تعالى في الانوار الارضية.

واما خلق النهار والليل وان ايهما اسبق فروى عن الرضا عليه السلام انه قد سألني رجل بالمدينة فقال النهار خلق قبل ام الليل، وكان الفضل بن سهل والمأمون حاضرين فقلت لهم فما عندكم

فقال الفضل للرضا عليه السلام أخبرنا بها، قال من القرآن ام من الحساب فقال له الفضل من جهة الحساب، قال علمت يا فضل ان طالع الدنيا الرسطان والكواكب في موضع شرفها فزحل في الميزان والمشتري في السرطان والشمس في الحمل والقمر في الثور، فذلك يدل على كينونة الشمس في الحمل في العاشر من الطالع في وسط الدنيا فالنهار خلق قبل الليل، وفي قوله تعالى لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار، أي قد سبقه النهار، واما سبب الظلمة فروى ابو ولاّد قال قال ابو عبد الله عليه السلام ان الله تعالى خلق حجاباً من ظلمة مما يلي المشرق ووكّل به ملكاً فاذا غابت الشمس اغترف ذلك الملك غرفة بيديه ثم استقبل بها المغرب يتبع الشفق ويخرج من بين يديه قليلاً قليلاً ويمضي فيوافي المغرب عند سقوط لشمس فيسرح في الظلمة، ثم يعود الى المشرق فاذا طلع الفجر نشر جناحيه فاستاق الظلمة من المشرق الى المغرب يوافي بها المغرب عند طلوع الشمس.

نور يشتمل على العجائب

الواقعة بين السماء والارض اعلم ان الحكماء ومتابعيهم ذهبوا الى ان طبقات العناصر سبع اعلاها الطبقة النارية الصرفة، وهي كرة محدبها مماس لمقعر فلك القمر وتحته طبقة نارية مخلوطة من النار الصرفة والاجزاء الهوائية الحارة تتلاشى في هذا الطبقة الادخنة المرتفعة، وتتكون فيه الكواكب ذوات الاذناب والنيازك وما يشبهها بل قيل ان فيها تكون الشهب، ثم الطبقة الزمهريرية وهي الهواء الصرف الي برد لمجاورة الارض والماء ولم يصل اليه اثر انعكاس الاشعة، والمشهور بينهم ان هذه الطبقة منشأ السحب والرعد والبرق والصواعق فلا يكون هواءاً صرفاً ثم الطبقة البخارية وهي الهوائية المخلوطة مع المائية، ثم الطبقة الترابية وهي ما فيه ارضية وهوائية ثم الطبقة الطينية وهي ارضية مع مائية، ثم الطبقة الارضية الصرفة التي هي قريبة من المركز، هذا المحصل وفي طبقات العناصر اقوال مختلفة لا فائدة في استقصائها.

وتفصيل القول في هذه الامور على ما قالوه هو ان حرّ الشمس وغيرها يصعد الى الجو اجزاءاً إمّا هوائية ومائية مختلطتين وهو البخار وصعوده ثقيل، وإمّا نارية وارضية وهو الدخان وصعوده خفيف، وقلمّا يصعدان سازجين بل يتصاعد البخار والدخان في الاغلب ممتزجين، ومنهما تتكون جميع الاثار العلوية على زعم الحكماء اما البخار فان قل واشتد الحر في الهوى خلل الاجزاء المائية وقلّبها الى الهوائية وبقى الهواء الصرف، وان كان البخار كثيراً ولم يكن في الهواء من الحرارة ما يخللّه، فان وصل ذلك البخار بصعوده الى الطبقة الزمهريرية التي هي الهواء البارد جمعه ببرودة وتكاثف فصار سحاباً وتقاطرت الاجزاء المائية، اما بلا جمود اذا لم يكن

البرد شديد وهو المطر، وإمّا مع جمود كما اذا كان البرد شديدا، فان كان الجمود قبل الاجتماع والتقاطر وصيرورته حبّات كباراً فهو الثلج، وان كان الجمود فهو البرد بفتح الراء وان لم يصل البخار الصاعد الى الزمهريرية فإمّا ان يكون كثيراً وقليلاً فالكثير قد ينعقد سحاباً ماطراً كما حكوه عن ابن سينا من انه شاهده في بعض الجبال، وقد لا ينعقد فهو الضباب[1] المجاور للارض وهذا القليل الذي لم يصل الى الطبقة الزمهريرية قد يتكاثف ببرد الليل فينزل نزولاً ثقيلاً في اجزاء صغار لا يحسن بنزولها الا عند اجتماع شيء يعتدّ به، فاما بلا جمود بعد النزول وهو الطلّ[2] او معه وهو الصقيع ونسبته الى الطلّ كنسبة الثلج الى المطر.

وقد يتكون السحاب من انقباض الهواء بالبرد الشديد فيحصل حينئذ منه الاقسام المذكورة واما الدخان فربما يخالط السحاب ان يرتفع ابرخة وادخنة كثيرة مختلطة الى الطبقة الزمهريرية فيتكاثف البخار وينعقد سحاباً فينحس ذلك الدخان في جوف السحاب فيحرقه امام في صعوده بالطبع لبقائه على حرارته المقتضية لتصعيده او عند هبوطه للتكاثف بالبرد الشديد فيحدث من خرق الدخان للسحاب ومصاكته اياه صوت هو الرعد وقد يشتعل الدخان بقوة التسخين وذلك لانه شيء لطيف وفيه مائية وارضية عمل فيها الحرارة والحركة عملاً قرب مزاجه من الدهنية فصار بحيث يشتعل بأدنى سبب فكيف لا يشتعل بالتسخين القوى الحاصل من الحرارة الشديدة والمصاكة، واذا اشتعل فاللطيف منه ينطفي سريعاً وهو البرق وكثيفه لا ينطفي حتى يصل الى الارض وهو الصاعقة واذا وصل اليها فربما صار لطيفاً ينفد في المتخلل ولا يحرقه.

وحكوا في كتبهم ان صبياً كان في صحراء فأصابت ساقيه صاعقة فسقط رجلاه ولم يخرج منه دم لحصول الكي بحرارتها، وقد يصل الدخان الى كرة النار لانه اجزاء ارضية يابسة فتحفظ الحرارة التي تصعدها بخلاف البخار، فاذا وصل الدخان الى تلك الكرة فيحترق الدخان كالشمعة التي تطفى ويحاذى بها من تحت شمعة مشتعلة فيشتعل الدخان الواصل الى الشمعة الفوقانية وتتصل النار التي وقعت في ذلك الدخان بالشمعة السفلانية فتشعل بهذه النار فما كان من ذلك الدخان لطيفاً صار مشتعلاً ونفذ النار فيه بسرعة فرأى ذلك لمشتعل كأنه كوكب ينقضّ وهو الشهاب، وما كان منه كثيفاً لا في الغاية تعلّق به النار تعلقاً تاماً م نغير اشتعال بل ثبت فيه الاحتراق ودام متصلاً لا ينطفي اياماً وشهوراً ويكون على صورة ذوابة او ذنب او رمح او حيوان له قرون.

---

(١) الضباب كسحاب جمع ضبابة كسحابة وهو ندى يغشي الارض بالغدوات وفي الصحاح سحابة تغشي الارض كالدخان.

(٢) الطل المطر الضعيف القطر والجمع الطلال بالكسر.

وحكى ان بعد المسيح عليه السلام بزمان كثير ظهر في السماء نار مضطربة من ناحية القطب الشمالي وبقيت السنة كلها وكانت الظلمة تغشى العالم من تسع ساعات من النهار الى الليل حتى انه لم يكن أحد يبصر شيئاً وكان ينزل من الجو شبه الهشيم[1] والرماد واذا كان البحار غليظاً او كثيفاً جداً تعلّق به النار تعلقاً ما فيحدث في الجو علامات سود او حمر على حسب غلظ المادة، فاذا كانت غليظة ظهرت الحمرة واذا كانت اغلظ ظهر السواد، وقد تقف الذوابات ونحوها تحت كوكب فيدبرها الفلك معه مشايعة اياه فيرى كأن لذلك الكوكب ذوابة او ذنباً او قرناً، وان اتصل الدخان بالارض تشتعل النار فيه نازلة الى الارض ويسمى الحريق واما اسباب الهوى فقد ذكروا فيه ان الدخان قد ينكسر حرّه عند الوصول الى الكرة الزمهريرية فيرجع بطبعها الى الارض، وقد لا ينكسر وحينئذ يصعد ويصادم كرة النار فيرجع ويمتدّ بمصادمة كرة النار المتحركة بحركة الفلك رجوعاً الى جهات مختلفة فيتموج الهواء ويضطرب وهو الريح، والريح كما يحدث بهذا يحدث ايضاً بان يتخلل الهواء فيندفع عن مكانه بواسطة عظم مقداره فيدافع ما يجاوره فيطاوعه ويدافع ذلك المجاور ايضاً، فيتموج الهوى ويتضعف تلك المدافعة شيئاً فشيئاً الى غاية ما فيقف، وقد تحدث رياح مختلفة الجهة دفعة فتدافع تلك الرياح الاجزاء الارضية فتنضغط الارضية بينها مرتفعة كأنها تلوى على نفسها وهي الزوايع والاعصار، ويقال له بالفارسية (كردباد).

واما مهبّ الرياح فغير منحصرة حقيقة في عدد الا انهم جعلوا اصولها اربعة هي نقطة المشرق والمغرب والشمال والجنوب، والعرب تسمي الرياح التي تهب منها بالقبول والدبور والشمال والجنوب، وتسمى التي تهبّ مما بينها نكبا، وهذا كله انما قال به الفلاسفة لاجل نفيهم القادر المختار، فأحالوا اختلاف الاجسام بالصور الى استعداد في موادّها يقتضي اختلاف الصور الحالة فيها، واحالوا اختلاف آثارها الى صورها المتباينة وامزجتها المخالفة، واحالوا كلّ هذا الى حركات الافلاك واوضاعها واما المتكلمون فقالوا الاجسام متجانسة بالذات لتركبها من الجواهر الافراد، وانها متماثلة لا اختلاف فيها وانما يعرض الاختلاف للاجسام لا في ذواتها بل بما يحصل فيها من الاعراض بفعل القادر المختار، هذا محصّل مقالتهم وهي عن الشرع بمعزل فانه قد ورد في الشريعة الغراَ لكل واحد من هذه الامور اسباب من جهة القادر المختار دلّنا عليها من رأى السموات وصعد اليها ومشى فوقها وشاهدها عيانا وهو النبي الامي صلى الله عليه وآله ولنشرع الان في بيان اسبابها من الايات والاخبار فنقول.

---

(١) الهشيم اليابس من النبيت وتهشم وتكسر هشمت الشيء كسرته.

اما الشهب فقال تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد، لا يسمَعون الى الملأ الاعلى ويقذفون من كل جانب دحوراً ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب، فانه سبحانه في مقام الامتنان على عبيده بأنه زيّن لهم هذه السماء الدانية اليهم وهو الاولى بزينة الكواكب الظاهرة المشاهدة وحفظها من صعود الشياطين اليها بانهم اذا صعدوا اليها لاستماع ما تقوله الملائكة قذفوهم بالشهب من كل جانب من جوانب السموات دحورا أي طردا، ولهم عذاب في القيامة واصب أي دائم، الا من خطف الخطفة والتقدير انهم لا يسمعون الى الملائكة الا من وثب الوثبة الى قريب من السماء لتسلب السماع بسرعة فأتبعه شهاب ثاقب أي فلحقته نار محرقة، وقد اوضح في موضع آخر عن رؤيتنا لتلك الشهب فقال الا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين لانهم كانوا يسترقون السمع ويستمعون الى كلام الملائكة ويلقون ذلك الى ضعفة الجن وكانوا يوسوسون بها في قلوب الكهنة ويوهمونهم انهم يعرفون الغيب، وقد كان الشيطان بعد ان طرد الى الارض يصعد الى السموات ويطلّع على ما في عالم الملكوت فلما ولد عيسى عليه السلام منع عن ما فوق السماء الرابعة، ولما ولد النبي صلى الله عليه وآله منع من السموات كلها فهذ الشهب المشاهدة هي النيران السماوية التي تطرد الملائكة بها الشياطين المخترقة للسمع.

وقد رام بعض المتكلفين التوافق بين هذا وبين قول الفلاسفة السابق بأن يكون احتراق تلك الاجرام مقارنة لصعود الشياطين ورمى الملائكة لهم، ولا يخفى انه صلح من غير تراضي الخصمين مع ان مفاسده مما لا تحصى كثرة، واما السحاب فهو مخلوق من مخلوقاته سبحانه لايصال الارزاق الى عباده، ولها مكان خاصّ تستقرّ فيه فاذا اراد الله سبحانه ان يحملها المياه امر الملائكة المؤكلين بها فيسوقونها الى البحر على مقدار احتياج العباد، وميكائيل عليه السلام على البحر فيكيل لها الماء ويأمرها بالمسير الى المكان الذي يريده، ويجعل مع كل سحابة ملكاً يسوقها، وهو اصغر من الزنبور واكبر من الذبابة، وفي يده سوط يسوقها فالرعد صوته والبرق سوطه، وقد شاهدنا نحن وغيرها من السحاب نوعاً من الشعور، وهو انه ربما استقر وسكن على رؤوس الجبال اما في ذهابه او ايابه فاذا اتى الانسان نحوه وقرب اليه ارتفع من بين يديه سريعاً حتى انه ربما اصطادوه كما يصطادون الحيوانات، وذلك انهم يجعلون كلاباً في راس جبل طويل ويحفرون لهم حفائر في رؤوس الجبال فيخفون انفسهم فيها، فاذا وقع السحاب على الجبال خرجوا بسرعة من الحفيرة، فاذا ارتفع رموه بذلك الجبل فيعلق بالكلاب منه قطعة تنعزل من السحابة فيأخذونها لمصالح كثيرة، وقد رأيناها على هيئة بيت الزنبور لاجل ان تكون غربالاً للمطر حتى يقع متقاطراً والا خرّب البلاد التي قع فيها كما في وقت طوفان نوح عليه السلام، ويجوز ان يكون ذلك الاحساس للملك الموكل بالسحابة فتأمل.

روى الكليني باسناده الى العزرمي رفع قال قال امير المؤمنين عليه السلام وسأل عن السحاب اين يكون قال يكون على شجر كثيب على شاطئ البحر يأوي اليه فاذا اراد الله عز وجل ان يرسله ارسل ريحاً فأثارته، ووكّل به ملائكة يضربونه بالمخاريق وهو البرق فيرتفع ثم قرء هذه الاية وهو الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه الى بلد ميت، والملك اسمه الرعد.

واما الامطار فقد تقدّم ان المطر الاول يأتي من بحر تحت العرش وهو الذي ينبت به ارزاق الحيوانات، والبعض الاخر يأتي من البحر من الملك الموكل به، وهو ميكائيل وفي الحديث ان الله سبحانه قد خلق في السماء من برد وجبالاً من ثلج وجبالاً من الجمد، فاذا اراد ان يمطر منه امطر، وذهب افلاطون الى ان لكل قطرة من المطر والثلج وكلَ حبة من حب الغمام وكل شجر ونبت وحيوان عقلاً مربياً له في العالم العلوي يحصل منه نماه ونشوه، وتفاضلها في هذا العالم لوناً وطعماً ورايحة وانما هو باعتبار تفاوت مراتب تلك العقول المربية، وبالغ متابعوه في هذا المعنى حتى قالوا ان لكل ريشة من الطاووس عقلاً يستند اليه اختلاف الوان ذلك الريش، والتوفيق بين القولين بأن البخار ينعقد حال هذه الارادات لا يخلو من تكلّف لان غرض الفلاسفة هو عدم اسناد هذه الامور اليه سبحانه بناء على ذلك الاصل الضعيف، وهو ان الواحد لا يصدر عنه الا فعل واحد مع انه سبحانه على ما يشاء قدير.

واما الرياح فهي من اقوى جنود الله سبحانه ومنها رياح رحمة، ومنها رياح عذاب ونقمة كما قال سبحانه انا ارسلنا الرياح لواقح، وقال الريح العقيم فانها تعقم الشجر من حمل الثمار وتعقم ارحام النساء واصلاب الرجال، كما روى ان الله سبحانه لما اراد إهلاك قوم نوح ارسل الريح العقيم فهبت عليهم فعقمت الاصلاب والارحام فبقوا اربعين سنة لا يولد لهم مولود حتى اغرقهم لان الاطفال لا ذنب لهم وقول نوح عليه السلام لا يلدوا الا فاجراً كفاراً لعله اراد انهم لما بلغوا كانوا كذلك، او انه اشار الى ان ولد الكافر يجري عليه ما جرى على ابويه من الاسم وبعض الاحكام، قال صاحب الغريبين لم يأت لفظ الريح الا بالشر والرياح الا في الخير، قال الله تعالى وعاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم، وقد صلى علي بن الحسين عليه السلام في الصحيفة على الملائكة القوّام على خزائن الرياح، قال الباقر عليه السلام ان الريح العقيم ريح عذاب تخرج من تحت الارضين السبع وما خرجت منها ريح قطّ الا على قوم عاد حين غضب الله عليهم.

وروى الكليني طاب ثراه في حديث طويلا عن الباقر عليه السلام قال فأما الرياح الاربع الشمال والجنوب والصبا والدبور، فانما هي اسماء الملائكة الموكلين بها، فاذا اراد الله ان يهبَ شمالاً امر الملك الذي اسمه الشمال فيهبط على البيت الحرام فقام على الركن الشامي فيضرب بجناحيه فتفرقت ريح الشمال حيث يريد الله من البر والبحر واذا اراد الله ان يبعث جنوباً امر الملك الذي

اسمه جنوب فيهبط على البيت الحرام، فقام على الركن الشامي فضرب بجناحيه ريح الجنوب في البر والبحر حيث يريد الله واذا اراد الله ان يبعث الصبا امر الملك الذي اسمه الصبا فيهبط على البيت الحرام فقام على الركن الشامي فضرب بجناحيه فتفرقت ريح الصبا حيث يريد الله عز وجل في البر والبحر واذا اراد الله ان يبعث دبوراً امر الملك الذي اسمه الدبور فيهبط على البيت الحرام فقام على الركن الشامي فضرب على جناحيه فتفرقت ريح الدبور حيث يريد الله من البر والبحر، ثم قال ابو جعفر عليه السلام اما تسمع لقوله ريح الشمال وريح الجنوب وريح الدبور وريح الصبا انما يضاف الى الملائكة الموكلين بها وقال عليه السلام واما الريح العقيم فانها ريح عذاب لا تلقح شيئاً من الارحام ولا شيئاً من النبات، وهي ريح تخرج من تحت الارضين السبع وما خرجت منها ريح قط الا على قوم عاد والحديث طويل وقد تقدم تمامه.

وعن العزرمي قال كنت مع ابي عبد الله عليه السلام جالساً في الحجر تحت الميزاب ورجل يخصم رجلاً، واحدهما يقول لصاحبه والله ما تدري من ابن تهب الريح فلما اكثر عليه قال له ابو عبد الله عليه السلام فهل ترى انت قال لا ولكني اسمع الناس يقولون فقلت انا لابي عبد الله عليه السلام جعلت فداك من اين تهب الريح؟ فقال ان الريح مسجونة تحت هذا الركن الشامي فاذا اراد الله عز وجل ان يخرج منها شيئاً اخرجها، اما جنوب فجنوب او شمال فشمال او صباء فصباء او دبور فدبور، ثم قال عليه السلام من آية ذلك انك لا تزال ترى هذا الركن متحركاً ابداً في الشتا والصيف والليل والنهار ولا منافاة بين الخبرين لان قوله عليه السلام مسجونة تحت هذا الركن يجوز ان يكون كناية عن كونه محلاً للرياح التي تحصل من وقوف الملائكة عليه ويجوز ان يكون اشارة الى تنوعه انواعاً.

فان قلت يلزم ان يكون مهبَ الرياح كلها جهة القبلة مع ان الذي ذكره الفقهاء وغيرهم ان الجنوب محلها ما بين مطلع سهيل الى مطلع الشمس في الاعتدالين، والصبا محلها ما بين مطلع الشمس الى الجدي، والشمال محلها من الجدي الى مغرب الشمس في الاعتدال، والدبور محلها من مغرب الشمس الى سهيل، قلنا هذا غير لازم لان جناح الملك لعظمته يمكنه ان يحركه بأي نحو اراد، وقد روى ان ريح الشمال اذا خرجت من محلها تخرج لكنها تمرَ على وادي السلام وهي جنة الدنيا الواقعة بظهر الكوفة فتكتسب منها اللطافة والبرودة واما الجنوب فهي تخرج من محلها باردة لكنها تمرَ على برهوت واد في المن وهو نار الدنيا فتصير حارة بمرورها عليه.

واما الذي رويناه في نور اول المخلوقات من انه تعالى اول ما خلق الماء، ثم خلق الريح من الماء فالظاهر ان المراد به جوهر شفاف مغاير لهذه الرياح، ويجوز ان يكون مادة لها كما كان لغيرها، وروى ابو بصير قال سألت ابا جعفر عليه السلام عن الرياح الاربع الشمال والجنوب والصبا والدبور، وقلت له ان الناس يقولون ان الشمال من الجنة والجنوب من النار، فقال ان لله عز وجل

جنوداً من الريح يعذب بها من عصاه موكّل لكل ريح منهنّ ملك مطاع، فاذا اراد الله عز وجل ان يعذب قوماً بعذاب اوحى الله الى الملك الموكل بذلك النوع من الريح الذي يريد ان يعذبهم بها، فيأمر بها الملك فتهيج كما يهيج الاسد المغضب ولكل ريح منهن اسم تسمع لقول الله عز وجل انا ارسلنا عليهم ريحاً صرصراً في وم نحس مستمر.

وقال عز وجل الريح العقيم وقال فاصابها اعصار فيه نار والاعصار التي فيها نار وما ذكر في الكتاب من الرياح التي يعذب بها من عصاه ولله عز وجل رياح رحمة لواقح ورياح تهب السحاب فتسوق السحاب ورياح تحبس السحاب بين السماء والارض، ورياح تعصره فتمطر باذن الله عز وجل ورياح تفرق السحاب ورياح مما اعدّ الله عز وجل في الكتاب وقال الصادق عليه السلام نعم الريح الجنوب تكسر البرد عن المساكين وتلقح الشجر وتسيل الاودية.

وقال علي عليه السلام الرياح خمسة منها العقيم فنعوذ بالله من شرها وكان النبي صلى الله عليه وآله اذا هبّت ريح صفراء او حمراء او سوداء تغيّر وجهه واصفّر وكان كالخائف الوجل حتى تنزل من السماء قطرة من مطر فيرجع اليه لونه، ويقول جائتكم بالرحمة، وروى انه قال كامل كنت مع ابي جعفر عليه السلام فهبّت ريح شديدة فجعل ابو جعفر عليه السلام يكبّر ثم قال ان التكبير يردّ الريح، وقال عليه السلام ما بعث الله عز وجل ريحاً الا رحمة او عذاباً فاذا رأيتموها فقولوا اللهم انا نسألك خير ما ارسلت له، ونعوذ بك من شرها وشرّ ما ارسلت له وكبروا وارفعوا اصواتكم بالتكبير فانه يسكرها، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لا تسبوا الرياح فانها مأمورة، ولا الجبال ولا الساعات ولا الايام ولا الليالي فتأثموا وترجع اليكم.

اقول ظاهر قوله صلى الله عليه وآله فتأثموا هو التحريم لان المكروه خال منالاثم ولم يذكره احد من الاصحاب رضوان الله عليهم سوى ظاهر ابن بابويه، والقول بالتحريم غير بعيد لان الريح وما ذكر معها جند من جنود الله ومخلوقات من خلقه خلقها لمصالح العباد ولاستعتابهم وللشهادة عليهم، كما في الحديث ان الايام تتجسم وتأتي في القيامة تشهد للانسان او عليه فلا تستحق السب واللعن، والسب ليس هو خصوص اللعن بل ما يتناوله مع الشتم وفي الحديث ان اللعنة اذا خرجت من صاحبها ترددت فان رأت محلاً علّقت به والا رجعت الى صاحبها وهو اولى بها، ولا شكّ ان هذه الامور ليست محلاً لتلك اللعنة فهي ترجع الى صاحبها ومن هنا حصل له الاثم.

وروى ان رجلاً نازعته الريح فلعنها فقال عليه السلام لا تلعهنا فانها مأمورة، وانه من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه، وقال صلى الله عليه وآله لا يأتي على الناس زمان الا والذي بعده شر منه، لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر ومعناه كما قيل لا تسبوا الدهر فان الله مصرّف الدهر ومقلبه ولا فعل للدهر بحال، فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه، وقال بعض الافاضل المعتمد في

الحديث ان الملحدين ومن نفي الصانع منهم نسبوا افعال الله تعالى المختصة به من الموت والحيوة والصحة والمرض الى الدهر جهلاً منهم ويذمون الدهر ويسبّونه من حيث انهم اعتقدوا ان هذه الافعال صادرة منه، فنهاهم النبي ﷺ وقال لا تسبوا الدهر أي لا تسبوا من فعل بكم هذه الافعال ممن تتقدون أنه الدهر فأن الله تعالى هو الفاعل لهذه الافعال، وانما قال فان الله هو الدهر من حيث إنهم نسبوا افعال الله الى الدهر أي من جعلتموه دهراً باعتقادكم الفاسد.

وقد حكى الله ذلك عنهم في قوله ما هي الا حيوتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر، وفي سؤال النزديق للصادق عليه السلام في حديث طويل قال فاخبرني ما جوهر الريح قال الريح هواء اذا تحرك يسمى ريحاً واذا سكن يسمى هواءاً وبه قوام الدنيا ولو كفَت الريح ثلاثة ايام لفسد كل شيء على وجه الارض ونتن، وذلك لان الريح بمنزلة المروحة تذهب وتدفع الفساد عن كل شيء وتطيبه فهي بمنزلة الروح اذا خرجت عن البدن نتن البدن وتغيّر تبارك الله احسن الخالقين.

وفي كتاب الاحتجاج روى عن علي بن يقطين انه قال امر ابو جعفر الدوانيقي يقطين ان يحفر بئراً بقصر العبادي فلم يزل في حفرها حتى مات ابو جعفر ولم يستنبط منها الماء، فأخبر المهدي بذلك فقال احفر ابداً حتى يستنبط الماء ولو انفقت جميع ما في بيت المال، قال فوجّه يقطين أخاه ابا موسى في حفرها فلم يزل يحفرها حتى ثقبوا ثقباً في اسفل الارض فخرجت منه الريح قال فهالهم ذلك فاخبروا به ابا موسى، فقال انزلوني فانزل وكان رأس البئر اربعين ذراعاً في اربعين ذراعاً فاجلس في شق محمل ودلي في البئر فلما صار في قعرها نظر الى هول وسمع دوي الريح في اسفل ذلك فأمرهم ان يوسعوا لخرق فجعلوه شبه الباب العظيم، ثم دلى فيه رجلان في شقّ محمل فقال ائتوني بخبر هذا ما هو قال فنزلا في شقّ محمل فمكثا ملياً ثم حركا الحبل فاصعدا فقال لهما ما رأيتما قالا امراً عظيماً رجالاً ونساءاً وبيوتاً وآنية ومتاعاً كله ممسوخ من حجارة، فأما الرجال والنساء فعليهم ثيابهم فمن بين قاعد ومضطجع ومتكي فلما مسسناهم فاذا ثيابهم تنفش شبه الهبا، ومنازل قائمة، قال فكتب بذلك ابو موسى الى المهدي فكتب المهدي الى المدينة الى موسى بن جعفر عليهما السلام يسأله ان يقدم عليه فقدم اليه فأخبره فبكى بكاءاً شديداً وقال يا امير المؤمنين هؤلاء بقية قوم عاد غضب الله عليهم فساخت بهم منازلهم هؤلاء اصحاب الاحقاف قال فقال له المهدي يا ابا الحسن وما الاحقاف قال الرمل.

والحاصل ان الرياح من جنوده سبحانه وتعالى عما يقول الفلاسفة علواً كبيراً واما الصاعقة فهي نار تتكون من ضرب مخاريق الملائكة للسحاب، وهو جسم كثيف اذا وقع على الارض شقَها، قالوا انه لا يسكن الا اذا وصل الى الماء وذكروا من خواصه انه اذا نزل على ذهب

او فضة في معدن اذابه واذا جعل ذلك الذهب في كيس او نحوه فلا يغيِّر جوهره ولا يذيبه، وزعم ابن سينا في شفائه ان السيوف التي تمدحها الشعراء متخذة من حديد الصواعق.

ومن المكونات في الهوى الذرات روى الصدوق (ره) مسنداً الى علي عليه السلام وقد سأل مما خلق الله عز وجل الذر الذي يدخل في كوّة البين فقال ان موسى عليه السلام لما قال رب ارني انظر اليك قال الله عز وجل ان استقر الجبل لنوري فانك ستقوى على ان تنظر اليّ وان لم يستقرّ فلا تطيق ابصاري لضعفك، فلما تجلّى الله تبارك وتعالى للجبل تقطع ثلاث قطع، فقطعة ارتفعت في السماء وقطعة غاصت تحت الارض، وقطعة بقيت فهذا الذر من ذلك الغبار غبار الجبل اقول يجوز ان يكون معناه ان مادة الذر هو ذلك الجبل المتقطع لا انّ كل ذر منه فان المشاهد ان بعض الذر يرتفع من الاجسام المحسوسة ويشاهد في الكوة لكن يكون هذا الذر قد انضاف الى ذلك الذر.

ومن جملة كائنات الهوى الشياطين والجن وهما عند الملّيين اجسام تتشكل بأي شكل شائت وتقدر على ان تتولّج في بواطن الحيوانات وتنفذ في (من) منافذها الضيقة نفوذ الهوى، وقد اختلفوا في اختلافهما بالنوع مع اتفاقهم على انهما من اصناف المكلفين، واما الفلاسفة فقد انكروها رأساً وقالوا ان ما يتوهمه (هم) الناس كونه جنّاً فانما هو خيالات واخلاط من السوداء والصفراء وغير ذلك وقد استندوا في نفيهما الى خيالات وهمية سموها دلائل عقلية لا نطول الكتاب بذكرها لظهور فسادها.

وقال قوم هي النفوس الناطقة المفارقة فالخيرة من المفارقة عن الابدان تتعلق بالخيرة من المقارة لها نوعاً من التعلق وتعاونها على الخير والسداد وهي الجن، والشريرة منها تتعلق بالشريرة وتعاونها على الشر والفساد وهي الشياطين والمفهوم من الايات والاخبار انهما نوعان متقاربان في الذات والصفات داخلان تحت قلم التكليف، الا ان المسلمين من الجن اكثر من مسلمي الشياطين والا فالشياطين فيهم المؤمن ايضاً، روى الصفار وغيره قال قال ابو عبد الله عليه السلام بينا رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم جالس اذ اتاه رجل طويل كأنه نخلة فسلّم عليه، فقال من انت يا عبد الله فقال الهام بن الهيم بن لاقيس بن ابليس، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله كم اتى لك، قال انا ايام قتل قابيل هابيل غلام افهم الكلام وانهى عن الاعتصام وآمر بقطيعة الارحام وافسد الطعام، ولكني تبت على يدي نوح وكنت معه في السفينة (سفينته خ ل) وعاتبته على دعائه على قومه حتى بكا وابكاني، وقال لا جرم اني على ذلك من النادمين، وكنت مع ابراهيم حين القى في النار، وعلمني موسى سفراً من التورية، وعيسى سفراً من الانجيل، وقال ان ادركت محمداً صلى الله عليه وآله فاقرأه مني السلام فدفعه رسول الله صلى الله عليه وآله الى علي عليه السلام وعلمه سوراً من القرآن الحديث.

واما مادة خلقتهما فالمشهور انهام من النار كما قال تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم، وقوله وخلق الجان من مارج من نار، والمارج هو لهب النار الخالص من الدخان، فعلى هذا يكون عنصره واحداً، وقيل هو مركب من العناصر الاربعة الا ان الاغلب عليه النار فلذا كان هو المنسوب اليه، ويؤيده ان في الايات ذكر خلق الانسان معه هكذا خلق الانسان من صلصال كالفخَار وخلق الجان من مارج من نار والصلصال الطين اليابس، والفخار الطين المطبوخ بالنار، فلذا لم يذكر للانسان سوى الطين لكونه الاغل فيه، ومن ثم كان المكان الطبيعي للجسم هو مكان اغلب عناصره، وقد ثبت هذا بالبرهان والمراد بالجان في هذه الايات على ما قاله اكثر المفسرين ابو الجنَ، وقال الحسن هو ابليس ابو الجن فيكون النوع واحداً وقد تواترت الاخبار ببقائهما بعد النبي ﷺ الى يوم القيامة.

اما الشياطين فلا خلاف فيه بين المسلمين واما الجن فقد نقل لي شيخنا الثقة ان الفاضل القزويني[1] دام الله ايامه قد انكر وجودهم بعد النبي ﷺ وقال انه دعا عليهم فماتوا جميعاً والى هذا ذهب سلطان العلماء قدس الله روحه وحكى لي ابنه المقدس العدل ان اباه كان يتعمد في الليالي للاماكن الموحشة المظلمة لعله يرى احداً منهم فلم يتَفق له قال ولده فقلت له انهم لا يظهرون على من له قوة قلب وانما يظهرون على ضعفاء القلوب، وبالجملة فان علياً عع قد قاتلهم زمن النبي ﷺ فاسلم منهم جماعة وعيَن عليهم خليفة منهم، وكانت خلائه عليهم بعد النبي ﷺ كلما مات خليفة عيَن عليه السلام لهم موضعه خليفة.

وهكذا روى شيخنا المفيد قدس الله روحه في ارشاده مسنداً الى ابن عباس قال لما خرج النبي ﷺ الى بني المصطلق جنَب عن الطريق فادركه الليل ونزل بقرب وادٍ وعر، فلما كان في آخر الليل هبط جبرئيل عليه السلام يخبره ان طائفة من كفَار الجن قد استنبطوا الوادي يريدون كيده عليه السلام وإيقاع الشر باصحابه عند سلوكهم اياه فدعى امير المؤمنين فقال له اذهب الى هذا الوادي فسيعرض لك من اعداء الله الجن من يريدك فادفعهم بالقوة التي اعطاك الله عز وجل وتحصَن منهم باسماء الله عز وجل التي خصَك بعلمها وانفذ معه مائة رجل من اخلاط الناس وقال لهم كونوا معه وامتثلوا امره فتوجه امير المؤمنين عليه السلام الى الوادي فلما قرب من شفيره امر المائة الذين صحبوه ان يقفوا بقرب الشفير ولا يحدثوا شيئاً حتى يؤذن لهم، ثم تقدم فوقف على شفير الوادي وتعوَذ بالله من اعدائه وسمى الله عز اسمه واومى الى القوم الذين اتبعوه ان يتقربوا منه، فقربوا وكان بينه وبينهم فرجة مسافتها غلوة سهم ثم رام الهبوط الى الوادي فاعترضت ريح عاصف كاد

---

(١) هو العالم الفاضل الشهير المولى خليل القزويني رحمه الله المتوفى(١٠٨٩)هـ له آراء واقوال غريبة واعوجاج في السليقة وكلمات عجيبة في فهم عبارات الائمة عليهم السلام راجع الى روضات الجنات وغيرها.

ان تقع على وجوههم لشدتها ولم تثبت على الارض من هول الخصم ومن هول ما لحقهم فصاح امير المؤمنين عليه السلام اما علي بن ابي طالب بن عبد المطلب وصي رسول الله وابن عمه اثبتوا ان شئتم، فظهر للقوم اشخاص على صورة الزطّ[1] خيّل في ايديهم شعل النيران قد اطمأنوا واطافوا بجنبات الوادي، فتوغلَ امير المؤمنين عليه السلام بطن الوادي وهو يتلوا القرآن ويومي بسيفه يميناً وشمالاً، فما لبثت الاشخاص حتى صارت كالدخان الاسود وكبّر امير المؤمنين عليه السلام ثم صعد من حيث هبط فقام مع القوم الذين اتبعوه حتى اسفر الموضع عما اعتراه.

فقال له اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ما لقيت يا ابا الحسن فلقد كدنا ان نهلك خوفاً واشفقنا عليك اكثر مما لحقنا، فقال عليه السلام انه لما تراءى لي العدو، جهرت فيهم باسماء الله فتضاءلوا، وعلمت ما حلَ بهم من الجزع فتوغلت الوادي غير خائف منهم، ولو بقوا على نياتهم لاتيت على آخرهم وقد كفى الله كيدهم وكفى المؤمنين شرهم وستسبقني بقيتهم الى رسول الله صلى الله عليه وآله يؤمنون به وانصرف امير المؤمنين عليه السلام بمن معه الى رسول الله صلى الله عليه وآله واخبره الخبر فسرى (فسر ظ) عنه ودعى له بخير، وقال له قد سبقتك يا علي من اخافه الله بك واسلم وقبلت اسلامه، ثم ارتحل بجماعة المسلمين حتى قطع (قطعوا خ) الوادي آمنين غير خائفين اقول هذا الحديث رواه العامة والخاصة، ومثله قتاله عليه السلام مع جنَ وادي البصرة، وايضاً في المدينة الطيّبة قد قاتلهم وفي زمن خلافته اتاه الثعبان وهو على المنبر في مسجد الكوفة وكان ابن خليفته على الجن وقد كان مات ابوه فخلفه موضع ابيه وكان اسمه عمرو بن عثمان وخرج ذلك الثعبان من الباب التي اشتهرت بباب الثعبان، ولما اشتهر ذلك الباب بهذا الوصف ربط به بنو امية فيلاً ليقال له باب الفيل، فانكار الجن في هذه الاعصار انكار للضروريات، وقد كان منهم رجل اسمه عبد علي وامرأة اسمها حنّاء يطرقان محلتنا في بعض الايام لاجل بعض مصالحهما، فحصل بينهما وبين اهل تلك المحلة نوع صداقة ربما سألناهما عن احوال ما غاب عنّا من البلدان وعن اهلها واحوالهم ذلك اليوم ويكون كما قالا.

وكان للصادق عليه السلام جماعة من الجنَ يخدمونه ويرسلهم الى الاماكن البعيدة روى عن سدير الصيرفي قال اوصاني ابو جعفر عليه السلام بحوائج له بالمدينة فخرجت فبينا انا في فج الروحا، وهو موضع بين الحرمين على ثلاثين ميلاً، اذ انسان يلوى بثوبه قال فملت اليه وظننت انه عطشان فناولته الاداوة، فقال لي لا حاجة لي بها وناولني كتاباً طينه رطب، قال فلما نظرت الى الخاتم فاذا

---

(١) الزط بضم الزاي وتشديد المهملة جنس من السودان والهنود وهندي وهنود مثل زنجي وزنوج وزنوج وزط زطا الذباب: صوت في اقرب الموارد: الزط طائفة من اهل الهند معرب جت واليهم تنسب الثياب الزطية الواحد زطى فلان.

خاتم ابي جعفر عليه السلام فقلت متى عهدك بصاحب الكتاب، قال الساعة، واذا بالكتاب اشياء يأمرني بها ثم التفت فاذا ليس عندي احد قال ثم قدم ابو جعفر عليه السلام فلقيته، فقلت له جعلت فداك رجل أتاني بكتابك وطينه رطب فقال يا سدير ان لنا خدماً من الجن فاذا اردنا السرعة بعثناهم، وفي رواية اخرى قال ان لنا اتباعاً من الجن كما ان لنا اتباعاً من الانس فاذا اردنا امراً بعثناهم.

وروى عن النعمان بن بشير قال، كنت مزاملاً[1]جابر بن يزيد الجعفي فلما ان كنّا بالمدينة دخل على ابي جعفر عليه السلام فودعه وخرج من عنده وهو مسرور، حتى وردنا الاخيرجة اول منزل يعدل من فيد الى المدينة يوم الجمعة فصلينا الزوال، فلما نهض بنا البعير اذا انا برجل من طوال آدم مع كتاب فناتوله جابراً فتناوله فقبّله ووضعه على عينيه واذا هو من محمد بن علي الى جابر بن يزيد، وعليه طين اسود رطب فقال له متى عهدك بسيدي، فقال الساعة فقال له قبل الصلوة او بعد الصلوة، فقال بعد الصلوة قال ففكَ الخاتم فأقبل يقرء ويقبض وجهه حتى اتى على آخره، ثم امسك الكتاب فما رأيته ضاحكاً ولا مسروراً حتى وافى الكوفة، فلما وافينا الكوفة ليلاً بتَ ليلتي فلما اصبحت اتيته إعظاماً له فوجدته قد خرج عليَ وفي عنقه كعاب قد علقها وقد ركب قصبة وهو يقول أجد منصور بن جمهور اميراً غير مأمور.

وابياتا من نحو هذا فنظر في وجهي ونظرت في وجهه فلم يقل لي شيئاً ولم اقل له وأقبلت ابكي لما رأيته، واجتمع عليّ وعليه الصبيان والناس وجاء حتى دخل الرحبة فأقبل يدور مع الصبيان والناس يقولون جنَ جابر بن يزيد، فوالله ما مضت الايام والليالي حتى ورد كتاب هشام بن عبد الملك الى واليه، ان أنظر رجلاً يقال له جابر بن يزيد الجعفي،فاضرب عنقه وابعث اليَ برأسه فالتفت الى جلسائه فقال لهم من جابر بنم يزيد الجعفي، قالوا اصلحك الله كان رجلاً له فضل وعلم وحديث وحجَ فجنَ وهو اذاً في الرحبة مع الصبيان على الصقب يلعب معهم، قال فاشرف عليه فاذا هو مع الصبيان يلعب على القصب فقال الحمد لله الذي عافاني من قتله، قال ولم تمض الايام حتى دخل منصور بن جمهور الكوفة، فصنع ما كان يقول جابر.

والحاصل انه بقى متكلفاً للجنون كل زمان هشام فلما جاء خبر نعيه فما اصبح الصباح الا وقد جلس جابر في مسجد المدينة يحدث الناس عن الباقر عليه السلام وذلك الرسول الذي ناوله الكتاب كان من الجانَ، وقد كان جماعة من الجانَ يصعدون النخل عند رجل من اهل بلدتنا وقد كان منفرداً بمنزله وكان منزله في بستان نخل له فاذا صعدوا رموه بالحجارة وكان يشاهدهم ويسمع كلامهم وكانهم قصدوا اخراجه من ذلك المنزل فجمع رجالاً ذات ليلة، ولما شاهدوا الجن على

---

[1] الوميل الذي يزاملك أي يعادلك في المحمل والزميل الرفيق في السفر الذي يعينك على امورك والزميل الرديف.

رأس النخلة صعدوا اليهم فرموا بأنفسهم الى الماء وبقى منهم عباة صغيرة قصيرة ليس على صنعة الناس بل صنعتها على نمط غريب.

واعلم ان جماعة منهم وهو نوع من الغول الجاني يسكن بلادنا الجزائر في الشطوط والمياه ويسمونه طنطلاً بلغتهم وهو اسود البدن طوله كطول النخلة اجعد الشعر اقدامه كحافر الفيل، وقد شاهده بعض ثقاة اخواننا في شط الفرات، ومن خواصه انه يأتي الى الانسان اذا تفرد به فيركبه، وربما اضر بذلك الشخص ركوبه ويخاف من الجري خوفاً كثيراً وذلك انهم عرفوه بهذه الصفة، فاذا اصطادوا السمك صادوا جرية وحفظوها معهم حتى اذا جاء اليهم ذلك الغول، واراد الاضرار بهم اخرجوا اليه تلك الجرية وضربوه بها حتى يرمي بنفسه الى الماء فلا يرونه بعد هذا، والجن والشياطين يسكنون الهوى والمياه وكذا بعض الملائكة ومن ثم كره تطميح البول في الهواء وكذا كره البول في الماء ودخول الانهار والمياه بغير ازار استحياءاً من ساكنيها ولئلا يؤذيهم فيؤذونه.

واما اكل الجانَ فهو العظام وما شابهه اما بالاكل حقيقة واما انهم يشمونها فيشبعون وكلاهما قد روى في الاخبار، ومن ثم كره انتهاك العظام وهو المبالغة في اخذ ما عليها من اللحم، وقال عليه السلام انها طعام من الجن (الجان) فاذا انتهكت العظم اخذوا من طعامك ما قابله، والجمع بين الخبرين إمَا بتعدد انواعهم بان يكون منهم من يشمّ العظام ومنهم من يأكلها واما بالقول بأن العظام طعامهم تارة يأكلونها، وتارة أخرى يشمونها وتكون غذاء لهم على التقديرين، والحق ان هذا طعامهم المعتاد والا فهم يأكلون من طعامنا ايضاً فأنه قد شوهد متواتراً ان الناس يصنعون طعاماً خاصاً لهم في بعض الاوقات ويضعونه في مكان خاص بالقرب منهم ولعلهم يشاهدونه في بعض الاحوال، وتأكله الجان وفي الروايات عن الطاهرين عليهم السلام ان الطعام اذا حضر بين ايدي الجماعة حفته ملائكة وشياطين، فاذا ذكروا اسم الله قبل الاكل او ذكره واحد منهم اقبل الملائكة على الشياطين فطردوهم، وان لم يذكروا اسم الله على الطعام قربت الجن والشياطين فأكلوا معهم، ومن هنا ترى الطعام يؤكل سريعاً ولم يشبع القوم، ويقال ليس لهذا الطعام بركة وسيأتي تمام هذا البحث في آداب الاكل ان شاء الله تعالى، واما طعام دوابهم فقد روى انه الروث، وهو ايضاً إما بالاكل او بالشمّ، وقد عرفت ان من جملة ما في الهوى البحر المكفوف بقدرته سبحانه، وفيه انواع المخلوقات وما يعلم خلق ربك الا هو هذا مجمل ما في العالم العلوي وأتت نوبة العالم السفلي.

نور ارضي

اعلم ان الله سبحانه قد تمدّح في معرض الامتنان بخلق الارض فقال ألم نجعل الارض مهاداً والجبال اوتاداً وقوله فمهدنا فنعم الماهدون، فنحن كالاطفال والارض مهدنا وهو تعالى المربي لنا والمنعم، ومن هذا نعت به نفسه كل وصف فقال الحمد رب العالمين أي مربيهم ومرقّيهم في المراتب الحسية والمعنوية الى درجات الكمال والارض طبقات كما ان السموات طبقات وقد اختلف الاخبار في ترتيب ما تحت الارض، ففي كثير منها ان قرار الارض على عاتق ملك وقد ما ذلك الملك على صخرة والصخرة على قرن ثور والثور قوائمه على ظهر الحوت في اليّم الاسفل، واليمَ على الظلمة والظملة على العقيم، والعقيم على الثرى، وما يعلم تحت الثرى الا الله تعالى.

وفي خبر آخر عن الصادق عليه السلام قال فيه ان الله خلق النهار قبل الليل والشمس قبل القمر والارض قبل السماء ووضع الارض على الحوت في الماء والماء على صخرة مجوفة والصخرة على عاتق ملك، والملك على الثرى، والثرى على الريح العقيم، والريح على الهوى تمسكه القدرة، وليس تحت الريح العقيم الا الهوى والظلمات، ولا وراء ذلك سعة ولا ضيق ولا شيء يتوهّم، ثم خلق الكرسي فحشاه السموات والارض، والكرسي اكبر من كل شيء خلق الله، ثم خلق العرش فجعله اكبر من الكرسي، ويمكن الجمع بين الخبرين بحمل الحوت والثور على انهما ملكان بشكل الحوت احدهما وبشكل الثور الاخر كما في حامل العرش، فان كل واحد بصورة حيوان كما تقدم، او ان يقال بتعدد الهقيم فتكون واحدحة حاملة للثرى، والاخرى محمولة له ونحو ذلك.

فان قلت ما معنى قولهم عليهم السلام انه عند الثرى ينقطع علم العلماء كما قال في الحديث الاول وما يعلم تحت الثرى الا الله تعالى مع ما ورد من شمول علم الائمة عليهم السلام واحاطته بما فوق الثرى وما تحته قلت يجوز ان يكون معناه ان العلم المأذون لهم في تبليغه للأمة وإلقائه اليهم هو ما ينتهي الى الثرى فاذا انتهى الحال اليه انقطع العلم المأذون لهم بتبليغه ويجوز ان يكون من اسرار الحرف الذي هو جزء من الاسم الاعظم الذي امتاز الله سبحانه بعلمه ولم يعلمه نبياً فمن دونه كما سبق في الانوار المتقدمة.

فان قيل كيف بيّن عليه السلام في الحديث الاخير ما تحت الثرى من العقيم والهوى قلت يجوز ان يكون المراد بما تحت الثرى من العلم الذي حجب عن الناس هو العلم بتفاصيله مفصلاً بأن يكون للظلمات والهوى التي هي تحت الثرى احوال غريبة واوضاع عجيبة حجب علمها عن ان يعلم

للخلايق او انه تعالى استأثر به لا بذلك المجمل ويؤيده انه قد ورد في الاحاديث تفاصيل احوال ما فوق الثرى وعدم ذكر احوال التي تحته.

واعلم انه قد وقع الخلاف بين الحكماء والمنجمين في سكون الارض وتحركها فذهب الاكثر الى انها ساكنة غير متحركة وذهب آخرون الى انها هاوية أي متحركة الى اسفل دائماً ابداً فلا تزال الارض تنزل في خلاء غير متناه لما في طبيعتها من الاعتماد والثقل الهابط، وذهب ثالث الى انها تدور متحركة على مركز نفسها من المغرب الى المشرق خلاف الحركة اليومية والحركة اليومية لا توجد على هذا التقدير وانما يتخيل بسبب حركة الارض ان يتبدّل الوضع من الفلك بالقياس الينا دون اجزاء الارض اذ لا يتغيّر الوضع بيننا وبينها فانا على جزء معين منها فانها اذا تحركت من المغرب الى المشرق ظهر علينا من جانب المشرق كواكب كانت مخفية عنّا بحدبة الارض وخفى عنّا بحدبتها من جانب المغرب كواكب كانت ظاهرة علينا فيظنّ لذلك ان الارض ساكنة في مكانها والمتحرك هو الفلك فيكون حينئذ متحركاً من المشرق الى المغرب وذلك كراكب السفينة فانه يرى السفينة ساكنة مع حركتها حيث لا يتبدّل وضع اجزائها منه ويرى الشطّ متحركاً مع سكونه حيث يتبدّل وصعه منه مع ظنّ انه ساكن في مكانه وكذلك يرى القمر سائراً الى الغيم حين يسير الغيم اليه وغير ذلك من الامور التي يغلط بها الحسّ.

واما الوارد في الشريعة المطهرة فهو كونها ساكنة وان الجبال اوجبت سكونها قال الله تعالى والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وقال تعالى والجبال اوتادا روى عن ابن عباس انه قال ان الارض بسطت على الماء فكانت تكفأ بأهلها كما تكفأ السفينة فأرساها الله تعالى بالجبال وذكروا لهذا وجوهاً أحدها ما قاله الرازي في التفسير وهو انّ السفينة اذا القيت على وجه الماء فأنها تميل من جانب الى جانب وتضطرب فاذا وقعت الاجرام الثقيلة فيها استقرت على وجه الماء فكذلك لمّا خلق الله تعالى الارض على وجه الماء اضطربت ومادت فخلق الله تعالى عليها هذه الجبال ووتدها بها فاستقرت على وجه الماء بسبب ثقل الجبال ثم اعترض على هذا وحاصله ان حركات الاجسام طبيعية ولا شك ان الارض اثقل من الماء والاثقل يغوص في الماء ولا يبقى طائفاً عليه فامتنع ان يقال انها كانت تميد وتضطرب بخلاف السفينة فانها متخذة من الخشب وفي داخل الخشب تجويفات غير مملوة فلذلك تميد وتضطرب على وجه الماء فاذا ارسيت بالاجسام الثقيلة استقرت وسكنت فظهر الفرق.

واجاب عن هذا الاشكال شيخنا المحقق ادام الله ايامه بان الارض وان كانت ثقيلة وفي طبعها طلب المركز لكنّ الماء يحركها بأمواجه حركة قسرية ويزيلها عن مكانها الطبيعي بسهولة،

فكانت تميد وتضطرب بأهلها وتغوص قطعة منها وتخرج قطعة ولما ارساه الله تعالى بالجبال وثقّلها قاومت الماء وامواجها بذلك الثقل فكانت كالاوتاد مثبتة لها.

وثانيها ما قاله الرازي ايضاً بعد ان زيّف الوجه الاول بايراد اشكالات كما هو شأنه في التشكيك حتى ان المحقق الداماد قدس الله زكي ترتبته سمّاه شيخ المشككين لكثرة تشكيكه في المسائل، قال والذي عندي في هذا الموضع المشكل ان يقال انه ثبت بالدلائل اليقينة ان الارض كرة، وان هذه الجبال على سطح هذه الكرة جارية مجرى خشونات وتضريسات تحصل على وجه هذه الكرة، اذا ثبت هذا فنقول اذا فرضنا هذه الخشونات ما كانت حاصلة بل كانت الارض كرة حقيقية خالية عن هذه الخشونات والتضريسات لصارت بحيث تتحرك بالاستدارة بأدنى سبب لان الجرم البسيط المستدير وان لم يجب كونه متحركاً بالاستدارة عقلاً الا انه بأدنى سبب يتحرك على هذا الوجه اما اذا حصل على سطح كرة الارض هذه الجبال وكانت كالخشونات الواقعة على وجه الكرة فكل واحد من هذه الجبال انما يتوجه طبعه الى مركز العالم، وتوجه ذلك العالم نحو مركز العالم بثقله العظيم وقوته الشديدة يكون جارياً مجرى الوتد الذي يمنع كرة الارض من الاستدارة فكان تخليق هذه الجبال على الارض كالاوتاد المغروزة في الكرة المانعة لها من الحركة المستديرة او كانت مانعة للارض عن الميد والميل والاضطراب بمعنى انها منعت الارض عن الحركة المستديرة، فهذا ما وصل اليها خاطري في هذا الباب والله اعلم، واعترض بعض افاضل العصر عليه بوجوه كثيرة لا نطول الكلام بذكرها.

وثالثها ما قاله بعض مشائخنا من ان يكون مدخلية الجبال بعدم اضطراب الارض بسبب اشتباكها واتصال بعضها في بعض اعماق الارض بحيث يمنعها عن تفتت اجزائها انفكاكها، فهي بمنزلة الاوتاد والمسامير المثبتة في الابواب المركبة من قطع الخشب بحيث تصير سبباً لالتزاق بعضها ببعض، وهذا معلوم ظاهر لمن حفر الابار في الارض فانها تنتهي عند المبالغة في حفرها الى الاحجار الصلبة.

ورابعها ما قاله بعض المحدثين من ان المراد بالجبال والرواسي الانبياء والاولياء والعلماء وبالارض الدنيا، اما وجه التجوّز بالجبال عن الانبياء والعلماء فلان الجبال لما كانت على غاية من الثبات والاستقرار ومانعة لما يكون تحتها من الحركة والاضطراب عاصمة لما يلتجي اليها من الحيوان عما يوجب له الهرب فيسكن بذلك اضطرابه وقلقلتة اشبهت الاوتاد من بعض هذه الجهات، ثم لما كانت الانبياء والعلماء هم السبب في انتظام امور الدنيا وعدم اضطراب احوال اهلها كانوا كالاوتاد للارض فلا جرم صحّت استعارة لفظ الجبال لهم، ولذلك يقال في العرب فلان جبل منيع يأوي اليه كل ملهوف، اذا كان يرجع اليه في المهمات والحوائج والعلماء اوتاد الله

في الارض، والحق ان العلماء وان ورد في الاخبار اطلاق الاوتاد عليهم بل قد فسّر بهم اوتاد الايات الا ان ذلك تفسير لباطن الايات، واما الظاهر فقد فسرت في الاخبار ايضاً فالاعراض عن ارادة الظاهر والاقتصار على ارادة بواطن الايات كما هو أدب بعض المعاصرين ليس من دأب المحققين.

واعلم ان وراء هذه الارض ارضاً أخرى روى عجلان بن ابي صالح قال سألت ابا عبد الله عليه السلام عن قبَة آدم فقلت له هذه قبة آدم، فقال نعم ولله قباب كثيرة ان خلف مغربكم هذا تسعة وثلاثين مغرباً ارضاً بيضاء مملوة خلقاً يستضيئون بنورها لم يعصوا الله طرفة عين لم يدروا ان الله عز وجل خلق آدم ام لم يخلقه يبرأون عن فلان وفلان وفلان قيل كيف هذا وكيف يبرأون من فلان وفلان وفلان، وهم لا يدرون ان الله خلق آدم ام لم يخلقه فقال للسائل عن ذلك أتعرف ابليس، فقال لا الا بالخبر، فقال أفأمرت بلعنته والبراءة منه قلن (قال ظ) نعم قال وكذلك امر هؤلاء.

وروى جابر بن يزيد عن ابي جعفر عليه السلام قال ان وراء شمسكم هذه اربعين عين شمس ما بين عين شمس الى عين شمس أخرى اربعون عاماً، فيها خلق كثير ما يعلمون ان الله خلق آدم أم لم يخلقه، وان من وراء قمركم هذا اربعين قرصاً ما بين القرص الى القرص اربعون عاماً، فيها خلق كثير ما يعلمون ان الله خلق آدم ام لم يخلقه، قد الهموا كما الهمت النحل لعنة الاول والثاني والثالث في كل الاوقات، وقد وكلَ بهم ملائكة متى لم يعلنوا عذّبوا، وسأل رسول الله صلى الله عليه وآله ما خلف جبل قاف، قال خلفه سبعون ارضاً من ذهب وسبعون ارضاً من فضة وسبعون ارضاً من مسك وخلفه سبعون ارضاً سكانها الملائكة لا يكون فيها حرّ ولا برد، وطول كل ارض مسيرة عشرة آلاف سنة، قيل وما خلف الملائكة قال حجاب من ظلمة، قيل وما خلفه، قال حجاب من ريح قيل وما خلفه قال حجاب من نار، قيل وما خلف ذلك قال علم الله تعالى وقضائه وسأل عن عرض قاف وطوله واستدارته فقال عليه السلام عرضه مسيرة الف سنة من ياقوت احمر قصته[1]ن فضة بيضاء وزَجه من زمردة خضراء، له ثلاث ذوائب من نور ذوابة بالمشرق وذوابة بالمغرب والاخرى في وسط السماء عليها مكتوب الاول بسم الله الرحمن الرحيم، الثاني الحمد لله رب العالمين، الثالث لا اله الا الله محمد رسول الله.

واعلم ان من جملة حوادث الارض الزلازل وذكر الحكماء في سببه ان البخار اذا احتبس في الارض يميل الى جهة ويبرد بالارض فقلب مياها مختلطة بأجزاء بخارية ان قلّ، فاذا كثر

---

(١) القصة والقصة والقص الجص لغة حجازية وقيل الحجارة من الجص وقد قصص داره أي جصصها وفي الحديث نهى رسول الله ص عن تقصيص القبور وهو بناؤها بالقصة(لسان العرب).

بحيث لا تسعه الارض اوجب انشقاق الارض وانفجار العيون، واذا غلظ البخار بحيث لا ينفذ في مجاري الارض بأن كانت الارض كثيفة عديمة المسام اجتمع فجنح طالباً للخروج ولم يمكنه النفوذ فزلزلت الارض وربما قويت المادة على شقّ الارض فيحدث صوت هائل، وقد تخرج نار لشدة الحركة المقتضية لاشتعال البخار والدخان الممتزجين على طبيعة الدهن، هذا كلامهم قاتلهم الله واخزاهم، واما الذي ورد عن الائمة الطاهرين عليهم السلام.

فمنها ما رواه الصدوق عن الصادق عليه السلام قال ان ذا القرنين لما انتهى الى السد جاوزه فدخل في الظلمات فاذا هو بملك قائم على جبل طوله خمسمائة ذراع، فقال له الملك يا ذا القرنين اما كان خلفك مسلك، فقال له ذو القرنين من انت قال انا ملك من ملائكة الرحمن موكّل بهذا الجبل وليس من جبل خلقه الله الا وله عرق متّصل بهذا الجبل، فاذا اراد الله عز وجل ان يزلزل مدينة اوحى اليّ فزلتها، ومنها ما روى عنه عليه السلام أنه قال ان الله تبارك وتعالى خلق الارض فأمر الحوت فحملتها فقالت حملتها بقوتي فبعث الله عز وجل اليها حوتاً قدر قشر فدخلت في منخرها فاضطربت اربعين صباحاً، فاذا اراد الله ان يزلزل ارضاً ترائت لها تلك الحوتة الصغيرة فزلزلت الارض خوفاً، ومنها ما روى عنه عليه السلام انه قال ان الله تبارك وتعالى امر الحوت ان تحمل الارض وكل بلد من البلدان على فلس من فلوسه، فاذا اراد الله تبارك وتعالى ان يزلزل ارضاً امر الحوت ان تحرّك ذلك الفلس فتحركه، ولو رفع الفلس لانقلت الارض باذن الله عز وجل وهذه العلل كلها حق وكلها اسباب ويجمعها ارادة الاستعتاب والتوبة من العباد بعد صدور الذنوب الموبقة منهم.

ولقد حدث في عشر الثمانين بعد الالف زلازل بطوس حتى خرّبت البنيان واهلكت النفوس فذهب من المشهد الرضوي على صاحبه افضل الصلوات الاف من الانفس من الرجال والنساء وتصدّعت قبته عليه السلام وذهب من نيشابور فوق اربعة الاف انسان، وقد حدث في شيروان زلازل انقلبت منها بلاد كثيرة وتحولت بها رساتيق من اماكنها الى امكنة بعيدة عن مكانها الاول وذهبت انفس لا يحصى عددها الا الله سبحانه، وكذلك حدث في سنة التاسعة والثمانين بع الالف وهي سنة تاريخ تأليف هذا الكتاب زلازل في بلاد طبرستان حتى ساخت منها بعض البلدان تحت الارض وانقبلت به بعض البلاد وهلكت النفوس، وروى عن الصادق عليه السلام قال اذا فشت ظهرت اربعة، اذا فشا الزنا ظهرت الزلازل، واذا امسكت الزكوة هلكت الماشية، واذا جار الحكام في القضا امسك القطر من السماء واذا خفرت الذمة نصر المشركون وخفر الذمة نقض العهد.

وروى ان الارض التي يزنى عليها تضج الى الله تعالى شاكية، بل ورد ان سبب الوبا هو الزنا وذلك ان الارض لا تقبل غسالة الزاني فيصير ذلك الماء بخاراً فيرتفع الى السماء فلا تقبله السماء ايضاً فينزل على جنسه على الابار والعيون والغدران والانهار والبحار فيتكيّف الهوى عند مرور البخار عليه مرتين بشمومها وسمومها، ويتكيّف المياه ايضاً وأشدَ ما يحتاج اليه الناس في استقامة الامزجة ويخافون منه في انحرافها هو الهوى ثم الماء فيتنفسون في ذلك الهوى المسموم ويشربون من ذلك الماء فتحصل المواد الفاسدة في امزجتهم فتنزل وتظهر في بعض الاعضاء، ولهذا يكثر وقوعه على الاطفال الضعيفة الامزجة والغرباء الغير المعتاد لهواء تلك الارض، وروى انه سبب الطاعون وذلك ان الزنا اذا كثر في ارض سلّط الله على اهلها جنوداً من الجن يحاربونهم ويطعنونهم بحرابهم ويجردونهم ويروعونهم بالتشكل والتخيل في عيونهم فتارة يتمثلون بصور الكلاب والذئاب وطوراً بصور الطوايف المبتدعة الهائلة الصور.

وفي الروايات ان يوشعاً عليه السلام قاد بني اسرائيل بعد موت موسى عليه السلام من التيه الى بلدة الجبابرة وحاصروها فطلب اهلها ان يدعو بلعم على يوشع كما دعى على موسى عليه السلام فقال لهم وما دعاء الكافرين الى في ضلال، ولكن اخرجوا اليهم الزواني والفواحش، ففعلوا فاختلط الرجال بالنساء وكثر الزنا فيما بين جنود يوشع فوقع فيهم الطاعون فهلك خلق كثير فأمر يوشع عساكره (عينا ظ) فطعن رجلاً على امرأة حتى نفذ الرمح من ظهر الرجل وخرج من ظهر المرأة فرفعهما على سنان الرمح ونصب الرمح في وسط المعسكر وهما على السنان، فأمر منادياً ينادي في العسكر الا من زنى بعد اليوم فاني اصنع به ما صنعت بهذين فانقطع فعل الزنا وارتفع الطاعون، وعنه صلى الله عليه وآله انه قال اياكم والزنا فان فيه عشر خصال نقصان العقل والدين والرزق والعمر، وآفة الهجران، وغضب الرحمن وهجوم النسيان، وبغض اهل الايمان وذهاب ماء الوجه وردَ الدعاء والعبادة، ولا يستبعد مثل هذه التاثيرات، فقد روى ان آدم عليه السلام تقيأ ما اكل من شجرة الحنطة على الارض بعد ما بي في بطنه ثلاثين يوماً فنبت منه السموم المعدنية والنباتية، وما بقي من قوته في صلب آدم تولّد قابيل فاذا كان الحرام في بطن آكله سمّاً مضراً له ولغيره الى ان ظهر اثره في نطفته ونسله فليس بعجيب.

ومن تأثيرات الزنا ومقدماته سرايته الى الزاني ومحرماته، روى ان رجلاً سقّاء كان في بلاد بخارى وكان يجيء دار صائغ منذ ثلاثين سنة ولم يصدر منه نظر سوء قطّ، فيوماً جعل السقاء يمسك زوجة الصايغ من زندها ويلمسها ويقبلها ويضمها الى نفسه حتى فعل غير الجماع من دواعيه، فراخ السقّاء وجاء الصايغ فسألته امرأته عن فعله في السوق ذلك اليوم والحثَ عليه في الصدق قال ان امرأة كشف زندها لتدخلها في السوار فلما رأيت ساعدها لمستها بسكر الشهوة،

وقبلت المرأة وفعلت بها غير الجماع من دواعيه فكبرَت زوجته واخبرته بقصة السقاء، وروى عن النب يص انه قال لكل عضو من ابن آدم حظّ من الزنا فالعين زناها النظر، واللسان زناه الكلام، والاذنان زناهما السمع واليدان زناهما البطش، والرجلان زناهما المشي، والفرج يصّدق ذلك ويكذبه، وروى ايضاً انه كان في زمان داود عليه السلام رجل فاسق فأتى يوماً الى امرأة رجل فقير ليزني بها فلما اشتغل بالزنا وقع في قلبه ان رجلاً يزني بامرأته فلما اتى منزله وجد رجلاً فوق بطن امرأته فأخذه الى داود عليه السلام ليقيم عليه الحد، فأوحى الله تعالى الى داود قل له كما تدين تدان، زنيت بامرأة الرجل الفلاني فزنى رجل بامرأتك وفي الحديث ان من زنى فقد زنى به فان لم يكن به فبأولاده وذراريه، وقد عدّ الزنا من الكبائر، ومن هذا كان للمتعفف منه والتائب بعد فعله درجة في الدنيا والاخرة لا يدانى فيها.

روى الكليني قدس الله روحه باسناده الى اسحق بن عمار عن ابي عبد الله عليه السلام قال كان ملك في بني اسرائيل وكان له قاض، وللقاضي أخ وكان رجلاً صدقاً، وكان له امرأة قد ولَدتها الانبياء فاراد الملك ان يبعث رجلاً في حاجة فقال للقاضي إيتني رجلاً ثقة، فقال ما اعلم احداً اوثق من اخي فدعاه ليبعثه فكره ذلك الرجل وقال لاخيه اني اكره ان اضيع امرأتي فعزم عليه فلم يجد بداً من الخروج، فقال لاخيه يا اخي اني لست اخلف شيئاً أهم اليّ من امرأتي فاخلفني وتوَل قضاء حاجتها، قال نعم فخرج الرجل وقد كانت المرأة كارهة لخروجه وكان القاضي يأتيها ويسألها عن حوائجها ويقوم بها، فأعجبته فدعاها الى نفسه فأبت عليه فحلف عليها لئن لم تفعلي لاخبرنَ الملك انها قد فجرت فقالت اصنع ما بدا لك لست اجيبك الى شيء مما طلبت، فأتى الملك فقال ان امرأة اخي فجرت وقد حقّ ذلك عندي فقال له الملك طهّرها فجاء اليها فقال ان الملك قد امرني برجمك فرجمها ومعه الناس فلما ظنّ انها قد ماتت تركها وانصرف وجنّها الليل وكان بها رمق فتحركت وخرجت من الحفرة ثم مشت على وجهها حتى خرجت من المدينة.

فانتهت الى دير فيه ديراني فنامت على باب الدير فلما اصبح الديراني فتح الباب فرءاها فسألها عن قصتها فخبرته فرحمها وادخلها، وكان له ابن صغير لم يكن له غيره وكان حسن الحال فداواها حتى برأت من علتها واندملت، ثم دفع اليها ابنه فكانت تربيه وكان للديراني قهرمان يقوم باوامره فأعجبته فدعاها الى نفسه فأبت فجهد بها فأبت فقال لها لئن لم تفعل لاجهدنّ في قتلك، فقالت اصنع ما بدا لك فعمد الى الصبي فدقّ عنقه واتى الديراني، فقال له عمدت فاجرة فجرت فدفعت اليها ابنك فقتلته، فجاء الديراني فلما رءاه قال لها ما هذا فقد تعلمين صنيعي بك فأخبرحته بالقصة فقال لها ليس تطيب نفسي ان تكوني عندي فاخرجي فاخرجها ليلاً ودفع اليها عشرين درهماً وقال لها تزودي هذه الليلة حسبك فخرجت ليلاً.

فأصبحت في قرية فاذا فيها مصلوب على خشبة وهو حيّ فسألت عن قصته فقالوا لها عليه دين عشرون درهماً ومن كان عليه دين عندنا عشرون درهماً لصاحبه صلبه حتى يؤدي الى صاحبه، فأخرجت العشرين درهماً ودفعتها الى غريمه وقالت لا تقتلوه فانزلوه عن الخشبة فقال لها ما احد اعظم عليّ منّة منك نجيتني من الصلب ومن الموت انا معك حيث ما ذهبت، فمضى معها ومضت حتى انتهيا الى ساحل البحر فرأى جماعة وسفنا فقال لها اجلسي حتى اذهب انا اعمل لهم واستطعم وآتيك به، فأتاهم فقال لهم ما في سفينتكم هذه قالوا هذه تجارات وجواهر وعنبر واشياء من التجارة، واما هذه فنحن فيها قال وكم يبلغ ما في سفينتكم هذه، قالوا كثيراً لا نحصيه قال فان معي شيئاً خطيراً هو خير مما في سفينتكم، قالوا وما معك، قال جارية لم تروا مثلها قطَ، قالوا فبعناها قال نعم على شرط ان يذهب بعضكم فينظر اليها ثم يجيء ويشتريها ولا يعلمها ويدفع اليّ الثمن ولا يعلمها حتى امضي انا، فقالوا ذلك لك فبعثوا من نظر اليها فقال ما رأيت مثلها قطَ فشتروها منه بعشرة الاف درهم، ودفعوا اليه الدراهم ومضى لها فلما امعن اتوها فقالوا لها قومي وادخلي السفينة، قالت لِمَ؟ قالوا اشتريناك من مولاك، قالت ما هو بمولاي قالوا تقومين او لنحملنَك فقامت ومضت معهم، فلما انتهوا الى الساحل لم يأمن بعضهم بعضاً عليها فجعلوها في السفينة الى فيها الجواهر والتجارة، وركبوا في السفينة الاخرى فدفعوها فبعث الله عز وجل ريحاً فغرقتهم وسفينتهم ونجت السفينة التي كانت فيها حتى انتهت الى جزيرة من جزائر البحر، فخرجت من السفينة وربطتها ثم دارت في الجزيرة فاذا فيها ماء وشجر فيه ثمر فقالت هذا ماء اشرب منه وثمر آكل منه اعبد الله في هذا الموضع.

فأوحى الله الى نبي من انبياء بني اسرائيل ان يأتي ذلك الملك فيقول له ان في جزيرة من جزائر البحر خلقاً من خلقي فاخرج انت ومن في مملكتك حتى تأتوا خلقي هذا وتقروا له بذنوبكم، ثم تسألوا من ذلك الخلق ان يغفر لكم فان غفر لكم غفرت لكم فخرج الملك بأهل مملكته الى تلك الجزيرة فرأوا امرأة فتقدَم اليها الملك فقال لها ان قاضيَ هذا أتاني فخبّرني ان امرأتي اخيه فجرت فأمرته برجمها ولم تقم عندي البينة فأخاف ان اكون قد تقدمت على ما لا يحلَ لي فأحب ان تستغفري لي، فقالت غفر الله لك اجلس، ثم اتى زوجها ولم يعرفها فقال لها انه كان لي امرأة وكان من فضلها وصلاحها واني خرجت عنها للسفر وهي كارهة لذلك، فأخبرني اخي انها فجرت فرجمها وانا اخاف ان اكون قد ضيعتها فاستغفري لي غفر الله لك، فقالت غفر الله لك اجلس فأجلسته الى جنب الملك.

ثم اتى القاضي فقال انه كان لاخي امرأة وانها اعجبتني فدعوتها الى الفجور فابت فأعلمت الملك انها قد فجرت فأمرني برجمها فرجمتها وانا كاذب عليها فاستغفري لي فقالت غفر

الله لك، ثم اقبلت على زوجها فقالت إسمع، ثم تقدم الديراني فقصَّ قصته وقال اخرجتها بالليل وانا اخاف ان يكون قد لقيها سبع فقتلها فقالت غفر الله لك اجلس، ثم تقدم القهرمان فقصَّ قصته فقالت للديراني اسمع غفر الله لك، ثم تقدم المصلوب فقصَّ قصته فقالت لا غفر الله لك، ثم اقبلت على زوجها فقالت انا امرأتك وكل ما سمعت فانما هو قصتي وليست لي حاجة في الرجال فانا احب ان تأخذ هذه السفينة وما فيها وتخلّي سبيلي فأعبد الله عز وجل في هذه الجزيرة فقد ترى ما لقيت من الرجال ففعل وأخذ السفينة وما فيها وانصرف الملك واله مملكته.

فانظر الى تقوى هذه المرأة كيف عصمها من الرجم ومن تهمة القهرمان ومن رقَ التجار، ثم انظر ما بلغ من كرامتها على الله حيث جعل رضاه مقروناً برضاها ومغفرته بمغفرتها، وكيف جعل من نصب لها مكراً وهيأ لها مكروهاً خاضعاً لها طالباً منها المغفرة والرضا وكيف رفع قدرها ونوّه بذكرها حيث امر نبيه بأن يحشر اليها الملوك والقضاة والعباد ويجعلوها باباً الى الله تعالى وذريعة الى رضوانه، واعجب من هذا أنه سبحانه لم يجر على لسان أحد منهم ذنباً من الذنوب سوى الذنب الذي اتوه الى المرأة مع ان ذنوب كل واحد منهم لا تكاد تحصى، خصوصاً القاضي فان هذا الذنب الذي ذكره حسنة منه بالنسبة الى باقي ذنوبه، ولعمرك ان قضاة زماننا انما تعدَ حسناتهم وافعالهم الجميلة مثل ذنب ذلك القاضي فانظر الى افعالهم السيئة والى ذنوبهم كيف تكون.

وروى عن الصادق عليه السلام قال كان عابد في بني اسرائيل لم يقارف من امر الدنيا شيئاً، فنخر ابليس نخرة فاجتمع جنوده فقال من لي بفلان بن فلان فقال بعضهم انا له، قال من اين تأتيه قال من ناحية النساء قال لست له لم يجرب النساء، قال آخر فانا له من ناحية الشراب واللذات قال لست له، قال آخر فأنا له من ناحية البر قال انطلق فأنت صاحبه، فانطلق الى موضع الرجل فأقام حذاه يصلي، قال وكان الرجل ينام والشيطان لا ينام ويستريح والشيطان لا يستريح فتحوّل اليه الرجل وقد تقاصرت اليه نفسه واستصغر عمله، فقال يا عبد الله بأي شيء قويت على هذه الصلوة، فلم يجبه، ثم اعاد عليه، فقال يا عبد الله اني اذنبت ذنباً وانا تائب منه فاذا ذكرت الذنب قويت على الصلاة، قال فأخبرني عن ذنبك حتى اعمله واتوب فاذا فعلته قويت على الصلاة، قال ادخل المدينة وسل عن فلانة البغيّة فاعطها درهمين ونل منها، قال ومن اين لي درهمين ما ادري ما الدرهمين فتناول الشيطان من تحت قدميه درهمين فناوله اياهما، قال فقدم المدينة بجلابيبه فسأل عن منزل فلانة البغيَة فأرشدوه الناس، فظنوا انه جاء يعظها فارشدوه فجاء اليها فرمى اليها بالدرهمين وقال قومي، فقامت ودخلت منزلها، وقالت ادخل وقالت انك جئتني في هيئة ليس يؤتى مثلي في مثلها فاخبرني، فاخبرها فقالت له يا عبد الله ان ترك الذنب اهون من طلب التوبة

وليس كل من طلب التوبة وجدها، وانما ينبغي ان يكون هذا شيطان مثّل لك، فانصرف وماتت من ليلتها فاصبحت فاذا على بابها مكتوب احضروا فلانة فانها من اهل الجنة، فارتاب الناس ومكثوا ثلاثاً لا يدفنونها ارتياباً في امرها، فأوحى الله عز وجل الى نبي من بني اسرائيل لا اعلمه الا موسى بن عمران ان إئت فلانة فصلِّ عليها ومر الناس ان يصلوا عليها فأني قد غفرت لها، وأوجبت لها الجنة بتثبيطها فلان عبدي عن معصيتي، فانظر رحمك الله كيف استحقت هذه المرأة التي صرفت عمرها في الزنا مراتب الرحمة بمنعها عبداً من عباد الله عن الزنا.

وفي الرواية عن الصادق عليه السلام ان امرأة كانت في سفينة فانكسرت السفينة وخرجت المرأة على لوح الى جزيرة في البحر، فمشت ساعة وكان هناك رجل قاطع طريق تلك الجزيرة فلما رأى تلك المرأة قال لها انت من الانس ام من الجن، فما تمّ كلامه حتىجلس منها مجلس الرجل من المرأة فارتعدت خوفاً، فقال لها مم تخافين، قالت من الله الذي ينظر الينا، قال لها أفعلت هذا الفعل من قبل هذا؟ قالت لا فقام من فوقها وقال انا احقّ منك بالتوبة لاني فعلت هذا مراراً بالاختيار وانت لم تفعليه وانا قد اضطررتك الى هذا فأنا تائب الى الله تعالى، فأخذ المرأة وسار معها الى البلد فلقيا في الطريق رجلاً عابداً فترافقا معه في الطريق، فلما حميت عليهم الشمس قال العابد لذلك الرجل يا اخي تعال ندعوا الله ان يظللنا بغمامة نمشي تحتها، فقال له الرجل يا اخي ليس لي وجه ابيض عن الله تعالى ولا لي سابقة عمل ارجو به قبول الدعا لكن ادع أنت، فقالوا ادعو انا وانت تؤمن على دعائي فدعى الراهب وامّن ذلك الرجل فاظلتهم سحابة فسارا تحتها فلما بلغا مفترق الطريقين تبعت السحابة ذلك الرجل وبقى العابد يمشي تحت الشمس فرجع العابد وقال له يا اخي الم تقل أنه ليس لك سابقة عمل وهذه السحابة قد سارت معك فاخبرني بما صنعت، فحكى الخبر وماجرى من معاملة المرأة وانصرف معه السحابة.

وروى انه كان في بني اسرائيل ارمأة بغية وكانت مفتتنة بجمالها وكان باب دارها ابداً مفتوحاً، وهي قاعدة في دارها على السرير بحذاء الباب وكلّ من نظر اليها افتتن بها، فان اراد الدخول عليها احتاج الى احضار عشرة دنانير حتى تأذن له بالدخول فمرّ ببابها عابد فوقع بصره عليها فافتتن بها ولم يملك نفسه حتى باع قماشاً له واتى اليها بالدنانير، فأخذتها وجلس معها على السرير فلما مدّ يده اليها وقع في قلبه ان الله يراني على هذه الحالة فوق عرشه، وانا في الحرام وقد حبط عملي كله، فتغير لونه فنظرت اليه فقالت له أي شيء اصابك، قال اني اخاف الله فاذني لي بالخروج، فقالت له ويحك ان كثيراً من الناس يتمنون الذي وجدته فقال لها اني اخاف الله والملك لك حلال فاذني لي بالخروج فخرج من عندها وهو يدعو بالويل والثبور ويبكي على نفسه، فوقع الخوف في قلب المرأة، فقالت ان هذا الرجل اول ذنب اذنبه وقد دخل عليه من الخوف ما دخل

واين اذنبت منذ كذا وكذا سنة، وان ربه الذي يخاف منه هو ربي وخوفي منه ينبغي ان يكون اشد، فتابت الى الله واغلقت بابها ولبست ثياباً خلقة واقبلت على العبادة فقالت في نفسها اني لو انتهيت الى ذلك الرجل فلعله يتزوجني فأكون عنده فأتعلَم منه امر ديني ويكون عوناً لي على عبادة الله فتجهزت وحملت اموالها وخدمها فانتهت الى تلك القرية وسألت عنه فأخبر العابد انها قد قدمت امرأة تسأل عنك فخرج العابد اليها، فلما رأته المرأة كشف عن وجهها ليعرفها فلما رءاها عرفها وتذكر الامر الذي كان بينه وبينها فصاح صيحة وخرجت روحه فبقيت المرأة حزينة، وقالت اني خرجت لاجله وقد مات فهل له من اقربائه احد يحتاج الى امرأة؟ فقالوا ان له اخاً صالحاً ولكنه معسر ليس له مال فتزوجته فولد له منها خمسة اولاد كلهم صاروا انبياء في بني اسرائيل.

ومن ذلك ما روى عن النبي ﷺ انه كان في بني اسرائيل عابد وكان قد اوتي جمالاً وحسناً وكان يعمل القفاف بيده فيبيعها، فمرّ ذات يوم بباب الملك فنظرت اليه جارية لامرأة الملك فدخلت اليها فقالت لها هيهنا رجل ما رأيت احسن منه يطوف بالقفاف يبيعها، فقالت ادخليه عليَ فأدخلته فلما دخل نظرت اليه فاعجبها، فقالت له اطرح هذه القفاف، وخذ هذه الملحفة، وقالت لجاريتها هاتي الدهن يا جارية فقضى منه حاجتنا ويقضيها منّا، وقالت نغنيك عن بيع هذا، فقال ما اريد ذلك مراراً فقالت وان لم ترده فانك غير خارج حتى نقضي حاجتنا منك وامرت بالابواب فاغلقت فلما رأى ذلك قال هل فوق قصركم هذا متوضأ؟ قالت نعم يا جارية إرقى له بوضوء فلما رقى جاء الى ناحية السطح فرأى قصراً مرتفعاً ولا شيء يتعلق به ليرسل نفسه من السطح فجعل يعاتب نفسه ويقول يا نفس منذ سبعين سنة تطلبين رضاء ربك حريصة عليه في الليل والنهار ثم جاءتك عشية واحدة تفسد عليك هذا كله، انت والله خائبة ان جاءتك هذه العشية ارسلي نفسك من هذا السطح تموتين فتلقى الله ببقية عملك فجعل يعاتبها.

قال ﷺ فلما تهيأ ليلقى نفسه قال الله سبحانه لجبرئيل عليه السلام يا جبرئيل قال لبيك وسعديك، قال عبدي يريد ان يقتل نفسه فراراً من سخطي ومعصيتي فالقه بجناحك لا يصيبه مكروه، فبط جبرئيل عليه السلام جناحه فأخذه بيده ثم وضعه وضع الوالد الرحيم لولده قال فأتى امرأته وترك القفاف وقد غابت الشمس فقالت له امرأته اين ثمن القفاف فقال لها ما اصبت لها اليوم ثمناً، فقالت فعلى أي شيء نفطر الليلة قال نصبر ليلتنا هذه ثم قال لها قومي فاسجري تنورك فانّا نكره ان يرى جيراننا اننا لم نسجر التنور فأنهم اذا لم يروا انّا سجرنا التنور اشتغلت قلوبهم بنا، فقامت وسجرت، ثم جاءت وقعدت فجاءت امرأة من جيرانها، فقالت يا فلانة هل عندك وقود؟ فقالت نعم ادخلي وخذي من التنور، فدخلت ثم خرجت فقالت يا فلانة ما لي اراك جالسة

تتحدثين مع فلان يعني زوجها وقد نضج خبزك في التنور يريد ان يحترق، فقامت فاذا التنور محشو خبزاً نقياً فجعلته في جفنة ثم جاءت به الى زوجها، فقالت له ان ربك لم يصنع بك هذا الا وأنت عليه كريم فادع الله ان يبسط علينا بقية عمرنا في معاشنا، قال لها تصبري على هذا فلم تزل به حتى قال نعم افعل فقام في جوف الليل يصلي ودعا الله تعالى، وقال الله ان زوجتي قد سألتني فاعطها ما تتوسع به في بقية عمرها فانفرج السقف فنزلت اليه كفٌ عليها ياقوتة بيضاء اضاء لها البيت كما يضيء الشمع، فغمز رجلها وكانت نائمة فقال لها اجلسي وخذي ما سألت فقالت لا تعجل كنت قد رأيت في المنام كأني انظر الى كراسي مصفوفة من ذهب مكلل بالياقوت والزبرجد فيها ثلمة، فقلت لمن هذا قالوا هذا مجلس زوجك فقلت فمم هذه الثلمة فقالوا من اشتغاله بدعاء استجابة ما سألته منه فما لي حاجة في شيء أثلم عليك مجلسك أدع ربك فدعا فرجع الكف.

وقد نقل في بعض التفاسير ان رابعة العدوية قال دخلت ذات يوم على تبة وهو فيما فيه من الزهد والعبادة، فقلت له كيف بدء توبتك، قال اني كنت في حداثتي مولعا بالنساء، وكان يهواني بالبصرة اكثر من الف امرأة فخرجت ذات يوم فاذا انا بامرأة لا يتبين منها غير عينيها فكأنما قدحت من قلبي ناراً، وكلمتها فلم تكلمني فقلت لها ويحك انا عتبة الذي تعشقني اكثر نساء البصرة واكلمك فلا تكلمني، قالت فما الذي تريد مني، قلت اجيء الى ضيافتك قالت يا هذا انا مغطاة فكيف احببتني، قلت لها ان عينيك قد افتتناني قالت صدقت اني غفلت عنهما فتعال الى منزلي لتنال حاجتك فذهبت معها حتى ادخلتني داراً ما رأيت فيها شيئاً من الاساس، فقلت لها ما لي أرى الدار فارغة فقالت حولَّنا القماش عنها الى الدار التي قال الله عز وجل تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين.

اياك ان تبيع الجنة بالبدنيا والحوريات بالادميات، فقلت لها دعيني من هذه التقوى واقضي حاجتي، فقالت ولا بدّ من ذلك فقلت نعم فدخلت الى بيت آخر وتركتني فاذا في البيت الاخر عجوز، فصاحت الصبية الى العجوز وقالت لها ايتني بكوز فيه ماء اتوضوء فتوضأت وصلّت الى نصف الليل وانا متفكر فقالت للعجوز اعطيني طبقاً وقطعة قطن فقدمت ذلك اليها، وبعد ساعة صاحت العجوز وقالت انا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، فنظرت فاذا الجارية قد قعلت عينيها جميعاً وقد طرحتهما على قطعة القطن في الطبق والعينان يلعبان في الشحم، فخرجت العجوز بهما اليّ وقالت خذ ما كنت تعشقهما لا بارك الله لك فيهما، لقد حيرتنا حيّرك الله كانت هذه الصبية تخرج وتشتري وتبيع لنا ونحن عشرة نسوة في هذه المحلة فقد حيرتنا حيرك الله فلما سمعت كلام العجوز غشى عليّ ومرّت عليّ تلك الليلة وانا افكر فلما اصبحت حملت الى منزلي وبقيت في منزلي اربعين يوماً عليلاً فكان هذا سبب توبتي.

وفيه ان زليخا قعدت على ممر يوسف فلما اخبرتها جاريتها بدنوه منها قالت يا يوسف بحق الذي اعزك واذلني ان تقف ساعة ولا تغيب عني، فقال يا زليخا اين مالك وجمالك، قالت ذهبا في سبيلك، قال واين عينيك، قالت ذهبت في البكاء عليك، قال واين عشقك، قالت في صدري كما كان، فقال فأين برهانك، قالت ناولني سوطك فناولها اياه فتأوهت ونفخت فيه فاحترق السوط بنفسها، فألقاه يوسف من يده وصرف عنان الفرس فرارا، فقالت يا يوسف انك بدعوى الرجولية لم تكن مثل المرأة فاني حفظت تلك النار في صدري منذ اربعين سنة ولم انهزم كانهزامك.

وفي اخبارنا عن الائمة عليهم السلام ان زليخا ارادت ان تقف يوماً على طريق يوسف تشكو اليه الحاجة فقالوا لها انك فعلتي ما فعلتي معه ونحن نخاف عليك منه، فقالت زليخا لكني لا اخاف منه لانه رأيته يخاف الله وانا لا اخاف من يخاف الله، فوقفت على طريقه فلما قرب منها قالت يا يوسف الحمد لله الذي جعل العبيد بطاعتهم له ملوكاً وجعل الملوك بمعصيتهم عبيداً، فوقف لها يوسف عليه السلام وقال لها ما حملك على الامر الذي اردته مني، قالت حسنك وجمالك وانه ليس كان في مصر مثلي في الحسن وكان زوجي عنيناً فقال لها يوسف عليه السلام يا زليخا كيف لو رأيت نبياً يكون في آخر الزمان اسمه محمد صلى الله عليه وآله أحسن مني وجهاً واسمح كفاً فقالت آمنت بذلك النبي وصدَقت به فقال كيف تؤمنين به ولم ترينه قالت لانك لما ذكرت اسمه وقع حبّه في قلبي، فأوحى الله سبحانه جبرئيل عليه السلام الى يوسف عليه السلام لما صدّقت زليخا بنبيي ولم تره اعطيتها ما تسأل، فقال لها يوسف عليه السلام يا زليخا هذا جبرئيل عليه السلام يقول إسألي ما اردت، قال أسأل خصالاً ثلاثاً:

الاولى ان يرجع اليَ شبابي، الثانية ان تكون انت زوجي، الثالثة ان اكون معك في الجنة فمسح جبرئيل عليه السلام جناحه عليها فصارت الى شبابها فزوجها جبرئيل عليه السلام يوسف عليه السلام وفي الجنة تكون معه وهذا عاقبة الصبر عن الزنا وهو الوصول الى المطلوب حلالا.

وروى ان مؤذناً لعلي عليه السلام كان يدخل منزله فرأى فيه خادمة فهواها وكلما التقى معها قال اصبر الى ان يحكم الله لي وهو خير الحاكمين، ثم ان الخادمة أتت علياً عليه السلام واخبرته بهوى المؤذن اياها، فقال لها عليه السلام ما قال لك قالت كلما رءاني قال اصبرحتى يحكم الله، فطلبه علي عليه السلام قال يا فلان الان حكم الله فزوجها اياه فاستمتع منها حلالاً.

وفي رواية ان رجلاً عشق جارية لجاره فأتى مولانا الصادق عليه السلام فأخبره فقال له قل كلما رأيتها اللهم اني اسألك من فضلك فكان يكرر هذا الكلام فبعد مدّة اراد مولى الجارية السفر فأتى الى ذلك الرجل ليودعه اياها، فقال يا فلان انا عزب وجاريتك ما احبّ ان تبقى عندي، فقال اقوَمها عليك بقيمة فتنال منها حلالاً، فاذا قدمت من سفري انت مخيّر بين ان تعطيني الثمن او

الجارية، فدفعها واستنمتع منها ثم ان الخليفة احتاج الى جواري فوصفت له الجارية بعد مدة فدفع مالاً جزيلاً الى ذلك الرجل وباعها من الخليفة، ثم لما قدم صاحبها (ر خ) دفع الرجل ذلك المال اليه فقال يا اخي ما آخذ منك الا القيمة التي قومتها عليك، وهذا كله مالك فأخذه فانظر الى عاقبة الصبر كيف استفاد منه التمتع بالجارية والمال.

ومن هذا الباب ما رواه صاحب الروضة قال كان رجل من اهل بيت المقدس ورد الى مدينة رسول الله ﷺ وهو حسن الشباب مليح الصورة، فزار حجرة النبي ﷺ وقصد المسجد ولم يزل ملازماً مشتغلاً بالعبادة صائم النهار قائم الليل، وذلك في زمان خلافة عمر بن الخطاب حتى كان اعبد الناس، والخلق يتمنى ان يكون مثله وكان عمر يأتي ويسأله ان يكلفه حاجة فيقول له المقدسي الحاجة الى الله، ولم يزل كذلك حتى عزم الناس على الحج فجاء الى عمر بن الخطاب وقال يا ابا حفص اني قد عزمت على الحج ومعي وديعة احب ان تستودعها مني الى حين عودي من الحج، فقال عمر هات الوديعة فأحضر الشاب حقاً من عاج عليه قفل من حديد مختوم بخاتم الشاب فتسلمه وخرج الشاب مع الوفد وخرج عمر الى مدقدم الوفد وقال له اوصيك بهذا المقدسي خيراً، فرجع عمر وكان في الوفد امرأة من اهل الشام فما زالت تلاحظ المقدسي وتنزل بقربه حيث نزل فلما كان في بعض الايام دنت منه وقالت له يا شاب اني والله ارق لهذا الجسم الناعم المترف كيف يلبس الصوف، فقال لها يا هذه جسم يأكله الدود ومصيره التراب هذا له كثير، فقالت اني اخاف على هذا الوجه المضيء كيف تشعثه الشمس، فقال لها يا هذه إتقي الله وكفَي فقد اشغلتني بكلامك عن عبادة ربي، فقالت له لي اليك حاجة فان قضيتها فلا كلام وان لم تقضها فما انا بتاركتك حتى تقضيها، فقال لها وما حاجتك؟ قالت له حاجتي ان تواقعني فزرجها وخوَفها من الله عز وجل فلم يردعها ذلك، قالت والله ان لم تفعل ما آمرك به لارمينّك بداهية من دواهي النساء ومكرها فلا تنجو منها، فلم يلتفت اليها ولم يعبأ بكلامها فلما كان في بعض الليالي وقد سهر اكثر ليله من عبادة ربه، ثم رقد في آخر الليل وغلب عليه النوم فأتته وتحت راسه مزادة فيها زاده فانتزعها من تحت رأسه وطرحت فيها كيساً فيه خمسمائة دينار ثم اعادتها تحت رأسه فلما ثور الوفد قامت الملعونة من نومها وقالت انا بالله وبالوفد مستجيرة، وانا امرأة مسكينة وقد سرق مالي ونفقتي انا بالله وبكم فجلس المقدم على الوفد وامر رجلاً من الانصار ورجلاً من المهاجرين ان يفتشا الفريقين ففتشوا (ففتشا خ) فلم (يجدا) يجدوا شيئاً، ولم يبق من الوفد رجل الا وقد فتّش رحله غير المقدسي فأخبروا مقدم الوفد بذلك، فقالت الملعونة يا قوم ما ضركم لو فتشتموه فله اسوة بالمهاجرين والانصار، وما يدريكم ان يكون ظاهره مليحاً وباطنه قبيحاً ولم تزل بهم حتى حملتهم على تفتيش رحله، فقصده جماعة من الوفد وهو قائم يصلي

فلما رعاهم أقبل اليهم فقال ما بالكم وما حاجتكم، فقالوا له هذه الامرأة الشامية ذكرت انه سرق نفقتها وقد فتشَنا رحل الوفد بأجمعه ولم يبق منهم غيرك ونحن لا نتقدم الى رحلك الا بأذنك، لما سبق من وصية عمر في حقك، فقال لهم يا قوم ما يضرني ذلك ففتشوا ما احببتم وهو واثق من نفسه، فأول ما نفضوا المزادة التي فيها زاده وقع منها الهميان، فصاحت الملعونة الله اكبر هذا والله كيسي ومالي فيه كذا وكذا دينار وفيه عقد لؤلؤ ووزنه كذا وكذا مثقال فنظروا فوجدوه كما قالت فمالوا عليه بالضرب الموجع والسبّ والشتم، وهو لا يردّ جواباً فسلسلوه وقادوه الى مكة راجلاً، فقال لهم يا وفد الله بحق هذا البيت الحرام الا ما تصدقتم علي وتركتموني حتى اقضي الحج واشهد الله ورسوله على اني اذا قضيت الحج رجعت اليكم، فأوقع الله الرحمة في قلوبهم فأطلقوه فلما قضى مناسكه وما عليه من الحج والفرائض عاد الى القوم، وقال لهم هنا أنا عدت اليكم فافعلوا بي ما تريدون فقال بعضهم لبعض لو اراد المفارقة لما عاد اليكم فاتركوه، فتركوه ورجع الوفد طالباً مدينة النبي ﷺ فأعوزت تلك المرأة الملعونة الزاد في الطريق فوجدت راعياً فطلبت منه الزاد فقال لها عندي ما تريدين غير اني لا ابيعه فان اردتي ان تمكنيني من نفسك اعطيتك ففعلت وأخذت منه زاداً.

فلما انحرفت عنه اعترض لها ابليس فقال لها يا فلانة انت حامل فقالت ممن فقال لها من الراعي فقالت وافضيحتاه فقال لها مع رجوعك الى الوفد فقولي لهم اني سمعت قراءة المقدسي فقربت منه، فلما غلبني النوم دنى مني وواقعني ولم اتمكن من الدفاع عن نفسي وقد حملت منه وانا امرأة من الانصار وخلفي جماعة، ففعلت الملعونة ما اشار اليها ابليس فلم يشكوا في قولها لما عاينوا من وجود الكيس في رحله فعكفوا على الشاب المقدسي، وقالوا يا هذا ما كفاك السرقة حتى فسقت فأوجعوه ضرباً وشتماً وسباً واعادوه الى السلسلة وهو لا يرد جواباً، فلما قربوا من المدينة على مشرفه وآله السلام خرج عمر بن الخطاب ومعه جماعة من المسلمين للقاء الوفد، فلما قرب من الوفد لم يكن له همّة الا السؤال عن المقدسي، فقالوا له يا ابا حفص ما اغفلك عن المقدسي فقد سرق وفسق وقصوا عليه القصة، فأمر باحضاره بين يديه فأتوا به وهو مسلسل فقالوا له يا ويلك يا مقدسي تظهر بخلاف ما ننظر فيك حتى سرقت وفضحك الله تعالى، لانكلنّ بك اشد النكال وهو لا يرد جواباً، واجتمع الناس ينظرون ماذا يفعل به فبينما هم كذلك واذا بالنور قد سطع، فتأملوه فاذا هو عيبة علم النبوة علي بن ابي طالب عليه افضل الصلوة والسلام فقال ما هذا الوهج في مسجد رسول الله ﷺ فقالوا يا امير المؤمنين ان الشاب المقدسي الزاهد سرق وفسق، فقال عليه السلام والله ما سرق ولا فسق ولا حجَ أحد غيره، فلما اخبروا عمر بذلك قام قائماً

النادمين وأتيت نبيك تائباً فطردني وزادني خوفاً فاسألك باسمك وجلالك وعظمة سلطانك ان لا تخيب رجائي، سيدي ولا تبطل دعائي ولا تقنطني من رحمتك، فلم يزل يقول ذلك اربعين يوماً وليلة ويبكي له السباع والوحوش، فلما تمتَ اربعون يوماً وليلة رفع يديه الى السماء وقال اللهم ما فعلت في حاجتي ان كنت استجبت دعائي وغرفت خطيئتي فأوح الى نبيك عليه السلام وان لم تستجب لي دعائي ولم تغفر لي خطيئتي واردت عقوبتي فعجّل بنار تحرقني او عقوبة في الدنيا تهلكني وخلّصني من فضيحة يوم القيامة، فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيه صلى الله عليه وآله والذين اذا فعلوا فاحشة يعني لزنا او ظلموا انفسهم، يعني بارتكاب ذنب اعظم من الزنا، وهو نبش القبور واخذ الاكفان، ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم، يقول خافوا فعجلوا التوبة، ومن يغفر الذنوب الا الله، يقول الله عز وجل اتاك عبدي يا محمد تائباً فطردته فأين يذهب والى من يقصد ومن يسأل ان يغفر له ذنباً غيري، ثم قال عز وجل ولم يصرّوا على ما فعلوا وهم يعلمون، يقول لم يقيموا على الزنا ونبش القبور واخذ الاكفان، اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين.

فلما نزلت هذه الاية على رسول الله صلى الله عليه وآله خرج وهو يتلوها ويبتسم فقال لاصحابه من يدلني على ذلك الشاب لتائب، قال معاذ انا ادلّك عليه يا رسول الله بلغنا انه في موضع كذا وكذا، فمضى رسول الله صلى الله عليه وآله باصحابه حتى انتهوا الى ذلك الجبل فصعدوا اليه يطلبون الشاب، فاذا هم بالشاب قائم بين صخرتين مغلولة يداه الى عنقه قد اسوّد وجهه وتساقطت اشفار عينيه من البكاء، وهو يقول قد احسنت خلقي واحسنت صورتي فليت شعري ماذا تريد بي أفي نارك تحرقني ام في جوارك تسكنني، ويقول اللهم انك قد اكثرت الاحسان اليّ وانعمت عليّ فليت شعري ماذا يكون آخر امري الى الجنة تزفني ام الى النار تسوقني، اللهم خطيئتي اعظم من السموات والارض ومن كرسيك الواسع العظيم وعرشك العظيم فليت شعري تغفر لي خطيئتي ام تفضحني بها يوم القيامة، فلم يزل يقول نحو هذا وهو يبكي ويحثوا التراب على رأسه وقد احاطت به السباع وصفّت فوق راسه الطير وهم يبكون لبكائه فدنا رسول الله صلى الله عليه وآله فأطلق يديه من عنقه ونفض التراب عن رأسه وقال يا بهلول إبشر فانك عتيق الله من النار، ثم قال لاصحابه هكذا تداركوا الذنوب كما تداركها بهلول، ثم تلا عليه السلام ما انزل الله عز وجل فيه وبشرّه بالجنة.

فان قلت كيف اطمعه النبي صلى الله عليه وآله في قبول التوبة اولاً وان ذنبه قابل للغفران وان كان اثقل من السموات وما ذكر ثم لما ذكر ذنبه اعرض عن قبول توبته وطرده ومنعه.

قلت يمكن التقصي عن هذا بوجوه، الاول ان يكون ذنبه اثقل من الارضين والسموات كما ورد في الاخبار من ان بعض الذنوب من الكبائر اثقل من العرش وما تحته كما ان بعض الطاعات كذلك فيكون قد اطمعه ﷺ في قبول التوبة، فلما رأى عظن ذنبه اعرض عنه.

الثاني انه عليه السلام انما منّاه بالتوبة لظنه ان ذنبه وجرحه (مه) من حقوق الله سبحانه فلما أظهره كان من حقوق الناس فلم يكن له ﷺ يد على قبول توبته حتى قبلها الله سبحانه، الثالث انه تهديد وسياسة للامة حتى لا يقدموا على مثل هذه العظائم من الذنوب كما كان دأبه ﷺ فأنه قد امر باحراق البيوت على من لم يحضر صلوة الجماعة معه مع انها سنة وتطوّع وامثال هذه الحكايات والاخبار كثيرة لا نطوّل الكتاب بذكرها وكفى به قوله ﷺ من عشق فعفّ فمات دخل الجنة، وسيأتي لهذا مزيد بيان في نور العاشقين ان شاء الله تعالى.

نور في سلسلة النبوة والوصاية

روى الصدوق عن الصادق عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ انا سيد النبيين ووصيي سيد الوصيين واوصياؤه سادة الاوصاء، ان آدم عليه السلام سأل الله عز وجل ان يجعل له ولياً صالحاً، فأوحى الله تعالى اني اكرمت الانبياء بالنبوة ثم اخترت خلقاً فجعلت خيارهم الاوصياء، فأوحى الله تعالى ذكره اليه يا آدم اوص الى شيث وهو هبة الله بن آدم وأوصى شيث الى ابنه شبان بالشين المثلثة والباء الموحدة وهو ابن نزلة الحوراء التي انزلها الله تعالى على آدم من الجنة فزوجها ابنه شيئاً، واوصى شبان الى محلث بالحاء المهملة والثاء المثلثة، واوصى محلث الى محوق بالحاء المهملة والقاف، واوصى محوق الى عثميا بالثاء المثلثة والياء المثناة بعد الميم، اوصى عثميا على اخنوخ وهو ادريس النبي عليه السلام واوصى ادريس الى ناخور بالنون والخاء المعجمة، ودفعها ناخور الى نوح عليه السلام واوصى نوح الى سام، واوصى سام الى عثامر بالعين المهملة والثاء المثلثة والراء اخيراً واوصى عثامر الى برغيثاشا بالغين المعجمة بعدها ياء تحتانية وبعد الياء ثاء مثلثة وآخر الحروف الف قبلها شين مثلثة، واوصى برغيثاشا الى يافث واوصى يافث الى برة واوصى برة الى جفشية بالجيم والفاء والشين المعجمة بعدها ياء تحتانية، واوصى جفشية الى عمران ودفعها عمران الى ابراهيم الخليل عليه السلام .

واوصى ابراهيم عليه السلام الى ابنه اسماعيل عليه السلام واوصى اسماعيل عليه السلام الى اسحاق واوصى اسحاق الى يعقوب واوصى يعقوب الى يوسف واوصى يوسف الى بثريا (برثيا ظ) بالباء الموحدة والثاء المثلثة واوصى بثريا (برثيا ظ) الى شعيب ودفعها الشعيب الى موسى بن عمران واوصى موسى بن عمران عليه السلام الى يوشع بن نون، واوصى يوشع بن نون الى داود واوصى داود الى

سليمان عليه السلام واوصى سليمان الى آصف بن برخيا، واوصى آصف بن برخيا الى زكريا ودفعها زكريا الى عيسى بن مريم، واوصى عيسى بن مريم الى شمعون بن حمون الصفا واوصى شمعون الى يحيى بن زكريا واوصى يحيى بن زكريا الى منذر، واوصى منذر الى سليمة واوصى سليمة الى بردة، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله ودفعها اليَّ بردة وانا ادفعها اليك يا علي، وانت تدفعها الى وصيك ويدفعها وصيك الى اوصيائك من ولدك واحداً بعد واحد حتى تدفع الى خير اهل الارض بعدك، ولتكفرنَ بك الامة وليختلفنَّ عليك اختلافاً شديداً والثابت عليك كالمقيم معي والشاذ عنك في النار والنار مثوى الكافرين.

وقال جابر بن عبد الله الانصاري قال دخلت على فاطمة عليها السلام وبين يديها لوح فيه اسماء الاوصياء من ولدها فعددت اثنى عشر احدهم القائم ثلثة منهم محمد واربعة منهم علي عليهم السلام.

فان قلت اذا كان اسماء الائمة عليهم السلام مكتوباً في لوح فاطمة عليها السلام وفي الدفاتر السماوية قبل خلق آدم وبعده فما معنى ما روى من قول ابي عبد الله عليه السلام لابنه موسى عليه السلام لما مات اسمعيل ما بدا لله في شيء مثل ما بدا له في اسمعيل، وقوله عليه السلام يا بني احدث لله شكراً فقد احدث فيك عهداً، فان ظاهرها كما فهم بعض المحدثين ان الامامة كانت في اسماعيل فبدا لله تعالى فيه بمعنى انه رفع ذلك الحكم الثابت فيه، وهو الامامة الى غيره وهو موسى عليه السلام.

قلت ليس معناه ما قالوه بل معناه والله العالم ان الشيعة كانت تعتقد ان الامامة في اسماعيل لانه اكبر الاولاد، ورووا ان الامامة في الاكبر فلما مات اسماعيل زمن ابيه ظهر للشيعة انه ليس بامام فذاك البدا الذي بدا لله هو في ظاهر الحال عند الشيعة لا في الواقع ونفس الامر، وكذا معنى قوله عليه السلام احدث فيك عهداً معناه انه كشف عن امامتك للخلائق بعد ان كنت اماماً عنده، ومن كون اسماعيل كان هو الاكبر وكان الناس يزعمون انه الامام بقي طائفة من الشيعة على ذلك الاعتقاد وقالوا انه حي لم يمت وانه الامام بعد ابيه وهم الاسماعيلية، وستأتي مقالتهم ان شاء الله تعالى عند تعداد الفرق الاسلامية.

واما قوله عليه السلام في الحديث الاول ودفعها زكريا الى عيسى بن مريم الى قوله يحيى بن زكريا فهو مناف لما اشتهر في الكتب من ان يحيى عليه السلام قتل قبل ابيه ومن ثم ذهب بعض المحققين الى تخطئة المشهور لهذا ولرواية بريد (يزيد ظ) الكناسي المذكورة في باب حالات الائمة عليهم السلام، ويمكن ان يقال ان زكريا بعد دفعها الى عيسى عليه السلام كان باقيا حتى قتل يحيى.

واما تاريخ الدنيا من خروج آدم عليه السلام من الجنة الى الارض الى هذه السنة وهي سنة تأليف هذا الكتاب سنة التاسعة والثمانين بعد الالف فقد ذكر اهل التواريخ ان من خروج آدم من الجنة

الى طوفان نوح الفين ومأتين وخمسين سنة، ومن نوح الى ابراهيم الفا ومائة واثنين واربعين سنة ومن ابراهيم الى موسى خمسمائة وستة وستين سنة، ومن موسى الى داود خمسمائة وتسعين سنة، ومن داود الى عيسى الفا وثلثة وخمسين سنة ومن عيسى الى محمد ﷺ ستمأة وستين سنة وحيث انتهى الحال الى هنا فلنذكر اعمار بعض الانبياء والاوصياء عليهم السلام.

فنقول ذكر صاحب كتاب شذور العقود وكتاب مفاتح التنزيل ان آدم عليه السلام عاش تسعمائة وثلاثين سنة ولم يمت حتى بلغ ولده وولد ولده اربعين الفاً، واما حوى فعاشت بعده سنة ودفنت معه، وقد ورد في جملة من الاخبار ان آدم ونوح ضجيعان لامير المؤمنين عليه السلام في قبره، وفي قصص الراوندي روى الباقر عليه السلام ان عمر آدم منذ خلقه الله الى ان قبضه سبعمائة وست وثلاثون سنة، ودفن بمكة وكان بين آدم ونوح صلوات الله عليهما الف وخمسمأة سنة، واما شيث فقد ولد بعد هابيل بخمس سنين ولم يعقب من ولد ابيه غيره واليه تنتهي سلسلة جميع الناس وعاش تسعمائة واثنى عشر سنة.

واما ادريس عليه السلام وهو اخنوخ سمي لكثرة درسه لكتب الله تعالى فقد رفع الى السماء بعد ثلثمائة وخمس وستين سنة، واما نوح عليه السلام فقد عاش الفي سنة وخمسمائة سنة منها ثمانمائة سنة قبل ان يبعث والف وسنة الا خمسون عاماً وهو في قومه يدعوهم ومائتا سنة في عمل السفينة وخمسمائة عام بعدما نزل من السفينة، واما هود فقد عاش ثمانمائة وسبعاً، واما صالح وهو من اولاد ثمود فقد توفي بمكة وعمره ثمانية وخمسين سنة، واما ابراهيم عليه السلام بن تارخ فقد عاش مأة وخمسا وسبعين، واما اسماعيل عليه السلام فقد عاش مأة وعشرين سنة وولد ولابيه اربع وثمانون واما اسحق عليه السلام فقد عاش مأة وثمانين وولد ولابيه مأة سنة، واما يعقوب عليه السلام فعمره مأة وست واربعون، وهو والد الاسباط كلهم، واما يوسف الصديق عليه السلام فعمره مأة وعشرين سنة، واما لوط عليه السلام فهو اول من آمن بابراهيم وكان ابن اخته وقيل ان خالته.

واما شعيب عليه السلام فقد عاش عمراً طويلاً وتزوج بنت لوط عليه السلام والان له مدفن قريب بلد شوشتر، وذكر جماعة من اهل التاريخ ان عسكر الاسلام لما فتح شوشتر أتوا الى مكان وراء حجرة مبنية وعليها قفل حديد ورأوا رجلاً كبير السن خارج تلك الحجرة فسألوه عن احوال ما في الحجرة فقال ان آبائي كانوا يخدمون خارج الحجرة ويذكرون ان في داخلها شعيب النبي، وانا اخدمها على ذلك الحال ولا رأيت الى الان ما في بطن هذه الحجرة، فأتى مقدم العسكر وحلّ الحجرة ودخلها مع جماعة من المسلمين فرأوا سريراً وعليه شيه شائب وهو ميت حسن الوجه طري الجسد فكتبوا الى عمر بن الخطاب لان الفتح كان زمان خلافته، فكتب اليهم ان ادفنوه

فدفنوه حيث قبره الان في قرب بلاد شوشتر، وقد وصلنا اليه مراراً وزرناه، واما ايوب بن الموص فقد تزوج بنت يعقوب وهي التي ضربها بالضغث.

واما موسى بن عمران عليه السلام فقد عاش مأة وستا وعشرين سنة، واما هارون عليه السلام فعمره مأة وثلاث وثلاثون سنة توفي قبل موسى بثلاث سنين، واما يوشع فهو ابن نون بن ابراهيم بن يوسف عليه السلام، واما الخضر فهو ابن ملكان بن قالع بن هود، واما يونس فهو ابن متى المرسل الى اهل نينوى من اهل الموصل، واما إلياس فهو من سبط يوشع بن نون، واما اليسع فقد كان تلميذ إلياس عليه السلام ونبَاه الله تعالى، واما ذو الكفل فهو نبي بعث قبل عيسى عليه السلام، قيل سمي بذبك لانه كفل سبعين نبياً ونجَاهم من العذاب وما طالوت فقد تزوج داود ابنته وسمى طالوت لطوله، واما داود بن ايشى فعمره مأة واربعون سنة، واما سليمان عليه السلام فعمره وسبعمأة واثنتى عشرة سنة وملك ثلاثا وعشرين سنة واما زكريا بن آزر من اولاد داود فعمره تسع وتسعون سنة، واما ارميا فهو الذي بعثه الله الى اهل بيت المقدس فكفروا فسلَط الله عليهم بخت نصر، واما حيقوق فهو نبي بعد موسى عليه السلام على دينه.

واما دانيال وعزير فقد اسرهما بخت نصر فنجاهما الله تعالى منه ومال دانيال بناحية الشوش ودفن فيها، والشوش بلد كبير في ناحية شوشتر لكنها هذا الان من توابع الحويزة وقد خربت وصارت تلاً من التراب وقد وصلنا اليها مراراً وشاهدنا فيها اثاراً غريبة واطوار عجيبة وقبر دانيال عليه السلام قريب منها يتبَرك به الناس وقد شوهد (شاهدوا خ) له كرامات كثيرة، وفي بعض الروايات ان اهل الشوش شكوا الى احد المعصومين عليهم السلام كثرة الامطار فكتب اليهم ان عظام اخي دانيال تحت السماء والسماء تهطل[1]موعاً عليه فواروه تحت التراب حتى تسكن عنكم الامطار، فواروه تحت التراب وقريب من قبره المبارك النهر الذي حفره شايور ذو الاكتاف، وقد عمل قريباً من القبر حوض كبير فيه سمك كثير شاهدناها لما وصلنا الى زيارته، وقد الفت الزائرين حتى كنَا قد نجلس على جوف النهر ونضع الخبز في ايدينا وتظهر الحيتان من الماء تأكله من ايدينا شيئاً فشيئاً، والشوش في لغة الفرس القديمة اسم للشيء الحسن ولما بنوا شوشتر سموها بهذا الاسم ومعناه الاحسن يعني انها احسن من الشوش، وفي قبته صخرة اذا وقف عليها الانسان وحركها تحركت مستديرة والانسان فوقها ثم تبقى على الحركة حتى ينزل الانسان من فوقها، واما جرجيس فهو من اهل فلسطين بعثه الله بعد المسيح الى ملك الموصل.

---

(١) تهطل المطر: نزل متتابعاً عظيم القطر.

واما خالد بن سنان وهو من العرب فقد بعث بعد عيسى عليه السلام واما حنظلة بن صفوان فقد كان في زمن الفترة بين عيسى والنبي ﷺ واما ما ورد في الدعاء من قوله عليه السلام اللهم صلّ على الابدال والاوتاد، فروى عن علي عليه السلام ان الابدال بالشام وهم الخيار من الناس، قيل ان الارض لا تخلو من القطب واربعة اوتاد واربعين ابدالاً وسبعين نجيباً وثلثمأة وستين صالحاً، لان الدنيا كالخيمة والمهدي كالعود وتلك الاربعة اطنابها وقد تكون الاوتاد اكثر من اربعة والابدال اكثر من اربعين والنجباء اكثر من سبعين والصالحون اكثر من ثلثمأة وستين، والظاهر كما قيل ان الياس والخضر عليهما السلام من الاوتاد فهما ملاصقان لدائرة القطب.

واما صفة الاوتاد فهم قوم لا يغفلون عن ربهم طرفة عين ولا يجمعون من الدنيا الا البلاغ ولا تصدر منهم هفوات الشرّ ولا يشترط فيهم العصمة من السهو والنيسان بل من فعل القبيح، ويشترط ذلك في القطب، واما الابدال فدون هؤلاء في المراقبة وقد تصدر منهم الغفلة فيتداركونها بالتذكر ولا يتعهدون (يتعاهدون خ) ذنباً، واما النجباء فهم دون الابدال.

واما الصالحون فهم المتقون الموصوفون بالعدالة، وقد يصدر منهم الذنب فيتداركونه بالاستغفار والندم، قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون، قيل اذا نقص احد من الاوتاد الاربعة وضع بدله من الاربعين واذا نقص احد من الاربعين وصع بدله من السبعين، واذا نقص احد من السبعين وضع بدله من الثلثمأة وستين، واذا نقص أحد من الثلثمأة وستين وضع بدله من سائر الناس والله العالم.

نور في مولد النبي ﷺ وعدد اولاده وزوجاته

اما النبي ﷺ فالمشهور بيننا ان مولده الشريف سابع عشر ربيع الاول يوم الجمعة عند طلوع الشمس، واما الجمهور فالمشهور بينهم ان تولده ثاني عشر ذلك الشهر ووافقهم شيخنا الكليني [١] على ذلك، ولعل بعض الاخبار الواردة به محمولة على التقية، فان قلت كيف طريق تصحيح قول الكليني طاب ثراه ان امه حملت به في ايام التشريق عند الجمرة الوسطى، وذلك انه يلزم على هذا ان يكون ﷺ بقى في بطن امه ثلاثة اشهر او سنة وثلاثة اشهر وعلى التقديرين يكون خارقاً للعادة فيكون من خصائصه ﷺ مع ان العلماء واهل السير والتواريخ لم يذكروه ولو كان كذلك لنقل البتة.

---

(١) ووافقهم ايضاً من الامامية على ابن الحسين المسعودي المؤرخ الكبيرصاحب مرج الذهب واثبات الوصية ذلك الكتاب القيم النفيس.

قلت ذكر جماعة من مشايخنا قدس الله ارواحهم أنه مبني على النسئ المراد من قوله تعالى انما النسئ زيادة في الكفر، وذلك ان المشركين كانوا يؤخرون موسم الحجّ فمرة كانوا يحجون في صفر ومرة أخرى في محرم، وهكذا تبعاً لاعتدال الوقت والهوى وكان حجهم في سنة تولده في جمادي الاخرة، ويؤيده ما رواه ابن طاووس في كتاب الاقبال انه ﷺ حملت به امه ثمان عشر مضت من جمادي الاخرة، ولما فتح النبي ﷺ مكة كان حجهم في شهر ذي الحجة فقال ﷺ الان دار الزمان كما كان فلا يجوز لاحد تغييره ولا تبديله، وقد بقي بمكة بعد مبعثه ثلاثة عشر سنة ثم هاجر الى المدينة ومكث بها عشر سنين ثم قبض لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الاول يوم الاثنين [١] وقال الكفعمي وجماعة ان وفاته ﷺ لليلتين بقيتا من صفر.

واما نسبه الظاهر فهو محمد بن عبد الله بن عد المطلب واسمه شيبة الحمد بن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف واسمه المغيرة، بن قصي واسمه زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر وهو قريش، بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، روى عنه ﷺ انه قال اذا بلغ نسبي عدنان فامسكوا وروى عن ام سلمة زوجة النبي ﷺ قالت سمعت النبي ﷺ يقول معد بن عدنان بن ادد بن زيد بن ثرا بن اعراق الثرى، قالت ام سلمه زيد هميسع وثرا بنت واعراق الثرى اسماعيل بن ابراهيم، ثم قرأ رسول الله ﷺ وعادت وثمود واصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيراً لا يعلمهم الا الله.

ذكر الشيخ ابو جعفر بن بابويه عدنان بن ا بن ادد بن زيد بن تعدد (يقدد خ) بن تعدم (تقدم خ) بن الهميسع بن بنت بن قيدار بن اسماعيل، وقيل ان الاصح الذي اعتمد عليه اكثر النساب واصحاب التواريخ ان عدنان بن هواد بن ادد بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن بنت بن حمل بن قيدار بن اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام بن تارخ بن ناخور بن ساروغ بن ارغون بن قالع بن عاير وهو هود النبي عليه السلام بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام بن ملك بن متشولخ بن اخنوخ وهو ادريس عليه السلام بن بارد (مارد خ) بن مهلائيل بن قينان بن انوش بن شيث بن آدم ابي البشر عليه السلام .

وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف واما جدته ام ابيه فهي فاطمة بنت عمرو بن عايذ بن عمران بن مخزوم، وام عبد المطلب سلمى بنت عمر من بني النجار، وام هاشم عاتكة بنت مرة بن هلال من بني سليم وصدع بالرسالة يوم السابع والعشرين من رجب وله يومئذ اربعون سنة، وقبض يوم الاثنين لليلتين بقيتا من صفر سنة عشر من الهجرة وهو ابن ثلاث وستين كذا في اعلام

---

(١) هذا هو المشهور عند جمهور العامة واما الامامية فالمشهور بينهم انه توفى صلى الله عليه واله في الثامن والعشرين في شهر صفر.

الورى، وذكر انه ايضاً عاش ثلاثاً وستين سنة منها مع ابيه سنتين واربعة اشهر ومع جده عبد المطلب ثماني سنين ثم كفله عمه ابو طالب بعد وفاة جده عبد المطلب، وذكر محمد بن اسحاق ان اباه عبد الله مات وامه حبلى، وقيل ايضاً انه مات والنبي ﷺ ابن سبعة اشهر، وذكر ابن اسحاق ان آمنة توفيت والنبي ﷺ ابن ست سنين وهذا لم نتحققه، روى عن ربدة قال انتهى النبي ﷺ الى رسم قبر فجلس وجلس الناس حوله فجعل يحرّك رأسه كالمخاطب ثم بكى، فقيل ما يبكيك يا رسول الله، قال هذا قبر آمنة بنت وهب استأذنت ربي في ان ازوره قبرها فاذن لي فادركتني رقتها فبكيت فما رأيت اكثر باكياً من تلك الساعة.

وتزوج خديجة بنت خويلد وهو ابن خمس وعشرين سنة، وتوفي عمه ابو طالب ولد ست واربعون سنة وثمانية اشهر واربعة عشرون يوماً، وتوفيت خديجة بعده بثلثة ايام وسمى رسول الله ﷺ ذلك العام عام الحزن، واقام بمكة بعد البعثة ثلاث عشر سنة ثم هاجر منها الى المدينة بعد ان استتر في الغار ثلاثة ايام، ودخل المدينة يوم الاثنين الحادي عشر من شهر ربيع الاول وبقي بها عشر سنين ثم قبض ﷺ وسببه ان امرأة يهودية طلبته للضيافة وقدّمت اليه سخلة مسمومة، فلما مدّ يده ليأكل تكلمت السخلة وقالت انا مسمومة فلا تأكل مني، فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال له ﷺ قل بسم الله وكل انت واصحابك فسمّوا (فسمى خ) واكلوا بعده امرهم جبرئيل عليه السلام بالحجامة فاحتجموا، وكان في كل سنة تطلع الجراحات في بدنه الشريف من آثار ذلك السم حتى انه مات بذلك السم ليكون له ثواب الشهادة، وقيل انها اهدت اليه كراعاً مسموماً لانه كان يحب اكل الكراع وذلك ان آدم عليه السلام قرّب قرباناً عن الانبياء وسمى لكل نبي عضواً من تلك الشاة فسمى للنبي ﷺ الكراع ومن ذلك كان يكثر اكله، وقال ﷺ ما زالت تلك الاكلة معي حتى قطعت انياط قلبي، ومن هنا قال عليه السلام ما منّا الا قتيل او مسوم، واما ازواجه ﷺ .

فأول امرأة تزوجها خديجة بنت خويلد وكانت قبله عند عتيق بن عايد المخزومي فولدت له جارية، ثم تزوجها ابو هالة الاسدي فولدت له هند بن ابي هالة، ثم تزوجها رسول الله ﷺ وربى ابنها هنداً، فأول ما حملت وولدت عبد الله بن محمد وهو الطيب الطاهر وولدت له القاسم وقيل ان القاسم اكبر ولده وكان يكنى به والناس يغلطون فيقولون ولد له منها اربع بنين، القاسم وعبد الله والطيب والطاهر، وانما ولدت له ابنان واربع بنات زينب ورقية وام كلثوم وفاطمة، فأما زينب بنت رسول الله ﷺ فتزوجها ابو العاص بن الربيع في الجاهلية فولدت له جارية اسمها امامة تزوجها علي بن ابي طالب عليه السلام بعد وفات فاطمة عليها السلام وقتل امير المؤمنين عليه السلام وعنده امامة فخلف عليها بعده المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وماتت زينب بالمدينة لسبع سنين من الهجرة.

واما رقية فتزوجها عتبة بن ابي لهب فطلقها قبل ان يدخل بها ولحقها منه اذى فقال النبي ﷺ اللهم سلَط على عتبة كلباً من كلابك فتناوله الاسد من بين اصحابه، وتزوجها بعد بالمدينة عثمان بن عفان فولدت له عبد الله ومات صغيراً نقره ديك على عينيه فمرض ومات، وتوفيت بالمدينة زمان بدر فتخلّف عثمان على دفنها ومنعه ذلك ان يشهد بدراً وقد كان عثمان هاجر الى الحبشة ومعه رقية، واما ام كلثوم فتزوج ايضاً عثمان بعد اختها رقية وتوفيت عنده، وذلك انه ضربها ضرباً مبرحاً فماتت منه وقد تقدم اختلاف اصحابنا رضون الله عليهم في ان رقية وام كلثوم هل هما ربيبتاه ﷺ ام ابنتاه والحال عندنا لا يتفاوت لان عثمان في زمان النبي ﷺ كان مظهر للاسلام وكان النبي ﷺ يريد تأليف قلوبهم ودخول الاسلام اليها، فكان يلاطفهم بانواع اللطايف من الاموال والمناكحات وغيرها.

واما فاطمة عليها السلام فالاظهر في روايات اصحابنا رضوان الله عليهم انها ولدت سنة خمس من المبعث بمكة في العشرين من جمادي الاخرة وان النبي ﷺ قبض ولها ثماني عشرة سنة وسبعة اشهر، وروى عن جابر بن يزيد قال سأل الباقر عليه السلام كم عاشت فاطمة عليها السلام بعد رسول الله ﷺ قال اربعة اشهر، وتوفيت ولها ثلاث وعشرون سنة وهذا قريب مما روته العامة، وذكر ابو سعيد الواعظ ان جميع اولاد رسول الله ﷺ ولدوا قبل الاسلام الا فاطمة وابراهيم، واما ابراهيم فهو من مارية القبطية ولد بالمدينة سنة ثمان من الهجرة ومات بها وله سنة وستة اشهر وايام وقبره بالبقيع.

والثانية من زوجها سودة بنت زمعة وكانت قبله عند السكران بن عمرو فمات عنها بالحبشة مسلماً، والثالثة عايشة بنت ابي بكر تزوجها بمكة وهي بنت سبع ولم يتزوج بكراً غيرها ودخل بها وهي بنت تسع لسبعة اشهر من مقدم المدينة وبقيت الى خلافة معاوية لعنه الله، والرابعة ام شريك التي وهبت نفسها للنبي ﷺ واسمها عرنة بنت دودان بن عوف، وكانت قبله عند ابي العكر بن سمى الازدي فولدت له شريكاً، والخامسة حفصة بنت عمر بن الخطاب تزوجها لما مات زوجها خنيس السهمي، وكان رسول الله ﷺ قد وجهه الى كسرى فمات ولا عقب له وماتت بالمدينة في خلافة عثمان، والسادسة ام حبيبة بنت ابي سفيان واسمها رملة وكانت تحت عبيد الله بن جحش الاسدي، والسابعة ام سلمة وهي بنت عمته عاتكة بنت عبد المطلب.

والثامنة زينب بنت جحش وهي بنت عمته ميمونة بنت عبد المطلب وكانت قبله عند زيد بن حارثة وهي التي ذكرها الله سبحانه في كتابه، والتاسعة زينب بن خزيمة الهلالية من ولد عبد مناف، وكانت قبله عند عبيدة الحارث وكانت يقال لها ام المساكين والعاشرة ميمونة بنت الحارث وكانت قبله عند ابي مرة العامري، والحادية عشر حورية بنت الحارث من بني المصطلق سباها

فاعتقها وتزوجها، والثانية عشر صفية بنت حيٍ من خيبر اصطفاها لنفسه من الغنيمة ثم اعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها، وهذه اثنتا عشرة امرأة دخل بهنّ.

وقد تزوج صلوات الله عليه وآله عالية بنت ظبيان وطلقها حين دخلت عليه وتزوّج ابنة قيس فمات قبل ان يدخل بها، وتزوج فاطمة بنت ضحّاك وخيرها حين نزلت عليه آية التخيير فاختارت الدنيا وفارقها (قته خ) وكانت بعد ذلك تلتقط البعرة وتقول انا الشقية اخترت الدنيا، وتزوّج سنا بنت الصلب فماتت قبل ان تدخل عليه، وتزوج اسماء بنت النعمان، فلما ادخلت عليه قالت اعوذ بالله منك، فقال الحقي بأهلك وكان بعض ازواجه علّمتها ذلك فطلقها ولم يدخل بها، وتزوج الملكية الليثية فلما دخل عليها قال لها هبي لي نفسك، فقالت وهل تهب المليكة نفسها فالحقها باهلها، وتزوج عمرة بنت يزيد فرأى بها بياضاً فقال دلّستم عليّ فردها، وتزوّج ليلى بنت الحطيم فقالت اقلني فاقالها.

وخطب امرأة ن بني مرّة فقال ابوها ان بها برصاً ولم يكن بها فرجع فاذا هي برصاء، وخطب امرأة فوصفها ابوها ثم قال ازيدك انها لم تمرض قطّ فقال ﷺ ما لهذه عند الله من خير، وقيل انه تزوجها فلما قال ذلك ابوها طلقها، فهذه احدى وعشرون امرأة ومات عن عشر واحدة منهنّ لم يدخل بها، وقيل عن تسع عايشة وحفصة وام سلمة وام حبيبة وزينب بنت جحش وميمونة وصفية وحويرة وسودة، وكانت سودة ثد وهبت ليلتها لعايشة حين اراد طلاقها وقالت لا رغبة لي في الرجال وانما اريد ان احشر في ازواجك.

واما مواليه ﷺ فزيد بن حارثة وكان لخديجة اشتراه لها حكيم بن حزام باربعمائة درهم، فوهبته لرسول الله ﷺ فاعتقه وزوجه ام يمن، فولدت له اسامة فتبنّاه رسول الله ﷺ فكان يدعى زيد بن رسول الله، حتى انزل الله ادعوهم لابائهم، وابو رافع اسمه اسلم وكان العباس وهبه له، فلما اسلم العباس بشّر ابو رافع النبي ﷺ باسلامه فاعتقه وزوجه سلمى مولاته، فولدت له عبيد الله بن ابي رافع فلم يزل كاتباً لامير المؤمنين عليه السلام ايام خلافته، وسفينة واسمه رياح اشتراه رسول الله ﷺ فاعتقه، وثوبان من حمير اشتراه رسول الله ﷺ واعتقه، ويسار وكان عبداً نوبياً اعتقه رسول الله ﷺ وشقران واسمه صالح، وابو كبشة واسمه سليمان، وابو ضميرة اعتقه وكتب له كتاباً فهو في يد ولده ومدغم وابو مويهبة وانيسة وفضالة وطهان وابو ايمن، وابو هند وابحشة وصالح وابو سلمى وابو عسيب وابو عبيد، وافلح ورويقع وابو ليقط وابو رافع الاصغر ويسار الاكبر وكركرة ورياح وابو لبابة وابو البشير.

واما مولياته فان صاحب الاسكندرية اهدى اليه جاريتين احدهما مارية القبطية ولدت له ابراهيم ووهب الاخرى لحسان بن ثابت، وام ايمن خاصة النبي ﷺ وكانت سوداء ورثها من

امه، وكان اسمها بركة فاعتقها وزوجها عبيد الله الخزرجي بمكة فولدت له ايمن فمات زوجها فزوجها النبي ﷺ من زيد، فولدت له اسامة اسود يشبهها فاسامة وايمن اخوان لام ريحانة بنت شمعون غنمها من قريضة، واما خدمه من الاحرار فانس بن مالك وهند واسماء انتا خارجة.

نور في بعض احوال الائمة عليهم السلام

اما امام الموحدين امير المؤمنين عليه السلام فولد بمكة في البيت الحرام[1] يوم الجمعة ثالث عشر من شهر الله الاصم رجل بعد عام الفيل بثلاثين سنة، ولم يولد في بيت الله قطّ غيره، ولقبه امير المؤمنين ولم يجوز اصحابنا ان يطلق هذا اللفظ لغيره من الائمة عليهم السلام وقالوا انه انفرد بهذا اللقب ولا يجوز ان يشاركه في ذلك غيره كما سبق وقبض عليه السلام ليلة الجمعة لتسع بقين من شهر رمضان سنة اربعين من الهجرة، واما اولاده عليه السلام فهم سبعة وعشرون ولداً ذكراً وانثى، الحسن والحسين عليهما السلام، وزينب الكبرى وزينب الصغرى المكنّاة بأم كلثوم امهم فاطمة البتول، ومحمد المكنَى بأبي القاسم امه خولة بنت جعفر بن قيس الحنفية، والعباس وجعفر وعثمان وعبد الله الشهداء مع اخيهم بكربلا امهم بنت البنين بن خزام وكان العباس يكنى ابا قربة لحمله الماء لاخيه الحسين عليه السلام وقتل وله اربع وثلاثون سنة وعمرو ورقية امهما ام حبيب بن ربيعة، وكانا تؤأمين، ومحمد الاصغر المكنى بأبي بكر وعبيد الله الشهيدان مع اخيهما الحسين عليه السلام امهما ليلى بنت مسعود الدارمية، ويحيى امه اسماء بنت عميس الخثعمية وتوفي صغيراً قبل ابيه واخوته لامه عبد الله ومحمد وعون ابناء جعفر بن ابي طالب ومحمد بن ابي بكر وام الحسن ورملة امهما ام سعد بنت عروة بن مسعود الثقفي، ونفيسة وهي ام كلثوم الصغرى وزينب الصغرى ورقية الصغرى وام هانئ وام الكرام والجمانة المكنّاة بأم جعفر وامامة ام سلمة وميمونة وخديجة وفاطمة لامهات اولاد شتى.

واعقب عليه السلام من خمسة بنين الحسن والحسين ومحمد وعباس وعمر، وقد مرّ ان فاطمة عليها السلام اسقطت بعد النبي ﷺ ذكراً وقد سمّاه النبي صلّ الله محسنا، وقد سبق سبب اسقاطها له وهو ضرب غلام ذلك الرجل الخيّر لها، وكونه ضعط بطنها على الباب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، فعلى هذا يكون اولاده عليه السلام ثمانية وعشرين ولداً، اما زينب الكبرى بنت فاطمة البتول فتزوجها عبد الله بن جعفر بن ابي طالب وولد له منها علي وجعفر وعون الاكبر وام كلثوم اولاد عبد بن جعفر، واما ام كلثوم التي تزوجها عمر فقد مرّ تحقيق معنى ذلك التزويج، واما رقية

---

(١) هذا هو المعروف بين المسلمين لاشك فيه لاحد.

بنت علي عليه السلام فكانت عند مسلم بن عقيل فولدت له عبد الله قتل بالطف وعلياً ابني مسلم، واما زينب الصغرى فكانت عند محمد بن عقيل فولدت له عبد الله وفيه العقب من ولد عقيل.

واما ام هانئ فكانت عند عبد الله الاكبر بن عقيل بن ابي طالب فولدت له محمداً قتل بالطف وعبد الرحمن واما ميمونة فكانت عند عبد الله الاكبر بن عقيل بن ابي طالب فولدت له عقيلاً، واما نفيسة فكانت عند عبد الله الاكبر بن عقيل فولدت له ام عقيل واما زينب الصغرى فكانت عند عبد الرحمن بن عقيل فولدت له سعداً وعقيلاً، واما فاطمة بنت علي عليه السلام فكانت عند ابي سعيد بن عقيل فولدت له حميدة، واما امامة بنت علي عليه السلام فكانت عند الصلت بن عبد الله بن نوفل الحارث.

واما الحسن الزكي الطيب الطاهر فقد ولد بالمدينة ليلة النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة وكنيته ابو محمد وقبض رسول الله صلى الله عليه وآله وله سبع سنين واشهر وقيل ثماني سنين وقام بالامر بعد ابيه وله سبع وثلثون سنة، واقام في خلافته ستة اشهر وثلثة ايام ووقع الصلح بينه وبين معاوية لعنه الله في سنة احدى واربعين وانما هادنه عليه السلام خوفاً على نفسه اذ كتب جماعة من رؤساء اصحابه بالسر اليه بالطاعة وضمنوا له تسليمه اليه عند دنوهم من عسكره، ولم يكن منهم من يؤمن غائلته الا خاصة من شيعته لا يقومون بأجناد الشام وكتب اليه معاوية في الهدنة والصلح وبعث بكتب اصحابه اليه فصالحه وشرط الحسن عليه السلام شروطاً، وما وفى معاوية بواحد منها فخرج الحسن عليه السلام الى المدينة واقام بها عشر سنين ومضى الى رحمة الله تعالى لليلتين بقيتا من صفر سنة خمسين من الهجرة وله سبع واربعون سنة واشهر مسموماً، سمته زوجته جعدة بنت الاشعث بن قيس وكان معاوية لعنه الله قد دسَّ اليها من حملها على ذلك وضمن لها ان يزوجها من يزيد واوصل اليها مأة الف درهم فسقته السم، وبقى عليه السلام اربعين يوماً مريضاً وتولّى اخوه الحسين عليه السلام تجهيزه ودفنه عند جدته فاطمة بنت اسد بالبقيع.

واما اولاد الحسن عليه السلام فهم ستى عشر ذكراً وانثى، زيد بن الحسن واختاه ام الحسن وام الحسين امهم ام بشير بنت ابي مسعود الخزرجية، والحسن بن الحسن امه خولة بنت منظور الفزارية وعمر بن الحسن واخواه عبد الله والقاسم ابنا الحسن عليه السلام قتلا مع الحسين عليه السلام بكربلا امهم ام ولد، وعبد الرحمن بن الحسن امه ام ولد والحسين بن الحسن الملقب بالاثرم واخوه طلحة واختها فاطمة امهم ام اسحق بنت طلحة بن عبيد الله التيمي وابو بكر قتل مع الحسين عليه السلام، وام عبد الله وفاطمة وام سلمة ورقية لامهات اولاد شتى وكان زيد بن الحسن عليه السلام يلى صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله وكان جليل القدر ومات وله تسعون سنة وخرج من الدنيا ولم يدّع الامامة ولا ادعى له مدّع من الشيعة.؟

واما الحسن بن الحسن فكان جليلاً فاضلاً وكان يلي صدقات امير المؤمنين عليه السلام وروى انه خطب الى عمه الحسين عليه السلام احدة ابنتيه فقال له الحسين عليه السلام يا بني اختر احبهما اليك، فاستحى الحسن فقال الحسين عليه السلام فاني قد اخترت لك ابنتي فاطمة فهي اكثرهما شبهاً بأمي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وكان عبد الله بن الحسن قد زوجه الحسين عليه السلام ابنته[1] فقتل قبل ان يبنى بها.

واما الحسين عليه السلام فمولده بالمدينة يوم الثلاثا وقيل يوم الخميس لثلاث خلون من شعبان، وقيل لخمس منه سنة اربع من الهجرة، وقيل ولد آخر شهر ربيع الاول سنة ثلاث من الهجرة ولم يكن بينه وبين اخيه الحسن عليه السلام الا الحمل والحمل ستة اشهر وعاش عليه السلام سبعاً وخمسين سنة وخمسة اشهر، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وآله سبه سنين ومع امير المؤمنين عليه السلام سبعاً وثلثين سنة، ومع اخيه الحسن عليه السلام سبعاً واربعين سنة، وكانت مدة خلافته عشر سنين واشهراً، وقتل صلوات الله عليه يوم عاشوراء يوم الاثنين، وقيل يوم الجمعة سنة احدى وستين من الهجرة.

واما كيفية مقتله فنفرد له ان شاء الله تعالى نوراً في مصائب المؤمنين، واما اولاده عليه السلام فهم ستة علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام امه شاه زنان بنت كسرى يزدجرد بن شهريار، وعلي الاصغر امه ليلى بنت ابي مرة بن مسعود الثقفية، وجعفر بن الحسين وامه قضاعية ومات في زمن ابيه ولا عقب له، وعبد الله قتل مع ابيه صغيراً وهو في حجره وسكينة بنت الحسين وامها الرباب بنت امرئ القيس بن عدي، وفاطمة بنت الحسين عليه السلام وامها ام اسحق بن طلحة بن عبد الله.

واعلم انه قد وقع خلاف بين علمائنا رضوان الله عليهم في علي المقتول في واقعة الطفوف هل هو علي الاصغر او علي الاكبر، فذهب شيخنا الشهيد (ره) في الدروس وابن ادريس في سرائره والكفعمي في مصباحه الى ان المقتول مع ابيه هو علي الاكبر الذي امه تليلى بنت ابي مرة، وهو اول قتيل في الواقعة وولده في امارة عثمان، وذهب جماعة ومنهم صاحب اعلام الورى الى ان المقتول هو علي الاصغر وهو ابن الثقفية، وان علي الاكبر هو زين العابديحن عليه السلام امه شهربانو بنت كسرى، قال محمد بن ادريس والاولى الرجوع الى اهل هذه الصناعة السابقين واهل السير ةوالتواريخ مثل الزبير بن بكّار وابو الفرج الاصفهاني والبلاذري والمزني والعمري وابن قتيبة والطبري وابي الازهري والدينوري، وصاحب كتاب الانوار وهؤلاء كلهم اتفقوا على ان المقتول المدفون مع ابيه هو علي الاكبر الذي امه الثقفية، ولا فائدة تبنى على مثل هذا الخلاف سوى الاطلاع على احوالهم عليهم السلام، واما القائم على باب الحسين عليه السلام فهو رشيد الهجري.

---

(١) وهي سكينة عليها السلام كما صرح به الامام الطبرسي ره في اعلام الورى انظر ص١٢٧.

واما سيد الساجدين وزين العابدين عليه السلام فيكنّى بأبي محمد وابي القاسم، ومن القابه عليه السلام ذو الثفنات وذلك ان موضع السجود كنقرة البعير من كثرة السجود ولد بالمدينة يوم الجمعة يوم الخميس في النصف من جمادي الاخرة وقيل لتسع خلون من شعبان سنة ثمان وثلاثين من الهجرة، وقيل سنة ستت وثلاثين، وفي اعلام الورى ان علياً عليه السلام ولىّ حريث بن جابر الحنفي جانباً من بلاد المشرق فبعث اليه بأبنتي يزدجرد بن شهريار فنحل ابنه الحسين عليه السلام احدهما فأولدها زين العابدين عليه السلام ونحل اخرى محمد بن ابي بكر فولدت له القاسم بن محمد بن ابي بكر، فهما ابنا خالة وتوفي صلوات الله عليه يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة خمس وتسعين من الهجرة، وكانت مدة امامته بعد ابيه اربعاً وثلاثين سنة، ومات وله سبع وخمسون سنة، وكان في ايام امامته عليه السلام بقية ملك يزيد بن معاوية وملك معاوية بن يزيد ومروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان وتوفي في زمان ملك الوليد بن عبد الملك وقد مات مسموماً سمّه هشام بن عبد الملك لعنه الله تعالى.

واما اولاده عليه السلام فهم خمسة عشر ولداً محمد الباقر عليه السلام امه ام عبد الله فاطمة بنت الحسن بن علي بن ابي طالب عليه السلام وابو الحسين زيد وعمر امهما ام ولد، وعبد الله والحسن والحسين امهم ام ولد، والحسين الاصغر وعبد الرحمن وسليمان لام ولد وعلي كان اصغر ولده عليه السلام وخديجة امهما ام ولد ومحمد الاصغر امه ام ولد، وفاطمة وعليّة وام كلثوم وكان زيد بن علي بن الحسين افضل اخوته بعد اخيه الباقر عليه السلام وكان عابداً ورعاً سخيّاً شجاعاً وظهر بالسيف يطلب ثارات الحسين عليه السلام، ويدعوا الى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله فظنّ الناس انه يريد بلك نفسه، وجاءت الرواية ان سبب خروجه بعد الذي ذكرناه انه دخل عليه السلام على هشام بن عبد الملك وقد جمع هشام اهل الشام ان يتضايقوا له في المجلس حتى لا يتمكن من الوصول الى قربه، فقال له زيد انه ليس من عباد الله احد فوق ان يوصي بتقوى الله، ولا من عباده احد دون ان لا يوصي بتقوى الله وانا اوصيك بتقوى الله يا هشام فافقه، فقال له هشام انت المؤهّل نفسك للخلافة وما انت وذاك لا امّ لك وانما انت ابن امة، فقال له زيد اني لا اعلم احداً اعظم منزلة عند الله من نبي وهو ابن امةن فلو كان ذلك يقصر عن منتهى غاية لم يبعثه وهو اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام فالنبوة اعظم منزلة عند الله ام الخلافة، وبعد فما يقصر برجل ابوه (جده ظ) رسول الله صلى الله عليه وآله وهو ابن علي بن ابي طالب عليه السلام، فوثب هشام عن مجلسه ودعا قهرمانه وقال لا يبيتن هذا في عسكري، فخرج زيد وهو يقول انه لم يكره قوم قطّ حرّ السيوف الا ذلّوا، وكان مقتله يوم الاثنين لليلتين خلتا من صفر سنة عشرين ومائة، وكان سنّه يوم قتل اثنين واربعين سنة.

واما الامام الباقر عليه السلام فمولده بالمدينة سنة سبع وخمسين من الهجرة يوم الجمعة غرّة شهر رجب، وقيل الثالث من صفر، وقبض عليه السلام سنة اربع عشر ومأة في ذي الحجة، وقيل في شهر ربيع الاول وقد تمَ عمره سبعاً وخمسين سنة ومات مسموماً سمّه ايضاً هشام بن عبد الملك في وقت ملكه، امه ام عبد الله فاطمة بنت الحسن عليه السلام فهو هاشمي من هاشميين علوي من علويين، وقبره بالبقيع الى جانب ابيه زين العابدين عليه السلام، عاش مع جدّه الحسين عليه السلام اربع سنين، ومع ابيه تسعاً وثلاثين سنة وكانت مدة امامته ثماني عشرة سنة، وكان في ايام امامته بقية ملك الوليد بن عبد الملك وسليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز ويزيد بن عبد الملك وهشام بن عبد الملك وتوفي في ملكه، واما اولاده عليه السلام فهم سبعة ابو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وكان يكنّى به، وعبد الله بن محمد وامهما ام فروة بنت القاسم بن محمد بن ابي بكر، وابراهيم وعبيد الله وامهما ام حكيم بنت اسد بن المغيرة الثقفية، وعلي وزينب لام ولد، وام سلمة لام ولد وقيل ان لابي جعفر عليه السلام ابنة واحدة فقط ام سلمة واسمها زينب.

واما الصادق عليه السلام فولد بالمدينة لثلث عشر ليلة بقيت من شهر ربيع الاول سنة ثلاث وثمانين من الهجرة، ومضى عليه السلام في النصف من رجب ويقال في شوال سنة ثمان واربعين ومأة وله خمس وستون سنة، اقام منها مع ابيه وجده اثنتى عشرة سنة، وبعد ابيه ايام امامته اربعاً وثلاثين سنة، وكان في ايام امامته بقية ملك هشام بن عبد الملك وملك الوليد بن يزيد بن عبد الملك وملك يزيد بن الوليد بن عبد الملك وملك ابراهيم بن الوليد وملك مروان بن محمد الحمار، ثم صارت المسودة من اهل خراسان مع ابي مسلم الخراساني سنة اثنين وثلثين ومأة، فملك ابو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الملقب بالسفاح اربع سنين وثمانية اشهر، ثم ملك اخوه ابو جعفر الملقب بالمنصور احدى وعشرين سنة واحد عشر شهراً، وتوفي الصادق عليه السلام بعد عشر سنين من ملكه قد سمّه بعنب ودفن بالبقيع.

واما اولاده عليه السلام فهم عشرة، اسماعيل وعبد الله وام فروة امهم فاطمة بنت الحسين بن علي بن ابي طالب، وموسى واسحاق وفاطمة ومحمد لام ولد اسمها حميدة البربرية، والعباس وعلي واسماء لامهات اولاد شتى، اما اسماعيل فكان اكبر اخوته فمات في حيوة ابيه بالعريض وحمل على رقاب الرجال الى المدينة حتى دفن بالبقيع وروى ان ابا عبد الله عليه السلام جزع عليه جزعاً شديداً وتقدم سريره بغير حذاء ولا رداء وامر بوضع سريره على الارض قبل دفنه مراراً كثيرة، وكان يكشف عن وجهه وينظر اليه يريد بذلك تحقيق امر وفاته عند الظانين خلافته من بعده، وازالة الشبهة عنهم في حيوته ولما مات اسماعيل انصرف عن القول بامامته بعد ابيه من كان يظنّ كذلك واقام على حيوته طائفة ممن لم يكونوا من خواص ابيه بل كانوا من الاباعد ولما مات

الصادق عليه السلام انتقل جماعة منهم الى القول بامامة موسى بن جعفر عليهما السلام، وافترق الباقون منهم فريقين فريق منهم رجعوا عن حيوة اسماعيل وقالوا بامامة ابنه محمد بن اسماعيل لظنهم ان الامامة كانت في ابيه وان الابن احق بمقام الاب من الاخ، وفريق منهم ثبتوا على حيوة اسماعيل وهذان الفريقان يسميان الاسماعيلية.

واما عبد الله بن جعفر فانه كان اكبر اخوته بعد اسماعيل ولم يكن له منزلة عند ابيه وكان متهماً بالخلاف على ابيه في الاعتقاد وادّعى الامامة بعد وفاة ابيه فاتبعه جماعة ورجع اكثرهم الى القول بامامة موسى عليه السلام لما ظهر عندهم براهين امامته، ولم يبق الا طائفة يسيرة تسمى الفطحية، وذلك لان عبد الله كان افطح الرجلين، او لان داعيهم الى ذلك رجل اسمه عبد الله بن افطح، واما محمد بن جعفر فكان يرى رأي الزيدية في الخروج بالسيف، وكان سخيّاً شجاعاً وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ويذبح كل يوم كبشاً للضيافة، وخرج على المأمون سنة تسع وتسعين ومأة فخرج لقتاله عيسى الجلودي فهزم اصحابه واخذه وانفذه الى المأمون، فوصله واكرمه وكان مقيماً معه بخراسان واما اسحاق بن جعفر فكان ورعاً فاضلاً مجتهداً وكان يقول بامامة اخيه موسى بن جعفر عليهما السلام.

واما علي بن جعفر فكان من الورع بمكان لا يدانى فيه وكذلك من الفضل ولزم اخاه موسى بن جعفر عليهما السلام وقال بامامته وامامة الرضا والجواد عليهم السلام وكان اذا رأى الجواد مع الصبيان يقوم اليه من المسجد بين جماعة الشيعة وينكب على اقدامه ويمسح شيبه على تراب رجليه ويقول قد رأى الله هذا الصبي اهلاً للامامة فجعله اماماً ولم تر شيبتي هذه اهلاً للامامة لا جماعة من الشيعة كانوا يقولون له انت امام فادّع الامامة وكان لا يقبل منهم قولاً، وروى ان الجواد عليه السلام اذا ارد ان يفصد لاخذ الدم يقول علي بن جعفر للفصّاد تعال افصدني حتى اذوق حرارة الحديد قبل الجواد عليه السلام واما من كان ملازماً لباب الصادق عليه السلام فهو المفضل بن عمر ومن هذا قال المفيد طاب ثراه في ارشاده ان المفضل من شيوخ اصحاب ابي عبد الله عليه السلام وخاصّته وبطانته وثقاته من الفقهاء الصالحين، واكثر اصحابنا من اهل الرجال ضعّفوه بارتفاع القول وبموافقة اخباره لاخبار الغلاة.

يستفاد من كلام ابن طاووس والمفيد وجماعة من القدماء ان الائمة عليهم السلام كانوا يخصّون بعض الشيعة باسرار الاحاديث ولم يحدثوا بها غيرهم لعدم احتمال الغير لها، فاذا حدّث الخواص بتلك الاحاديث ردّت عليهم واتهموا في روايتها ونسبوا الى ارتفاع القول والغلو، والى انها احاديث اختلفوها حيث انه لم يشاركهم في نقلها من الائمة عليهم السلام غيرهم، كمحمد

بن سنان والمفضل بن عمر ونحوهما من الابواب فقد ذمه قوم بما مدحه آخرون، وكم من فرق بين المذهبين وقد حققنا المقام في كتاب كشف الاسرار في شرح الاستبصار والله الموفق للصواب.

واما الكاظم عليه السلام فقد ولد بالابواء وهو منزل بين مكة والمدينة لسبع خلون من صفر سنة ثمان وعشرين ومأة وقبض عليه السلام ببغداد في حبس السندي بن شاهك لخمس بقين من رجب وقيل لسبع خلون من رجب يسنة ثلاث وثمانين ومأة، وله يومئذ خمس وخمسون سنة، وامه ام ولد،يقال لها حميدة البربرية، وكنيته ابو الحسن وهو ابو الحسن الاول وابو ابراهيم وابو علي ويعرف بالعبد (بعبد) الصالح وكانت مدّة امامته عليه السلام خمساً وثلاثين سنة، وقام بالامر وله عشرون سنة، وكانت في ايام امامته بقية ملك المنصور ابي جعفر ثم ملك ابنه المهدي عشر سنين وشهراً ثم ملك ابنه الهادي موسى بن محمد ينة وشهراً ثم ملك هرون بن محمد الملقب بالرشيد، واستشهد عليه السلام بعد مضي خمس عشر سنة من ملكه سمّه هارون في رطب، وقيل في طعام قدمه اليه وقد كان عليه السلام يعلم ان هارون يسمه في الرطبات وكذلك باقي الائمة عليهم السلام.

فان قلت اذا كان الحال على هذا فكيف جاز تناول ذلك الطعام المسموم وهل هذا الا اعانة على النفس والالقاء بالايدي الى التهلكة المنهي عن كل منهما، قلت قد روى عن ابراهيم بن ابي محمود قال قلت لابي الحسن الرضا عليه السلام الامام يعلم متى يموت فقال نعم، قلت حيث بعث اليه يحيى بن خالد بالرطب والريحان المسمومين علم به قال نعم قلت فأكله وهو يعلم فيكون معيناً على نفسه فقال لا انه يعلم قبل ذلك ليتقدم فيما يحتاج اليه فاذا جاء الوقت القى الله على قلبه النسيان ليمضي فيه الحكم، وهذا الحديث يكشف عن الشهبة الواردة على كثير من احوال الائمة عليهم السلام التي كانت السبب في موتهم كما لا يخفى وكفّن فيه حبرة استعملت بالفي وخمسمأة دينار عليه القرآن كله.

واما عدد اولاده عليه السلام فهم سبعة وثلاثون ولداً ذكراً وانثى، الامام علي الرضا عليه السلام وابراهيم والعباس والقاسم لامهات اولاد، واحمد ومحمد وحمزة لام ولد وعبد الله واسحاق وعبيد الله وزيد والحسين والفضل وسليمان لامهات اولاد، وفاطمة الكبرى وفاطمة الصغرى ورقية وحكيمة وام ابيها ورقية والصغرى وكلثم وام جعفر ولبابة وزينب وخديجة وعلية وآمنة وحسنة وبريهة وعايشة وام سلمة وميمونة وام كلثوم، وكان احمد بن موسى عليه السلام كريماً وكان موسى عليه السلام يحبه، وكان محمد بن موسى عليه السلام صالحاً ورعاً وهما مدفونان في شيراز والشيعة تتبرك بقبورهما وتكثر زيارتهما وقد زرناهما كثيرتً، واما ابراهيم بن موسى عليه السلام فكان شجاعاً كريماً واما والد مؤلف الكتاب عفا الله عنه فهو السيد عبد الله ونسبه هكذا نعمة الله بن السيد عبد الله بن السيد محمد بن السيد حسين بن السيد احمد بن السيد محمود بن السيد غياث الدين بن السيد

مجد الدين بن السيد نور الدين بن السيد سعد الدين بن السيد عيسى بن السيد موسى بن السيد عبد الله بن الامام الهمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام اولئك آبائي فجئني بمثلهم اذا جمعتنا يا جرير المجامع.

وقد احسن ابو نواس حيث قال في مدح الرضا عليه السلام :

مطهرون نقيات ثيابهم تجري الصلوة عليهم اينما ذكروا
من لم يكن علوياً حين تنسبه فما له من قديم الدهر مفتخر
فانتم الملأ الاعلى وعندكم علم الكتاب وما جائت به السور

فقال له الرضا عليه السلام قد جئتنا بابيات ما سبقك اليها احد وقد مدحه حين جعله المأمون ولي عهده وخطب وضرب الدراهم باسمه واعطى الشعراء الجوائز على مدحه فمدحوه سوى ابي نواس فعاتبه الخليفة على تركه لمدح الرضا عليه السلام فقال:

قيل لي انت اوحد الناس طراً في المعاني وفي الكلام النبيه
لك من جوهر الكلام بديع يثمر الدر في يدي مجتنيه
فعلى ما تركت مدح ابن موسى والخصال التي تجمعن فيه
قلت لا اهتدي لمدح امام كان جبرئيل خادماً لابيه

وقد كان جدنا المرحوم ورد الى الجزائر فبقى فيها والان له ذراري كثيرة واولاد واحفاد كثر الله العلويين في مشارق الارض ومغاربها، واما ابوابه عليه السلام فهو محمد بن الفضل بن عمرو وهو مجهول الحال في كتب الرجال ولكن كونه من الابواب مما يدلّ على مدحه بل على توثيقه، فيكون حديثه صحيحاً وكثيراً ما اهمل الرجاليون توثيق من لا يختلج الريب في حسن حاله، وقد ذكرنا وجهه في شرح تهذيب الحديث.

واما الامام علي الرضا عليه السلام فقد ولد بالمدينة سنة ثمان واربعين ومأة بعد الهجرة ويقال انه ولد لاحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة، يوم الجمعة سنة ثلث وخمسين ومأة بعد وفاة ابي عبد الله عليه السلام بخمس سنين وقيل يوم الخميس وأمه ام ولد يقال لها ام البنين واسمها نجمة، ويقال لها سكن النوبية، ويقال تكتم وكانت من اشراف العجم، وقد سمه المأمون لعنه الله في رمان وعنب وقد غسله ابنه الجواد عليه السلام اتى اليه من المدينة بطي الارض وهو مريض فأخذ منه علوم الامامة وجهزه ثم تركه فلما دخل عليه المأمون رآه كأنه لم يغسل ولم يكفن ولم يصلَ عليه، وله

من الاولاد ثلاثة اولاد واما من كان بابه فهو عمر بن الفرات وقد ذكر اهل الرجال في شأنه انه كاتب بغدادي غال وهذا ياضاً من ذاك لان وصفه بالغلو لما تقدم فيكون دليلاً على علو رتبته.

واما الامام ابو جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام فقد ولد في شهر رمضان سنة خمس وتسعين ومأة لسبع عشر ليلةمضت من الشهر وقيل للنصف من ليلة الجمعة وفي رواية اين عياش ولد يوم الجمعة لعشر خلون من رجب وقبض عليه السلام ببغداد في آخر ذي القعدة سنة عشرين ومأتين، وله يومئذ خمش وعشرون سنة، وكانت مدة خلافته لابيه سبع عشرة سنة، وكانت في ايام امامته بقية ملك المأمون وقبض عليه السلام في اول ملك المعتصم وامه ام ولد يقال لها خيزران وكانت نوبية، ودفن في مقابر قريش في ظهر جده موسى عليه السلام مات مسموماً قد سمه المعتصم، واما وكيل بابه فهو عمر بن الفرات ايضاً وله من الاولاد علي ابنه الامام عليه السلام وموسى، ومن البنات حليمة وخديجة وام كلثوم، ويقال انه خلف فاطمة وامامة ابنتيه ولم يخلف غيرهم.

واما الامام ابو الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى عليهم السلام فقد ولد بالمدينة للنصف من ذي الحجة سنة اثنتي عشر ومأتين، وفي رواية ابن عياش يوم الثلاثا الخامس من رجب وقبض عليه السلام بسر من رأى في رجب سنة اربع وخمسين ومأتين وله يومئذ احد واربعون سنة واشهر، وكانت مدة امامته ثلاثاً وثلثين سنة، وامه ام ولد يقال لها سمانة ولقبه النقي والعالم والفقيه والامين والطيب ويقال له ابو الحسن الثالث، وكانت في ايام امامته عليه السلام بقيت ملك المعتصم ثم ملك الواثق خمس سنين وسبعة اشهر ثم ملك المتوكل اربعة عشر سنة ثم ملك ابنه المنتصر ستة اشهر ثم ملك المستعين وهو احمد بن محمد بن المعتصم سنتين وتسعة اشهر ثم ملك المعتز وهو الزبير بن المتوكل ثماني سنين وستة اشهر وفي آخر ملكه استشهد ولي الله علي بن محمد سمه المعتز لعنه الله تعالى واما وكيل بابه فهو عثمان بن سعيد وهو على باب ابنه الحسن وباب صاحب الدار عليهم السلام، وقد وثقه الاصحاب واثنوا عليه وله عليه السلام من الاولاد ابنه الحسن عليه السلام الامام بعده والحسين ومحمد وجعفر الملقب بالكذاب وابنته غالية.

واما الامام الحسن العسكري عليه السلام فقد كان مولده بالمدينة يوم الجمعة لثمان خلون من شهر ربيع الاول سنة اثنتي وثلثين ومأتين وقبض عليه السلام بسر من رأى لثمان خلون من شهر ربيع الاول سنة ستين ومأتين وله يومئذ ثمان وعشرون سنة، امه ام ولد يقال لها حديثة وكانت مدة خلافته ست سنين ولقبه الهادي والسراج، والعسكري عليه السلام وكان ابوه وجده يعرف كل منهم في زمانه بابن الرضا وكانت في سني امامته بقية ملك المعتز اشهراً ثم ملك المهتدي احد عشر شهراً وثمانية وعشرين يوماً ثم ملك احمد المعتمد على الله ابن جعفر المتوكل عشرين سنة واحد عشر

شهراً وبعد مضي خمس سنين من ملكه سمّه المعتمد ودفن في بيته بسرّ من رأى في البيت الذي دفن فيه ابوه عليه السلام .

نجزَ الجزء الاول من الكتاب على حسب تجزئتنا في الطبع ويتلوه الجزء الثاني واوله (نور في بيان بعض احوال مولانا صاحب الزمان صلوات الله عليه) ونسأل الله التوفيق لاتمامه، والحمد لله اولاً وآخراً، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم اجمعين.

وقد تصدى لتصحيحه وبذل الجهد فيه العبد الحقير عيسى الاهري وعمران الغريبدوستي ووفقنا الله تعالى لاتمامه في شهر ذي الحجة الحرام سنة ١٣٧٨هـ.

محتويات الجزء الاول

